تحذير الداعية من القصص الواهية

بقلم

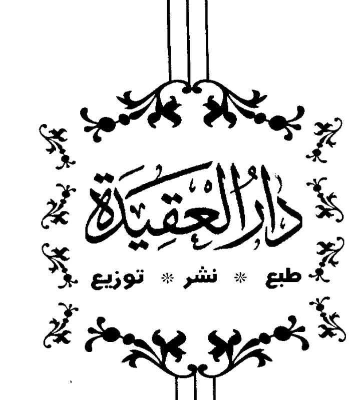
علي بن إبراهيم حشيش

أستاذ علوم الحديث بمعاهد إعداد الدعاة ومدير إدارة الدعوة والإعلام بأنصار السنة المحمدية بمصر

دار العقيدة



تحذير الداعية من القصص الواهية
تأليف: علي بن إبراهيم حشيش
ط ٢ - الإسكندرية دار العقيدة، ٢٠٠٧
عدد الصفحات: ٤٨٠ صفحة
المقاس: ١٧ × ٢٤
رقم إيداع: 4284 / 2003
ترقيم دولي: 0 - 163 - 310 - 477





فاكس: ٢٤٣٣٢٤٩
محمول: ٠١٠١٩٠٠٠٣٨

دار العقيدة
الإسكندرية: ١٠١ ش الفتح باكوس ت: ٠٣/٥٧٤٧٣٢١ ف: ٠٠٢٠٣/٥٧٦٥٦٢١
القاهرة: ٣ درب الأتراك - خلف الجامع الأزهر ت: ٠٠٢٠٢/٥١٤٣١٧٤
E-mail: dar_alakida@yahoo.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾

(آل عمران:١٠٢).

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء:١).

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب:٧٠-٧١).

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدْىَ هَدْى محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة فى النار .

فقد انتشرت القصص الضعيفة والموضوعة على ألسنة الوعاظ والقصاص الذين يتكسبون بالتحدث إلى الناس، فيوردون بعض القصص المسلية والعجيبة؛ حتى يستمع إليهم الناس، ويعطوهم.

قال السيوطى في «التدريب» (١ / ٢٨٦): «والواضعون أقسام .... ضرب كانوا يتكسبون بذلك، ويرتزقون به فى قصصهم كأبى سعيد المدائنى». اهـ.

وقال ابن الصلاح «في علوم الحديث» (ص ٢١٣): «والواضعون للحديث أصناف، وأعظمهم ضرراً قوم من المنسوبين إلى الزهد وضعوا الأحاديث احتساباً

فيما زعموا، فتقبل الناس موضوعاتهم ثقةً منهم بهم، وركوناً إليهم، ثم نهضت جهابذة الحديث بكشف عَوارِها، ومحو عارها، والحمد لله».

فليحذر الداعية من القصص الواهية، فلا تسوِّل له نفسه رواية القصص الضعيفة والموضوعة بحجة أنها في الفضائل، وهى حجة داحضة، وحسبك في إدحاضها قول الحافظ ابن حجر فى «تبيين العجب» (ص ٢٦): «ولا فرق في العمل بالحديث في الأحكام، أو فى الفضائل؛ إذ الكل شرع».

وليتأس دعاة السنة بما أورده الإمام الذهبي في «الميزان» (٤/ ٩٧) فى ترجمة مسروح أبى شهاب نقلاً عن ابن أبى حاتم قال: «سألت أبى عن مسروح، وعرضت عليه بعض حديثه فقال: يحتاج إلى التوبة من حديث باطل، رواه عن الثورى».

قال الذهبى: «إي والله، هذا هو الحق، إنَّ كلَّ من روى حديثًا يعلم أنه غير صحيح، فعليه التوبة أو يهتكه » اهـ.

قلت: ولا عجب فكيف لا يتوب ؟ واعلم أنه لا يستهين بهذا الكلام إلا جاهل بحديث رسول الله ﷺ فقد أخرج البخارى في «صحيحه» ح (١٠٩) من حديث سلمة ابن الأكوع قال: سمعت النبى ﷺ يقول: **«من يقل علىَّ ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار»**.

قلت: وفى هذه السلسلة -إن شاء الله- سلسلة «تحذير الداعية من القصص الواهية» نبين الضعيف والموضوع من القصص المنسوبة إلى رسول الله ﷺ ، وإلى صحابته الكرام رضي الله عنهم فتَسْلَم الأمةُ من التربية على القصص الواهية، فقد يقول قائل: لماذا بدأ بهذه السلسلة ؟ ألم يكفِ أن يذكر الصحيحة فقط؟

وللإجابة على هذا السؤال يحضرنى حديث فى أعلى درجات الصحة حيث أخرجه البخارى (١٣/ ٣٨ - فتح)، ح (٧٠٨٤)، ومسلم ح (١٨٤٧) كتاب الإمامة ح (٥١) من حديث حذيفة بن اليمان قال: «كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافةَ أن يدركني .... ».

❁ ❁ ❁ ❁

(١)

قصة ثعبان الغار

تمهيد: لقد انتشرت القصص الضعيفة والموضوعة على أَلسِنَة الوعاظ والقصاص الذين يتكسبون بالتحدث إلى الناس فيوردون بعض القصص المسلية والعجيبة حتى يستمع إليهم الناس ويعطوهم قال السيوطي فى «التدريب» (١/ ٢٨٦).

«**والواضعون أقسام ....ضرب كانوا يتكسبون بذلك ويرتزقون به فى قصصهم كأبى سعيد المدائني**» اهـ.

وقال ابن الصلاح في «علوم الحديث»: «**والواضعوان للحديث أصناف، وأعظمهم ضرراً قوم من المنسوبين إلى الزهد وضعوا الأحاديث احتساباً فيها زعموا فتقبل الناس موضوعاتهم ثقة منهم بهم وركوناً إليهم، ثم نهضت جهابذة الحديث بكشف عوارِها ومحو عارها والحمد لله** » اهـ.

فليحذر الداعية من القصص الواهية، فلا تسول له نفسه رواية القصص الضعيفة والموضوعة بحجة أنها فى الفضائل وهى حجة داحضة وحسبك فى إدحاضها قول الحافظ ابن حجر فى «تبيين العجب» ولا فرق فى العمل بالحديث فى الأحكام، أو فى الفضائل . إذ الكل شرع.

وليتأس دعاة السنة بما أورده الإمام الذهبى فى «الميزان» (٤/ ٩٧) فى ترجمة مسروح أبى شهاب نقلاً عن ابن أبى حاتم قال: سألت أبى عن مسروح، وعرضت عليه بعض حديثه فقال: «يحتاج إلى التوبة من حديث باطل رواه عن الثورى» قال الذهبى: «إى والله، هذا هو الحق، إن كل من روى حديثا يعلم أنه غير صحيح، فعليه التوبة أو يهتكه» اهـ.

قلت : ولا عجب فكيف لا يتوب؟ واعلم أنه لا يستهين بهذا الكلام إلا جاهل بحديث رسول الله ﷺ فقد أخرج البخارى فى «صحيحه» ح (١٠٩) من حديث سلمة بن الأكوع قال: سمعت النبى ﷺ يقول: «**من يقل علي ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار**».

قلت: وفى هذه السلسلة -إن شاء الله- سلسلة «تحذير الداعية من القصص الواهية »نبين الضعيف والموضوع من القصص المنسوبة إلى رسول الله ﷺ وإلى صحابته الكرام رضي الله عنهم فتسلم الأمة من التربية على القصص الواهية، وقد يقول قائل: لماذا بدأ بهذه السلسلة؟ ألم يكف أن يذكر الصحيحة فقط؟

وللإجابة عن هذا السؤال يحضرنى حديث فى أعلى درجات الصحة حيث أخرجه البخارى (١٣/ ٣٨-فتح) ح (٧٠٨٤)، ومسلم ح (١٨٤٧) كتاب الإمارة ح (٥١) من حديث حذيفة بن اليمان قال: «كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني...». وإلى القارئ الكريم بيان« قصة الثعبان » وفيه مسائل:

المسألة الأولى ـ اشتهار القصة:

لقد اشتهرت القصة فى كتب السيرة حتى أوردها المباركفورى فى كتابه «الرحيق المختوم» (ص١٦٨) تحت عنوان «إذ هما فى الغار» هذا الكتاب الذى اشتهر بين طلبة العلم لفوزه بالجائزة الأولى والتى أعلنت رابطة العالم الإسلامى عنها فى المؤتمر الإسلامى الآسيوى الأول الذى عقد فى كراتشى فى شهر شعبان سنة 1398هـ كما أعلن على ذلك فى جميع الصحف وطبع بعدة لغات مما أدى إلى اشتهار القصة فقال المباركفورى فى «الرحيق المختوم » ص (١٦٨): «ولما انتهيا إلى الغار قال أبو بكر: والله لا تدخله حتى أدخله قبلك، فإن كان فيه شيء أصابنى دونك، فدخل فكسحه، ووجد فى جانبه ثقباً فشق إزاره وسدها به، وبقى منها اثنان فألقمهما رجليه، ثم قال لرسول الله ﷺ : ادخل، فدخل رسول الله ﷺ ووضع رأسه فى حجره ونام، فلدغ أبو بكر فى رجله من الجحر، ولم يتحرك مخافة أن ينتبه رسول الله ﷺ فسقطت دموعه على وجه رسول الله ﷺ فقال: «ما لك يا أبا بكر؟» قال: لدغت، فداك أبى وأمى، فتفل رسول الله ﷺ فذهب ما يجده »اهـ.

وقد أورد هذه القصة التبريزي في «مشكاة المصابيح» (٣/ ١٧٠٠) ح (٦٠٣٤) مناقب أبي بكر ح (١٦) تحقيق الشيخ الألباني رحمه الله.

قلت: بالنظر إلى حاشية الكتاب لم نجد لهذه القصة تخريجاً ولا تحقيقاً.

المسألة الثانية - تخريج القصة:

الحديث أورده البيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٤٧٦، ٤٧٧) قال: «أخبرنا أبو الحسين عليّ بن محمد بن عبد الله بن بشران العدل ببغداد، قال: حدثنا أحمد بن سلمان النجار الفقيه إملاءً قال: قرئ على يحيى بن جعفر وأنا أسمع، قال: أخبرنا عبد الرحمن بن إبراهيم الراسبي، قال: حدثني فرات بن السائب عن ميمون بن مهران، عن ضبة بن محصن العنزي، عن عمر بن الخطاب ﷺ فذكر القصة.

المسألة الثالثة - تحقيق القصة:

القصة (موضوعة) - والموضوع هو «الكذب المختلق المصنوع المنسوب إلى رسول الله ﷺ وأجمع العلماء على أنه لا تحل روايته لأحد علم حاله في أي معنى كان إلا مع بيان سبب وضعه» كذا في «التدريب» (١/ ٢٧٤).

وآفات القصة

(١) عبد الرحمن بن إبراهيم الراسبي:

أورده الإمام الذهبي في «الميزان» (٢/ ٥٤٥) ترجمة (٤٨٠٤) ثم قال: «عبد الرحمن بن إبراهيم الراسبي عن مالك. أتى بخبر باطل طويل، وهو المتهم به، وأتى عن فرات بن السائب عن ميمون بن مهران عن ضبة بن محصن عن أبي موسى بقصة الغار -وهو يشبه وضع الطرقية».

قلت: وأقر الحافظ ابن حجر في« لسان الميزان» (٣/ ٤٩١) ترجمة (٦٠٢/ ٤٩٥٣) قول الإمام الحافظ الذهبي في قصة الغار بأنه شبه وضع الطرقية.

(٢) فرات بن السائب:

أورده الإمام الذهبي في «الميزان» (٣/ ٣٤١) ترجمة (٦٦٨٩) ثم قال: «فرات بن السائب عن ميمون بن مهران:

قال البخاري : منكر الحديث.

وقال ابن معين : ليس بشيء.

وقال الدارقطني وغيره : متروك.

وقال أحمد بن حنبل قريب من محمد بن زياد الطحان في ميمون يتهم بما يتهم به ذاك»، قلت: وأقر الحافظ ابن حجر في «لسان الميزان» (٤/ ٥٠٣، ٥٠٤) ترجمة (١١/ ٦٥٢٢) قول الإمام الذهبي ثم قال: «وقال أبو حاتم الرازي ضعيف الحديث، منكر الحديث».

وقال الساجي : تركوه.

وقال النسائي: «متروك الحديث».

قلت: وقول النسائي في فرات:« مترك الحديث» أورده في «الضعفاء والمتروكين» ترجمة (٤٨٨) وحسبك قول الحافظ ابن حجر في «شرح النخبة» ص (٦٩): كان مذهب النسائي أن لا يترك حديث الرجل حتى يجتمع الجميع على تركه »قلت: وما نقله الذهبي عن البخاري في فرات أنه منكر الحديث وإقرار الحافظ ابن حجر له في «اللسان »حققناه فوجدناه في «التاريخ الكبير» (٧/ ١٣٠) حيث قال البخاري:

«فرات بن السائب أبو سليمان عن ميمون بن مهران تركوه منكر الحديث»، قلت: وهذا التحقيق يحسبه القارىء الكريم أنه هين، ولكنه عند علماء هذا الفن عظيم، خاصة في علم الحديث التطبيقي في مثل هذه المسائل.

حيث يظهر هذا من تنبيهات السيوطي في «التدريب» (١/ ٣٤٩) حيث قال: «البخاري يطلق منكر الحديث على من لا تحل الرواية عنه».

قلت : وزيادة للفائدة لطالب هذا الفن نبين ما نقله الذهبى عن ابن معين فى فرات أنه «ليس بشىء».

قال ابن أبى حاتم فى كتابه «الجرح والتعديل» (٣/ ٣٢١) ترجمة (١٤٣٩): «عن يحيي بن معين أنه قال: لا شيء يعني - ليس بثقة».

قلت: بهذا التحقيق فى فرات يتضح ما أورده الإمام ابن حبان فى «المجروحين» (٢/ ٢٠٧) حيث قال: «الفرات بن السائب الجزرى، يروى عن ميمون بن مهران، كان ممن يروى الموضوعات عن الأثبات، ويأتى بالمعضلات عن الثقات، لا يجوز الاحتجاج به، ولا الرواية عنه، ولا كتابة حديثه إلا على سبيل الاختبار».

قلت: وهذا التحقيق له فائدة عظيمة لطالب هذا الفن، عندما يقارن بين قول ابن حبان الذى ذكرناه آنفاً فى فرات بن السائب، وبين ما قاله الحافظ ابن حجر فى «التقريب» (١/ ٢٩٢) فى ميمون بن مهران حيث قال: «ميمون بن مهران الجزرى، أبو أيوب -أصله كوفى، نزل الرقة، ثقة فقيه، ولى الجزيرة لعمر بن عبد العزيز».

المسألة الرابعة - (فوائد):

(١) نستنتج من هذا التخريج والتحقيق أن القصة واهية، وهى كما قال الإمام الذهبى «وهو شبه وضع الطرقية».

(٢) أن لكل إمام من أئمة هذا الفن مصطلحه الذى يبين مذهبه فى الراوى، والذى يحتم على طالب هذا الفن أن يعرف معناه، حتى يقف على مرتبة الراوى.

(٣) علم المصطلح التطبيقى يتوقف على:

أ- علم التخريج: وبه يحصل الباحث على سلسلة الرجال الموصلة للمتن «القصة».

ب- علم الرجال: وبه يحصل الباحث على مرتبة كل راو فى سلسلة رواة القصة.

جـ -علم المصطلح: وبه يحصل الباحث على درجة الحديث بتطبيقه على مرتبة الراوى.

(٤) وسنقدم- إن شاء الله -من خلال سلسلة «تحذير الداعية من القصص الواهية» بحوثاً حديثية تبين أهمية علم الحديث التطبيقى فى الكشف عن هذه القصص، وبيان عوارها، ومحو عارها.

هذا ما وفقنى الله إليه وهو وحده من وراء القصد.

«صحيح ما جاء فى الغار»

فائدة:

بعد أن بينا للقارئ الكريم عدم صحة هذه القصة« :قصة ثعبان الغار »التى اشتهرت وانتشرت نقول:

١ - ألم يأن للداعية أن يترك هذه القصة الواهية، ويتمسك بصحيح ما جاء فى الهجرة فيربى الأمة على السنة الصحيحة المطهرة التى تثمر فى القلوب عقيدة أهل السنة والجماعة فتعيش الأمة فى نور التوحيد: توحيد الأسماء والصفات الذى يتضمن توحيد الربوبية ويلزمه توحيد الألوهية وبهذا يتحقق للأمة وعد الله فى الآية الخامسة والخمسين من سورة النور فى قوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ .

٢ -وليتدبر الداعية هذه الآية: آية الاستخلاف والتمكين والأمن والآيتين اللتين بعدها، فالآية (النور:٥٥) جعلت شرط الاستخلاف والتمكين والأمن قوله تعالى: ﴿يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ﴾.

ثم بعد التوحيد في قوله تعالى: ﴿يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا﴾ جاءت الآية (النور:٥٦) يقول فيها الله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

قلت: ومن تدبر الآيتين :يجد تقديم التوحيد والنهى عن الشرك فى الآية (النور:٥٥) على العمل في الآية (النور:٥٦).

لأن العمل لا يصلح إلا بالتوحيد وبتدبر القرآن تجد الآية (الزمر:٥٦) تبين المناسبة بين الآيتين (النور:٥٥)، (النور:٥٦) في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ (الزمر:٦٥) ﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ (الزمر:٦٦).

٣ - فإذا حققت الشرط تحقق لك الوعد بالاستخلاف والتمكين والأمن واعلم علم اليقين أن وعد الله حق، فكن على يقين بتحقيق وعد الله رب العالمين مهما اشتد طغيان المشركين، وكيد الكافرين، يستبين لك ذلك بتدبر القرآن فى الآيات (النور:٥٥، ٥٦، ٥٧) عندما تستحضر الروابط فى الآيات الثلاثة تجد لطائف القرآن مودعة فى روابطه.

فقد بينا المناسبة بين الآيتين (النور:٥٥)، (النور:٥٦) هاتان الآيتان اللتان تناولتا الوعد وشرطه.

ثم جاءت الآية (النور:٥٧) تبين أنه إذا تحقق الشرط تحقق الوعد مهما كانت قوة الباطل قال تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ (النور:٥٧).

٤ -فلا توجد قوة على الأرض تقف أمام وعد الله وهو القائل سبحانه: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ (فاطر:٤٤).

٥ -فلا تغتر أيها المؤمن بتقلب الذين كفروا فى البلاد وقد بين الله عاقبتهم فقال تعالى: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ﴾ (آل عمران:١٩٦)، ﴿مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ (آل عمران:١٩٧).

٦ -فكن على يقين فى تحقيق وعد الله رب العالمين: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ (الروم:٦٠).

٧ -تطبيـــق:

اليقين في الغار وعجز الكفار

أ -أخرج البخارى فى «صحيحه» كتاب «فضائل الصحابة (٦٢) باب مناقب المهاجرين وفضلهم منهم أبو بكر عبد الله بن أبى قحافة التيمى ﷺ (٢) ح (٣٦٥٣) من حديث أبى بكر قال: «قلت للنبى ﷺ وأنا فى الغار: لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا فقال: ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما».

قلت: والحديث أخرجه مسلم فى «صحيحه» ح (٢٣٨١) كتاب فضائل الصحابة (٤٤) ح (١).

ب - والحديث أخرجه أيضاً البخارى فى «صحيحه »كتاب المناقب - (٦٣) باب هجرة النبى ﷺ وأصحابه إلى المدينة (٤٥) ح (٣٩٢٢) من حديث أبى بكر ﷺ قال: « كنت مع النبي ﷺ فى الغار، فرفعت رأسى فإذا أنا بأقدام القوم فقلت: يا نبى الله لو أن بعضهم طأطأ بصره رآنا، قال: اسكت يا أبا بكر، اثنان الله ثالثهما».

جـ - والحديث أخرجه أيضاً البخارى فى «صحيحه» كتاب «التفسير» (٦٥) باب (٩) ترجمة باب ﴿ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ (التوبة:٤٠)، ح (٤٦٦٣) من حديث أبى بكر ﷺ قال: «كنت مع النبي ﷺ فى الغار فرأيت آثار المشركين، قلت يا رسول الله، لو أن أحدهم رفع قدمه رآنا قال :ما ظنك باثنين الله ثالثهما».

٨ -فهذه هى الأحاديث الصحيحة تبين ما حدث فى الغار.

وإن تعجب فعجب كيف يلجأ الداعية إلى القصص الواهية مثل قصة ثعبان الغار ويملأ عقول الناس بمثل هذه الأباطيل ويترك الصحيح المتفق عليه.

فهذا الصحيح يجب أن تربى عليه الأمة فهذه الأحاديث الصحيحة التى أوردناها فى الغار من حديث أبى بكر تربى الناس على توحيد الأسماء والصفات.

ومن هذه الصفات التى تربى اليقين فى قلوب المؤمنين «صفة المعية».

«صفة المعية» وآية الغار (التوبة:٤٠)

الدليل عليها ما أوردنا آنفا من حديث أبى بكر قال: «قلت للنبي ﷺ وأنا فى الغار، لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا فقال: ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما».

وفي قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة:٤٠).

فعندما نذكر الناس بالهجرة ثم نذكر الغار لا نذكرهم بقصة ثعبان الغار ولكن نذكرهم بصفة المعية ثم نبين لهم المعية العامة والمعية الخاصة: معية النصر والتأييد فالمعية الخاصة يراها المؤمن فى قوله تعالى على لسان نبيه ﷺ: «**لا تحزن إن الله معنا**» ومقتضاها (النصر) حيث سباقها: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ﴾.

ومقتضاها أيضًا (التأييد) حيث لحاقها قوله تعالى: ﴿وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾.

ولابن عثيمين رحمه الله بحث جيد حول «صفة المعية» فى آخر كتابه «القواعد المثلى فى صفات الله وأسمائه الحسنى» قال: «وخلاصة القول من هذا الموضوع كما يلى:

أ – أن معية الله تعالى لخلقه ثابتة بالكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة.

ب – أنها حق على حقيقتها على ما يليق بالله تعالى من غير أن تشبه معية المخلوق للمخلوق.

جـ -أنها تقتضى إحاطة الله تعالى بالخلق علماً وقدرة وسمعاً وبصراً وسلطاناً وتدبيراً وغير ذلك من معاني ربوبيته إن كانت المعية عامة، وتقتضي مع ذلك نصراً وتأييداً وتوفيقاً وتسديداً إن كانت خاصة.

د -أنها لا تقتضى أن يكون الله تعالى مختلطاً بالخلق أو حالا فى أمكنتهم ولا تدل على ذلك بوجه من الوجوه.

هـ -إذا تدبرنا ما سبق علمنا أن لا منافاة بين كونه تعالى مع خلقه حقيقة وكونه فى السماء على عرشه حقيقة » اهـ.

٩ -هذه الصفة صفة المعية لله سبحانه نطق بها رسول الله ﷺ ليطمئن قلب أبى بكر: «لا تحزن إن الله معنا » فأثمرت اليقين فكان النصر والتأييد.

ولذلك كان الأولى أن تربى الناس على معرفة صفة المعية الخاصة لننال أثرها من التوفيق والتأييد والنصر والتسديد، وهذا يقتضى معرفة هذه القاعدة التى أوردها الإمام ابن القيم فى «مفتاح دار السعادة» (٢/ ١٢٧) حيث قال: «والأسماء الحسنى والصفات العلا مقتضية لآثارها من العبودية والأمر اقتضاءها لآثارها من الخلق والتكوين، فلكل صفة عبودية خاصة هى من موجباتها ومقتضياتها أعنى موجبات العلم بها والتحقق بمعرفتها» اهـ.

فعلم العبد بمعية الله الخاصة يوجب له عبودية اليقين والتوكل عليه ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ (الطلاق:٣) أى فالله كافيه ولو اجتمعت الأمة على أن يضروه بشيء لم يضروه إلا بشيء قد كتبه الله عليه.

فمقتضى المعية الخاصة النصر والتأييد فتعرض فى عبادتك لما تقتضيه المعية الخاصة

وحيث أنها تقتضى النصر والتأييد فاعمل العمل الصالح الذى يكون جالباً لنصر الله وتأييده، وهو ما بينه الحق تبارك وتعالى فى قوله: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ (الحج:٤٠-٤١). فإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر من الأعمال الصالحة التى جعلها الله من أسباب النصر الذى هو من مقتضيات المعية الخاصة فالتعبد لله. بها يجعل العبد محققا لقوله تعالى: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ (التوبة:٤٠)، ولقوله تعالى: ﴿لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ (طه:٤٦).

«ولكى تتحق له ثمار هذه المعية الخاصة من النصر والتأييد والتوفيق والتسديد» يجب عليه.

أ -أن يتعبد لله بالدخول فى جميع شعب الإيمان لقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ (النساء:١٣٦)، قال الحافظ ابن كثير فى «تفسيره» يأمر الله تعالى عباده المؤمنين بالدخول فى جميع شرائع الإيمان وشعبه وأركانه ودعائمه وليس هذا من باب تحصيل الحاصل بل من باب تكميل الكامل وتقريره وتثبيته والاستمرار عليه، قلت: وبالتعبد لله بالدخول فى جميع شرائع الله يتحقق له قوله تعالى فى معيته الخاصة:

ب- وبالتعبد لله بالصبر يتحقق للعبد قوله تعالى في معيته الخاصة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ (البقرة:١٥٣ - الأنفال:٤٦)، ﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ (البقرة:٢٤٩ - الأنفال:٦٦).

جـ -وبالتعبد لله بالتقوى يتحقق للعبد قوله تعالى فى معيته الخاصة: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة:١٩٤)، (التوبة:٣٦)، (التوبة:١٢٣).

د -وبالتعبد لله بالإحسان «وهو أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فهو يراك» يتحقق لك قوله تعالى فى معيته الخاصة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ (النحل:١٢٨) ﴿وَٱلَّذِين جَـٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ

لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ (العنكبوت:٦٩)، قلت: بفضل الله وحده نكون قد بيَّنا القاعدة: «لكل صفة عبودية خاصة هى من موجباتها ومقتضياتها أعنى موجبات العلم بها والتحقق بمعرفتها».

وكيف نحققها فى صفة المعية لله عز وجل؟ فعلم العبد بمعية الله الخاصة يوجب له عبودية التوكل عليه باطنا وتثمر له أنواعاً من العبودية الظاهرة ليتحقق له مقتضاها كما بيَّنا آنفاً.

والمعية الخاصة :

أ -تكون مخصوصة بشخص :ومثال المخصوصة بشخص قوله عن النبي ﷺ : ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾.

ب- أو تكون مخصوصة بوصف: ومثال المخصوصة بوصف قوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ (الأنفال:٤٦)، وبقية الأوصاف الأربعة التى بيناها آنفاً تلك الأوصاف التى يكون التعبد لله بها من موجبات المعية الخاصة حتى ينال ثمار هذه المعية من النصر والتأييد والتوفيق والتسديد.

(١٠) «العبادة والصفات»

أوردنا القاعدة التى بينت أن لكل صفة عبودية خاصة هى من موجباتها ومقتضياتها ولكن يغفل كثير من الناس عن معنى العبادة ويكون نتيجة ذلك جهله بموجبات الصفة من العبودية وبهذا لا يمكن له أن يحصى الأسماء الحسنى التى بها قول النبي ﷺ فى الحديث المتفق عليه من حديث أبى هريرة: «**إن لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة**».

ولقد نقل الإمام الحافظ ابن حجر في «الفتح» (١١/ ٢٢٩) عن الإمام الأصيلي قوله: «ليس المراد بالإحصاء عدها فقط لأنه قد يعدها الفاجر وإنما المراد العمل بها».

قلت: ولقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية عن معنى العبادة.

فأجاب رحمه الله في «مجموع الفتاوى» (١٠/ ١٤٩).

قال: العبادة: «هى أمر جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة».

ثم قال رحمه الله: «فالصلاة والزكاة والصيام والحج، وصدق الحديث وأداء الأمانة، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والوفاء بالعهود، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، والجهاد للكفار والمنافقين والإحسان إلى الجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والمملوك من الآدميين والبهائم والدعاء والذكر والقراءة، وأمثال ذلك من العبادة.

وكذلك حب الله ورسوله، وخشية الله والإنابة إليه، وإخلاص الدين له، والصبر لحكمه والشكر لنعمه، والرضا بقضائه، والتوكل عليه، والرجاء لرحمته والخوف لعذابه وأمثال ذلك هى من العبادة لله.

وذلك أن العبادة :هى الغاية المحبوبة له والمرضية له التى خلق الخلق لها كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات:٥٦)» اهـ.

ثم قال رحمه الله: «ونعت صفوة خلقه بالعبودية له فقال تعالى: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ (الإنسان:٦)، وقال تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾ (الفرقان:٦٣)» اهـ.

ثم قال رحمه الله: ولهذا قال النبى ﷺ فى الحديث الصحيح: «**لا تطرونى كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبد، فقولوا عبد الله ورسوله**» وقد نعته الله «بالعبودية» فى أكمل أحواله فقال فى الإسراء: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾ (الإسراء:١).

وقال في الإيحاء: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ (النجم:١٠) اهـ.

قلت: فهذا هو مفهوم العبادة التى بها تستبين القاعدة.

«لكل صفة عبودية خاصة هى من موجباتها ومقتضياتها أعنى موجبات العلم بها والتحقق بمعرفتها».

ولقد حققناها فى صفة المعية الخاصة وهى من أهم الدروس المستفادة والرسول ﷺ وأبو بكر فى الغار بل فى حدث الهجرة كله.

(١١) حديث البراء وقصة سراقة

وصفة المعية الخاصة

حديث البراء أخرجه البخارى ح (٣٦١٥).

وفيه قال أبو بكر رضي الله عنه : «فارتحلنا بعدما مالت الشمس، واتبعنا سُراقة بن مالك فقلت أتينا يا رسول الله فقال: «**لا تحزن إن الله معنا**».

فدعا عليه النبي ﷺ فارتطمت به فرسه إلى بطنها-أرى فى جَلَدٍ من الأرض- فقال: إنى أراكما قد دعوتما علىَّ، فادعو لى، فالله لكما أن أردَّ عنكما الطلب، فدعا له النبى ﷺ فنجا فجعل لا يَلْقَى أحداً إلا قال: كفيتكم ما هنا، فلا يلقى أحداً إلا ردّه، قال: ووفى لنا »اهـ.

قلت : والحديث أخرجه الإمام مسلم فى «صحيحه» ح (٣٠١٤) فالحديث متفق عليه وفى لفظ مسلمٍ :واتبعنا سراقة بن مالك ونحن فى جَلَد من الأرض فقلت يا رسول الله أتينا فقال: «**لا تحزن إن الله معنا**».

قلت: والحديث عند البخاري من حديث البراء أيضًا ح (٢٤٣٩، ٣٦٥٢، ٣٩٠٨، ٣٩١٧، ٥٦٠٧) وقال الحافظ في «الفتح» (٦/ ٧٢٢): والجلد بفتحتين: «الأرض الصلبة» ,اهـ.

من هذا التحقيق يتبين أهمية هذه الصفة: صفة المعية فى حدث الهجرة واشتغل القصاص والوعاظ بالقصص الواهية تاركين هذه الصفة صفة المعية التى لو عبدنا الله بموجبها ومقتضاها كما بينا لتحقق للأمة النصر والتأييد والتوفيق والتسديد.

(١٢) توحيد الأسماء والصفات في آية الغار (التوبة : ٤٠)

ختم الله سبحانه وتعالى آية الغار باسمين من الأسماء المزدوجة فقال سبحانه: ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة:٤٠) لقد ألهت قصة «ثعبان الغار» تلك القصة الواهية عن تدبر آية الغار التى اشتملت على صفة المعية وختمت بهذين الاسمين العزيز والحكيم فى قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

وتظهر أهمية الأسماء المزدوجة فى القاعدة التى أوردها الإمام ابن القيم في «بدائع الفوائد» (١/ ١٦٩) حيث قال:

«صفة تحصل من اقتران أحد الاسمين والوصفين بالآخر .وذلك قدر زائد على مفرديهما نحو : الغنى الحميد، العفو القدير، الحميد المجيد ....

وهكذا عامة الصفات المقترنة والأسماء المزدوجة فى القرآن، فإن الغنى صفة كمال والحمد كذلك واجتماع الغنى مع الحمد كمال آخر فله ثناء من غناه، وثناء من حمده، وثناء من اجتماعهما وكذلك العفو القدير والحميد المجيد والعزيز الحكيم فتأمله فإنه من أشرف المعارف » اهـ.

قلت: حقاً إنه من أشرف المعارف بل ومن أطيب المعارف معرفة دقيق فقه الأسماء فى إفرادها وازدوجها.

ومن أخبث المعارف أن يشتغل القصاص والوعاظ بمثل هذه القصص الواهية التى هى عبارة عن غشاوة تحجب هذه المعارف السامية.

العزيز الحكيم

قال الإمام ابن القيم رحمه الله فى القاعدة (١٧) فى «بدائع الفوائد» (١/ ١٧٧): إن أسماءه تعالى منها ما يطلق عليه مفرداً ومقترناً بغيره وهو غالب الأسماء فالقدير

والسميع والبصير والعزيز والحكيم، وهذا يسوغ أن يدعى به مفرداً ومقترناً بغيره فتقول: يا عزيز، يا حليم، يا غفور، يا رحيم وأن يفرد كل اسم وكذلك فى الثناء عليه والخبر عنه بما يسوغ لك الإفراد والجمع ومنها ما لا يطلق عليه بمفرده بل مقروناً بمقابله كالمانع والضار والمنتقم فلا يجوز أن يفرد هذا عن مقابله فإنه مقرون بالمعطى والنافع والعفو فهو المعطى المانع، والضار النافع، والمنتقم العفو، والمعز المذل لأن الكمال فى اقتران كل اسم من هذه بما يقابله، لأنه يراد به أنه المنفرد بالربوبية وتدبير الخلق والتصرف فيهم عطاءاً ومنعاً ونفعاً وضراً وعفوا وانتقاماً.

وأما أن يثنى عليه بمجرد المنع، والانتقام، والإضرار فلا يسوغ فهذه الأسماء المزدوجة تجرى الأسماء منها مجرى الاسم الواحد الذى يمتنع فصل بعض حروفه عن بعض، فهى وإن تعددت جارية مجرى الاسم الواحد ولذلك لم تجئ مفردة ولم تطلق عليه إلا مقترنة فاعلمه فلو قلت: يا مذل يا ضار يا مانع، وأخبرت بذلك لم تكن مثنياً عليه ولا حامداً له حتى تذكر مقابلها » اهـ.

قلت: من هذه القاعدة يتبين أن أسماء الله تعالى:

أ -منها ما يطلق عليه مفرداً ومقترناً بغيره مثل العزيز الحكيم.

ب -ومنها ما لا يطلق عليه بمفرده بل مقروناً بمقابله مثل المعز المذل.

فهذه القاعدة من دقيق فقه الأسماء الحسنى يجب مراعاتها عند شرح الأسماء المزدوجة.

من هذه القاعدة يتبين أن العزيز والحكيم من الأسماء المزدوجة التى يسوغ أن يدعى بها مفردة ومقترنة بغيرها وكذلك فى الثناء عليه والخبر عنه بما يسوغ لك الإفراد والجمع.

ومن القاعدة الأولى:

صفة تحصل من اقتران العزيز والحكيم.

فإن العزة :صفة كمال، والحكمة :صفة كمال، واجتماع العزة مع الحكمة كمال آخر. فله ثناء من عزته، وثناء من حكمته وثناء من اجتماعهما.

العزيز الحكيم ومناسبته لآية الغار (التوبة:٤٠)

لكى تستبين المناسبة لابد من معرفة معنى العزيز وهذا شرط فى إحصاء الاسم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «الفتاوى» (١٤/ ١٨٠):

العزة تتضمن القدرة والشدة والامتناع والغلبة، تقول العرب:

عزَّ يعَز بفتح العين إذا صلب، وعزّ يعِز بكسرها إذا امتنع

وعز يعُز بضمها إذا غلب فهو سبحانه فى نفسه:

قوى متين، وهو منيع لا ينال، وهو غالب لا يغلب »اهـ.

قلت :وهذه ثلاث معان لاسم الله العزيز بيّنها شيخ الإسلام ابن تيمية ونظمها تلميذه ابن القيم فى نونيّته فقال:

وهو العزيز فلن يرام جنابه ❁ أنّى يرام جناب ذي السلطان

وهو العزيز القاهر الغلاب لم ❁ يغلبه شيء هذه صفتان

وهو العزيز بقوة هي وصفه ❁ فالعز حينئذ ثلاث معان

وهي التي كملت له سبحانه ❁ من كل وجه عادم النقصان

ولقد ظهرت دلائل عزته على النبي ﷺ وصاحبه أبى بكر وهما فى الغار حيث وقف أبو جهل ومن معه من فتيان قريش أمام الغار وأبو بكر يقول للنبى ﷺ لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا فقال: « ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما » وهنا يتجلى اسم الله العزيز فمن معانى عزته أنه منيع لا ينال أعطى المناعة لرسوله وصاحبه فى الغار فأعين العدو مفتوحة والغار مفتوحة ومناعة الله جعلتهم ينظرون ولا يبصرون ولذلك قال لأبى بكر «لا تحزن إن الله معنا » فأعطاهم العزة التى من معانيها المناعة.

وحتى لو نظروا وأبصروا كما في قصة سراقة عندما استطاع أن يقترب بفرسه من رسول الله ﷺ وأبي بكر حتى قال أبو بكر: « أتينا يا رسول الله » فقال: « لا تحزن إن الله معنا » وتجلى اسم الله العزيز فمن معاني عزته أنه قوى متين بقوته ارتطمت بسراقة فرسه إلى بطنها وهي في جلد من الأرض ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (المنافقون:٨)، بما دل على ذلك من تقديم المعمول ثم أخبر أنه يعطى منها من أراد وأحقهم بذلك من أطاعه فقال: ﴿وَلِرَسُولِهِۦ﴾ ثم للمؤمنين ومن تعزز بالله لم يلحقه ذل.

(١٣) التعبد لله بمقتضى اسم الله العزيز

إن الذى يبتغى العزة من عند غير الله، فقد ألحد في أسماء الله تعالى لأنه جرد هذا الاسم الجليل من معناه، وخلع هذه الصفة على غير مولاه.

١ - فيجب على المؤمن إفراد الله بالعزة وهذا من موجبات العلم بهذه الصفة : صفة العزة فعندما يسمع العبد قول الله تبارك وتعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ (النساء:١٣٩). فيستحيل أن يطلب العزة من عند غير الله.

فيضع العالم كله على بساط الذل أمام عزيز واحد لا يرى العزة إلا منه.

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ﴾ (فاطر:١٠).

فلو اجتمعت الأمة على أن يضروه بشيء لا يخاف ولا يحزن وأسوته في ذلك رسول الله ﷺ وصاحبه في الغار.

٢ - فالتعبد لله بصفة العزة والعلم بها والتحقق بمعرفتها يوجب على العبد التربية على إفراد الله بالعزة، والتصفية من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة التي تجعل العبد في دائرة الأذلين قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ﴾ (المجادلة:٢٠).

قال شيخ المفسرين الإمام ابن جرير الطبري في (١٢/ ٢٧):

«إن الذين يخالفون الله ورسوله في حدوده وفيما فرض عليهم من فرائضه فيعادونه، أولئك في أهل الذلة لأن الغلبة لله ورسوله » اهـ ثم قال: بنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل من السلف . قلت: لذلك قال تعالي: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (المجادلة:٢١).

ثم فسر ابن جرير ذلك فقال: «قضى الله وخط فى أم الكتاب لأغلبن أنا ورسلى من حادنى وشاقني». ثم قال بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .أى من السلف . قال الحافظ ابن كثير في «تفسيره».

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ : يعنى الذين هم فى حد والشرع فى حد أى مجانبون للحق مشاقون له هم فى ناحية والهدى فى ناحية.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ﴾ : أى فى الأشقياء المبعدين المطرودين عن الصواب الأذلين فى الدنيا والآخرة. اهـ.

فليتعبد العبد لله بمقتضى اسم الله العزيز، فمقتضى العزيز العزة فاعمل العمل الصالح الذى يكون جالباً لعزة الله فتكون فى دائرة الأعزين.

وابتعد عن الأقوال والأفعال المخالفة لحدود الله لأن من خالف حدود الله عاش فى دائرة الأذلين فالتعبد لله بصفة العزة يوجب على العبد أن يعرف حدود الله حتى لا يقع فى دائرة الأذلين بمخالفة الله فى حدوده.

والحدود نوعان:

الأولى : حدود قال فيها الله تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ (البقرة:١٨٧).

الثانية : حدود قال فيها الله تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾ (البقرة:٢٢٩).

قال الفيروز آبادى فى «لطائف الكتاب العزيز» (١/ ١٥٢):

قوله: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ وقال بعدها ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾ لأن **الحد الأول**: نهي وهو قوله: ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ﴾ وما كان من الحدود نهياً أمر بترك المقاربة.

والحد الثاني: أمر وهو بيان عدد الطلاق بخلاف ما كان عليه العرب : من المراجعة بعد الطلاق من غير عدد« وما كان من الحدود أمراً أمر بترك المجاوزة وهو الاعتداء »اهـ.

الحكيم

لقد ختم الله آية الغار (التوبة: ٤٠) بقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

قال العلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدى -رحمه الله- في «تفسيره» (ص٣٣٨): «والله عزيز»: لا يغالبه مغالب ولا يفوته هارب» اهـ.

قلت : وهذه أحد المعانى الثلاثة التى أوردها شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم رحمهما الله.

ثم قال السعدى في «تفسيره»: (حكيم): «يضع الأشياء في مواضعها» اهـ.

قلت : والله سبحانه وتعالى له العزة يضعها فى موضعها فأعطاها لرسوله ولأبى بكر فى الغار وأذل أبا جهل ومن معه من الكافرين.

﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

هذا هو منهج أهل السنة والجماعة فى دراسة آية الغار (التوبة: ٤٠) وبيان ما فيها من أسماء وصفات تلك الأسماء والصفات التى غفل عنها القصاصون والوعاظ بجريهم وراء القصص الواهية.

هذا ما وفقنا الله إليه وهو وحده من وراء القصد

❀ ❀ ❀ ❀

(٢)

قصة أسير (*)

لقد انتشرت هذه القصة في التفاسير؛ لأن الأحاديث التى أوردت هذه القصة فى متونها جعلت هذه القصة من أسباب نزول قول الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ الآية (الطلاق:٢، ٣).

وانتشرت القصة حتى أخرجها شيخ المفسرين ابن جرير الطبرى فى «تفسيره»، والسيوطى فى «لباب النقول فى أسباب النزول»، فاشتهرت القصة على ألسنة الخطباء والوعاظ والقصاص.

من أجل هذا الاشتهار والانتشار نقدم هذه القصة الثانية من سلسلة «تحذير الداعية من القصص الواهية»؛ كى يكون الداعية على حذر، ويَسْلَم له عمله على السنة وحدها، كما قيل:

عرفتُ الشَّرَّ لا للشرِّ ۞ لكنْ لتَوقّيه
ومَنْ لا يعرف الخيرَ ۞ من الشرِّ يقعُ فيه

وهذا له أصله فى السنة من حديث حذيفة بن اليمان قال: «كان الناس يسألون رسول الله ﷺ الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافةَ أن يدركني» متفق عليه كما في تحقيقنا سلسلة «تحذير الداعية .... » رقم (١).

ولقد جاءت القصة بألفاظ مختلفة وطرق متعددة، وإلى القارئ الكريم تخريج وتحقيق هذه القصة؛ حتى يقف على درجتها من خلال بحوث علمية حديثية، يجد فيها طالب العلم تطبيقاً لعلم التخريج وعلم الجرح والتعديل وعلم المصطلح على الترتيب، وهو ما يسمى بعلم المصطلح التطبيقي، وبهذا نحقق ثمرة علم الحديث كما فى «ألفية السيوطي»:

(*) مجلة التوحيد، عدد شعبان ورمضان ١٤٢١هـ.

عِلمُ الحديثِ ذُو قوانينٍ تحدّ ۞ يُدْري بها أحوالُ متنٍ وسندْ
فذانكَ الموضوعُ والمقصودُ ۞ أنْ يُعْرَفَ المقبولُ والمردودُ

قلت: فعلم الحديث لا يقتصر على حفظ نَظْم أو مختصر كما بيَّنت ذلك بالتفصيل في مقالنا: « الشيخ الألباني -رحمه الله- مكانة ومنهجاً» مجلة «التوحيد» عدد شعبان ١٤٢٠هـ، وبهذا تعم الفائدة:

أ - فالقارئ الكريم: يقف على درجة القصة.

ب - والداعية: يكون على حذر ويَسْلَم له عمله على السنة وحدها.

جـ - وطالب هذا الفن: يجد نماذج من علم الحديث التطبيقي.

طرق القصة

الطريق الأول للقصة - من حديث ابن عباس:

أخرجه الخطيب البغدادي في «التاريخ»(٩/ ٨٤) ترجمة(٤٦٦٣) قال: أخبرني أبو الوليد الحسن بن محمد الدربندي، أخبرنا محمد بن أحمد بن محمد بن سليمان الحافظ ببخاري، حدثنا محمد بن يوسف بن ردام، حدثنا أبو سهل محمد بن عبد الله ابن سهل بن حفص العجلي، حدثنا أبو محمد السري بن عباد القيسي المروزي، حدثنا أبو عثمان سعيد بن القاسم البغدادي، حدثنا سعيد بن أبي زياد الكوفي، عن جويبر، عن الضحاك، عن ابن عباس في قول الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ قال: «نزلت هذه الآية في ابن لعوف بن مالك الأشجعي، وكان المشركون أسروه، وأوثقوه وأجاعوه، فكتب إلى أبيه: أن ائت رسول الله ﷺ فأعلمه ما أنا فيه من الضيق والشدة، فلما أخبر رسول الله ﷺ ، قال له رسول الله: «اكتب إليه، ومره بالتقوى والتوكل على الله، وأن يقول عند صباحه ومسائه: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (التوبة:١٢٨) فلما ورد

عليه الكتاب قرأه فأطلق الله وثاقه، فمَرَّ بواديهم الذى ترعى فيه إبلهم وغنهم فاستاقها، فجاء بها إلى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله إنى اغتلتهم بعد ما أطلق الله وثاقى، فحلال هى أم حرام ؟

قال: «بل هى حلال إذا نحن خمسنا» فأنزل الله: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَـٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾ أي من الشدة والرخاء، ﴿قَدْرًا﴾ يعنى أجلاً – وقال ابن عباس: «من قرأ هذه الآية عند سلطان يخاف غشمه، أو عند موج يخاف الغرق، أو عند سَبُع لم يضره شيء من ذلك».اهـ.

التحقيق

١ – نلاحظ أن بين المصنف وهو أبو بكر أحمد بن عليّ الخطيب البغدادى وبين رسول الله ﷺ عشرة رواة كما هو مبين في السند، وما ذلك إلا لأن الخطيب البغدادي -رحمه الله- توفى سنة ٤٦٣ هـ. وقد يقول القارئ الكريم: لِـمَ هذا السند الطويل؟ ألم يكتفِ بالقصة؟

قلت: نحن فى مقام تحقيق لا في مقام سرد قصص، هذا المقـــام الذى يتطلب منا الوقوف على الإسناد، فقد أخرج مسلم فى «مقدمة صحيحه»: حدثني محمد بن عبد الله بن قُهزاز من أهل مرو، قال: سمعت عبدان بن عثمان يقول: سمعت عبد الله بن المبارك يقول: «الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء».

٢ – آفة هذا الطريق: جويبر، وهو ابن سعيد أبو القاسم.

قال الذهبي في «الميزان» (١/ ٤٢٧/ ١٥٩٣): «جويبر بن سعيد أبو القاسم الأزدي البلخي المفسر صاحب الضحاك.

قال ابن معين: ليس بشيء .

وقال الجوزجاني: لا يشتغل به .

وقال النسائي والدارقطني وغيرهما: متروك الحديث

قلت: قال النسائي في كتاب «الضعفاء والمتروكين» رقم (١٠٤): «متروك»، وقال الدارقطني في «الضعفاء والمتروكين» رقم (١٤٧).

جويبر بن سعيد خراساني، متروك. وقال ابن حبان في «المجروحين» (١/ ٢١٧): جويبر أصله من بلخ، سكن البصرة. قال يحيى بن سعيد القطان: كنت أعرفه بحديثين. ثم أخرج هذه الأحاديث وضعفه جداً، يروى عن الضحاك أشياء مقلوبة» اهـ.

قلت: من هذا التحقيق يتبين أن هذه القصة من حديث ابن عباس واهية، ولا يصح ما نسب فيها للنبي ﷺ، والحديث متروك بتطبيق أصول هذا الفن.

ملحوظة: انظر معاني مصطلحات أئمة الجرح والتعديل كما هو مبين آنفًا في هذه السلسلة رقم (١).

الطريق الثاني: من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أيضًا: أخرجه ابن مردويه كما في «الدر المنثور» (٦/ ٢٣٣)، وفي «لباب النقول» (ص٢١٦) من طريق: الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس قال: «جاء عوف بن مالك الأشجعي، فقال: يا رسول الله؛ إن ابني أسره العدو، وجزعت أمه، فما تأمرني؟ قال: «آمرك وإياها أن تستكثرا من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله» فقالت المرأة: نِعْمَ ما أمرك، فجعلا يكثران منها فتغفل عنه العدو فاستاق غنمهم فجاء بها إلى أبيه، فنزلت: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ (التوبة:١١١) الآية. اهـ.

التحقيــق

١ - آفة هذا الطريق: الكلبي، وهو محمد بن السائب.

قال العقيلي في «الضعفاء الكبير» (٤/ ٤٨): حدثنا محمد، حدثنا عباس، قال: سمعت يحيى، قال: الكلبي ليس بشيء.

قال ابن عدى في «الكامل» (٦/ ١١٥) ترجمة (٥/ ١٦٢٦): سمعت ابن حماد يقول: قال السعدى: محمد بن السائب (الكلبى) كذاب ساقط. قال النسائى فى «المتروكين» رقم (٥١٤): «محمد بن السائب أبو النضر الكلبى: متروك الحديث. كوفى». أورده الذهبى فى «الميزان» (٣/ ٥٥٨/ ٧٥٧٤): «محمد بن السائب الكلبى المفسر، قال الجوزجانى وغيره: كذاب.

قال ابن حبان فى «المجروحين» (٢/ ٢٥٥): محمد بن السائب الكلبي، كنيته أبو النَّضر من أهل الكوفة، وهو الذى يروى عنه الثورى ومحمد بن إسحاق، ويقولان: حدثنا أبو النضر؛ حتى لا يعرف، وهو الذى كناه عطية العوفى أبا سعيد، وكان يقول: حدثنى أبو سعيد يريد به الكلبى، فيتوهمون أنه أراد أبا سعيد الخدرى.

قلت: هذا مهم جداً لطالب هذا الفن، وهذا ما يسمى بتدليس الشيوخ «وهو أن يروى الراوى عن شيخ حديثاً سمعه منه فيَسَمِّيه أو يَكْنِيَه أو يَنْسِبَه أو يصفه بما لا يعرف به كى لا يعرف» كما فى «علوم الحديث» النوع (١٢)، ثم قال ابن حبان: «مذهبه فى الدين ووضوح الكذب فيه أظهر من أن يحتاج إلى الإغراق فى وصفه يروى عن أبى صالح عن ابن عباس – التفسير. وأبو صالح لم يرَ ابن عباس، ولا سمع الكلبى من أبى صالح إلا الحرف بعد الحرف، فلما احتيج إليه أخرجت الأرض أفلاذ كبدها.

لا يحل ذكره فى الكتب، فكيف الاحتجاج به » اهـ.

٢ – **قلت**: بهذا التحقيق يتبين شدة ضعف هذا الطريق من حديث ابن عباس.

٣– **فائدة**: فى هذا الطريق متابعة للطريق الأول، قال الحافظ ابن حجر فى «شرح النخبة» (ص ٣٢): «والمتابعة على مراتب؛ لأنها إن حصلت للراوى نفسه فهى التامة، وإن حصلت لشيخه فمن فوقه فهى القاصرة، ويستفاد منها التقوية».

قلت: أ – هذه المتابعة قاصرة.

ب- لا يستفاد من المتابعة التقوية على الإطلاق؛ لأن هناك متابعات تزيد الحديث وهناً على وهن.

قال الحافظ ابن كثير فى «اختصار علوم الحديث» (ص ٣٣): «لا يلزم من ورود الحديث من طرق متعددة أن يكون حسناً، لأن الضعف يتفاوت فمنه ما لا يزول بالمتابعات، يعنى لا يؤثر كونه تابعاً أو متبوعاً، كرواية الكذابين والمتروكين...»اهـ.

وهذه القاعدة مهمة جداً فقد وقع نتيجة الغفلة عنها أو الجهل بها كثير من الوعاظ والخطباء فى القصص الواهية.

قال الحافظ ابن كثير فى «مختصر علوم الحديث» (ص٣٣): «وبذلك يتبين خطأ كثير من العلماء المتأخرين في إطلاقهم إن الحديث الضعيف إذا جاء من طرق متعددة ضعيفة ارتقى إلى درجة الحسن أو الصحيح، فإنه إذا كان ضعف الحديث لفسق الراوى أو اتهامه بالكذب، ثم جاء من طرق أخرى من هذا النوع ازداد ضعفاً على ضعف». اهـ.

جـ- **قلت**: بتطبيق هذه القاعدة على طرق حديث ابن عباس نجد أن الضعف لا يزول بالمتابعات يعنى لا يؤثر كونه تابعاً أو متبوعاً، بل ازداد ضعفًا على ضعف، ففى الطريق الأول: متروك، وفى الطريق الثانى: كذاب.

نفائس عـزيـزة

أخى الداعية: لا تغتر بكثرة الطرق فإنها لا تقوِّى الضعيف على الإطلاق، فهناك ضعف يزول، وهناك ضعف لا يزول، وحسبك قول ابن الصلاح فى «علوم الحديث» (ص ١٠٧): «ومن ذلك ضعف لا يزول بنحو ذلك؛ لقوة الضعف وتقاعد هذا الجابر عن جبره ومقاومته، وذلك كالضعف الذى ينشأ من كون الراوى متهماً بالكذب أو كون الحديث شاذاً، وهذه جملة تفاصيلها تدرك بالمباشرة والبحث، فاعلم ذلك فإنه من النفائس العزيزة، والله أعلم». اهـ.

قلت: إي والله، هذا هو الحق، إن هذا من النفائس العزيزة التى لا تدرك إلا بالمباشرة والبحث. وبهذه النفائس وقفنا على حقيقة هذه القصة من حديث ابن عباس رضي الله عنهما بما فيه من متابعات.

القصة من حديث جابر

أورد هذه القصة السيوطى فى «لباب النقول فى أسباب النزول» (ص٢١٥)، وكذلك فى «الدر المنثور فى التفسير بالمأثور» (٦/ ٢٣٢).

وإلى القارئ الكريم التخريج والتحقيق للقصة من حديث جابر:

أولاً: التخريج

القصة أخرجها: الحاكم فى «المستدرك» (٢/ ٤٩٢) قال: أخبرنى أبو القاسم الحسن بن محمد بن الحسين بن عقبة بن خالد الكوفى بالكوفة، ثنا عبيد بن كثير العامرى، ثنا عباد بن يعقوب، ثنا يحيى بن آدم، ثنا إسرائيل، ثنا عمار بن أبى معاوية، عن سالم بن الجعد عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: نزلت الآية: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُ﴾ (الطلاق:٢) فى رجل من أشجع كان فقيراً خفيف ذات اليد، كثير العيال، فأتى رسول الله ﷺ فسأله، فقال له: اتق الله واصبر، فلم يلبث إلا يسيراً حتى جاء ابنٌ له بغنم له كان العدو أصابوه، فأتى رسول الله ﷺ فسأله عنها، وأخبره خبرها. فقال رسول الله ﷺ: كُلْها، فنزلت: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُ﴾.

ثانياً: التحقيق

القصة لا تصح أيضاً من حديث جابر، وعلتها من حديث جابر: عبيد بن كثير العامرى الكوفى التمار أبو سعيد.

أورده الذهبي في «الميزان» (٣/ ٢٢، ٢٣) ترجمة (٥٤٣٨) حيث قال: «عبيد بن كثير العامري الكوفي التمار، أبو سعيد، عن يحيى بن الحسن بن الفرات، عن أخيه زياد بن الحسن، عن أبان بن تغلب بنسخة مقلوبة أدخلت عليه؛ قاله ابن حبان.

وقال الأزدي والدارقطني: متروك الحديث».

قلت:

(١) ووافقه ابن حجر في «اللسان» (٤/ ١٤٣) ترجمة (١١١٩/ ٥٤٧٠).

(٢) وأن ما نقله الذهبي عن ابن حبان. قاله في «المجروحين» (٢/ ١٧٦).

(٣) من هذا يتبين أن قول الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٤٩٢): «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه» غير صحيح. لذلك قال الذهبي في «التلخيص» معقباً على قول الحاكم: « بل منكر، وعباد رافضي جبل، وعبيد متروك. قاله الأزدي».

(٤) فائدة مهمة لطالب هذا الفن:

قلت: فلا يغتر طالب هذا الفن بتصحيح الحاكم، فإنه متساهل في التصحيح.

أ- قال السيوطي في «التدريب» (١/ ١٠٥): «واعتنى الحافظ أبو عبد الله الحاكم في «المستدرك» بضبط الزائد عليهما مما هو على شرطهما أو شرط أحدهما، أو صحيح، وإن لم يوجد شرط أحدهما، معبّراً عن الأول بقوله: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، أو على شرط البخاري أو مسلم، وعن الثاني بقوله: هذا حديث صحيح الإسناد، وربما أورد فيه ما هو في الصحيحين، وربما أورد فيه ما لم يصح عنده منبهاً على ذلك، وهو متساهل في التصحيح».

ب- قال ابن عبد الهادي في «الصارم المنكي» ص (٣٦): «ثم أنه -رحمه الله- لما جمع «المستدرك على الشيخين»، ذكر فيه من الأحاديث الضعيفة والمنكرة، بل والموضوعة جملة كثيرة، وروى فيه لجماعة من المجروحين الذين ذكرهم في كتابه في «الضعفاء»، وذكر أنه تبيّن له جرحهم؛ وقد أنكر عليه غير واحد من الأئمة هذا

الفعل، وذكر بعضهم أنه حصل له تغيّر وغفلة فى آخر عمره، فلذلك وقع منه ما وقع، وليس ذلك ببعيد».

(٥) **قلت**: من هذا التحقيق يتبيّن أن مجيء القصة من حديث جابر لا يصلح شاهداً، لمجيء القصة من حديث ابن عباس؛ وذلك لأن:

أ- الحافظ ابن حجر فى «شرح النخبة» ص (٣٢) قال: «وإن وُجد متن يروى من حديث صحابى آخر يشبهه فى اللفظ والمعنى أو في المعنى فقط. فهو الشاهد».

قلت: فالشاهد هو الحديث الذى يُشارك فيه رواته رواة الحديث الفرد لفظاً ومعنى، أو معنى فقط مع الاختلاف فى الصحابى.

فى حين أن المتابع هو الحديث الذى يشارك فيه رواته رواة الحديث الفرد لفظاً ومعنى، أو معنى فقط مع الاتحاد فى الصحابى.

كما بيّنا فى التحذير رقم (٢) حيث أوردنا القصة من طريقين من حديث الصحابى ابن عباس.

ب- ولقد رجّح الحافظ ابن حجر فى التفريق بين المتابع والشاهد بالصحابى

فقط، نقل عنه ذلك تلميذه السخاوى فى «فتح المغيث» (١/ ٢٤٢) حيث قال: «ولكنه رجّح أنه لا اقتصار فى التابع على اللفظ، ولا فى الشاهد على المعنى، وأن افتراقهما بالصحابى فقط».

جـ- قال السخاوى فى «فتح المغيث» (١/ ٢٤٢): «وكما أنه لا انحصار للمتابعات فى الثقة كذلك الشواهد، ولذا قال ابن الصلاح: واعلم أنه قد يدخل فى باب المتابعة والاستشهاد رواية من لا يحتج بحديثه وحده بل يكون معدوداً فى الضعفاء، وفى كتابى البخارى ومسلم جماعة من الضعفاء ذكراهم فى المتابعات والشواهد، وليس كل ضعيف يصلح لذلك.

ولهذا يقول الدارقطني وغيره: فلان يعتبر به وفلان لا يعتبر به.

قال النووي فى «شرح مسلم»: وإنما يفعلون هذا – أي إدخال الضعفاء فى المتابعات والشواهد – لكون المتابع لا اعتماد عليه، وإنما الاعتماد على من قبله. انتهى.

ولا انحصار له فى هذا، بل قد يكون كل من المتابع والمتابَع لا اعتماد عليه فباجتماعهما تحصل القوة».

د- **قلت**: قول ابن الصلاح: «وليس كل ضعيف يصلح لذلك» أى فى باب المتابعة والاستشهاد، نستنتج منه أن هناك ثلاث مراتب بالنسبة للمتابعة والاستشهاد:

* المرتبة الأولى: مرتبة الاحتجاج.
* المرتبة الثانية: مرتبة الاعتبار.
* المرتبة الثالثة: مرتبة الرد والترك.

فأصحاب المرتبتين: الأولى والثانية يصلح حديثهم للمتابعات والشواهد، وأصحاب المرتبة الثالثة لا يصلح حديثهم للمتابعات أو الشواهد؛ فهم فى مرتبة الرد والترك.

مصطلح حديث تطبيقى

بتطبيق هذه القواعد على هذه القصة من حديث جابر، نجد أن حديث جابر لا يصلح شاهداً لحديث ابن عباس، وذلك لأن:

(١) عبيد بن كثير العامرى: متروك الحديث. وهو ضعف شديد، لا يزول بالمتابعات والشواهد، ويضع الحديث فى مرتبة الرد والترك.

(٢) كذلك حديث ابن عباس لا يصلح لذلك أيضاً، كما بيّنا فى التحذير السابق.

القصة من حديث ابن مسعود

أورد هذه القصة السيوطى فى «لباب النقول فى أسباب النزول» ص (٢١٦)، وكذلك فى «الدر المنثور» (٦/ ٢٣٣).

وإلى القارئ الكريم التخريج والتحقيق للقصة من حديث ابن مسعود.

أولاً: التخريج

القصة أخرجها: الحاكم فى «المستدرك» (١/ ٥٤٣) قال: أخبرنا أبو العباس محمد ابن أحمد المحبوبى، ثنا عبد العزيز بن حاتم، ثنا أبو وهب محمد بن مزاحم، ثنا سفيان ابن عيينة، عن مسعر، عن عليّ بن بذيمة، عن أبى عبيدة، عن عبد الله ﷺ قال: أتى رجل رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- وأراه عوف بن مالك، فقال: يا رسول الله؛ إن بنى فلان أغاروا عليّ فذهبوا بابنى وإبلى. فقال رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم-: إن آل محمد كذا وكذا أهل بيت -وأظنه قال: تسعة أبيات- ما فيهم صاع من طعام، ولا مد من طعام، فاسأل الله عز وجل. قال: فرجع إلى امرأته، قالت: ما رد عليك رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- فأخبرها. قال: فلم يلبث الرجل أن رُدَّ عليه إبله وابنه أوفر ما كانوا. فأتى النبى ﷺ فأخبره، فقام على المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، وأمرهم بمسألة الله -عز وجل- والرغبة إليه، وقرأ عليهم: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾.

ثانيًا: التحقيق

القصة من حديث عبد الله بن مسعود لم تصح أيضاً. حيث إن فى القصة علة خفية، حيث فى سندها من لا يعرف بالسماع ممن روى عنه، وهو أبو عبيدة ابن عبد الله ابن مسعود عن أبيه.

(١) فقد أورده الإمام المزى فى «تهذيب الكمال» (٩/ ٣٦٨) ترجمة (٣٠٣٥) وقال: «عامر بن عبد الله بن مسعود الهذلى، أبو عبيدة الكوفى، ويقال: اسمه كنيته، وهو أخو عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود.

روى عن: البراء بن عازب (سى)، وأبيه عبد الله بن مسعود (ع)، ولم يسمع منه».

ثم أورد أقوال أئمة هذا الفن فى أبي عبيدة:

أ – « قال الترمذى: لا يعرف اسمه، ولم يسمع من أبيه شيئاً.

ب– قال شعبة، عن عمرو بن مُرَّة: سألت أبا عبيدة ابن عبد الله: هل تذكر من عبد الله شيئاً؟ قال: لا».

(٢) وأورده ابن حجر في «تهذيب التهذيب» (٥/ ٦٦)، وقال:

أ– «قال ابن حبان: لم يسمع من أبيه شيئاً.

ب– وقال ابن أبى حاتم فى «المراسيل»: قلت لأبى: هل سمع أبو عبيدة من أبيه؟ قال: يقال إنه لم يسمع.

جـ– وقال الترمذى فى «العلل الكبير»: قلت لمحمد: أبو عبيدة ما اسمه؟ فلم يعرف اسمه، وقال: هو كثير الغلط».

قلت: والسند دون محمد بن مزاحم مظلم،

مصطلح حديث تطبيقى

من هذا التحقيق يتبيّن لطالب هذا الفن الصناعة الحديثية فى القصة من حديث ابن مسعود:

(١) الإرسال الخفى.

قال النووى فى «التقريب» (٢/ ٢٠٥– تدريب):

«النوع الثامن والثلاثون: المراسيل الخفى إرسالها هو مهم عظيم الفائدة، يُدرَك بالاتساع فى الرواية وجمع الطرق مع المعرفة التامة، وللخطيب فيه كتاب، وهو ما عُرف إرساله لعدم اللقاء، أو السماع، ومنه ما يحكم بإرساله لمجيئه من وجه آخر».

قلت: يتضح من قول الإمام النووى أن المرسل الخفى هو: أن يروى الراوى عمن لقيه أو عاصره ما لم يسمع منه بلفظ يحتمل السماع وغيره.

قال السيوطى فى «التدريب» (٢/ ٢٠٥): «كأحاديث أبى عبيدة عن أبيه عبد الله ابن مسعود».

(٢) **قلت**: فلا يغتر طالب هذا الفن أيضاً بقول الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه» فإنه متساهل فى التصحيح كما ذكرناه آنفاً.

(٣) وفى «التلخيص» للذهبي بعد إيراد الحديث لفظ «صحيح». فلا يقال: وأقره الذهبى أو وافقه الذهبى، بل الأولى أن يقال: وهذا من أوهام الحاكم التى سكت عليها الذهبى.

(٤) لا يغرّن طالب هذا الفن أن أبا عبيدة أخرج له البخارى ومسلم، حيث يقول غير المتبحر فى هذا الفن: إذا جاء الحديث من طريق أبى عبيدة عن أبيه: «رجاله ثقات أو على شرط الشيخين».

وهذا قول غير صحيح، وقع فيه الكثير، فأبو عبيدة روى له البخارى من غير طريق أبيه، وكذلك مسلم.

(أ) فقد روى له البخارى ومسلم عن عمرو بن الحارث بن المصطلق.

(ب) وروى له مسلم عن أبى موسى الأشعرى ومسروق بن الأجدع وكعب ابن عجرة.

(جـ) وروى له البخارى عن أمه زينب الثقفية وعائشة أم المؤمنين.

(٥) وهذه العلة أحد أجناس العلل العشرة، وهى:

أن يكون السند ظاهره الصحة، وفيه من لا يُعْرَف بالسماع ممن روى عنه.

طرق أخرى للقصة مرسلة واهية

قلت: «ومرسلٌ ما بعد تابع سقط».

أولاً ـ مرسل السُّدّي:

١- أخرج القصة مرسلة ابن جرير الطبرى فى «تفسيره» (١٢/ ١٤٣)، ح (٣٤٢٨٧) قال: حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السُّدى ... زعم أن رجلاً من أصحاب النبى ﷺ يقال له عوف الأشجعى، وكان له ابن وأن المشركين أسروه .... القصة.

ونقله الحافظ ابن كثير فى «تفسيره» الآية (الطلاق:٢، ٣) بلفظ: «زعم»، وقال: «رواه ابن جرير».اهـ.

٢ ـ التحقيق

أ- القصة مرسلة لا تصح، رويت بصيغة التمريض «زعم»، قال الراغب الأصفهانى فى «غريب القرآن» (ص ٢١٣): «الزَّعْم حكاية قول يكون مظنة للكذب، ولهذا جاء فى القرآن فى كل موضع ذُمَّ القائلون به» اهـ.

ب- السُّدّي: **قلت**: هناك السُّدّى الكبير، وهناك السُّدّى الصغير.

السُّدى الكبير: أورده الإمام المزى فى «تهذيب الكمال» (٢/ ١٩٠) ترجمة (٤٥٦) وقال: إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبى كريمة السُّدي أبو محمد القرشي الكوفي الأعور مولى زينب بنت قيس بن مخرمة، أصله حجازى، سكن الكوفة، وكان يقعد فى سدة باب الجامع بالكوفة فسمي السُّدى، وهو السُّدى الكبير. ونقل قول يحيى بن معين: السُّدى صاحب التفسير، اسمه إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبى كريمة، ونقل قول السعدى: هو كذاب شتام يعنى السُّدى.

ونقل عن الشَّعبى عندما قيل له: إن إسماعيل السُّدى قد أُعطى حظاً من علم القرآن.

قال: «إن إسماعيل قد أُعطى حظاً من جَهْل القرآن».

قلت: أما السُّدى الصغير، فقد أورده المزى فى «تهذيب الكمال» (١٧/ ٢٠٦)

ترجمة (٦١٨٦): وقال: محمد بن مروان السُّدى الصغير؛ وهو محمد بن مروان بن عبد الله بن إسماعيل بن عبد الرحمن السُّدى الكوفى (فالكبير والد جَدِّ الصغير). قال الذهبى فى «الميزان» (٤/ ٣٢) ترجمة (٨١٥٤): «محمد بن مروان السدى الكوفى، تركوه واتهمه بعضهم بالكذب، وهو صاحب الكلبى». اهـ.

جـ- قلت: فأي السُّدَّين راوي هذا الخبر؟

وللإجابة عن هذا السؤال: نقول إن راوى هذا الخبر هو السُّدى الكبير.

البرهان:

(١) بما أن الخبر الذى جاءت به القصة من طريق أسباط عن السدى.

(٢) وبما أن أسباط يروى عن السدى الكبير، ولم يرو عن السدى الصغير، كما فى «تهذيب الكمال» (١/ ٥٢٥- ت٣١٦)، (٢/ ١٩٠-ت ٤٥٦)، (١٧/ ٢٠٦- ت٦١٨٦).

(٣) إذاً القصة من خبر السُّدى الكبير، وقد بيَّنا حاله آنفاً.

د- وأسباط هو أسباط بن نصر الهمدانى، قال ابن أبى حاتم فى «الجرح والتعديل» (٢/ ٣٣٢- ت ١٢٦١): أسباط بن نصر الهمدانى روى عن السُّدى، حدثنى أبى، قال: سمعت أبا نعيم يضعِّف أسباط بن نصر، وقال: أحاديثه عامتها مقلوبة الأسانيد». وقال ابن معين: ليس بشيء، وقال الساجى فى «الضعفاء»: روى أحاديث لا يتابع عليها. وبيَّن الحافظ ابن حجر حديثًا منكراً لأسباط، علقه البخاري، ثم إنكار أبى زرعة على من أخرج حديث أسباط كذا فى «تهذيب التهذيب» (١/ ١٨٦).

هـ - وفوق ذلك كله أن الخبر مرسل الطبقة الرابعة؛ لأن السُّدى منها، قاله الحافظ فى «التقريب» (١/ ٧٢)، وهى دون طبقة كبار التابعين، بل دون الطبقة الوسطى من التابعين، حيث إن الرابعة طبقة جلُّ روايتهم عن كبار التابعين. قاله

الحافظ فى «التقريب» (١/ ٥). وبهذا يتبين للقارئ الكريم شدة ضعف القصة.

ويتبين للداعية سر تصدير ابن كثير للقصة بلفظ (زعم)، وعزو القصة لابن جرير، ولا يغتر بقول السيوطى فى «أسباب النزول»: «أخرجه ابن جرير عن السدى». ويتبين لطالب هذا الفن: المتفق والمفترق من الأنساب: وهو ما اتفق خطاً ولفظاً وافترقت الأشخاص. وهذا فن مهم جداً بيّن ذلك الإمام السخاوى فى «فتح المغيث» (٤/ ٢٦٩) قال:

١ - المتفق والمفترق، وهو نوع جليل يَعْظُم الانتفاع به.

٢ - فائدة ضبطه: الأمن من اللبس، فربما ظن الأشخاص شخصاً واحداً.

قلت: وطريقة معرفته بيَّنها الإمام النووى فى «التقريب» (٢/ ٣٢٩- تدريب) قال: «ما وُجِد من هذا الباب غير مبيّن فيعرف بالراوى أو المروى عنه أو ببيانه فى طريق آخر».

قلت: ولقد طبقنا هذه القاعدة فى معرفة السدى؛ هل هو الصغير أم الكبير؟

ثانيًا - مرسل سالم بن أبى الجعد:

١ - أخرجه ابن جرير الطبرى فى «التفسير» (١٢/ ٣٤٢٨٨) قال: حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن عمار بن أبى معاوية الدهنى، عن سالم ابن أبى الجعد ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ قال: نزلت في رجل من أشجع. ثم ذكر القصة دون ذكر الاسم.

التحقيق

هذا خبر لا يصح لإرساله، فسالم من الثالثة يرسل كثيراً، قاله ابن حجر فى «التقريب» (١/ ٢٧٩). وفى هذا الحديث علة تجعله واهياً، وهى رواية مهران بن أبى عمرو الرازى، عن سفيان؛ حيث قال العقيلى فى «الضعفاء الكبير» (٤/ ٢٢٩ -

ت ١٨٢٠): «روى عن الثورى أحاديث لا يتابع عليها» وفى «الميزان» (٤/ ١٩٦ - ت ٨٨٢٨): «مهران عنده غلط كثير فى حديث سفيان» قاله ابن معين.

٢- وأخرجه ح (٣٤٢٨٩) - قال: ثنا حكّام، قال حدثنا عمرو، عن عمار الدهنى، عن سالم بن أبى الجعد به.

قلت: بدء السند (قال: ثنا حكَّام) الضمير فى (قال) يعود إلى ابن حميد فى السند السابق، وعمرو هو عمرو بن أبى قيس الرازى الأزرق، روى عن عمار كما فى «تهذيب الكمال» (١٣/ ٤٤٠)، وروى عنه حكَّام بن سلم كما فى «تهذيب الكمال» (٥/ ٧٧)، (١٤/ ٣٢٠)، وقال أبو عبد الله الآجري: فى حديثه خطأ. يعنى حديث عمرو هذا فوق إرساله.

ثالثًا ـ مرسل محمد بن إسحاق مولى أبى قيس بن مخرمة:

أخرجه ابن أبى حاتم فى «تفسيره» (١٠/ ٣٣٥٩) ح (١٨٩١١)، وأورده ابن كثير وعزاه له، والخبر من هذا الطريق لا يصح لإرساله، ومحمد بن إسحاق من صغار الخامسة كثير التدليس جداً، قاله أحمد. كذا فى «الميزان» (٣/ ٤٧١)، ووهَّاه القطان والتيمى.

قلت: هذا ما وفقنى الله إليه من تخريج وتحقيق لطرق هذه القصة الواهية من بين مرسل واهٍ ومسند أوهى، والله وحده من وراء القصد.



(٣)

قصة عَرض النبى ﷺ على المرضعات وإعراضهن عنه (*)

نواصل فى هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم؛ حتى يقف على حقيقة هذه القصة التى اشتهرت وانتشرت على ألسنة الخطباء والوعاظ والقصاص، واغتر الكثير بوجودها فى كتب السيرة، حتى أوردها المباركفورى فى كتابه «الرحيق المختوم» ص (٥٢، ٥٣) ؛ هذا الكتاب الذى اشتهر بين طلبة العلم لفوزه بالجائزة الأولى. والتى أعلنت رابطة العالم الإسلامى عنها فى المؤتمر الأسيوى الأول الذى عُقِد فى كراتشى فى شهر شعبان سنة ١٣٩٨ هـ، كما أُعِلن عن ذلك فى جميع الصحف، وطبع بعدة لغات، مما أدى إلى اشتهار القصة. فقال المباركفوري فى «الرحيق المختوم» ص (٥٢، ٥٣):

«قال ابن إسحاق: كانت حليمة تحدِّث: أنها خرجت من بلدها مع زوجها وابن لها صغير ترضعه فى نسوة من بنى سعد بن بكر، تلتمس الرضعاء، قالت: وذلك فى سنة شهباء لم تُبقِ لنا شيئاً، قالت: فخرجت على أتان لى قمراء، معنا شارف لنا، والله ما تبضّ بقطرة، وما نام ليلنا أجمع من صبينا الذى معنا من بكائه من الجوع، ما فى ثديي ما يغنيه، وما فى شارفنا ما يغذيه، ولكن كنا نرجو الغيث والفرج، فخرجت على أتاني تلك، فلقد أدمت بالركب حتى شق ذلك عليهم ضعفاً وعجفاً، حتى قدمنا مكة نلتمس الرضعاء، فما منا امرأة إلا وقد عرض عليها رسول الله ﷺ فتأباه، إذا قيل لها: إنه يتيم، وذلك أنا كنا نرجو المعروف من أبى الصبى، فكنا نقول: يتيم وما عسى أن تصنع أمه وجده؟ فكنا نكرهه لذلك، فما بقيت امرأة قدمت معى إلا أخذت رضيعًا غيري، فلما أجمعنا الانطلاق قلت لصاحبي: والله إني لأكره أن أرجع من بين صواحبي، ولم آخذ رضيعًا، والله لأذهبن إلى ذلك اليتيم فلآخذنه، قال: لا عليك أن تفعلي، عسى الله أن يجعل لنا فيه بركة، قالت: فذهبت إليه فأخذته، وما حملنى على أخذه إلا أنى لم أجد غيره.

(*) مجلة التوحيد، عدد ربيع الأول، ١٤٢٤هـ.

قالت: فلما أخذته رجعت به إلى رحلي، فلما وضعته في حجري أقبل عليه ثدياي بما شاء من لبن، فشرب حتى روى، وشرب معه أخوه حتى روى، ثم نام، وما كنا ننام معه قبل ذلك، وقام زوجي إلى شارفنا تلك، فإذا هي حافل، فحلب منها ما شرب وشربت معه حتى انتهينا رياً وشبعاً، فبتنا بخير ليلة.

قالت: يقول صاحبي حين أصبحنا: تعلمي والله يا حليمة، لقد أخذت نسمة مباركة، قالت: فقلت: والله إني لأرجو ذلك. قالت ثم خرجنا وركبت أنا أتاني، وحملته عليها معي، فوالله لقطعت بالركب ما لا يقدر عليه شيء من حمرهم، حتى إن صواحبي ليقلن لي: يا ابنة أبي ذؤيب، ويحك أربعي علينا، أليست هذه أتانك التي كنت خرجتِ عليها، فأقول لهن: بلى والله إنها لهي هي، فيقلن: والله إن لها شأناً، قالت: ثم قدمنا منازلنا من بلاد بني سعد، وما أعلم أرضاً من أرض الله أجدب منها، فكانت غنمي تروح عليَّ حين قدمنا به معنا شباعاً لبناً، فنحلب ونشرب، وما يحلب إنسان قطرة لبن، ولا يجدها في ضرع، حتى كان الحاضرون من قومنا يقولون لرعيانهم؛ ويلكم اسرحوا حيث يسرح راعي بنت أبي ذؤيب، فتروح أغنامهم جياعاً ما تبضّ بقطرة لبن، وتروح غنمي شباعًا لبناً، فلم نزل نتعرف من الله الزيادة والخير حتى مضت سنتاه وفصلته، وكان يشب شباباً لا يشبه الغلمان، فلم يبلغ سنتيه حتى كان غلاماً جفراً.

قالت: فقدمنا به على أمه، ونحن أحرص على مكثه فينا، لما كنا نرى عليه من بركته، فكلمنا أمه، وقلت لها: لو تركت ابني عندي حتى يغلظ، فإني أخشى عليه وباء مكة. قالت: فلم نزل بها حتى ردته معنا» اهـ.

أولاً: التخريج

القصة أخرج حديثها: أبو يعلى في «مسنده» (١٣/ ٩٣) ح (٧١٦٣)، والطبراني في «الكبير» (٢٤/ ٢١٣) ح (٥٤٥)، وأبو نعيم في «دلائل النبوة» (١/ ١٩٣ – ١٩٦) ح (٩٤)، وابن حبان ح (٢٩٤- موارد)، وابن هشام في

«السيرة» (١/ ٢١١) كلهم من طريق ابن إسحاق قال: حدثنى جهم بن أبى جهم مولى الحارث بن حاطب الجمحى، عن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب، أو عمن حدثه عنه، قال: «كانت حليمة بنت أبى ذؤيب السعدية أم رسول الله ﷺ التى أرضعته تحدِّث أنها خرجت من بلدها مع زوجها ....» القصة.

والحديث أورده: ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/ ٦٦١) تحت عنوان «رضاعه عليه الصلاة والسلام من حليمة بنت أبى ذؤيب السعدية وما ظهر عليها من البركة وآيات النبوة» حيث قال: «قال ابن إسحاق: حدثنى جهم بن أبى جهم مولى لامرأة من بنى تميم كانت عند الحارث بن حاطب، ويقال له: مولى الحارث بن حاطب، قال: حدثنى مَنْ سمع عبد الله بن جعفر بن أبى طالب، قال: حُدِّثْتُ عن حليمة بنت الحارث أنها قالت: قدمت إلى مكة في نسوة .... ».

والحديث أخرجه: البيهقى فى «دلائل النبوة» (١/ ١٣٢، ١٣٣) من طريق ابن إسحاق قال: «حدثنى جهم بن أبى جهم مولى لامرأة من بنى تميم كانت عند الحارث بن حاطب، فكان يقال: مولى الحارث بن حاطب، قال: حدثنى مَنْ سمع عبد الله بن جعفر بن أبى طالب يقول: حُدِّثْتُ عن حليمة بنت الحارث أم رسول الله ﷺ التى أرضعته أنها قالت: قدمت مكة فى نسوة من بنى سعد بن بكر .... ».

ثانيًا: التحقيق

القصة ليست صحيحة، وفيها علتان.

الأولى: جهم بن أبى جهم – وهو مجهول الحال. قال الذهبى فى «الميزان» (١/ ٤٢٦/ ١٥٨٣): «جهم بن أبى الجهم عن ابن جعفر بن أبى طالب، وعنه محمد ابن إسحاق، لا يعرف، له قصة حليمة السعدية ».

وأقره ابن حجر فى «اللسان» (١/ ١٧٨) – (٢٧٤/ ٢١٤١).

الثانية: فيه انقطاع :-

أ – بين جهم بن أبى جهم وبين عبد الله بن جعفر بن أبى طالب.

ب – وكذلك بين عبد الله بن جعفر وبين حليمة السعدية.

ثالثًا : فائدة مهمة

(أ) لقد أورد الدكتور / محمد سعيد رمضان البوطى هذه القصة في كتابه «فقه السيرة» ص (٤٩) باختصار.

(ب) الرد: –

فردَّ عليه الشيخ الألباني –رحمه الله– فى كتابه «دفاع عن الحديث النبوى والسيرة في الرد على جهالات الدكتور البوطى فى كتابه فقه السيرة ص ٣٩، ٤٠) فقال: «إن القصة لم تأت بإسناد تقوم به الحجة، وأشهر طرقها ما رواه محمد بن إسحاق عن جهم بن أبى جهم، عن عبد الله بن جعفر، عن حليمة بنت الحارث السعدية.....

وهذا إسناد ضعيف، وفيه علتان:

الأولى: الاضطراب فى إسناده، كما هو ظاهر، ففى الرواية الأولى عنعنة ابن إسحاق من جميع رواته، وفى الأخرى تصريحه بالتحديث، مع تصريح الجهم بأنه لم يسمعه من عبد الله بن جعفر، وتصريح هذا بأنه لم يسمعه من حليمة. فعلى الرواية الأولى، فيه انقطاع بين ابن إسحاق والجهم، لأن الأول مشهور بالتدليس. وعلى الرواية الأخرى الانقطاع فى موضعين منه، ومنه تعلم وَهْم الحافظ في «الإصابة» حيث قال (٤/ ٢٦٦): « وصرح ابن حبان فى «صحيحه» بالتحديث بين عبد الله وحليمة» ؛ فإنه لا أصل لهذا التحديث عند ابن حبان، ولا عند غيره ممن ذكرنا، ويستبعد جداً أن يدرك عبد الله بن جعفر حليمة مرضعة الرسول ﷺ، فإنه لما توفى النبى ﷺ كان عبد الله ابن عشر سنين، وهى وإن لم يذكروا لها وفاة، فمن المفروض عادة أنها توفيت قبل رسول الله ﷺ، والله أعلم، وسواء كان الراجح الرواية الأولى أو الأخرى فالإسناد منقطع لا محالة.

والعلة الأخرى: أن مداره على جهم بن أبي الجهم، وهو مجهول الحال، قال الذهبي في «الميزان»: لا يعرف، له قصة حليمة السعدية). اهـ.

رابعاً: طريق آخر للقصة

وللقصة طريق آخر أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (١/ ٥٢) قال: «أخبرنا محمد ابن عمر بن واقد الأسلمي، أخبرنا زكرياء بن يحيى بن يزيد السعدي عن أبيه قال: قدم مكة عشر نسوة من بني سعد بن بكر يطلبن الرضاع، فأصبن الرضاع كلهن إلا حليمة ..... » فذكر القصة.

التحقيق

قلت: والقصة من هذا الطريق أيضاً واهية، علتها: محمد بن عمر بن واقد الأسلمي، مولاهم الواقدي، أورده الذهبي في «الميزان» (٣/ ٢٦٢/ ٧٩٩٣) حيث قال: « قال أحمد بن حنبل: هو كذاب، يقلب الأحاديث.

وقال ابن معين: ليس بثقة. وقال مرة: لا يكتب حديثه.

وقال البخاري وأبو حاتم: متروك. وقال أبو حاتم أيضًا والنسائي: يضع الحديث.

وقال الدارقطني: فيه ضعف. وقال ابن عدي: أحاديثه غير محفوظة، والبلاء منه.

وقال البخاري: سكتوا عنه، ما عندي له حرف. وقال ابن راهويه: هو عندي ممن يضع الحديث». ثم ختم ترجمته بقوله: «واستقر الإجماع على وهن الواقدي». اهـ.

قلت: وأورده ابن حبان في «المجروحين» (٢/ ٢٩٠) حيث قال:

١ - «محمد بن عمر بن واقد الواقدي الأسلمي المدني قاضي بغداد، كنيته أبو عبد الله، يروي عن مالك وأهل المدينة، مات سنة سبع ومائتين أو بعدها بقريب ببغداد يوم الثلاثاء، لاثنتي عشرة خلت من رجب، كان ممن يحفظ أيام الناس وسيرهم، وكان يروي عن الثقات المقلوبات، وعن الأثبات المعضلات، حتى ربما سبق إلى القلب أنه كان المتعمد لذلك، كان أحمد بن حنبل يكذبه».

٢- وقال: «ســـمعت محمد بن المنذر، سمعت عباس بن محمد، سمعت يحيى بن معين يقول: الواقدى ليس بشيء».

٣- وقال: «أخبرنى محمد بن عبد الرحمن، سمعت أبا غالب ابن بنت معاوية بن عمرو، سمعت عليّ ابن المدينى يقول: الواقدى يضع الحديث». اهـ.

قلت: وهذا الذى أخرجناه بسنده عن ابن حبان فى قول يحيى بن معين وعليّ ابن المدينى لتوثيق ما نقلناه من قول الإمام الذهبى عنهما بلا سند.

قلت: قال البخارى فى «التاريخ الكبير» (١/ ١/ ١٧٨/ ٥٤٣):

«محمد بن عمر الواقدي مدني، قاضي بغداد، عن معمر ومالك، سكتوا عنه، تركه أحمد وابن نمير، مات سنة سبع ومائتين أو بعدها بقليل».

قلت: وهذا توثيق لما نقلناه عن الإمام الذهبى من قول البخارى فى الواقدى: «سكتوا عنه».

وهذا المصطلح له معناه، يحسبه البعض هينًا، وهو عند أهل الفن عظيم؛ فقد أورد السيوطي في «التدريب» (١/ ٣٤٩) تحت (تنبيهات) حيث قال: «البخارى يُطلِق: فيه نظر، وستكوا عنه. فيمن تركوا حديثه، ويطلق: منكر الحديث. على من لا تحل الرواية عنه».

قلت: ولقد أورده الإمام النسائي فى «الضعفاء والمتروكين» برقم (٥٣١)، وقال: «محمد بن عمر الواقدى متروك الحديث».

قلت: وهذا توثيق أيضًا لما نقلناه عن الإمام الذهبى. وهذا المصطلح له معناه عند الإمام النسائي، حيث قال الحافظ ابن حجر فى «شرح النخبة»: «مذهب النسائي أن لا يترك حديث الرجل حتى يجتمع الجميع على تركه».

قاعدة هامة

هذا الطريق لا يصلح للمتابعات ولا الشواهد، بل يزيد القصة وهنًا على وهن.

فقد قال الحافظ ابن كثير فى «اختصار علوم الحديث» ص (٣٣): «قال الشيخ أبو عمرو: لا يلزم من ورود الحديث من طرق متعددة أن يكون حسناً؛ لأن الضعف يتفاوت، فمنه ما لا يزول بالمتابعات، يعنى لا يؤثر كونه تابعاً أو متبوعاً، كرواية الكذابين والمتروكين».

قلت: وقد ذكرت هذه القاعدة حتى لا يتقول علينا متقول ممن لا دراية له بتحليل طرق القصة، ويقول: إن للقصة متابعات وشواهد جاءت بطرق يقوِّى بعضها بعضاً.

(فائدة): مما أوردناه آنفاً يتبين أن القصة أخرجها أيضاً ابن سعد، ومدارها على الواقدى، وهو كذاب، وقال الشيخ الألبانى -رحمه الله- فى كتابه «الرد على جهالات البوطي فى فقه السيرة» ص (٤٠): «وللقصة عند أبى نعيم طريقان آخران، مدارهما على الواقدى، وهو كذاب، أحدهما عن شيخه موسى بن شيبة وهو لين الحديث، كما قال الحافظ فى «التقريب». والأخرى عن عبد الصمد بن محمد السعدى عن أبيه عن جده قال: حدثنى بعض من كان يرعى غنم حليمة .... وهؤلاء مجهولون».

قلت: بهذا يتبين أن القصة واهية، وأن طرقها الأخرى تزيدها وهناً على وهن.

❁ ❁ ❁ ❁

(٤)

قصة مفتاح التعامل مع الجـان (*)

هذه القصة الواهية التي سيقف القارئ الكريم على حقيقتها، من خلال بحوث علمية حديثية، صارت أصلاً لضلالة عصرية جديدة، ألا وهي: التعامل مع الجان.

وبهذا الأصل الواهي احتُرِفت مهنة التعامل مع الجان، وانتشرت من جديد العرافة والكهانة بصورة جديدة، وكانت هذه المرة وراء لحية، وراء عمامة، ووراء قميص، ووراء ادعاء العلاج بالقرآن الكريم، حتى يظلوا يمارسون هذا الدجل في حماية اسم القرآن الكريم، وكي تزداد قوة تأثيرهم في عامة الناس، والعامة لا يفرِّقون بين الرقى الشرعية الثابتة عن النبي ﷺ ، وبين هذه الضلالة العصرية؛ ضلالة التعامل مع الجان، والتي يدّعى فيها صاحب الضلالة أنه يعتمد على السُّنة في إحضار الجان ثم يسأله: ما اسمك؟ وما ديانتك: مسلم أو نصراني؟ لماذا دخلت في هذه المرأة؟ مثلاً. ثم يعرض صاحب الضلالة على الجان الإسلام إذا كان نصرانيًا، وبعد أن يُسْلِم يقوم بإجراءات السفر للجان إلى السعودية! وهذا واضح من الكتب التى صُنّفت حول هذه الضلالة، وأسأل الله التوبة لأصحابها.

فليفرّق القارئ الكريم بين هذه الضلالة التى أصبح لها متخصصون فى كل مكان، يلجأ ضحايا هذه الضلالة إليهم، وتتعلق قلوبهم بهم، وبين الرقي الشرعية الثابتة بالكتاب والسُّنة، وفيها يلجأ الناس إلى الله، متعلقة قلوبهم بالله عز وجل، لا بالأشخاص فيحقق الله لهم وعده فى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (البقرة:١٨٦).

وقوله تعالى : ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (غافر:٦٠).

(*) مجلة التوحيد، عدد شوال ١٤٢١هـ.

طريقة أصحاب ضلالة التعامل مع الجان

لقد اتفقت طريقة أصحاب ضلالة التعامل مع الجان، كما هو واضح من كتبهم، بغير ذكر لأسمائهم من باب هدى نبيّنا ﷺ : «**ما بال أقوام ...**».

وهذه الطريقة يقولون فيها:

[أ- ضع يدك على رأس المريض، واقرأ في أذنه اليمنى بترتيل آيات الرقية التي حددها النبي ﷺ في حديث الرقية، وهي:

* ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ (الفاتحة).

* ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَـٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ (البقرة:١-٤).

* ﴿وَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ ۝١٦٣ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَـٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (البقرة:١٦٣-١٦٤).

* ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ (البقرة:٥٥).

* ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ (٢٨٥) لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرًا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَـٰفِرِينَ﴾ (البقرة:٢٨٥، ٢٨٦).

* ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَـٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ (آل عمران:١٨).

* ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَـٰلَمِينَ﴾ (الأعراف:٥٤).

* ﴿أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَـٰكُمۡ عَبَثًا وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ (١١٥) فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ (١١٦) وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرۡهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَـٰفِرُونَ (١١٧) وَقُل رَّبِّ ٱغۡفِرۡ وَٱرۡحَمۡ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّـٰحِمِينَ﴾ (المؤمنون:١١٥-١١٨).

* ﴿وَٱلصَّـٰٓفَّـٰتِ صَفًّا (١) فَٱلزَّـٰجِرَٰتِ زَجۡرًا (٢) فَٱلتَّـٰلِيَـٰتِ ذِكۡرًا (٣) إِنَّ إِلَـٰهَكُمۡ لَوَٰحِدٌ (٤) رَّبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَرَبُّ ٱلۡمَشَـٰرِقِ (٥) إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِزِينَةٍ ٱلۡكَوَاكِبِ (٦) وَحِفۡظًا مِّن كُلِّ شَيۡطَـٰنٍ مَّارِدٍ (٧) لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰ وَيُقۡذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ (٨) دُحُورًاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ وَاصِبٌ (٩) إِلَّا مَنۡ خَطِفَ ٱلۡخَطۡفَةَ فَأَتۡبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ (الصافات:١-١٠).

* ﴿لَوۡ أَنزَلۡنَا هَـٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَـٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَـٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ (٢١) هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَـٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ (٢٢) هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ

ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ (الحشر: ٢١-٢٤).

* ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ (الجن: ٣).

* ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ (الإخلاص).

* ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ (الفلق).

* ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ (الناس).

وهذه الآيات تؤثر على الجنى، فإما أن يخرج من المريض قبل أن ينطق على لسانه (وخاصة إذا كان الجنى ضعيفاً) أو تزلزله وتؤلمه وتضطره إلى أن ينطق ويتحدث على لسان المريض.

ب- إذا حضر الجنى كيف نعرفه؟

نعرف ذلك بعدة طرق منها:

١ - أن يصرخ الجنى ويتألم وينطق على لسان المريض.

٢ - أن ينطق الجنى باسمه.

٣- تغميض العينين، أو شخوصهما، أو طرفهما طرفاً شديداً، أو وضع اليدين على العينين.

٤ - حدوث رعشة شديدة فى الجسم أو رعشة خفيفة فى الأطراف.

جـ- يسأل الجنى عدة أسئلة منها:

١ - ما اسمك ؟ وما ديانتك؟

٢ - ما سبب دخولك فى هذا الجسد؟

٣- هل معك غيرك من الجن فى هذا الجسد؟ وما عددهم ؟ وديانة كل منهم؟

٤ - هل تعمل خادماً لساحر؟

٥ - أين تسكن فى جسد المريض؟

* إذا كان الجنى مسلماً كيف يُتعامل معه؟

يعامل كالآتى: (حسب سبب دخوله لجسم المريض).

١ - إذا كان سبب دخوله عشق للإنسي أو الإنسية نبين له أن هذا حرام، ونخوفه من عذاب الله وعقابه.

٢ - إن كان قد مس الإنسي؛ لأن الإنسي ظلمه بالتبول، أو بصب ماء حار عليه، أو بقتل بعضهم. فيعرّف بأن الإنسي لم يكن يعرف بوجوده، ولم يره، وبالتالى فلم يتعمد أذاه، ولا يستحق العقوبة.

٣- إن كان الجنى دخل الإنسي ظلماً منه فيعرّف أن الظلم حرام. فإن استجاب للخروج فلله الحمد، وله المنة والفضل.

* ويجب أن تراعى عند خروجه ما يلى: لابد أن يخرج الجنى من أصبع اليد أو القدم أو الفم أو الأنف، ولا يسمح له بالخروج من العين أو البطن أو غير ذلك] اهـ. نقلاً عن كتب أصحاب ضلالة التعامل مع الجان.

قلت: فلينظر القارئ الكريم إلى قولهم: «إذا كان الجنى مسلمًا، كيف يُتعامل معه؟»، وفي نفس كتبهم أيضًا قولهم: «وإذا كان الجني غير مسلم كيف يتعامل معه؟»

قلت: هذه الضلالة العصرية؛ ضلالة التعامل مع الجان، تبدأ - كما يدّعى أصحاب الضلالة- بترتيل آيات الرقية، التى يدّعون أن النبى ﷺ، حدّدها لهم فى حديث الرقية.

❋ وإلى القارئ الكريم تخريج وتحقيق هذا الحديث، الذى اتخذه أصحاب الضلالة مفتاحاً لتعاملهم مع الجان.

قصة مفتاح التعامل مع الجان

عن أبى ليلى قال: كنت جالساً عند النبى ﷺ، إذ جاءه أعرابي، فقال: إن لى أخاً وَجِعًا. قال: «**ما وجع أخيك؟**» قال: به لمم. قال: «**اذهب فائتنى به**» قال: فذهب فجاء به، فأجلسه بين يديه، فسمعته عوّذه بفاتحة الكتاب، وأربع آيات من أول البقرة، وآيتين من وسطها، ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ (البقرة:١٦٣)، وآية الكرسى، وثلاث آيات من خاتمتها، وآية من آل عمران (أحسبه قال: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ (آل عمران:١٨)) وآية من الأعراف: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ (الأعراف:٥٤). الآية، وآية من المؤمنين: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ﴾ (المؤمنون:١١٧)، وآية من الجن: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ (الجن:٣)، وعشر آيات من أول الصافات، وثلاث آيات من آخر الحشر، و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، والمعوذتين، فقام الأعرابى قد برأ ليس به بأس».

أولاً: التخريج

الحديث الذى جاءت به هذه القصة أخرجه ابن ماجه فى «السنن» ح(٣٥٤٩)، وأبو يعلى فى «المسند» (٣/ ١٦٧) ح(١٥٩٤)، وابن السنى فى «عمل اليوم والليلة» ص (٢٢٣) ح (٦٣٢)، والحاكم فى «المستدرك» (٤/ ٤١٢، ٤١٣)، وابن الجوزى فى «العلل المتناهية» (٢/ ٨٨١) ح (١٤٧٧)، وأحمد فى «مسنده» (٥/ ١٢٨) ح(٢١٢١٢)، وأورده النووى فى «الأذكار» ص (١١٩) باب: ما يقرأ على المعتوه والملدوغ، وأورده الهيثمي فى «مجمع الزوائد» (٥/ ١١٥) باب: رقية المجنون.

ملحوظة هامة لطالب هذا الفن:

هناك فرق بين قولنا: «أخرجه»، وقولنا: «أورده».

١- فالتخريج: هو الدلالة على موضع الحديث فى مصادره الأصلية التى أخرجته بسنده.

٢- والمراد بالمصادر الأصلية: هى كتب السنة التى جمعها مؤلفوها عن طريق تلقيها عن شيوخهم بأسانيد إلى النبى ﷺ.

٣- أما قولنا: «أورده فلان فى كتابه، فكتابه ليس من كتب السنة الأصلية، ولكن جمع أحاديثه من كتب السنة الأصلية، وعزا الأحاديث إلى أصحابها، فهو يَعْزُو ولا يُعْزَى إليه».

٤- ولذلك نجد النووى أورد الحديث وعزاه إلى ابن السنى، والهيثمى أورد الحديث وعزاه إلى أبى يعلى.

وهذا تطبيق مهم للداعية ولطالب هذا الفن.

ثانيًا: التحقيق

القصة واهية، والحديث الذى جاءت فيه (منكر).

١ ـ الإسناد مضطرب:

أ - فعند ابن ماجه: من طريق: أبى الجناب، عن عبد الرحمن بن أبى ليلى، عن أبيه أبى ليلى؛ فذكره.

ب- وعند أبى يعلى وعنه ابن السنى: من طريق: أبى الجناب، عن عبد الرحمن بن أبى ليلى، عن رجل، عن أبيه؛ فذكره.

جـ- وعند أحمد والحاكم وابن الجوزى: من طريق: أبى الجناب عن عبد الله بن عيسى، عن عبد الرحمن بن أبى ليلى، قال: حدثنى أبى بن كعب؛ فذكره.

٢ ـ أوجه الاضطراب:

أ- الحديث منهم مَنْ جعله من مسند أبى ليلى، ومنهم مَنْ جعله من مسند أُبَىّ بن كعب.

ب- ومنهم مَنْ جعله من رواية عبد الرحمن بن أبى ليلى عن أبيه، ومنهم مَنْ جعله من روايته عن رجل عن أبيه، ومنهم مَنْ جعله من روايته عن أبىّ.

جـ- ومنهم مَنْ جعله من رواية أبى الجناب عن عبد الرحمن بن أبى ليلى، ومنهم مَنْ جعله من روايته عن عبد الله بن عيسى عن عبد الرحمن بن أبى ليلى.

فهذه هى أوجه الاضطراب؛ حيث إن الحديث الذى جاءت به القصة لم يُرْوَ إلا من طريق أبى الجناب، فلا مُرَجِّح.

مصطلح تطبيقى

ينطبق مصطلح الاضطراب على هذا الحديث، حيث تتحقق فيه شروط الاضطراب:

أ- اختلاف روايات الحديث، بحيث لا يمكن الجمع بينها.

ب- تساوى الروايات فى القوة، بحيث لا يمكن ترجيح رواية على أخرى، وهذا واضح، لأنها جاءت من طريق أبى الجناب.

* **فالمضطرب**: هو الذى يُروى على أوجه مختلفة متقاربة. قاله النووي في «التقريب» (١/ ٢٦٢- تدريب).

ثم يتضح ذلك من قول الحافظ فى «شرح النخبة» ص (٤٣): «إن كانت المخالفة بإبدال الراوى، ولا مرجِّح لإحدى الروايتين على الأخرى فهذا هو المضطرب، وهو يقع فى الإسناد غالباً».

٣ ـ العلة الأساسية فى هذا الحديث فوق هذا الاضطراب هو: أبو الجناب.

أ- أورده العقيلى فى «الضعفاء الكبير» (٤/ ٣٩٨) – ترجمة (٢٠٢٠) قال: (يحيى بن أبى حية أبو جناب الكلبى.

ثم أخرج بسنده عن أبى نعيم أنه كان يدلس.

وعن أحمد أنه قال: أحاديثه أحاديث مناكير.

ثم أورد له حديثاً، ثم قال: « والرواية فى هذا الباب فيها اضطراب وضعف».

ب- وأورده الذهبى فى «الميزان» (٤/ ٣٧١) – ترجمة (٩٤٩١) قال: «قال يحيى القطان: لا أستحل أن أروى عنه.

وقال الفلاس: «متروك»).

جـ – وأخرج ابن عدى فى «الكامل» (٧/ ٢١٢) ترجمة (٥٩/ ٢١١٢) قال: «قال عمرو بن عليّ: أبو جناب الكوفى واسمه يحيى بن أبى حية متروك الحديث».

د- وأورده الدارقطنى فى كتابه «الضعفاء والمتروكين» ترجمة (٥٧٦)، وقال: «يحيى بن أبى حية أبو جناب الكلبى».

قلت: ما أورده الدارقطني في كتابه «الضعفاء والمتروكين» فهو متروك، ولو لم يذكر عنه شيئاً، حيث جاء فى المقدمة: «قال الإمام البرقانى: طالت محاورتي مع ابن حمكان لأبى الحسن عليّ بن عمر الدارقطني عفا الله عنى وعنهما فى المتروكين من أصحاب الحديث، فتقرر بيننا وبينه على ترك من أثبته على حروف المعجم فى هذه الورقات».

قلت: فهذه من النفائس العزيزة التي يجب على طالب هذا الفن أن يعض عليها بالنواجذ، حتى لا يتوهم من ذكر الاسم بدون جرح أن الدارقطني سكت عنه.

هـ- وأورده ابن حبان فى «المجروحين» (٣/ ١١١) وقال: «كان ممن يدلس على الثقات ما سمع من الضعفاء فالتزق به المناكير التى يرويها عن المشاهير، فوهّاه يحيى بن سعيد القطان، وحمل عليه أحمد بن حنبل حملاً شديداً».

و- **قلت**: فلا تغتر بقول الحاكم فى «المستدرك»: «هذا الحديث محفوظ صحيح ولم يخرجاه» فقد تعقبه الذهبي في «التلخيص»، وقال: «أبو جناب الكلبي ضعَّفه الدارقطني، والحديث منكر».

هذا ما وفقنى الله إليه لإدحاض أصول ضلالة التعامل مع الجان، والله وحده من وراء القصد.

❊ ❊ ❊ ❊

(٥)

قصة الأنصاري والثقفي في فضل الحج (*)

نواصل فى هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم؛ حتى يقف على حقيقة هذه القصة التى اشتهرت على ألسنة الخطباء والوعاظ والقصاص؛ لورودها فى الكتب المشهورة مثل «الترغيب والترهيب» (٢/ ١٧٠)، وكتاب «وصايا الرسول ﷺ».

ولقد جاءت هذه القصة من عدة طرق:

أولاً - القصة من حديث ابن عمر:

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنت جالسًا مع النبى ﷺ فى مسجد منىً، فأتاه رجل من الأنصار، ورجل من ثقيف، فسَلَّما. ثم قالا: يا رسول الله جئنا نسألك. فقال: إن شئتما أخبرتكما بما جئتمانى تسألانى عنه فعلتُ، وإن شئتما أن أمسك وتسألانى فعلتُ.

فقالا: أخبرنا يا رسول الله، فقال الثقفى للأنصارى: سَلْ.

فقال: أخبرنى يا رسول الله. فقال: جئتنى تسألنى عن مخرجك من بيتك تؤم البيت الحرام وما لك فيه؟ وعن ركعتيك بعد الطواف وما لك فيهما؟ وعن طوافك بالصفا والمروة وما لك فيه؟ وعن وقوفك عشية عرفة وما لك فيه؟ وعن رميك الجمار وما لك فيه؟ وعن نحرك وما لك فيه؟ وعن حلقك رأسك وما لك فيه؟ وعن طوافك بالبيت بعد ذلك وما لك فيه مع الإفاضة؟

فقال: والذى بعثك بالحق لَعَنْ هذا جئت أسألك.

(*) مجلة التوحيد، ذو الحج ١٤٢١هـ.

قال: فإنك إذا خرجت من بيتك تؤم البيت الحرام لا تضع ناقتك خفًا ولا ترفعه، إلا كتب الله لك به حسنة، ومحا عنك خطيئة، وأما ركعتاك بعد الطواف كعتق رقبة من بنى إسماعيل، وأما طوافك بالصفا والمروة بعد ذلك كعتق سبعين رقبة، وأما وقوفك عشية عرفة فإن الله تبارك وتعالى يهبط إلى سماء الدنيا فيباهى بكم الملائكة يقول: عبادى جاؤونى شعثًا من كل فجٍّ عميق، يرجون جنتى، فلو كانت ذنوبكم كعدد الرمل، أو كقطر المطر، أو كزبد البحر لغفرتها، أفيضوا عبادى مغفورًا لكم ولمن شفعتم له، وأما رميك الجمار فلك بكل حصاة رميتها تكفير كبيرة من الموبقات، وأما نحرك فمذخور لك عند ربك، وأما حلاقك رأسك فلك بكل شعرة حلقتها حسنة؛ ويمحَى عنك بها خطيئة، وأما طوافك بالبيت بعد ذلك فإنك تطوف ولا ذنب لك، يأتى ملك حتى يضع يديه بين كتفيك فيقول: اعمل فيما تستقبل فقد غفر لك ما مضى».

قلت: هذه القصة (ليست صحيحة).

وعندما نقدم البرهان على عدم صحة هذه القصة نحقق أهداف هذه السلسلة من خلال هذا البرهان، ونذكِّر بهذه الأهداف حتى تعلم حدود هذه السلسلة، وهى:

١ – أن يقف القارئ الكريم على درجة القصة، وحسبه هذا القدر.

٢– والداعية: يكون على حذر، ويَسْلَم له عمله على السنة وحدها، ويعرف مواضع هذه القصة فى الكتب التي أخرجتها والكتب التى أوردتها، فلا يغتر بوجودها.

٣– وطالب هذا الفن: يجد نماذج من علم الحديث التطبيقى.

وهذا هو التخريج والتحقيق الذى سنحقق به -إن شاء الله- هذه الأهداف:

طرق القصة

طرق القصة بالراوي الأعلى	التخريج
القصة من حديث ابن عمر ولها طريقان	الأول: طريق رجال البزار: أخرجه البزار كما في «كشف الأستار» (٢/ ٨) ح (١٠٨٢).
	الثاني: طريق رجال الطبراني: أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٢/ ٤٢٥) ح (١٣٥٦٦).
القصة من حديث أنس بن مالك	الحديث: أخرجه البزار كما في «كشف الأستار عن زوائد البزار على الكتب الستة» (٢/ ٩) ح (١٠٨٣).
القصة من حديث عُبادة بن الصامت	الحديث: أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٣/ ١٧٠) ح (٢٣٤١).

هذه هي محاور الارتكاز الأساسية التي تدور عليها طرق القصة.

مصطلح تطبيقي

قاعدة: تقسيم الخبر باعتبار وصوله إلينا، قال الحافظ ابن حجر في «النخبة» (ص ١٤):

١ - «الخبر: إما أن يكون له طرق بلا عدد معين، أو مع حصر بما فوق الاثنين، أو بهما، أو بواحد، فالأول: المتواتر، والثاني: المشهور، والثالث: العزيز، والرابع: الغريب».

قلت: من جدول تخريج طرق القصة نرى أن هذه القصة رويت عن ثلاثة من الصحابة، وبتطبيق هذه القاعدة: إذاً الخبر «مشهور».

٢ - «ثم المشهور، يطلق على ما حُرِّر هنا وعلى ما اشتهر على الألسنة، فيشمل ما له إسناد واحد فصاعداً، بل ما لا يوجد له إسناد أصلاً» كما في «شرح النخبة» (ص ٦٤).

قلت: وعليه فالمشهور من حيث الاصطلاح ينقسم: إلى مشهور اصطلاحى ومشهور غير اصطلاحى، وبتطبيق هذا المصطلح على خبر القصة: فهو «مشهور اصطلاحى».

٣- «ثم الشهرة إما أن تكون فى أصل السند، وهو طرفه الذى فيه الراوى الأعلى، أو لا تكون كذلك؛ بأن تكون الشهرة في أثنائه» كما فى «فتح المغيث» (٤/ ٤)

قلت: وعليه فالشهرة من حيث موضعها فى السند تنقسم إلى:

(١) شهرة مطلقة (وهى التى فى أصل السند).

(٢) وشهرة نسبية (فى أثناء السند).

وبتطبيق هذا المصطلح على خبر هذه القصة: فهو «مشهور مطلق».

٤- ثم المشهور كما قال ابن الصلاح فى «علوم الحديث» النوع (٣٠):

«منقسم: إلى: (صحيح) .... وإلى: (غير صحيح) .... ».

وبتطبيق هذا المصطلح على خبر هذه القصة: فهو «مشهور غير صحيح»، وبالجمع بين وجوه التقسيم للمشهور نستنتج أن خبر هذه القصة: مشهور شهرة اصطلاحية مطلقة وغير صحيح.

البرهان على أن خبر القصة غير صحيح

أولاً - القصة من حديث ابن عمر لها طريقان:

الطريق الأول: طريق رجال البزار:

قال البزار: حدثنا محمد بن عمر بن هيَّاج، ثنا يحيى بن عبد الرحمن الأرجى، ثنا عُبيدة بن الأسود، عن سنان بن الحارث، عن طلحة بن مصرِّف، عن مجاهد، عن ابن عمر قال: فذكره.

قلت: وهذا إسناد ضعيف، وفيه علتان:

الأولى: تدليس عُبيدة بن الأسود: فقد أورده الحافظ ابن حجر فى «طبقات المدلسين»، فى «المرتبة الثالثة» رقم (٢٠).

حكم هذه المرتبة:

قال الحافظ: «(المرتبة الثالثة): من أَكْثَر من التدليس فلم يحتج الأئمةُ من أحاديثهم إلا بما صرحوا فيه بالسماع».

بيان ألفاظ هذا المصطلح:

«صرحوا فيه بالسماع» أي يقول الراوى: «سمعت» أو «حدثنا» أو «أخبرنا» ونحوها.

«لم يصرح بالسماع» أي يقول الراوى: «عن» ونحوها، كما فى هذا السند، وكما أن للمدلسين مراتب، فإن للتدليس أنواع قد فصّلناها فى كتابنا «المدخل إلى علوم الحديث» ص (٤٢٦، ٤٢٧، ٤٢٨).

الثانية: جهالة سنان بن الحارث (لم يروِ له أصحاب الكتب الستة).

قال ابن أبى حاتم فى «الجرح والتعديل» (٤/ ٢٥٤):

«سنان بن الحارث بن مصرِّف ابن أخى طلحة بن مصرف، روى عن طلحة بن مصرِّف، روى عنه محمد بن طلحة، والقاسم بن الوليد، سمعت أبى يقول ذلك، روى عنه صالح بن حى والد حسن بن صالح». اهـ.

قلت: من هذا يتبين أن سنان بن الحارث: مجهول الحال.

١ - ومجهول الحال: (ويسمى المستور): «هو من روى عنه اثنان فأكثر لكن لم يوثق».

٢ - حكم روايته: الرد، على الصحيح الذى قاله الجمهور.

ومصطلح البزار حول هذه القصة

بعد أن أخرج البزار الحديث الذى جاءت فيه هذه القصة قال: «قد رُوِى هذا الحديث من وجوه، ولا نعلم له أحسن من هذا الطريق».

قلت: من تحقيقنا لهذا الطريق قد تبين ضعفه بالتدليس والجهالة، وعليه فقول البزار: «لا نعلم له أحسن من هذا الطريق» لا يلزم منه صحة الطريق ولا حسنه، فيجب على طالب هذا الفن: أن يحقق الطريق الذى قال فيه البزار هذا القول؛ حتى لا يتوهم الصحة والحسن.

مصطلح الهيثمى حول هذه القصة

أورد القصة الإمامُ الهيثمى فى «مجمع الزوائد» (٣/ ٢٧٥) من حديث ابن عمر، ثم قال: «رواه البزار والطبرانى فى «الكبير» بنحوه .... ورجال البزار موثقون، وقال البزار: روى هذا الحديث من وجوه، ولا نعلم له أحسن من هذا الطريق».اهـ.

قلت: قد يتوهم طالب هذا الفن من قول الحافظ الهيثمى: «ورجال البزار موثقون» أن الحديث صحيح، فلا يلزم منه الصحة ولا الحسن، بل قد يكون ضعيفاً وبرهان ذلك:

أ – سنان بن الحارث مجهول الحال كما بيَّنّا.

ب– وعبيدة بن الأسود بن سعيد الهمدانى الكوفى مدلس، وقد عنعن كما بيّنا.

جـ– ويحيى بن عبد الرحمن الأرجى الكوفى «صدوق ربما أخطأ»، كما فى «التقريب» (٢/ ٣٥٢).

د – محمد بن هيَّاج الهمدانى الكوفى «صدوق»، كما فى «التقريب» (٢/ ١٩٤).

قلت: لقد بيَّنت حقيقة هذه المصطلحات؛ حتى لا يعترض من لا دراية له بحقيقتها متوهماً الصحة.

تصحيح هـــام

في طبعة «كشف الأستار» تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي - ط. «مؤسسة الرسالة» (٢/ ٨) ح (١٠٨٢) جاء السند كالآتي:

حدثنا محمد بن هيَّاج، ثنا يحيى بن عبد الرحمن، ثنا الأرجي، ثنا عبيدة بن الأسود، عن سنان بن الحارث، عن طلحة بن مصرِّف، عن مجاهد، عن ابن عمر قال: فذكره.

قلت: وهذا السند وقع فيه خطأ [ثنا يحيى بن عبد الرحمن، ثنا الأرجي] فمن لا دراية له بالرجال يتوهم أن (يحيى بن عبد الرحمن) و (الأرجي) راويان ولكنه راوٍ واحد هو يحيى بن عبد الرحمن الأرجي، وهذا هو الصواب، فيجب أن يحذف رمز التحديث «ثنا».

وبرهان ذلك من «تهذيب الكمال» (٢٠/ ١٥٩/ ٧٤٦٤) يحيى بن عبد الرحمن الأرجي روى عن: عبيدة بن الأسود ....، وروى عنه: محمد بن عمر بن هيّاج.

قلت: وقد يحسب من لا دراية له أن هذا التصحيح هين، ولكنه عند أهل هذا الفن عظيم.

الطريق الثاني- رجال الطبراني:

قال الطبراني في «الكبير»: حدثنا إسحاق بن إبراهيم الديري، عن عبد الرزاق، عن ابن مجاهد، عن أبيه، عن ابن عمر قال: فذكره بنحوه.

قلت: هذا طريق واهٍ علته ابن مجاهد.

وابن مجاهد لم يسمَّ في هذا السند، ولكن بالبحث تبيَّن أن اسمه عبد الوهاب، وبرهان ذلك: في «تهذيب الكمال» (١٢/ ١٥٢/ ٤١٨٨): عبد الوهاب بن مجاهد بن جبر المكي روى عن أبيه مجاهد بن جبر المكي وعطاء. روى عنه عبد الرزاق ولم يسَمِّه، ثم أورد باقي مَنْ روى عنه.

من قول الإمام المزى تبين أن ابن مجاهد الذى روى عنه عبد الرزاق ولم يسمه هو عبد الوهاب.

قال ابراهيم ابن موسى الرازى، عن مهران بن أبى عمر: كنت مع سفيان الثورى فى المسجد الحرام فمر عبد الوهاب بن مجاهد فقال سفيان: هذا كذاب.

وأخرج ابن حبان فى «المجروحين» (٢/ ١٤٦) عن يحيى بن معين قال: ليس بشيء.

وقال النسائى فى «الضعفاء والمتروكين» رقم (٣٧٥): متروك.

وأورده الدراقطنى فى «الضعفاء والمتروكين» رقم (٣٤٥).

ملحوظة هامة: انظر معانى مصطلحات أئمة الجرح والتعديل كما هو مبين فى هذه السلسلة رقم (١).

مصطلح تطبيقي

١ - قال السخاوى فى «فتح المغيث» (٤/ ٧):

«ما كانت العزة فيه بالنسبة لراوٍ واحد انفرد راويان عنه يقيّد، فيقال: عزيز من حديث فلان»، وبتطبيق هذا المصطلح وهو «العزة النسبية» على طريق رجال البزار وطريق رجال الطبرانى فى «الكبير» من حديث ابن عمر نجد أن:

الحديث عزيز عن مجاهد تفرد به عنه طلحة بن مصرِّف وعبد الوهاب بن مجاهد.

٢- وجود متابعة قاصرة لعبيدة بن الأسود، وكذلك لسنان بن الحارث هو عبد الوهاب بن مجاهد.

«**قاعدة**» قال السخاوى فى «فتح المغيث» (١/ ٢٤١):

«فإن يكن ذلك الراوى شورك من راوٍ معتبر به، بأن لم يتهم بكذب، وضُعِّف إما بسوء حفظه أو غلطه أو نحو ذلك حسبما يجيء إيضاحه فى مراتب الجرح والتعديل، أو ممن فوقه فى الوصف من باب أولى فهو تابع حقيقة». اهـ.

نستنتج من هذا الأصل: أن المتابع قد يكون ليس له حقيقة المتابع إذ لم يكن معتبراً به، وبتطبيق هذه القاعدة على متابعة عبد الوهاب بن مجاهد نجد أن المتابع ظاهرى، وليس بتابع حقيقى، وهذا من أهم المصطلحات المستنبطة من هذا الأصل، فالمتابعة قاصرة وهى متابعة ظاهرية؛ لأن عبد الوهاب بن مجاهد ليس بمعتبر به حيث إنه كذاب، فهو ليس يتابع حقيقة، وهذا تقسيم للمتابعة من حيث التأثير.

«**قاعدة**»: قال الحافظ ابن كثير فى « اختصار علوم الحديث» (ص٣٣): «لا يلزم من ورود الحديث من طرق متعددة أن يكون حسناً لأن الضعف يتفاوت، فمنه ما لا يزول بالمتابعات، يعنى لا يؤثر كونه تابعاً أو متبوعاً، كرواية الكذابين والمتروكين». اهـ.

قلت: من هذا يتبين أن طريق الطبرانى لا يزيد طريق البزار إلا وهناً على وهن، راجع القواعد الخاصة بالمتابعات والنفائس العزيزة التى أوردناها فى هذه السلسلة رقم (٢) .

القصة من حديث أنس بن مالك

أخرجها: البزار كما فى «كشف الأستار» (٢/ ٩) ح (١٠٨٣) حيث قال: حدثنا ابن سنجر، ثنا حسن بن الربيع، ثنا العطاف بن خالد المخزومى، عن إسماعيل بن رافع، عن أنس بن مالك قال: فذكره.

قلت: هذا حديث ضعيف جدًا، له علتان:

الأولى- إسماعيل بن رافع:

قال النسائى فى «الضعفاء والمتروكين» رقم (٣٢): «إسماعيل بن رافع متروك الحديث». قال الحافظ فى «شرح النخبة» (ص٦٩): «مذهب النسائى أن لا يترك حديث الرجل حتى يجتمع الجميع على تركه».

قلت: لذلك أورده الدارقطني فى «الضعفاء والمتروكين» رقم (٧٩) وفى إيراده إثبات لتركه. قال ابن أبى حاتم فى «الجرح والتعديل» (٢/ ١٦٩): «سألت أبى عن إسماعيل بن رافع الذى يحدِّث عنه سليمان بن بلال مَنْ هو؟ قال: هو أبو رافع

الضعيف القاص، قال: وسمعته مرة أخرى يقول: هو منكر الحديث».اهـ.

وأخرج ابن عدى فى «الكامل» (١/ ٢٨٠) (١١٩/ ١١٩) عن يحيى بن معين، قال: إسماعيل بن رافع ليس بشيء.

وفى «التهذيب» (١/ ٢٥٩) قال عليّ بن الجنيد: «إسماعيل بن رافع متروك».

ملحوظة: فلا تغتر بقول الهيثمى فى «المجمع» (٣/ ٢٧٦): رواه البزار وفيه إسماعيل بن رافع وهو «ضعيف».

الثانية: الانقطاع بين إسماعيل بن رافع وأنس بن مالك، وبرهان ذلك: قال الحافظ فى «التقريب» (١/ ٦٩): إسماعيل بن رافع من السابعة.

قلت: والسابعة هى طبقة كبار أتباع التابعين، وأنس بن مالك صحابي إذاً أقل السقط تابعى.

قاعدة: إن وُجد متن يُروَى من حديث صحابى آخر يشبهه فى اللفظ والمعنى أو فى المعنى فقط فهو الشاهد، انظر ما أوردناه بالتفصيل فى هذه «السلسلة» رقم (٣).
وبتطبيق هذه القاعدة علي متن هذه القصة: فإن حديث أنس شاهد لحديث ابن عمر، وهذا بشاهد ظاهرى، وليس بشاهد حقيقي؛ لأن إسماعيل بن رافع ليس بمعتبر به؛ حيث إنه متروك، فهو ليس بشاهد حقيقة، وانظر ما أوردناه آنفًا حول المتابعة.

القصة من حديث عبادة بن الصامت

أخرجها: الطبرانى فى «الأوسط» (٣/ ١٧٠) قال: حدثنا إبراهيم، قال: حدثنا محمد بن عبد الرحيم بن شروس، قال: حدثنا يحيى بن أبى الحجاج البصرى، قال: حدثنا أبو سنان عيسى بن سنان، قال: حدثنا يعلى بن شداد بن أوس، عن عبادة بن الصامت قال فذكره.

قلت: أورده الهيثمى فى «المجمع» (٣/ ٢٧٧)، وقال: رواه الطبرانى فى «الأوسط»، وفيه محمد بن عبد الرحيم بن شروس، ذكره ابن أبى حاتم ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً ومن فوقه موثقون.

قلت: لقد خفى على الهيثمى -رحمه الله- أن علة هذا الحديث هو يحيى بن أبى الحجاج البصرى.

قال يحيى بن معين: ليس بشيء. كما فى «الميزان» (٤/ ٣٦٨/ ٩٤٧٩) وهذا المصطلح يطلقه ابن معين على من كان متروكًا أو متهمًا أو ليس بثقة، كما بيّنا آنفًا فى هذه «السلسلة» رقم (١)، وبهذا لا يصح أن يكون شاهداً حقيقياً، فهو يزيد القصة وهنًا على وهن؛ خاصة وقد تفرد به يحيى، حيث قال الطبرانى: لا يُرْوَى هذا الحديث عن عبادة إلا بهذا الإسناد تفرد به يحيى بن أبى الحجاج.

هذا ما وفقنى الله إليه، وهو وحده من وراء القصد.

❊ ❊ ❊ ❊

(٦)

قصة عنكبوت الغار والحمامتين

نواصل فى هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة قصة عنكبوت الغار والحمامتين التى اشتهرت على ألسنة القصاص والوعاظ بمناسبة هجرته ﷺ إلى المدينة.

أولاً: القصة من حديث زيد بن أرقم والمغيرة بن شعبة وأنس بن مالك ﷺ.

«ليلة الغار أمر الله عز وجل شجرة فخرجت فى وجه النبى ﷺ تستره وإن الله عز وجل بعث العنكبوت فنسجت ما بينهما فسترت وجه النبى ﷺ وأمر الله حمامتين وحشيتين فأقبلتا تدفان حتى وقعتا بين العنكبوت وبين الشجرة فأقبل فتيان قريش من كل بطن رجل معهم عصيهم وقسيهم وهراواتهم وسيوفهم حتى إذا كانوا قدر أربعين ذراعاً تعجل بعضهم ينظر فى الغار فرأى حمامتين بفم الغار فرجع إلى أصحابه، فقالوا له: مالك لم تنظر فى الغار؟ فقال: رأيت حمامتين بفم الغار فعرفت أن ليس فيه أحد، فسمع النبى ﷺ ما قال، فعرف أن الله قد درأ عنه بهما فدعا فسمَّتَ عليهما وفرض جزاءهما واتخذ فى حرم الله تبارك وتعالى فرخين أحسبه قال: فأصل كل حمام فى الحرم من فراخهما» اهـ.

التخريـج :

الحديث الذى جاءت به هذه القصة أخرجه:

الطبرانى فى «الكبير» (٢٠/ ٤٤٣/ ١٠٨٢) والبزار فى «مسنده» (٢/ ٢٩٩/ ١٧٤١) «كشف الأستار»)، والعقيلى فى «الضعفاء الكبير» (٣/ ٢٢٤/ ٢٦٤١) والبيهقى فى «الدلائل» (٢/ ٢١٣-٢١٤)، عن عون بن عمرو القيسى ويلقب عُوين قال: ثنا أبو مصعب المكى قال: أدركت زيد بن أرقم والمغيرة بن شعبة وأنس بن مالك يحدثون أن النبى ﷺ لما كانت ليلة الغار ....وقال الإمام البزار: «لا نعلم رواه إلا عون بن

عمرو وهو بصرى مشهور، وأبو مصعب فلا نعلم حدث عنه إلا عوين. وكان عوين ورباح أخوين» اهـ.

قال العقيلي: «ولا يتابع عليه عون .وأبو مصعب رجل مجهول».

فائدة: «مصطلح حديث تطبيقى» قال الحافظ في «شرح النخبة» (ص١٣٥): - «فإن سمى الراوى وانفرد راو واحد بالرواية عنه فهو مجهول العين».

«أو إن روى عنه اثنان فصاعداً ولم يوثق .فهو مجهول الحال» اهـ.

قلت: وبتطبيق قول الحافظ فى «شرح النخبة» على ما قاله البزار والعقيلى فى أبى مصعب نجد أن أبا مصعب «مجهول العين».

وحكم رواية مجهول العين: «لا يقبل حديثه إلا أن يوثقه غير من ينفرد عنه على الأصح وكذا من ينفرد عنه إذا كان متأهلاً لذلك».

قلت: وعون بن عمرو الذى انفرد عن أبى مصعب أورده الإمام الذهبى فى «الميزان» (٣/ ٣٠٦/ ٦٥٣٥) ناقلاً أقوال أهل الجرح والتعديل: قال فيه ابن معين: لا شيء، وقال البخارى: عون بن عمرو القيسى «منكر الحديث مجهول».

قلت: ثم أورد له الذهبى حديثين مما أنكر عليه هذا أحدهما.

وقال الهيثمى فى «المجمع» (٦/ ٥٣): باب «الهجرة إلى المدينة»: «رواه البزار والطبراني وفيه جماعة لم أعرفهم».

وقال الهيثمى في «المجمع» (٣/ ٢٣١) باب «جزاء الصيد»: «رواه الطبرانى في «الكبير» ومصعب المكى والذى روى عنه وهو عوين بن عمرو القيسى لم أجد من ترجمهما، وبقية رجاله ثقات».

قلت: وقد صدر الحديث الذي به القصة قائلاً: «عن مصعب المكي ..».

ولعله تصحيف من الناسخ (٣/ ٢٣١) حيث أورده (٦/ ٥٣) الكنية أي: (أبو مصعب).

وقوله في (٦/ ٥٣) «فيه جماعة لم أعرفهم» بيَّن من لم يعرفهم (٣/ ٢٣١) حيث قال: «وأبى مصعب المكى والذى روى عنه وهو عوين بن عمرو القيسى لم أجد أحداً ترجمها».

والشيخ الألبانى رحمه الله فى «الضعيفة» (٣/ ٩٥٢/ ١١٢٨): تعقَّب قول الهيثمى: «وفيه جماعة لم أعرفهم» قائلاً: «يشير إلى عون وأبى مصعب فإن من دونهما ثقات معروفون . فهى غفلة عجيبة منه عن هذه النقول .فسبحان من لا يضل ولا ينسى» اهـ.

قلت: راجع مصطلح ابن معين «لا شيء» ومصطلح البخارى «منكر الحديث» فى هذه السلسلة رقم (١) حتى يتبين أن هذا الطريق للقصة لا يصلح للمتابعات والشواهد.

ثانياً :طريق آخر للقصة

جاء فى هذا الطريق ذكر العنكبوت ولم يرد فيه ذكر الحمامتين كما هو مبيّن فى المتن الآتي:

«انطلق النبى ﷺ وأبو بكر إلى الغار، فدخلا فيه، فجاءت العنكبوت فنسجت على باب الغار، وجاءت قريش يطلبون النبى ﷺ ، وكانوا إذا رأوا على باب الغار نسج العنكبوت، قالوا: لم يدخله أحد ....» الحديث أخرجه أبو بكر القاضى فى «مسند أبى بكر الصديق» ح (٧٣).

حدثنا بشار الخفاف قال :حدثنا جعفر بن سليمان قال: حدثنا أبو عمران الجونى حدثنا المعلى بن زياد عن الحسن قال: فذكره.

قلت: هذا سند واه فيه:

١ - الحســـن :

وهو البصري قال: «انطلق النبي ﷺ ....» الحديث. قال الحافظ في «التقريب» (١/ ١٦٥):

«الحسن بن أبى الحسن البصرى واسم أبيه يسار: كان يرسل كثيراً ويدلس من الطبقة الثالثة» قلت: «وهي الطبقة الوسطي من التابعين».

فائدة: «مصطلح تطبيقي»:

بما أن هذا الطريق سقط من آخره من بعد الحسن البصرى وبما أن الحسن تابعى.

وبما أن ما سقط من آخره من بعد التابعى هو المرسل «شرح النخبة» إذاً الحديث مرسل.

حكم مراسيل الحسن :

قال العراقي: «مراسيل الحسن عندهم شبه الريح».

وقال أحمد بن حنبل: «وليس فى المرسلات أضعف من مرسلات الحسن» ذكره السيوطى فى «التدريب» (١/ ٢٠٤).

٢ - بَشَّار الخفَّاف:

قال النسائى في «الضعفاء والمتروكين» رقم (٨٠): «بشار بن موسي الخفاف: ليس بثقة».

قال البخارى فى «التاريخ الكبير» (٢/ ١٣٠/ ١٩٣٥): «بشار الخفاف منكر الحديث كان ببغداد».

قال يحيى بن معين: «بشار الخفاف ليس بثقة» أخرجه العقيلى فى «الضعفاء الكبير» (١/ ١٤٦/ ١٨٠) وابن عدى فى «الكامل» (٢/ ٢٤/ ٢٦٣) وابن أبى حاتم فى «الجرح والتعديل» (٢/ ٤١٧/ ١٦٥٠) وأورده الذهبى فى «الميزان» (١/ ٣١١/ ١١٨٠) وقال: «ضعفه أبو زرعة وقال ابن الغلابى: قال ابن معين :بشار الخفاف من الدجالين».

وقال الحافظ ابن حجر في «التقريب» (١/ ٩٧): «بشار بن موسى الخفاف ضعيف كثير الغلط، كثير الحديث».

قلت: وأورد الحديث ابن كثير في «البداية» (٣/ ٢٢٣) ثم قال: «وهذا مرسل عن الحسن وهو حسن بما له من الشاهد».

قلت: وأنَّى له الحسن والعلة فيه لم تقف عند السقط فى الإسناد ولكن تعدت إلى علة أخرى وهى الطعن فى الراوى بشار الخفاف فهو منكر الحديث، ليس بثقة، كثير الخطأ من الدجالين كما بيَّنا آنفاً.

فائدة: هذه الألفاظ فى الجرح أوردها الحافظ العراقى في «فتح المغيث» (ص ١٧٦) في «المرتبة الثانية» حيث قال: «مراتب ألفاظ التجريح علي خمس مراتب».

قلت: ورتبها ترتيباً تنازلياً حسب شدة الضعف وإلى القارئ الكريم وطلاب هذا الفن خاصة ألفاظ المرتبة الثانية قال العراقي:

(المرتبة الثانية): «فلان متهم بالكذب، أو الوضع، وفلان ساقط، وفلان هالك، وفلان ذاهب، أو ذاهب الحديث، وفلان متروك، أو متروك الحديث أو تركوه، وفلان فيه نظر، وفلان سكتوا عنه، وهاتان العبارتان يقولهما البخارى فيمن تركوا حديثه، فلان لا يعتبر به أو لا يعتبر بحديثه، فلان ليس بالثقة أو ليس بثقة، أو غير ثقة، ولا مأمون ونحو ذلك».

قلت: ثم ذكر الحافظ العراقى ألفاظ التجريح للمرتبة الثالثة ثم بيَّن حكم هذه المراتب فقال: «وكل من قيل فيه ذلك من هذه المراتب الثلاث لا يحتج بحديثه ولا يستشهد به ولا يعتبر به».

قلت: بهذا يتبين أن حديث العنكبوت من مرسل الحسن الذى ليس فى المرسلات أضعف منه لا يصلح أن يكون شاهداً أو مشهوداً لأنه مع إرساله جاء من طريق الخفاف وألفاظ التجريح فيه تجعل حديثه لا يستشهد به ولا يعتبر به وهذا ما خفى عن الحافظ ابن كثير حيث أعله فقط بالإرسال فقال: «وهذا مرسل عن الحسن وهو حسن بما له من شواهد».

فسبحان من لا يضل ولا ينسى.

قلت: فهذه حقيقة مرسل الحسن فى قصة العنكبوت، التى يستبين منها أنه لا يحتج به، ولا يستشهد به، ولا يعتبر به، ولا يزول ضعفه بالمتابعات والشواهد، يعنى لا يؤثر كونه تابعاً أو متبوعاً، أو شاهداً أو مشهوداً .وهذه جملة تفاصيلها تدرك بالمباشرة والبحث، التى يجب أن يعض عليها طالب العلم بالنواجذ، لأنها كما قال ابن الصلاح: «فاعلم ذلك فإنه من النفائس العزيزة»، **قلت**: وعلى طالب هذا الفن أن يراجع هذه القواعد وتطبيقها فى هذه السلسلة «تحذير الداعية» رقم (٢).

ثالثاً : طريق ابن عباس

عن ابن عباس فى قوله: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ﴾ (الأنفال:٣٠) قال: «تشاورت قريش ليلة بمكة فقال بعضهم: إذا أصبح فأثبتوه بالوثاق يريدون النبى ﷺ وقال بعضهم: بل اقتلوه، وقال بعضهم: بل أخرجوه، فأطلع الله عز وجل نبيه على ذلك فبات علىٌّ على فراش النبى ﷺ تلك الليلة وخرج النبى ﷺ حتى لحق بالغار وبات المشركون يحرسون علياً يحسبونه النبى ﷺ فلما أصبحوا ثاروا إليه، فلما رأوا علياً، رد الله مكرهم فقالوا: أين صاحبك هذا؟ قال: لا أدرى فاقتصوا أثره، فلما بلغوا الجبل خلط عليهم، فصعدوا فى الجبل، فمروا بالغار فرأوا على بابه نسج العنكبوت، فقالوا :لو دخل ههنا لم يكن نسج العنكبوت على بابه، فمكث فيه ثلاث ليال».

التخـريـج :

الحديث أخرجه أحمد في «المسند» (١/ ٣٤٨/ ٣٢٥١) من طريق عبد الرزاق في «المصنف» (٥/ ٣٨٩/ ٩٧٤٣)، وعنه الطبراني في «المعجم الكبير» (١١/ ٤٠٧/ ١٢١٥٥) من طريق معمر عن عثمان الجزري عن مقسم عن ابن عباس. فذكره.

قلت: وهذا الطريق لا يصح، وقد ذكر فيه العنكبوت، ولم يرد فيه ذكر الحمامتين، كما هو مُبيَّن فى المتن.

وعلة هذا الطريق: عثمان الجزرى.

وقد أخرج الطبرانى له من هذا الطريق (معمر عن عثمان الجزرى عن مقسم عن ابن عباس) خمسة أحاديث (١٢١٥١، ١٢١٥٢، ١٢١٥٣، ١٢١٥٥، ١٢١٥٦).

وذكرت ذلك لأن الهيثمى أورد الأثر (١٢١٥١) فى «المجمع» (٩/ ١٠٢) وقال عقبه: «رواه الطبرانى وفيه عثمان الجزرى ولم أعرفه».

وأورد الحديث (١٢١١٥) فى «المجمع» (٧/ ٢٧) وقال عقبه: «رواه أحمد والطبرانى وفيه عثمان بن عمرو الجزرى وثقه ابن حبان وضعَّفه غيره» ولذلك قال المحقق أحمد شاكر محدث وادى النيل فى تعليقه على «المسند» :«فى إسناده نظر».

قلت: وقال الحافظ في «التقريب» (٢/ ١٣): «عثمان بن عمرو بن ساج، بمهملة، وقد ينسب إلى جده، وفيه ضعف» اهـ.

قلت: وبهذا لم يفرق ابن حجر بين عثمان بن ساج الجزرى وعثمان بن عمرو بن ساج الجزرى وبذلك يكون قد رجح عدم التفريق متبعاً فى ذلك الإمام الذهبى كما في «الميزان» (٣/ ٣٤/ ٥٥١٠)، (٣/ ٤٩/ ٥٥٤٦)، وبيَّنه ابن حجر في «اللسان» (٤/ ١٦٣/ ٥٥٢٦).

وقال ابن أبى حاتم فى «الجرح والتعديل» (٦/ ١٦٢): «عثمان بن عمرو بن ساج جزرى لا يحتج به».

قلت: وبهذا يتبين أن طريق ابن عباس فى قصة عنكبوت الغار غير صحيح، وليس بجيد وأن الطريقين اللذين أوردناهما آنفاً لا يزيدان هذا الطريق الضعيف إلا ضعفاً على ضعفه، لشدة ضعفهما.

رابعاً :طريق أبى بكر

رُوى عن أبى بكر عن رسول الله ﷺ قال: **«جزى عنكبوت عنا خيراً، فإنها نسجت علىّ وعليك يا أبا بكر فى الغار، حتى لم يرنا المشركون، ولم يصلوا إلينا»**.

التخريج: أخرجه أبو سعد البصرى السمان فى «مسلسلاته» كما فى «الجامع

الصغير» ح(٣٥٨٥) والسمان -بفتح المهملة وشد الميم نسبة إلى بيع السمن أو حمله - روى عن حميد الطويل وعنه أهل العراق، مات سنة ثلاث أو سبع ومائتين- في مسلسلاته أى فى أحاديثه المسلسلة بمحبة العنكبوت، ومن طريقه الديلمى في «مسند الفردوس» كما في «كنز العمال» مسند أبي بكر (١٤/ ١٨٤/ ٣٨٣١٣).

وعلة هذا الطريق :

* عبد الله بن موسى السَّلاَمى. ذكره الخطيب في «تاريخ بغداد» (١٠/ ١٤٨/ ٥٢٩٩)، وقال: «في رواياته غرائب ومناكير وعجائب».

ثم روى عن أبى سعد الإدريسى أنه قال: «كتب عمن دب ودرج من المجهولين وأصحاب الزوايا» قال: «وكان أبو عبد الله بن منده سيئ الرأي فيه».

قلت: وأورده الذهبى فى «الميزان» (٢/ ٥٠٨/ ٤٦٢٩)، وقال: «صاحب عجائب وأوابد، غمزه الخطيب، روى حديثاً ما له أصل، سَلْسَلَهُ بالشعراء منهم الفرزدق».

قلت: وهذا سَلْسَلَهُ بمحبة العنكبوت عن أحد شيوخه المجهولين وهو إبراهيم بن محمد.

فهذا حديث من غرائب عبد الله بن موسى السلامى ومناكيره، وهو حديث موضوع كتبه عن مجهولين ومن هذا البحث يتبين أنه لا يصح فى ذلك حديث لهذا قال الألبانى رحمه الله فى «الضعيفة» (٣/ ٣٣٩): «واعلم أنه لا يصح حديث فى عنكبوت الغار والحمامتين على كثرة ما يذكر ذلك فى بعض الكتب والمحاضرات التى تلقى بمناسبة هجرته ﷺ إلى المدينة، فكن من ذلك على علم» اهـ.

هذا ما وفقني الله إليه وهو وحده من وراء القصد



(٧)

قصة علقمة (*)

نواصل فى هذه السلسلة تقديم البحوث العلمية الحديثية، وفى هذه الحلقة نقدم للقارئ الكريم هذه القصة المشهورة «قصة علقمة» حيث حُكِى أنه فى زمن النبى ﷺ شاب يسمى علقمة، وكان كثير الاجتهاد فى طاعة الله فى الصلاة والصوم والصدقة «فمرض واشتد مرضه، فأرسلت امرأته إلى رسول الله ﷺ : أن زوجى علقمة فى النزع، فأردت أن أعلمك يا رسول الله بحاله، فأرسل النبى ﷺ عماراً وصهيباً وبلالاً، وقال: امضوا إليه، ولقنوه الشهادة، فمضوا إليه ودخلوا عليه، فوجدوه فى النزع، فجعلوا يلقنونه (لا إله إلا الله) ولسانه لا ينطق بها، فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ يخبرونه أنه لا ينطق لسانه بالشهادة، فقال النبى ﷺ : هل من أبويه أحد حى؟ قيل: يا رسول الله أم كبيرة السن. فأرسل إليها رسول الله ﷺ، وقال للرسول: قل لها إن قدرت على المسير إلى رسول الله ﷺ، وإلا فقَرّى فى المنزل حتى يأتيك.

قال: فجاء إليها الرسول، فأخبرها بقول رسول الله ﷺ، فقالت: نفسى فداء، أنا أحق بإتيانه. فتوكأت وقامت على عصى، وأتت رسول الله ﷺ، فسلمت فرد عليها السلام، وقال لها: يا أم علقمة أصدقينى وإن كذبت جاء الوحى من الله تعالى، كيف كان حال ولدك علقمة؟ قالت: يا رسول الله كان كثير الصلاة، كثير الصيام، كثير الصدقة. قال رسول الله ﷺ: فما حالك ؟ قالت يا: رسول الله أنا عليه ساخطة. قال: ولم؟ قالت: يا رسول الله، كان يؤثر علىَّ زوجته، ويعصينى. فقال رسول الله ﷺ: إن سخط أم علقمة حجب لسان علقمة عن الشهادة. ثم قال: يا بلال انطلق واجمع لى حطباً كثيراً. قالت: يا رسول الله وما تصنع؟ قال: أحرِّقه بالنار بين يديك. قالت: يا رسول الله؛ ولدى لا يحتمل قلبى أن تحرّقه بالنار بين يدى. قال: يا أم علقمة عذاب الله أشد وأبقى، فإن سرَّك أن يغفر الله له فارضى عنه، فوالذي نفسي بيده؛ لا ينتفع

(*) مجلة التوحيد، صفر ١٤٢١هـ.

علقمة بصلاته ولا بصيامه ولا بصدقته مادمت عليه ساخطة. فقالت: يا رسول الله؛ إنى أشهد الله تعالى وملائكته ومَنْ حضرنى من المسلمين أنى قد رضيت عن ولدى علقمة. فقال رسول الله ﷺ: انطلق يا بلال إليه، وانظر هل يستطيع أن يقول لا إله إلا الله أم لا، فلعل أم علقمة تكلمت بما ليس فى قلبها؛ حياءً منى؟ فانطلق بلال فسمع علقمة من داخل الدار يقول (لا إله إلا الله)، فدخل بلال فقال: يا هؤلاء إن سخط أم علقمة حجب لسانه عن الشهادة، وإن رضاها أطلق لسانه، ثم مات علقمة من يومه، فحضره رسول الله ﷺ فأمر بغسله وكفنه، ثم صلى عليه وحضر دفنه، ثم قام على شفير قبره، وقال: يا معشر المهاجرين والأنصار من فضَّل زوجته على أمه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفًا ولا عدلاً إلا أن يتوب إلى الله -عز وجل-، ويُحسِن إليها، ويطلب رضاها، فرضى الله فى رضاها، وسخط الله فى سخطها».

قلت: والقصة بهذا اللفظ أوردها الذهبى فى «الكبائر» (ص ٣٤): الكبيرة الثامنة.

تحقيق القصة

هذه القصة باطلة، ونظراً لأن هذه القصة مشهورة، يذكرها الخطباء على المنابر، مثلها كمثل قصة «ثعلبة»، ويرددها الطلبة فى المدارس فى بدعة المتفرنجين المسماة «عيد الأم» فى يوم ٢١ مارس سنخرجها بالتفصيل:

أولاً: البحث العلمى عن علقمة

علقمة صاحب هذه القصة اسم وهمى وضعه الوضاعون؛ لأن من اسمه علقمة من صحابة رسول الله ﷺ بريء من هذه القصة الباطلة، يظهر ذلك من تراجمهم فى «الإصابة» (٤/ ٢٦٢) من رقم (٥٦٥٤) إلى (٥٦٧٥) لابن حجر فى تراجم «العلاقمة»، وكذا فى «أسد الغابة» (٤/ ٨١) لابن الأثير؛ لذلك نجد الاسم فى القصة بغير ذكر أبيه وجده وقبيلته وبلده وصناعته وكنيته التي يتعين بها.

ثانياً: البحث العلمي عن علة القصة

إن قال قائل: إن العبرة ليست بالاسم نقول له: وهى باطلة أيضاً سواء ذكر الاسم أو لم يذكر وتخريجها يدل على بطلانها، وهذا هو التخريج والتحقيق:

القصة أخرجها: ابن الجوزى فى «الموضوعات» (٣/ ٨٧)، والعقيلى فى «الضعفاء الكبير» (٣/ ٤٦١)، وكذا الخرائطى فى «مساوئ الأخلاق»، والبيهقى فى «شعب الإيمان»، والطبرانى كما فى «اللآلئ المصنوعة» (٢/ ٢٩٦) حيث ذكر السيوطى القصة بأسانيدها عندهم.

قال ابن الجوزى: حديث لا يصح، وفى طريقه فائد.

قال أحمد بن حنبل: فائد متروك الحديث.

وقال العقيلى: لا يتابعه على هذا الحديث إلا من هو مثله.

وقال البيهقى: تفرد به فائد. **قلت:** يعنى فائد بن عبد الرحمن العطار أبو الورقاء. كذا فى « شعب الإيمان » ح (٧٨٩٢).

وقال البخارى فى «الضعفاء الصغير» رقم (٢٩٩): منكر الحديث.

قلت: هذا المصطلح يطلقه البخارى على من لا تحل الرواية عنه، «كما فى تدريب الراوى» (١/ ٣٤٩).

وقال النسائى فى «الضعفاء والمتروكين» رقم (٤٨٧): «فائد متروك الحديث».

قلت: هذا المصطلح عند النسائى معناه كما يقول: « لا يترك الرجل عندى حتى يجتمع الجميع على تركه».

والقصة أوردها: الذهبى فى «الميزان» (٢/ ٤)، وجعلها من المصائب، وقال: فائد هالك حتى لا يغتر من يقول: إنها فى كتابه «الكبائر»، وحسبك أن يقول الذهبى:

ومن مصائب داود بن إبراهيم، حدثنا جعفر بن سليمان، حدثنا فائد، عن ابن أبى أوفى فذكر القصة مختصرة.

ثالثاً : البحث العلمى عن بدائل صحيحة

انظر كيف سوَّلت للكثير من الخطباء والوعاظ أنفسُهم حتى عضوا على هذه الأكاذيب بالنواجذ مُعرِضين عن التذكير بكتاب الله وسنة رسول الله الصحيحة المطهرة.

فكان من الأَوْلى لهؤلاء أن يذكِّروا فى مثل هذا المقام بقوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَـٰنًا﴾ (الأحقاف:١٥). وقوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾ الآيات (الإسراء:٢٣-٢٥).

قلت: وإذا كانت هذه القصة المكذوبة المختلقة المصنوعة المنسوبة بأحاديثها إلى رسول الله ﷺ تُبين عاقبة العقوق، فالرسول ﷺ يحذِّر من عاقبة الكذب عليه، فيقول كما فى «صحيح البخارى» من حديث سلمة بن الأكوع (١/ ٢٤٣ - فتح) ح (١٠٩): «**من يَقُل علىّ ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار**».

قلت: فإن تعجب فعجب من صنيع هـؤلاء الوعـاظ والقصـاص يذكرون المكذوب فى العقوق، ويتركون الصحيح، وإليك الصحيح فى مثل هذا المقام:

١ - أخرج الجهضمى فى «فضل الصلاة على النبى» ح (١٩) من حديث كعب ابن عجرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**احضروا المنبر**»، فحضرنا، فلما ارتقى الدرجة، قال: «آمين»، ثم ارتقى الدرجة الثانية فقال: «آمين»، ثم ارتقى الدرجة الثالثة فقال «آمين»، فلما فرغ نزل عن المنبر، قال: فقلنا له: يا رسول الله؛ لقد سمعنا منك اليوم شيئاً ما كنا نسمعه، قال: «**إن جبريل عرض لى، فقال: بَعُد من أدرك رمضان فلم**

يغفر له، فقلت: آمين، فلما رقيت الثانية قال: بَعُد من ذُكرتَ عنده فلم يصلِّ عليك، فقلت: آمين، فلما رقيت الثالثة قال: بَعُد من أدرك أبويه الكبر أو أحدهما فلم يُدخلاه الجنة، فقلت: آمين».

٢- وأخرج الطبرانى فى «الكبير» (٢/ ٢٤٣)(ح ٢٠٢٢) من حديث جابر بن سمرة قال: صعد النبى ﷺ المنبر، فقال: «آمين آمين آمين» قال: «أتانى جبريل عليه السلام فقال: يا محمد من أدرك أحد والديه فمات فدخل النار فأبعده الله، قل: آمين، فقلت: آمين، قال: يا محمد من أدرك شهر رمضان فمات فلم يغفر له، فأدخل النار، فأبعده الله. قل: آمين، فقلت: آمين. قال: ومن ذُكرتَ عنده فلم يصلّ عليك فمات فدخل النار، فأبعده الله، قل: آمين، فقلت: آمين».

٣- أخرج الإمامان: البخارى ومسلم من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: «**إن الله تعالى حرَّم عليكم: عقوق الأمهات، ووأد البنات، ومنعاً وهات، وكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال**».

٤- أخرج البخارى ومسلم من حديث أبى بكرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاثاً**؛ قلنا: بلى يا رسول الله. قال: **الإشراك بالله، وعقوق الوالدين**، وكان متكئًا فجلس، فقال: **ألا وقول الزور، وشهادة الزور**، فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت».

٥- أخرج الحاكم فى «المستدرك» (٤/ ١٧٧) من حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**بابان معجلان عقوبتهما فى الدنيا: البغى والعقوق**». وقال الحاكم: صحيح الإسناد. ووافقه الذهبى. وأقرهما الألبانى فى «الصحيحة» ح (١١٢٠)، وقال: ولكن فاتهما أنه على شرط مسلم.

٦- أخرج أحمد ومسلم والنسائى من حديث علىّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لعن الله من لعن والديه، ولعن الله من ذبح لغير الله، ولعن الله من آوى مُحْدِثاً، ولعن الله من غيّر منار الأرض**».

٧- أخرج البخارى ومسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه. قيل:** يا رسول الله، وكيف يلعن الرجل والديه؟ **قال: يسب أبا الرجل، فيسب أباه، ويسب أمه فيسب أمه**».

٨- وفى رواية للبخاري ومسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**من الكبائر شتم الرجل والديه. قالوا: يا رسول الله، وهل يشتم الرجل والديه ؟ قال: نعم يسب أبا الرجل فيسب أباه، ويسب أمه فيسب أمه**».

إلى غير ذلك من الأحاديث الكثيرة الثابتة فى العقوق.

هذا ما وفقنا الله إليه وهو وحده من وراء القصد،،



(٨)

قصة ارتجاس إيوان كسرى (*)

نواصل فى هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم، حتى يقف على حقيقة ما اشتهر على ألسنة الوعاظ والقصاص من قصص تعلقت بمولد النبى ﷺ.

«لما كانت الليلة التى وُلد فيها رسول الله ﷺ ارتجس إيوان كسرى، وسقطت منه أربع عشرة شرفة، وخمدت نار فارس، ولم تخمد قبل ذلك بألف عام، وغاضت بحيرة ساوة، ورأى الموبذان إبلاً صعابًا، تقود خيلاً عرابًا، قد قطعت دجلة وانتشرت فى بلادها، فلما أصبح كسرى أفزعه ذلك، وتصبّر عليه تجشعًا، ثم رأى أن لا يدخر ذلك على وزرائه ومرازبته حين عِيل صبره، فجمعهم ، ولبس تاجه، وقعد على سريره، ثم بعث إليهم ، فلما اجتمعوا عنده، قال: فيم بعثت إليكم؟ قالوا: لا، إلا أن يخبرنا الملك بذلك، فبينا هم كذلك إذ أتاه كتاب بخمود نار فارس، فازداد غماً على غمّه، ثم أخبرهم بما هاله، فقال الموبذان: وأنا – أصلح الله الملك – قد رأيت فى هذه الليلة، ثم قصَّ عليه رؤياه فى الإبل. قال: أى شيء يكون هذا يا موبذان –وكان أعلمهم فى أنفسهم–؟ قال: حَدَثٌ يكون من ناحية العرب. فكتب كسرى عند ذلك: من ملك الملوك كسرى إلى النعمان بن المنذر. أما بعد: فوجّه إلىَّ برجل عالم بما أريد أن أسال عنه.

فوجّه إليه بعبد المسيح بن عمرو بن حيان بُقَيلَة الغسانى، فلما قدم عليه، قال: ألك علم بما أريد أن أسألك عنه؟ قال: يسألنى أو يخبرنى الملك، فإن كان عندى منه علم أخبرته، وإلا دللته على من يعلمه، قال: فأخبره بما رأى. قال: عِلْم ذلك عند

(*) مجلة التوحيد، العدد الثالث، السنة الثلاثون.

خالٍ لى يسكن مشارف الشام، يقال له: سطيح. قال: فاذهب إليه فاسأله، وأتنى بتأويل ما عنده، فنهض عبد المسيح حتى قدم على سطيح، وقد أشفى على الموت، فسلَّم عليه وحياه ، فلم يَحِر سطيح جوابًا، فأنشأ عبد المسيح يقول:

أصمّ أم يَسْمَعُ غطريف[1] اليمن ❁ يا فاصل الخطة أعيتْ مَنْ ومَنْ

أم فاز فازلم[2] به شأو[3] العنن[4] ❁ أتاك شيخ الحَيّ من آل سنن

قُلْتُ: والأبيات كثيرة استمر فيها عبد المسيح حتى نهايتها، وعند النهاية قال: ففتح سطيح عينيه، ثم قال: عبد المسيح، على جمل يسيح، إلى سطيح، وقد أوفى على الضريح، بعثك ملك بنى ساسان، لارتجاس الإيوان، وخمود النيران، ورؤيا المؤبذان. رأى إبلاً صعَابًا تقود خيلاً عِرَاباً، قد قطعت دجلة وانتشرت فى بلادها.

يا عبد المسيح، إذا كثرت التلاوة، وظهر صاحب الهرَاوة، وفاض وادي السمَاوة، وغاضت بحيرة ساوة، وخَمَدت نار فارس، فليس الشام لسطيح شاماً، يملك منهم ملوك وملكات، على عدد الشرفات، وكل ما هو آتٍ آتٍ، ثم قضى سطيح مكانه، فأتى عبد المسيح إلى كسرى، فأخبره بقول سَطيح، فقال: إلى أن يملك منا أربعة عشر ملكًا كانت أمور وأمور، فملك منهم عشرة فى أربعة سنين، والباقون إلى أن قتل عثمان بن عفان ﷺ».

التخريج

القصة أخرجها: ابن جرير الطبرى فى «التاريخ» (١/ ٤٥٩)، والبيهقى

---

(١) الغطريف: السيد.

(٢) ازلم: ذهب مسرعاً. كذا فى «لسان العرب» (١٢/ ٢٧٢).

(٣) الشأو: الغاية والأمد.

(٤) العنن: الاعتراض، يريد الموت وسياقه. «اللسان» (١٣/ ٢٩٠).

فى «دلائل النبوة» (١/ ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩) ، وأبو نعيم فى «دلائل النبوة» (ص ٩٦- ٩٩)، وابن عساكر كذا فى «الخصائص الكبرى» (١/ ٨٧) من طريق أبى أيوب يعلى ابن عمران البجلى، عن مخزوم بن هانئ المخزومى، عن أبيه فذكره.

التحقيق

قال ابن عساكر: حديث غريب، لا نعرفه إلا من حديث مخزوم عن أبيه، تفرد به أبو أيوب البجلى. قال السيوطى فى «الخصائص» (١/ ٨٨): (هكذا قال – أى ابن عساكر– فى ترجمة سطيح فى تاريخه). وقال الإمام الذهبى فى «السيرة النبوية» (١/ ٤٢): (هذا حديث منكر غريب).

قُلْتُ: فالقصة واهية، والسند مظلم، رجاله مجهولون. وهذه القصة الواهية التى يذكرها الوعاظ والقصاص قد اشتهرت، حتى صارت نظماً أصله باطل.

قال فيه البوصيرى فى «البردة» الفصل (٤):

يَوْم تَفَرَّس فيه الفُرْسُ أنهُم ❁ قد أُنْذِروا بحُلُولِ البُؤْسِ والنقَمِ

وبَاتَ إيوانُ كِسْرَى وهو مُنْصدع ❁ كشَمْلِ أصحاب كسرى غيرَ مُلْتَئِمِ

والنارُ خامدةُ الأنفاس من أسفٍ ❁ عَليهِ والنهرُ ساهي العين من سَدَمِ

وساءَ سَاوَةَ أن غاضَتْ بُحيرتُها ❁ ورُدَّ وارِدُها بالغَيظِ حينَ ظَمِي

❁ ❁ ❁ ❁

قصة آمنة (*)

ومن القصص الواهية التى اشتهرت على ألسنة الوعاظ والقصاص: «قالت آمنة: أتانى آتٍ حين مرَّ بى من حملى ستة أشهر فوكزني برجله فى المنام، وقال لى: يا آمنة، إنك قد حملت بخير العالمين طراً، فإذا ولدتيه فسميه محمداً، فكانت تحدث عن نفاسها وتقول: لقد أخذنى ما يأخذ النساء، ولم يعلم بى أحد من القوم، فسمعت وجبة شديدة وأمراً عظيماً، فهالنى ذلك، فرأيت كأن جناح طير أبيض قد مسح علي فؤادى، فذهب عنى كل رعب، وكل وجع كنت أجد، ثم التفت فإذا أنا بشربة بيضاء لبنًا، وكنت عطشى فتناولتها فشربتها فأضاء منى نور عالٍ، ثم رأيت نسوة كالنخل الطوال، كأنهن من بنات عبد مناف يحدقن بى، فبينا أنا أعجب وإذا بديباج أبيض قد مُدَّ بين السماء والأرض، وإذا بقائلٍ يقول: خذوه من أعين الناس، قالت: ورأيت رجالاً قد وقفوا فى الهواء، بأيديهم أباريق فضة، ورأيت قطعة من الطير قد أقبلت حتى غطت حجرى، مناقيرها من الزمرد، وأجنحتها من اليواقيت، فكشف الله عن بصرى، وأبصرت تلك الساعة مشارق الأرض ومغاربها، ورأيت ثلاثة أعلام مضروبات: علماً في المشرق، وعلماً فى المغرب، وعلماً على ظهر الكعبة، فأخذنى المخاض فولدت محمداً ﷺ، فلما خرج من بطنى نظرت إليه فإذا أنا به ساجداً قد رفع إصبعيه كالمتضرع المبتهل، ثم رأيت سحابة بيضاء قد أقبلت من السماء حتى غشيته، فغيب عن وجهى، وسمعت منادياً ينادى: طوفوا بمحمد شرق الأرض وغربها، وأدخلوه البحار؛ ليعرفوه باسمه ونعته وصورته... ».

التخريج والتحقيق

هذا الخبر أخرجه: أبو نعيم من حديث ابن عباس. كذا قال السيوطى فى

(*) مجلة التوحيد، العدد الثالث، السنة الثلاثون.

«الخصائص الكبرى» (١/ ٨١)، ثم قال: (هذا الأثر، والأثران قبله فيهما نكارة شديدة، ولم أورد فى كتابى هذا أشد نكارة منها، ولم تكن نفسى لتطيب بإيرادها لكنى تبعت الحافظ أبا نعيم فى ذلك).

قُلْتُ: وهذا الأثر هو أحد هذه الثلاثة التى قال بنكارتها الشديدة الإمامُ السيوطى، والذى به هذه القصة الواهية، وهى مما يقوله المنشدون والقصاص فى المولد النبوى، وهى الكذب البيّن الصريح بعينه، والعجائب المكذوبة المستنكرة بذاتها.

قصص منكرة واهية فى بدعة محدثة

قال الشيخ ابن باز -رحمه الله- فى رسالة «التحذير من البدع»: لا يجوز الاحتفال بمولد الرسول ﷺ ولا غيره؛ لأن ذلك من البدع المحدثة فى الدين؛ لأن الرسول ﷺ لم يفعله ولا خلفاؤه الراشدون ولا غيرهم من الصحابة -رضوان الله على الجميع- ولا التابعون لهم بإحسان فى القرون المفضلة، وهم أعلم الناس بالسنة، وأكمل حباً لرسول الله ﷺ ، ومتابعة لشرعه ممن بعدهم.

وقد ثبت عن النبى ﷺ أنه قال: « **من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**». أى: مردود عليه.

قُلْتُ: والحديث متفق عليه من حديث عائشة ؓ.

ثم قال الشيخ رحمه الله: ففى هذا الحديث تحذير شديد من إحداث البدع والعمل بها، وقد قال الله سبحانه فى كتابه المبين: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾ (الحشر:٧) ، وقال عز وجل: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (النور:٦٣)، وقال سبحانه: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ (الأحزاب:٢١). وقال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ

ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ (التوبة:١٠٠)، وقال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ﴾ (المائدة:٣).

وإحداث مثل هذه الموالد يفهم منه أن الله سبحانه لم يكمل الدين لهذه الأمة، وأن الرسول ﷺ لم يبلغ ما ينبغى للأمة أن تعمل به حتى جاء هؤلاء المتأخرون فأحدثوا فى شرع الله ما لم يأذن به، زاعمين أن ذلك مما يقربهم إلى الله، وهذا بلا شك فيه خطر عظيم واعتراض على الله سبحانه وعلى رسوله ﷺ، والله سبحانه قد أكمل لعباده الدين وأتم عليهم النعمة. اهـ.

قُلْتُ: بهذا يتبين للقارئ الكريم أن الاحتفال بمولد الرسول ﷺ من البدع المحدثة فى الدين، وهذه القصص التى اشتهرت على ألسنة القصاص والوعاظ قصص واهية، وأن أول من أحدث هذه البدعة هم بنو عبيد القداح الذين يُسمُّون أنفسهم بالفاطميين، ولقد كان دخولهم مصر سنة ٣٦٢هـ، وكان ذلك بداية حكمهم لها، وفى عهد هؤلاء العبيديين ظهرت بدعة الاحتفال بالموالد عموماً، ومولد النبى ﷺ خصوصاً، ولم يسبقهم أحد إلى ذلك، يظهر ذلك من قول المقريزى فى (الخطط) (١/ ٤٩٠): وكان للخلفاء الفاطميين طول السنة أعياد ومواسم، هي: (موسم رأس السنة، وموسم عاشوراء، ومولد النبى ﷺ، ومولد علىّ بن أبى طالب، ومولد الحسن، ومولد الحسين، ومولد فاطمة الزهراء، ومولد الخليفة الحاضر، وليلة أول رجب، وليلة أول شعبان، وليلة نصفه، وموسم ليلة رمضان، وغرة رمضان، وليلة الختم، وكسوة الشتاء، وكسوة الصيف، ويوم النوروز، ويوم الغطاس، ويوم الميلاد...).

قُلْتُ: ولما أحدثت بدعة الاحتفال بالمولد النبوى فى عهد العبيديين، وفشت وانتشرت بين الناس، حاول البعض تبريرها بالبحث عن شبهة يمكن أن يستشهد بها على جواز بدعة المولد إرضاءً للمبتدعين.

شبهة حول حديث صحيح

«من سنَّ في الإسلام سنة حسنة فله أجرها، وأجر من عمل بها بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سنَّ في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها، ووزر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء».

هذا الحديث صحيح، أخرجه مسلم (ح ١٠١٧)، والنسائي (٣/ ١٨٣)، والبيهقي في «السنن» (٩/ ١٣)، وأحمد (٤/ ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٦).

اتخذ المبتدعون من هذا الحديث حجة فى تحسين البدع، فزعم أصحاب البدع أن هناك بدعة حسنة، وهذا زعم باطل؛ لأنهم نظروا إلى قول النبي ﷺ : «**من سن فى الإسلام سنة حسنة فله أجرها، وأجر من عمل بها بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيء....** » الحديث، ففصلوا الحديث عن مناسبته، فإن من نظر إلى هذا الحديث دون النظر إلى مناسبته الواضحة وضوح الشمس فى ضحاها فى متن الحديث، فمثله كمثل من قرأ الآيةٌ ﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ﴾ (الماعون:٤)، ووقف عند نهايتها، فكيف يكون للمصلين الويل؛ والله سبحانه هو الذى أمر بإقامة الصلاة؟! ولذلك نجد علامة (لا) فى المصحف فوق كلمة ﴿لِّلۡمُصَلِّينَ﴾ ، فهى توضع على رءوس الآي التى يمتنع إنهاء القراءة عندها؛ لشدة ارتباطها بما بعدها، نحو قوله تعالى: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ﴾ (الماعون:٤، ٥).

من هذه الأمثلة وغيرها فى الكتاب والسنة نشأت فكرة «السياق والسباق فى أصول الفقه».

مناسبة الحديث: للدفاع عن السنة المطهرة من شبهات المبتدعين: أخرج مسلم فى «صحيحه» (ح ١٠١٧) كتاب الزكاة (ح ٦٩)، حيث قال: حدثنى محمد بن المثني

العَنزى، أخبرنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن عون بن أبى جحيفة، عن المنذر ابن جرير، عن أبيه قال: كنا عند رسول الله ﷺ فى صدر النهار، قال: فجاءه قوم حفاة عراة مجتابى النمار أو العباء، متقلدى السيوف، عامتهم من مُضَر، بل كلهم من مضر، فتمعر وجه رسول الله ﷺ لما رأى بهم من الفاقة، فدخل ثم خرج، فأمر بلالاً فأذن وأقام، فصلى ثم خطب، فقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ الآية، والآية التى فى الحشر: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ﴾ ، **تصدق رجل: من ديناره، من درهمه، من صاع بره، من صاع تمره. حتى قال: ولو بشق تمرة»**، قال: فجاء رجل من الأنصار بصُرّة كادت كفه تعجز عنها، بل عجزت، قال: ثم تتابع الناس حتى رأيت كومَيْن من طعام وثياب، حتى رأيت وجه رسول الله ﷺ يتهلل كأنه مُذْهَبَة، فقال رسول الله ﷺ : **«من سنَّ فى الإسلام سنة حسنة ... »** الحديث.

فسياق الحديث ومناسبته رد على المبتدعين، ودحض لتفسيرهم الذى شاع عندهم: (من ابتدع فى الإسلام بدعة حسنة)، فخصصوا عموم اللفظ فى قوله ﷺ : **«وكل بدعة ضلالة»** التى جاءت فى حديث أخرجه مسلم فى كتاب الجمعة، ويدل على فساد تفسيرهم للحديث أن كل ما فعله الأنصارى إنما هو ابتداؤه الصدقة فى تلك الحادثة، والصدقة مشروعة من قبل بالنص، فالصحابى هنا لم يأت ببدعة حسنة.

استنتاج المفهوم الصحيح للسنة الحسنة ومَنْ سنها:

نستنتج أن السنة الحسنة هى إحياء أمر مشروع، ولم يُعْهَد العمل به بين الناس لتركهم السنن، ففى عصرنا الحاضر لو أن إنسانًا أحيا سنة مهجورة، يقال: أتى بسنة حسنة، ولا يقال أتى ببدعة حسنة.

قاعدة: السنة الحسنة: هى ما كان أصله مشروعًا بنص صحيح، وترك الناس العمل به، ثم جاء من يجدده بين الناس؛ مثل إحياء سنة صلاة العيدين فى المصلى وغيرها من السنن التى غابت عن الناس.

قُلْتُ: بهذا يتبين أنه لا يوجد ما يسمى بالبدعة الحسنة ليبرروا بدعة المولد؛ لذا قال الإمام ابن تيمية في «اقتضاء الصراط المستقيم» (٢/ ٥٨٢- ٥٨٨): (ولا يحل لأحد أن يقابل هذه الكلمة الجامعة من رسول الله ﷺ ، وهي قوله: «**كل بدعة ضلالة**» بسَلْب عمومها، وهو أن يقال: ليست كل بدعة ضلالة، فإن هذا إلى مشاقّة الرسول ﷺ أقرب منه إلى التأويل).

وبهذا يتبين للقارئ الكريم بدعة الاحتفال بالمولد النبوي، وما جاء فيه من قصص واهية.

هذا ما وفقني الله إليه، وهو وحده من وراء القصد

❁ ❁ ❁ ❁

(١٠)

قصة دعـاء

نواصل فى هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم؛ حتى يقف على حقيقة هذه القصة التى اشتهرت على ألسنة الخطباء والوعاظ.

أولاً: السبب الذى دفعنى لتحقيق هذه القصة « قصة طلب النبى ﷺ الدعاء من عمر ﷺ»، وهو سبب ليس بالهين؛ لأنه دليل اشتهار وانتشار، فلقد استمعت آذان الألوف إلى هذه القصة، حيث قدمتها إذاعة «القرآن الكريم» (حفظها الله) فى تمام الساعة الثانية والنصف من بعد ظهر يوم الاثنين ٢٧ صفر ١٤٢٢هـ - ٢١ مايو ٢٠٠١م فى برنامج «قصة فى حديث»، ونحن فى بحثنا عن حقيقة هذه القصة لا نتناول اسم الدكتور الذى قام بشرحها ولا رسمه، ولكن نتناول القصة من حيث أصول علم الحديث لنبين عدم صحة هذه القصة التى قُرئت فى البرنامج على أنها من الأدلة التفصيلية التى توصل بها الشارح إلى أحكام شرعية وأصول عقائدية وفوائد تربوية.

ثانيًا- «**متـن القصة**»: عن عمر ﷺ قال: استأذنت النبى ﷺ فى العمرة، فأذن لى، وقال: «لا تَنْسَنا يا أخى من دعائك». فقال كلمةً ما يَسُرّنى أن لى بها الدنيا، قال شعبة: ثم لقيت عاصماً بعدُ بالمدينة فحدثنيه، وقال: «أشركنا يا أخى فى دعائك».

قلت: وفي رواية أحمد (١/ ٢٩/ ١٩٥): فقال عمر: «ما أحب أن لي بها ما طلعت عليه الشمس لقوله يا أخي».

قلت: هذه القصة ليست صحيحة. ونذكّر القارئ الكريم بأننا عندما نقدم البرهان على عدم صحة هذه القصة نحقق أهداف هذه السلسلة من خلال هذا البرهان، ونذكّر بهذه الأهداف حتى تُعْلَمَ حدود هذه السلسلة، وهي:

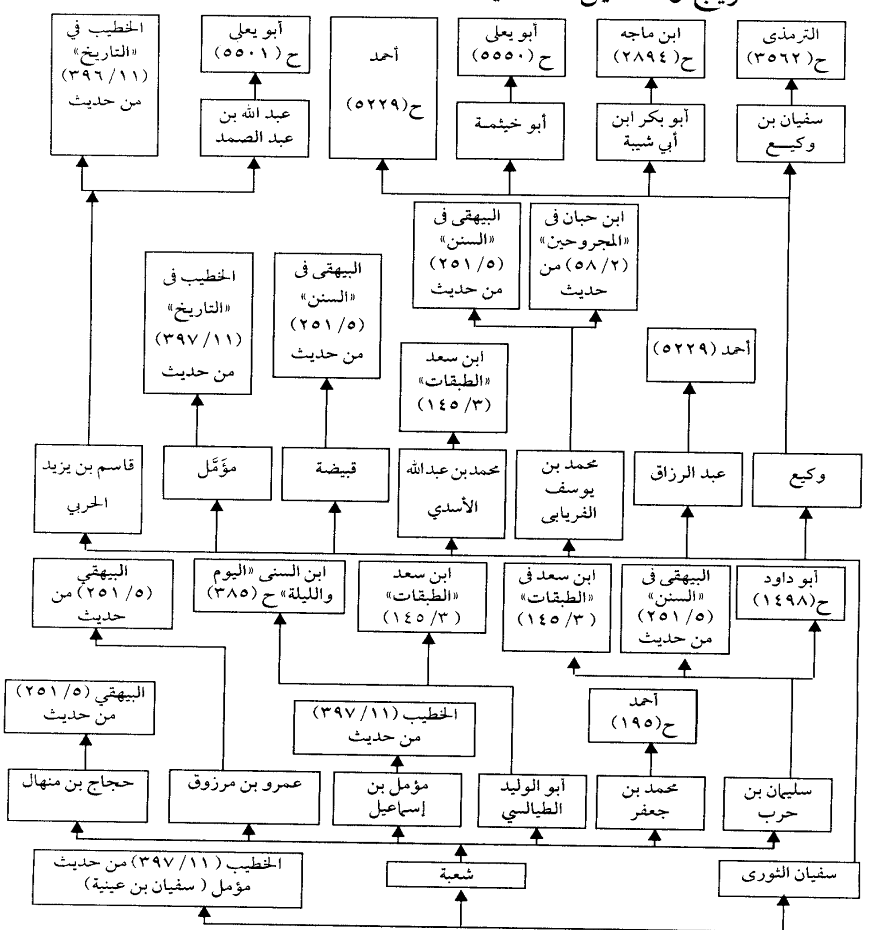
١ - أن يقف القارئ الكريم على درجة القصة، وحسبه هذا القدر.

٢ - والداعية: يكون على حذر، ويَسْلَم له عمله على السنة وحدها، ويعرف مواضع هذه القصة فى الكتب التي أخرجتها، والكتب التي أوردتها، فلا يغتر بوجودها.

٣- وطالب هذا الفن: يجد نماذج من علم الحديث التطبيقي.

وهذا هو التخريج والتحقيق الذي سنحقق به - إن شاء الله - هذه الأهداف:

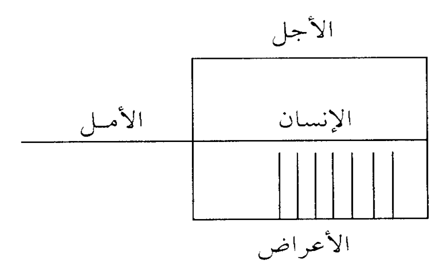
ثالثاً- التخريج والتحليل للأسانيد:



التحليل البيانـي لطرق القصة

رابعًا- فوائد التخريج بطريقة التحليل البيانى:

١- إن من أحدث الطرق العلمية لدراسة علم الحديث التطبيقى هى طريقة التحليل البيانى للسند، ولنا الأسوة فى رسول الله ﷺ، حيث أخرج البخارى ح (٦٤١٧)، والترمذي ح (٢٤٥٤)، وابن ماجه ح (٤٢٣١): من حديث عبد الله ابن مسعود قال: «خطَّ النبى ﷺ خطاً مُرَبَّعاً، وخطًّا وسط الخط المربع، وخطوطاً إلى جانب الخط الذي وسط الخط المربع، وخطًّا خارجًا من الخط المربع، فقال: «أتدرون ما هذا؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «**هذا الإنسان الخط الأوسط، وهذه الخطوط إلى جنبه الأعراض تنهشه من كل مكان، فإن أخطأه هذا أصابه هذا، والخط المربع الأجل المحيط، والخط الخارج الأمل**».



٢- **ملحوظة**: انظر هذا الرسم البيانى للإمام النووى فى «رياض الصالحين» ص(٢٧٣)، والرسول ﷺ بهذا الرسم البيانى يُلْفِت الأمة إلى استخدام الوسائل التعليمية، وبما أن الحديث يتكون من سند ومتن، فهذا التحليل البيانى للمتن دليل على التحليل البيانى للسند؛ لتقريب الأسانيد عند دراسة علم الحديث التطبيقى.

٣- الرسول ﷺ جاء بأحدث الوسائل التعليمية فى الوقت الذى كانت أوروبا فى الظلمات. وفى هذا الحديث تجد من الوسائل التى جاء بها النبى ﷺ :

أ – الرسم البيانى. ب – طريقة السؤال.

٤ - لقد أوردتُ هذا الأصل؛ لئلا يتقول علينا متقول؛ لعدم درايته بهذه الأصول التى سنستخدمها كثيرًا -إن شاء الله- فى دراستنا التحليلية للأسانيد.

٥- من القواعد الحديثية: السند يكون واحداً ومتونه متعددة، فكل متن يُسمَّى حديثًا، والمتن يكون واحداً وأسانيده متعددة فكل سند يُسمَّى حديثًا كما فى هذه القصة.

٥ - تطبيق هذه القاعدة على هذه القصة:

قال الخطيب البغدادى فى «تاريخ بغداد» (١١/ ٣٩٦):

«ورواه قاسم بن يزيد الحربى عن سفيان الثورى عن عاصم بن عبيد الله، وكذلك رواه مؤمَّل بن إسماعيل عن شعبة، وسفيان الثورى عن عاصم.

أ- أما حديث قاسم: فأخبرناه يوسف بن رباح البصرى، أخبرنا أحمد بن محمد بن إسماعيل المهندس -بمصر-، حدثنا أبو بشر محمد بن أحمد الدولابى، حدثنا أحمد بن حرب، حدثنا قاسم بن يزيد، حدثنا سفيان، عن عاصم بن عبيد الله به ...».

ب- وأما حديث مؤمَّل: فأخبرناه القاضى أبو بكر أحمد بن الحسن الحرشى، حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم حدثنا حميد بن عياش الرملى، حدثنا مؤمَّل، أخبرنا شعبة وسفيان الثورى وسفيان بن عيينة، عن عاصم بن عبيد الله به .... ». اهـ.

جـ- **قلت:** انظر إلى قول الخطيب: «أما حديث قاسم» ثم انظر إلى التحليل البيانى تجد أن قاسم فى روايته عن سفيان الثورى تابعه ستة هم: (وكيع، وعبد الرزاق، ومحمد بن يوسف، والفريابي، وقبيصة، ومؤمل).

إذن يطلق على هؤلاء الستة: (حديث وكيع وحديث عبد الرزاق، ...).

د- وانظر أيضًا إلى قول الخطيب: «وأما حديث مؤمل»، ثم انظر إلى التحليل البيانى لطرق القصة تجد أن مُؤمَّل فى روايته عن شعبة تابعه خمسة هم: «سليمان بن حرب، ومحمد بن جعفر، وأبو الوليد الطيالسي، وعمرو بن مرزوق، وحجاج بن

منهال» إذن يطلق على هؤلاء الخمسة: (حديث سليمان بن حرب، وحديث محمد ابن جعفر، ...).

٦- فـائـدة:

قال محدِّث وادى النيل الشيخ أحمد شاكر - رحمه الله - فى «شرح ألفية السيوطى» (ص١٢): (قال البخارى: «أحفظ مائة ألف حديث صحيح، ومائتى ألف حديث غير صحيح»، وهو يريد بهذا العدد اختلاف طرق الحديث باختلاف رواته... فإن الحديث الواحد قد يرويه عن الصحابى عدد من التابعين، ثم يرويه عن كل واحد منهم عدد من أتباع التابعين ثم يرويه عن كل واحد منهم عدد من الآخذين عن أتباع التابعين، وهكذا، فيكون الحديث الواحد أحاديث كثيرة متعددة بهذا الاعتبار).اهـ.

قلت: وبتطبيق هذه القاعدة على القصة تكون لهذه القصة أحاديث كثيرة متعددة.

٧- ومن التحليل البيانى للقصة تتبيَّن المتابعات التامَّة والقاصرة، فالمتابعة إن حصلت للراوى نفسه فهى التامة، وإن حصلت لشيخه فما فوقه فهى القاصرة، وهى مهمة جداً لطالب هذا الفن، ولمَّا كان من فوائد هذه السلسة إعطاء نماذج من علم الحديث التطبيقى، فبتطبيق هذا المصطلح على التحليل البيانى لأسانيد القصة يتبين الآتى:

أ - هناك متابعة تامة لسفيان الثورى فى روايته عن عاصم، عند أبى داود والبيهقى وابن سعد وابن السنى من رواية شعبة عن عاصم.

ب- والعكس يوجد متابعة تامة لشعبة فى روايته عن عاصم، عند الترمذى وابن ماجه وأبى يعلى وأحمد والخطيب والبيهقى وابن حبان من رواية سفيان الثورى عن عاصم.

جـ- توجد متابعة تامة أخرى لسفيان الثورى فى روايته عن عاصم عند الخطيب، من رواية سفيان بن عيينة عن عاصم.

د- توجد متابعات تامة لوكيع فى روايته عن سفيان الثورى عند أحمد، من رواية عبد الرزاق عن سفيان، وعند ابن سعد من رواية محمد بن عبد الله الأسدى عن

سفيان، وعند ابن حبّان والبيهقى من رواية الفريابى عن سفيان، وعند البيهقى أيضًا من رواية قبيصة عن سفيان، وعند الخطيب من رواية مؤمل عن سفيان، وعند أبى يعلى والخطيب من رواية قاسم بن يزيد عن سفيان.

الاستنتاج: المتابعة التامة هى التى تحصل للراوى نفسه (وكيع) بأن يروى حديثه راوٍ آخر عن شيخه (سفيان).

هـ- توجد متابعة قاصرة لـ (وكيع)، وهى التى تحصل لشيخه (سفيان)، فقد روى شعبة القصة عن عاصم، كما هو مبين فى (أ)، وعاصم هو شيخ سفيان، وسفيان شيخ وكيع، فعاصم هو شيخ شيخه.

الاستنتاج: «المتابعة القاصرة هى التى تحصل لشيخ الراوى، بأن يروى الراوى الآخر الحديث عن شيخ شيخه، وكذا التى تحصل لمن فوق شيخ الراوى».

و- لا نجد لعاصم بن عبيد الله متابعة تامة، ولا متابعة قاصرة، ولا يغتر طالب هذا الفن بوجود متابعات كثيرة فى القصة - بيَّنا بعضها - فقد اغتر بمثل هذه المتابعات كثير وصححوا أحاديث واهية، حيث إنه بالتحليل البيانى لطرق القصة يتبين أنه لم تحصل لعاصم بن عبيد الله نفسه متابعة، ولم تحصل لشيخه، ولا لمن فوقه.

ز- ولكن المتابعة حصلت لتلاميذ عاصم، فما دونهم، وهذه المتابعات لا تؤثر بالنسبة لعاصم، وهذه النتيجة هامة جدًا بالنسبة لتحقيق القصة، كما سيرى -إن شاء الله- طالب هذا الفن.

٨- من التحليل البيانى للقصة يتبين أن لهذه القصة شهرة نسبية:

أ- القصة مشهورة عن عاصم، رواها عنه سفيان الثورى وشعبة وسفيان بن عينية.

ب- والقصة مشهورة عن سفيان، رواها عنه: وكيع، وعبد الرزاق ومحمد بن عبد الله الأسدى والفريابى، وقبيصة، ومؤمل، وقاسم بن يزيد.

انظر إلى المتابعات التامة لـ (وكيع) فى روايته عن سفيان الثورى.

وانظر إلى الشهرة عن سفيان، ولاحظ الارتباط بين المتابعة والشهرة، وهذا مهم جدًا في دراسة هذا الفن من علم الحديث التطبيقى.

جـ- والقصة مشهورة عن شعبة، رواها عنه: سليمان بن حرب، ومحمد بن جعفر، وهاشم أبو الوليد الطيالسي، ومؤمل بن إسماعيل، وعمرو بن مرزوق، وحجاج بن منهال.

د- والقصة مشهورة عن وكيع، رواها عنه: سفيان بن وكيع، وأبو بكر ابن أبي شيبة، وأبو خيثمة، وأحمد.

هـ- والقصة مشهورة عن سليمان بن حرب، رواها عنه: أبو داود، وابن سعد، وإبراهيم بن عبد الله في رواية البيهقي.

استنتاج: الشهرة النسبية تحصل في أثناء السند بالنسبة إلى شخص معين.

٩- من التحليل البيانى للقصة يتبين أيضًا:

أ- أن القصة غريبة عن سالم، تفرد بها عنه عاصم بن عبيد الله.

ب- والقصة غريبة عن ابن عمر تفرد بها عنه سالم.

جـ- والقصة غريبة عن عمر ﷺ تفرد بها عنه ابنه عبد الله ﷺ.

د- فحديث القصة فرد، أي فرد مطلق رغم وجود الشهرة النسبية.

استنتاج: الفرد المطلق: هو الحديث الذى لا يُعْرَف إلا من طريق ذلك الصحابى ولو تعددت الطرق إليه» قاله السخاوى فى «فتح المغيث» (٤/ ٤).

١٠- التحقيق:

من هذا التحليل البيانى ودراسة المتابعات تبين تفرد عاصم بن عبيد الله بالقصة، وهو عاصم بن عبيد الله بن عاصم بن عمر بن الخطاب.

أ – لقد أورده ابن أبى حاتم فى «الجرح والتعديل» (٦/ ٣٤٧) وقال: «سألت أبى عن عاصم بن عبيد الله؟ فقال: منكر الحديث، مضطرب الحديث».اهـ.

ب– قال الإمام البخارى فى «الضعفاء الصغير» رقم (٢٨١): «عاصم بن عبيد الله العُمَرى: منكر الحديث». اهـ.

جـ– قال السيوطى فى «تدريب الراوى» (١/ ٣٤٩): «البخارى يطلق (فيه نظر، وسكتوا عنه): فيمن تركوا حديثه، ويطلق (منكر الحديث): على من لا تحل الرواية عنه».اهـ.

د– أورده الذهبى فى «الميزان» (٢/ ٣٥٣/ ٤٠٥٦): ناقلاً أقوال علماء الجرح والتعديل فيه: قال أبو زُرعة وأبو حاتم: منكر الحديث، وقال الدارقطني يترك وهو مغفل».اهـ.

هـ – قال ابن حبان فى «المجروحين» (٢/ ١٢٧):

«كل سيئ الحفظ، كثير الوَهْم، فاحش الخطأ، فتُرك من أجل كثرة خطئه».

قلت: وهى قاعدة هامة:

قال الحافظ العراقى فى «فتح المغيث» (ص ٧):

«من كثر الخطأ فى حديثه وفحش استحق الترك، وإن كان عدلاً».

قلت: فلا يتوهم طالب هذا الفن أن الترك مرتبط بالعدالة فقط، فيظن أن المتروك هو المتهم بالكذب فقط، وحسبك أن عدم الدراية بهذه القاعدة جعل البعض يُحسِّن حديث أسماء فى كشف الوجه والكفين، والحديث فى مرتبة الترك لا يصلح للمتابعات والشواهد.

وبهذا التحقيق يتبين أن القصة واهية والحديث متروك.

سند آخر تالف

و- قال ابن سعد فى «الطبقات» (٣/ ١٤٥): أخبرنا سعيد بن محمد الثقفى، عن المغيرة بن زياد الموصلى، عن الوليد بن أبى هشام، قال: استأذن عمر بن الخطاب النبى ﷺ فى العمرة وذكر القصة.

قلت: هذا سند واهٍ جداً، جمع بين طعن وسقط، أمَّا السقط فالوليد كما فى «التقريب» (٢/ ٣٣٧) من السادسة، وهى طبقة لم يثبت لهم لقاء أحد من الصحابة. وأما الطعن:

أ- فالمغيرة بن زياد الموصلى، قال أحمد: مضطرب الحديث، منكر الحديث، أحاديثه مناكير. كذا فى «تهذيب الكمال» (١٨/ ٣٠٠/ ٦٧٢٠).

ب- سعيد بن محمد الثقفى الوراق أبو الحسن؛ قال النسائى فى «الضعفاء والمتروكين» (٢٧٣): ليس بثقة، وأخرج البخارى فى «التاريخ الكبير» (٣/ ٥١٥/ ١٧١٤) عن ابن معين قال: ليس بشيء. وفى «الميزان» (٢/ ١٥٦/ ٣٢٦٣): قال الدارقطني: «متروك».

ز- تنبيه:

اغتر البعض بقول الترمذى: «حسن صحيح»، فصحح القصة فالترمذي -رحمه الله- متساهل فى التحسين والتصحيح؛ لذلك قال الحافظ ابن كثير فى «الباعث الحثيث» (ص ٢٥): (وكان الحاكم أبو عبد الله والخطيب البغدادى يسميان كتاب الترمذى «الجامع الصحيح»).

وهذا تساهل منهما، فإن فيه أحاديث كثيرة منكرة.

❋ ❋ ❋ ❋

(١٠)

قصة الوفاء بالنذر (*)

نواصل فى هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم، حتى يقف على حقيقة هذه القصة التى اشتهرت على ألسنة الخطباء والوعاظ:

«مرض الحسن والحسين رضي الله عنهما، فعادهما رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما، وما كاد يستقر بهما المقام حتى وضع رسول الله ﷺ الحسن على إحدى فخذيه والحسين على الفخذ الأخرى، وأخذ يقبلهما ويدعو لهما بالشفاء، والطفلان فى بهجة مبهجة بحنان جدهما ورقته، ولم يلبث الجالسون إلا قليلاً، حتى قال عمر بن الخطاب للإمام عليّ: يا أبا الحسن، انذر إن عافى الله -عز وجل- ولديك أن تُحْدِث لله شكراً، فقال عليّ: إن عافى الله ولديَّ صمت لله ثلاثة أيام شكراً، وقالت فاطمة: وأنا أصوم ثلاثة أيام شكراً لله، وقالت الجارية واسمها فضة: وأنا أصوم ثلاثة أيام، فأصبحوا قد مسح الله ما بالغلامين فهم صيام، فليس عندهم قليل ولا كثير.

فانطلق عليّ إلى رجل من اليهود، فقال له: أسلفني ثلاثة آصع من شعير، وأعطني جزة صوف تغزلها لك بنت محمد ﷺ، فأعطاه فاحتمله عليٌّ تحت ثوبه، ودخل على فاطمة رضي الله عنها، وقال: دونك فاغزلى هذا.

وقامت الجارية إلى صاع من الشعير، فطحنته وعجنته، فخبزت منه خمسة أقراص.

وصلى عليٌّ رضي الله عنه المغرب مع النبى ﷺ، ورجع فوضع الطعام بين يديه وقعدوا ليفطروا، فإذا بمسكين بالباب يقول: يا أهل بيت محمد؛ مسكين من مساكين المسلمين على بابكم، أطعمونى أطعمكم الله على موائد الجنة. فقام الإمام عليّ وأعطاه الأرغفة الخمسة، واكتفى هو وأسرته بتناول الماء.

وحدث فى اليوم الثانى نفس ما حدث فى اليوم الأول، وقامت فاطمة رضي الله عنها إلى

(*) مجلة التوحيد، العدد الخامس، السنة الثلاثون.

صاع فطحنته وعجنته، فخبزته خمسة أرغفة، وصلى عليّ ﷺ مع النبى ﷺ ، ثم أتى المنزل فوُضع الطعام بين أيديهم، فوقف بالباب يتيم، فقال: السلام عليكم يا أهل بيت محمد يتيم من أولاد المهاجرين، استشهد والدى، أطعمونى أطعمكم الله على موائد الجنة. فأعطوه الأرغفة الخمسة، ومكثوا يومين وليلتين لم يذوقوا شيئًا إلا الماء القراح، فلما كان فى اليوم الثالث قامت إلى الصاع الباقى فطحنته وعجنته وخبزته وصلى عليّ ﷺ مع النبى ﷺ، ثم أتى المنزل فوُضع الطعام بين يديه؛ إذ أتاهم أسير فوقف بالباب، فقال: السلام عليكم يا أهل بيت محمد؛ أسير أطعمونى، فأعطاه الطعام ومكثوا ثلاثة أيام بلياليهن لم يذوقوا شيئًا إلا الماء القراح.

فلما كان اليوم الرابع وقد مضى لله بالنذر أخذ عليٌ ﷺ بيده اليمنى الحسن وبيده اليسرى الحسين، وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع، فلما بصر بهم رسول الله ﷺ قال: يا أبا الحسن، ما أشد ما يسوءنى ما أرى بكم، انطلق بنا إلى ابنتى فاطمة، فانطلقوا إليها وهى فى محرابها، وقد لصق بطنها بظهرها وغارت عيناها من شدة الجوع، فلما رآها رسول الله ﷺ وعرف المجاعة فى وجهها بكى، وقال: واغوثاه، يا الله؛ أهل بيت محمد يموتون جوعًا.

فهبط جبريل وقال: السلام يقرئك السلام يا محمد، ويقول خذ هنيئًا فى أهل بيتك، قال: وما آخذ يا جبريل؟ فأقرأه قوله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ۝ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۝ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ۝ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ۝ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ۝ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ۝ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ۝ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ۝ قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ۝ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ۝ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ۝ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ

مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾ (الإنسان: ٧-٢٢).

قلت: وإلى القارئ الكريم التخريج والتحقيق، راجيًا من الله تعالى أن يجد القراء الكرام نموذجًا صالحًا للنقد العلمي النزيه القائم على البحث والالتزام بالقواعد العلمية الصحيحة، لأنها من القصص التي يرددها القصاص والوعاظ على المنابر.

١ - فهذه القصة الواهية: أخرجها ابن الجوزى فى «الموضوعات» (١/ ٣٩٠)، حيث قال: أنبأنا محمد بن ناصر، قال: أنبأنا أبو عبد الله محمد بن أبى نصر الحميدى، قال: أنبأنا أبو عليّ الحسن بن عبد الرحمن البيع، قال: أنبأنا أبو القاسم عبيد الله بن محمد السقطى، قال: أنبأنا عثمان بن أحمد الدقاق، أنبأنا عبد الله بن ثابت، حدثنا أبى، عن الهذيل بن حبيب، عن أبى عبد الله السمرقندى، عن محمد بن كثير الكوفى، عن الأصبغ بن نُباتة قال: فذكره.

٢ - قال ابن الجوزي فى «الموضوعات» (١/ ٣٩٢): هذا حديث لا يُشَك فى وضعه.

٣ - **قلت**: وهذا الحكم من ابن الجوزى بوضعه لم يُخالفَ فيه، يتبين ذلك من القاعدة الهامة التى أوردها ابن عراق فى «تنزيه الشريعة».

القاعـدة:

قال ابن عراق فى مقدمة «تنزيه الشريعة» (١/ ٣، ٤): «وجعلت كل ترجمة غير كتاب المناقب فى ثلاثة فصول:

الأول: فيما حكم ابن الجوزي بوضعه ولم يُخالَف فيه.

الثاني: فيما حكم بوضعه وتعقب فيه.

الثالث: فيما زاده السيوطي على ابن الجوزى.

أما كتاب المناقب ففيه أبواب، وفى كل باب منها الفصول المذكورة».اهـ.

٤- **قلت**: وبتطبيق هذه القاعدة على هذه القصة يتبين الآتي:

أ- القصة تقع فى «تنزيه الشريعة» (١/ ٣٦٢، ٣٦٣).

ب- القصة فى «كتاب المناقب».

جـ- باب مناقب الخلفاء الراشدين.

د- الفصل الأول حديث رقم (٦٧).

الاستنتاج: بما أن القصة تقع فى الفصل الأول، إذن فهى مما حكم ابن الجوزى بوضعه، ولم يُخالَف فيه.

٥- وقد يغيب عن بعض القراء معنى: «حديث موضوع».

الحديث الموضوع: هو الكذب المختلق المصنوع.

ورتبته: هو شر الضعيف وأقبحه. وحكم روايته: تَحْرُم روايته مع العلم بوضعه، سواء الأحكام والقصص والترغيب وغيرها، إلا مع بيان وضعه كذكرنا هذه القصة فى هذه السلسلة -سلسلة «تحذير الداعية من القصص الواهية»- وتحذير الناس منها.

كما فى «التهذيب» (١/ ٢٧٤).

٦- ونبين للقارئ الكريم أسباب الحكم على هذه القصة بالوضع:

أولاً: أصبغ بن نباتة الحنظلى المجاشعى الكوفى: قال أبو بكر ابن عياش: كذاب، ذكره الذهبى فى «الميزان» (١/ ٢٧١).

وقال ابن حبان فى «المجروحين» (١/ ١٧٤): هو ممن فُتن بحب علىّ بن أبى طالب، أتى بالطامات فى الروايات، فاستحق من أجلها الترك.

وقال الدارقطني فى «الضعفاء والمتروكين» ترجمة (١١٨): «أصبغ بن نباتة كوفى منكر الحديث»، وقال يحيى بن معين: «الأصبغ بن نباتة ليس حديثه بشيء». رواه ابن عدى فى «الكامل» (١/ ٤٠٧)، وقال: «بيّن الضعف».

وقال أبو بكر ابن عياش: الأصبغ بن نباتة وهيثم هؤلاء كلهم كذابون. رواه العقيلى فى «الضعفاء الكبير» (١/ ١٣٠/ ١٦٠)، وقال العقيلى: كان يقول بالرجعة. وقال الساجى: منكر الحديث. ذكره ابن حجر فى «التهذيب» (١/ ٣١٧)، وقال النسائى فى «الضعفاء والمتروكين» رقم (٦٤): متروك الحديث.

قلت: وهذا المصطلح عند النسائى له معناه، حيث يقول: لا يترك الرجل عندى حتى يجتمع الجميع على تركه. كذا فى شرح «النخبة» (ص ٦٩).

ملحوظة هامة جداً: قد يظن البعض أننى أسهب فى بيان مرتبة رواة القصة، ولا يدرى أننى أمام قصة قد اشتهرت على ألسنة القصاص والوعاظ، بل قد نشرتها جريدة «اللواء الإسلامى» فى عددها (٥٠٣) تحت عنوان: «مع أهل الله، قصة الوفاء بالنذر»، وقال كاتب هذه القصة: إنها قصة رواها ثقات أفاضل ومؤرخون على أعلى درجة من صدق الكلمة وثبوت الرواية. اهـ.

قلت: ونحن كما عوَّدنا القارئ الكريم أننا نقدم بحوثًا علمية حديثية، بها يتبيَّن حقيقة رواة هذه القصة، وقد تبين للقارئ حقيقة أصبغ بن نباتة.

ثانيًا: محمد بن كثير القرشى الكوفى أبو إسحاق: قال البخارى فى «التاريخ» (١/ ١/ ٢١٧): محمد بن كثير الكوفى منكر الحديث. وقال ابن عدي فى «الكامل» (٦/ ٢٥٣ - ١١٠/ ١٧٣١): منكر الحديث. وقال ابن المدينى: كتبنا عنه عجائب وخططت على حديثه. ذكره الذهبى فى «الميزان» (٤/ ١٧).

وقال الساجى: متروك الحديث. ذكره ابن حجر فى «اللسان» (٥/ ٣٩٨)، وقال ابن حبان فى «المجروحين» (٢/ ٢٨٧): كان ممن ينفرد عن الثقات بالأشياء المقلوبات التى إذا سمعها مَنْ الحديثُ صناعته علم أنها معمولة أو مقلوبة، لا يحتج به بحال.

وقال أحمد بن حنبل: حرقنا حديثه ولم نرضه. رواه ابن أبى حاتم فى «الجرح والتعديل» (٤/ ١/ ٦٨)، والعقيلى فى «الضعفاء الكبير» (٤/ ١٢٩)، وأورده الذهبى فى «الميزان» (٤/ ١٧)، وابن حجر فى «اللسان» (٥/ ٣٩٧).

ثالثًا- أبو عبد الله السمرقندى: قال فيه ابن الجوزى فى «الموضوعات» (١/ ٣٩٢): أبو عبد الله السمرقندى، فلا يوثق به.

رابعًا: الحديث مرسل، أرسله كذاب كما فى « تنزيه الشريعة» (١/ ٣٦٢)، حيث أورد ابن عراق القصة، وقال: حديث الأصبغ بن نباتة مرسلاً.

قلت: وسبب حكم ابن عراق على الحديث بالإرسال:

أ- المرسل: هو ما سقط من آخره مَنْ بعد التابعى. انظر «شرح النخبة» (ص ٣٧).

ب- قال الحافظ ابن حجر فى «التقريب» (١/ ٨١): أصبغ بن نباتة التميمى الحنظلى، الكوفى، يكنى أبا القاسم، متروك، رمى بالرفض، من الثالثة. اهـ.

جـ- وبما أن الثالثة: هى الطبقة الوسطى من التابعين، كما فى مقدمة «التقريب» (١/ ٥)؛ إذن حديث الأصبغ بن نباتة مرسل.

قلت: من هذا التطبيق يتبين أن القصة مردودة:

أ - بالطعن فى الرواة. ب- بالسقط فى السند.

طريق آخر للقصة

قلت: وللقصة طريق آخر: أخرجه الحكيم الترمذى فى «نوادر الأصول» كما فى «اللآلئ المصنوعة» (١/ ٣٧١)، قال السيوطى: قال الحكيم الترمذى فى «نوادر الأصول»، ومن الحديث الذى تنكره القلوب حديث رواه ليث عن مجاهد عن ابن عباس فى قوله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ (الإنسان:٧، ٨)، ثم ذكر القصة فى ستة وخمسين سطراً، ثم ختمها بقول الحكيم الترمذى: «هذا حديث مفتعل».

قلت: وأقره الحافظ ابن حجر -فى «اللسان» (٤/ ٥٣٨)- على أن هذا الحديث مفتعل، وبيَّن أن علته: (قاسم بن بهرام) تراجم (٨/ ٦٦٢٥).

وقال: هو صاحب الحديث الطويل فى نزول قوله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ﴾ قال ابن عراق فى «تنزيه الشريعة». (١/ ٣٦٣): قال الحافظ ابن حجر فى «لسان الميزان» فى ترجمة القاسم بن بهرام قاضى هيت: إنه صاحب هذا الحديث، يعنى: مُفْتَعِله.

قال ابن حبان فى «المجروحين» (٢/ ٢١٤): القاسم بن بهرام أبو همدان شيخ، كان على القضاء بهيت، يروى عن أبى الزبير العجائب، لا يجوز الاحتجاج به بحال.

قال ابن عدى فى «الكامل» (٧/ ٢٩٤): أبو همدان كذاب.

قلت: وبالرجوع إلى «اللسان» (٤/ ٥٣٨) للحافظ ابن حجر وإلى ما نقله السيوطى فى «اللآلىء» (١/ ٣٧١) عن الحكيم الترمذى فى «نوادر الأصول»، وبالمقارنة تظهر علة هذا الطريق:

أ- قال السيوطى فى «اللآلىء» (١/ ٣٧١): قال الحكيم الترمذى فى «نوادر الأصول»: ومن الحديث الذى تنكره القلوب حديث رواه ليث عن مجاهد عن ابن عباس فى قوله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ﴾.

قلت: بهذا القدر من السند لم تظهر العلة.

ب- وبالرجوع إلى «اللسان» (٤/ ٥٣٨) قال الحافظ ابن حجر فى ترجمة: قاسم ابن بَهْرَام: وهو صاحب الحديث الطويل فى نزول قوله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ﴾ أورده الحكيم الترمذى فى أصوله، وقال: إنه مفتعل. ثم ذكر أنه فى تفسير الثعلبى.

قاعدة:

والطريق الذي أخرجه الحكيم الترمذي فى «نوادر الأصول» لا يزيد الطريق الذى أخرجه ابن الجوزى فى «الموضوعات» إلا وهنًا على وهن، ولكن الكثير ممن لا دراية لهم بدقيق فقه أصول الحديث يظنون أن تعدد الطرق يقوِّى الخبر مطلقًا، ولكن نذكر بهذه القاعدة التى أوردها الإمام ابن الصلاح فى «علوم الحديث» (ص ١٠٧). والتى قال فيها: «لعل الباحث الفَهِم يقول: إنا نجد أحاديث محكومًا بضعفها، مع

كونها قد رويت بأسانيد كثيرة من وجوه عديدة.. فهلا جعلتم ذلك من أنواع الحسن؛ لأن بعض ذلك عضَّد بعضًا، كما قلتم فى نوع الحسن على ما سبق آنفًا؟

وجواب ذلك: أن ليس كل ضعف فى الحديث يزول بمجيئه من وجوه، بل ذلك يتفاوت.

أ- فمن ضعف يُزيله ذلك، بأن يكون ضعفه ناشئاً من ضعف حفظ راويه مع كونه من أهل الصدق والديانة، فإذا رأينا ما رواه قد جاء من وجه آخر، عرفنا أنه مما قد حفظه، ولم يختل فيه ضبطه له، وكذلك إذا كان ضعفه من حيث الإرسال، زال بنحو ذلك، كما فى المرسل الذي يُرْسله إمامٌ حافظ؛ إذ فيه ضعف قليل، يزول بروايته من وجه آخر.

ب- ومن ذلك ضعف لا يزول بنحو ذلك لقوة الضعف، وتقاعد هذا الجابر عن جبره ومقاومته، وذلك كالضعف الذى ينشأ من كون الراوى متهمًا بالكذب أو كون الحديث شاذاً.

قلت: ثم ختم ابن الصلاح هذه القاعدة العظيمة بقوله:

وهذه جملة تفاصيلها تدرك بالمباشرة والبحث، فاعلم ذلك فإنه من النفائس العزيزة». اهـ.

هذا ما وفقنى الله إليه وهو وحده من وراء القصد



(١١)

قصة نَعْي قبل موت (*)

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم، حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت على ألسنة الخطباء والوعاظ والقصاص:

عن عبد الله بن مسعود، قال: نَعَى إلينا رسول الله ﷺ -بأبي هو- نَفْسَه قبل موته بشهر، فلما دنا الفراق جمعنا إليه في بيت أمنا عائشة، ثم نظر إلينا، ودمعت عيناه، وتشدد، فقال: «مرحبا بكم، حيَّاكم الله، رحمكم الله، آواكم الله، نصركم الله، رفعكم الله، نفعكم الله، هداكم الله، رزقكم الله، وفقكم الله، سلمكم الله، قبلكم الله، أوصيكم بتقوى الله، وأوصى الله بكم، وأستخلفه عليكم، إني لكم منه نذير مبين، لا تعلوا على الله في عباده وبلاده، فإن الله قال لي ولكم: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (القصص:٨٣)، وقال: ﴿أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾، ثم قال: «قد دنا الأجل، والمنقلب إلى الله، وإلى سدرة المنتهى، وإلى جنة المأوى، وإلى الرفيق الأعلى، والكأس الأوفى، والحظ والعيش المهنى».

قلنا: فمن يغسلك يا رسول الله؟ قال: «رجال من بيتي؛ الأدنى فالأدنى».

قلنا: وكيف نكفنك؟ قال: « في ثيابي هذه إن شئتم، أو في حُلَّة يمانية، أو في بياض مصر».

قلنا: فمن يصلي عليك منا؟ فبكينا وبكى، ثم قال: «مهلاً غفر الله لكم، وجزاكم عن نبيكم خيرًا، إذا غسلتموني وكفنتموني، فضعوني على سريري في بيتي هذا، على شفير قبري، ثم اخرجوا عني ساعة، فإن أول من يصلي عليَّ جليسي وخليلي جبريل، ثم ميكائيل، ثم إسرافيل ثم ملك الموت مع جنوده، ثم ادخلوا عليَّ فوجًا فوجًا، فصلوا عليَّ وسلموا تسليمًا، ولا تؤذوني بباكية ولا ضجة ولا رنة، وليبدأ

(*) مجلة التوحيد، جمادى الآخرة، ١٤٢٢ هـ.

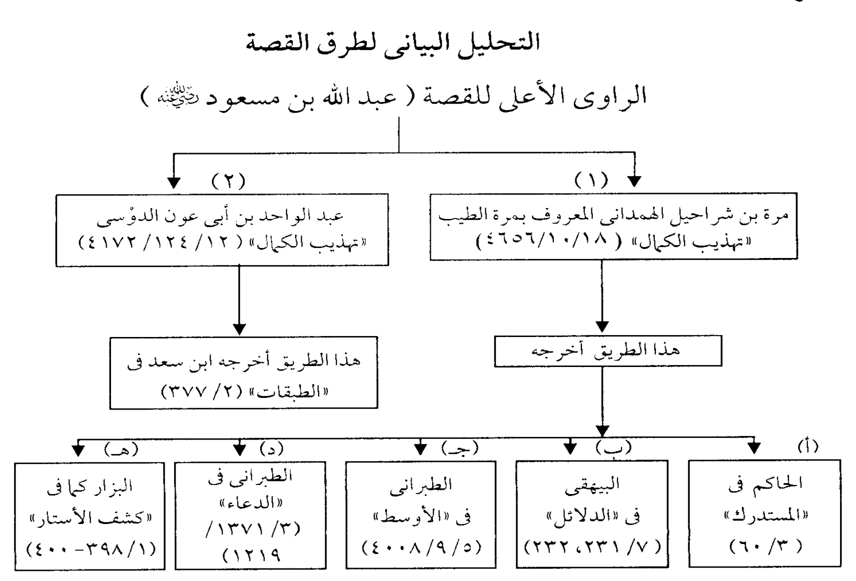
بالصلاة عليّ رجال أهل بيتى ونساؤهم ثم أنتم، أقرئوا عنى السلام كثيرًا ممن غاب من أصحابى، فإنى قد سلمت على ما بايعنى على ديني إلى يوم القيامة.

قلنا: فمن يدخلك فى قبرك؟ قال: «أهلى مع ملائكة كثيرة، يرونكم من حيث لا ترونهم».

قلت: وإلى القارئ الكريم التخريج والتحقيق، راجيًا من الله تعالى أن يجد القراء الكريم نموذجًا صالحًا للنقد العلمى النزيه القائم على البحث والالتزام بالقواعد العلمية الصحيحة، لأن هذه القصة – التى نعى فيها النبى ﷺ نفسه إلى أصحابه قبل موته – قد اشتهرت لشهرة من يرددها على المنابر من القصاص والوعاظ.

ونقدم للقارئ الكريم التحليل البيانى لطرق القصة، هذا التحليل الذى بيَّنا أصوله فى هذه السلسلة « تحذير الداعية من القصص الواهية» رقم (٩).

أولاً:



ثانيًا – دراسة الأسانيد:

١ – قال الحاكم أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ فى «المستدرك» (٣/ ٦٠): حدثنا حمزة بن محمد بن العباس العقبى ببغداد، ثنا عبد الله بن روح المدائنى، ثنا سلام ابن سليمان المدائنى، ثنا سليمان بن سليم الطويل، عن عبد الملك بن عبد الرحمن، عن الحسن العرنى، عن الأشعث بن طليق، عن مرة بن شراحيل به.

٢ – وأخرجه البيهقى فى «دلائل النبوة» (٧/ ٢٣١، ٢٣٢) عن شيخه الحاكم بهذا الإسناد.

فائـــدة:

أ- إلا أنه بمقارنة سند البيهقى بسند شيخه الحاكم وجدت فى سند البيهقى، «سلّام بن سلَيم الطويل» بدلاً من «سليمان بن سليم الطويل».

والأصح سلام الطويل، ولعل ما وجد فى «المستدرك» تصحيف من الناقل.

ب- وذلك بالبحث لم نجد من الرواة من يسمى بسليمان الطويل، كذلك بالرجوع إلى «تهذيب الكمال» (٨/ ٢٢٢/ ٢٦٣٧) وجدنا أن سلام الطويل روى عن عبد الملك بن عبد الرحمن، وروى عنه سلام بن سليمان الثقفى المدائنى.

جـ – يحسب الذى لا دراية له بهذا الفن أن هذا هين، ولكنه عند أهل الصنعة عظيم، يتبين ذلك من قول الحافظ ابن حجر فى «التقريب» (١/ ٣٢٥): سليمان بن سليم ثقة عابد من السابعة، وقوله فى «التقريب» (١/ ٣٤٢): سلام: بتشديد اللام ابن سليم أو سلم الطويل المدائنى، متروك من السابعة.

فانظر إلى الفارق العظيم الذى يقلب الحديث من «الصحيح» إلى «الضعيف جداً»، فرق الثقة من المتروك.

٣- قال البيهقى فى «الدلائل» (٧/ ٢٣٢):

«تابعه أحمد بن يونس عن سلام الطويل، وتفرد به سلام الطويل».

قلت: وسلام الطويل كما ذكرنا آنفًا: متروك.

٤ - قال الحاكم بعد أن أخرج الحديث فى «المستدرك» (٣/ ٦٠):

«عبد الملك بن عبد الرحمن الذى فى هذا الإسناد مجهول، لا نعرفه بعدالة ولا جرح، والباقون كلهم ثقات».

تعقب هام جداً

فتعقبه الحافظ الذهبى فى «التلخيص»:

أ- قول الحاكم: (عبد الملك: مجهول)، تعقبه الذهبى قائلاً: بل كذَّبه الفلاس.

ب- قول الحاكم: (والباقون ثقات)، تعقبه الذهبى قائلاً: وهذا شأن الموضوع يكون كل رواته ثقات سوى واحد، فلو استحيا الحاكم لما أورد مثل هذا. انتهى تعقب الحافظ الذهبى فى «التلخيص».

قلت: فلينظر القارئ الكريم وطالب هذا الفن إلى شدة استنكار الحافظ الذهبى لهذه القصة الواهية عندما يتدبر قول الإمام الذهبى: «فلو استحيا الحاكم لما أورد مثل هذا».

٥ - وعبد الملك بن عبد الرحمن أورده الحافظ ابن حجر فى «اللسان» (٤/ ٧٨) (٩٥٠/ ٥٣٠١)، وقال: «هو الذى قال فيه الفلاس: كذاب. وقال البخارى: منكر الحديث».

تخريج الطبراني للقصة

٦- وأخرج هذه القصة الإمام الطبرانى فى «الأوسط» (٥/ ٩/ ٤٠٠٨) قال: حدثنا عليّ بن سعيد الرازى، قال حدثنا محمد بن أبان البلخى، قال: حدثنا عمرو بن

محمد العنقزي، قال: حدثنا عبد الملك ابن الأصبهانى، عن خلاد الصفار، عن الأشعث ابن طليق، عن الحسن العدني، عن مرة الهمدانى به.

٧- ثم قال الطبراني: لم يجوِّد أحدٌ إسنادَ هذا الحديث إلا عمرو بن محمد العنقزى، ورواه البخارى عن عبد الملك ابن الأصبهاني، عن مرة، عن عبد الله. لم يذكر خلاداً الصفار ولا الأشعث بن طليق ولا الحسن العدنى.

٨- ثم أخرج الطبرانى هذه القصة فى «الدعاء» (٣/ ١٣٧١) ح (١٢١٩) بنفس الإسناد إلا أنه ذكر «الحسن العرنى» بدلاً من «الحسن العدنى»، وهو أيضًا تصحيف فى «الأوسط» تحقيق الدكتور محمود الطحان طبعة مكتبة المعارف - الرياض. والصحيح « الحسن العرنى» كما جاء فى كتاب «الدعاء» للطبرانى.

٩- **قلت**: وهذا سند واه جدًا، وعلته عبد الملك بن عبد الرحمن الأصبهانى كما بيَّنا آنفًا.

١٠- **وعلة أخرى**: أشعث بن طليق أورده الذهبى فى «الميزان» (١/ ٢٦٥) ترجمة (٩٩٨) قال: لا يصح حديثه. قاله الأزدى: ثم إنه ساق له حديث مُرّة عن ابن مسعود قال: نعى رسول الله ﷺ نفسه قبل موته بشهر ... الحديث. وانظر «اللسان» (١/ ٥٠٨) ترجمة (١٤١٢).

١١- بمقارنة «الميزان» (١/ ٢٦٥/ ٩٩٨) باللسان (١/ ٥٠٨/ ١٤١٢) ترجمة أشعث بن طليق تجد أن الإمام الذهبى أورد القصة من حديث أحمد بن شبيب الحبطى من طريق عبد الملك، لكنه قال: عن عبد الملك، وعن عبد الرحمن، وهذا تصحيف وقع فى «الميزان» من ناقله يتبين ذلك من الرجوع إلى اللسان، نجد فيه «عن عبد الملك بن عبد الرحمن»، فمن قرأ «الميزان» يتوهم أن الراوى الواحد راويان، وحديث ابن شبيب أخرجه الطبرانى فى «الدعاء» ح (١٢١٨).

١٢- ثم أورد الحافظ ابن حجر فى «اللسان» الحديث مرة أخرى حيث قال:

«وقد روى الحديث المذكور البيهقي: أخبرنا الحاكم، أخبرنا حمزة العقبي، حدثنا عبد الله بن روح حدثنا سلام بن سليم المدائنى، حدثنا سلام بن سليمان الطويل، عن عبد الملك بن عبد الرحمن، عن الأشعث بن طليق، عن الحسن العرنى، عن مرة، عن ابن مسعود بطوله.

قلت: انظر أيها القارئ الكريم -خاصةً طالب هذا الفن- تجد التصحيف فى أسماء الرواة عند مقارنة ما أورده الحافظ ابن حجر فى «اللسان» (١/ ٥٠٩/ ١٤١٢) بما أورده البيهقى فى «الدلائل» (٧/ ٢٣١/ ٢٣٢).

تخريج البزار للقصة

١٤- وأخرج هذه القصة البزار كما فى «كشف الأستار عن زوائد البزار على الكتب الستة» (١/ ٣٩٨ - ٤٠٠) ح (٨٤٧) قال: حدثنا محمد بن إسماعيل الأحمسي، ثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربى، عن ابن الأصبهانى، أنه أَخْبرَه عن مرة، عن عبد الله به.

دفع إيهام عن اسم الراوى

قلت: وابن الأصبهانى كما فى رواية الطبرانى فى «الأوسط» وفى «الدعاء»: عبد الملك بن عبد الرحمن الأصبهاني، كذا فى «الدعاء» (٣/ ١٣٧٠) ح (١٢١٨)، ويختصر عبد الملك ابن الأصبهانى.

تدليس

وعبد الرحمن بن محمد المحاربى مدلس، أورده الحافظ ابن حجر فى «طبقات المدلسين» فى المرتبة الثالثة رقم (١٤)، وقد عنعن، فلا يقبل حديثه؛ لأنه لم يصرح بالسماع، وعلامات التدليس ظاهرة على شيخه، وهو ما يسمى بتدليس الشيوخ:

«وهو أن يروى الراوى عن شيخ حديثًا سمعه منه، فيسميه أو يكنيه أو ينسبه أو يصفه بما لا يُعْرَف به؛ كى لا يعرف» كذا فى «علوم الحديث» (ص ٦٦).

ونلاحظ هنا «عبد الرحمن بن محمد المحاربى عن ابن الأصبهانى».

يريد به عبد الملك بن عبد الرحمن ابن الأصبهانى الكذاب.

١٥- والانقطاع بين ابن الأصبهانى ومرة، يتبين ذلك من قول ابن الأصبهانى: «إنه أَخْبِرهُ عن مرة».

تخريج ابن سعد للقصة

١٦- والقصة أخرجها ابن سعد فى «الطبقات» (٢/ ٣٧٧) قال: أخبرني محمد بن عمر، حدثني عبد الله بن جعفر، عن ابن أبى عون، عن ابن مسعود به.

قلت: وابن أبى عون هو عبد الواحد بن أبى عون المدنى، قال الحافظ فى «التقريب» (١/ ٥٢٦): صدوق يخطئ من السابعة.

١٧- **قلت**: وبما أن السابعة هى طبقة أتباع التابعين، إذن هناك سقط فى الإسناد فى رواية تابع التابعى عن الصحابي.

١٨- وبالرجوع إلى «تهذيب الكمال» (١٠/ ٦٠) ترجمة (٣١٨٦) لتحليل السند الذى أخرجه ابن سعد نجد أن عبد الله بن جعفر بن عبد الرحمن بن المِسَور بن مخرمة روى عن عبد الواحد بن أبى عون، وروى عنه محمد بن عمر الواقدى.

أورده الذهبى فى «الميزان» (٣/ ٦٦٢/ ٧٩٩٣) وقال: محمد بن عمر بن واقد الأسلمى الواقدى: قال أحمد بن حنبل: هو كذاب يقلب الأسانيد وقال ابن معين: ليس بثقة. وقال البخاري وأبو حاتم: متروك. وقال أبو حاتم أيضًا والنسائي: يضع الحديث.

قال ابن ماجه: حدثنا ابن أبى شيبة، حدثنا شيخ لنا، حدثنا عبد الحميد بن جعفر فذكر حديثًا فى اللباس يوم الجمعة. قال الذهبى: «وحسبك أن ابن ماجه لا يجسر أن يسميه وهو الواقدى».

١٩- من هذا يتبين أن السند الذى رواه ابن سعد واهٍ جدًا بسقط فى الإسناد وطعن فى الراوي.

٢٠- وبهذا التحليل لطرق القصة نجد أنها طرق واهية، كل طريق تزيد الأخرى وهنًا على وهن، فليحذر الداعية هذه القصة الواهية.

ويتذكر ما أخرجه الإمام البخارى فى أول ثلاثي وقع فى «البخارى» ح (١٠٩):

حدثنا مكى بن إبراهيم، قال: حدثنا يزيد بن أبى عبيد، عن سلمة قال: سمعت النبى ﷺ يقول: «**من يقل عليَّ ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار**».

﴿رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ (الفرقان:٦٥).

هذا ما وفقنى الله إليه، وهو وحده من وراء القصد



(١٢)

قصة ماشطة ابنةِ فرعــون (*)

نواصل فى هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثيـة للقارئ الكريـم، حتى يقف على حقيقة هذه القصة التى اشتهرت على ألسنة الخطباء والوعـاظ والقصاص:

«عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ : «**لما كانت الليلة التى أسرى بى فيها، أتت علىَّ رائحة طيبة، فقلت: يا جبريل، ما هذه الرائحة الطيبة؟ فقال: هذه رائحة ماشطة ابنة فرعون وأولادها. قال: قلت: وما شأنها؟ قال: بينا هى تمشط ابنة فرعون ذات يوم، إذ سقطت المِدْرَى من يدها، فقالت: بسم الله. فقالت لها ابنة فرعون: أبى ؟ قالت: لا، ولكن ربى ورب أبيك الله. قالت: أُخْبِره بذلك؟ قالت: نعم.**

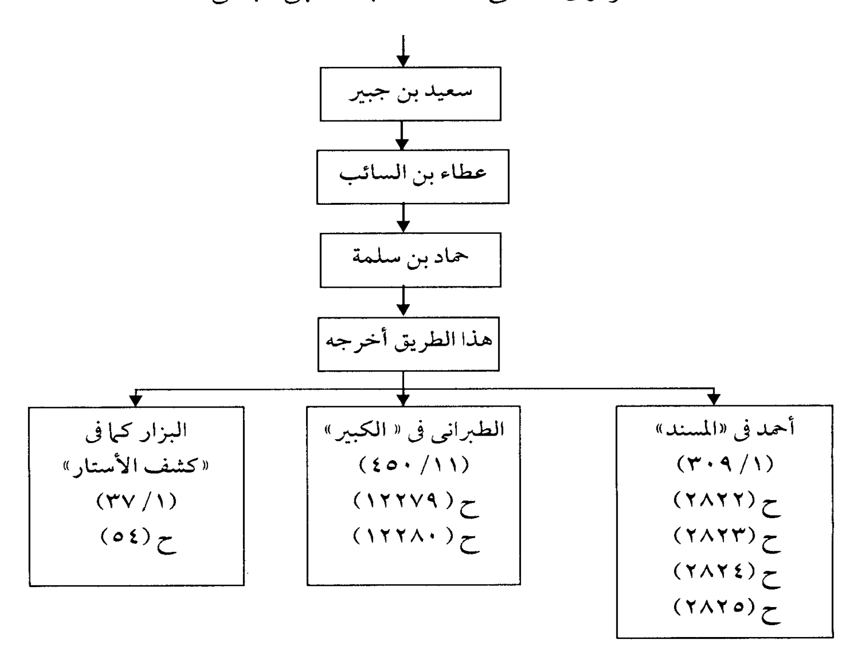
فأخبرته فدعاها فقال: يا فلانة، وإن لك رباً غيرى؟ قالت: نعم ربى وربك الله، فأمر ببقرة من نحاس فأحميت، ثم أمر بها أن تلقى هى وأولادها فيها. قالت له: إن لى إليك حاجة. قال: وما حاجتك ؟ قالت: أحب أن تجمع عظامي وعظام ولدى فى ثوب واحد، وتدفنا. قال: ذلك لك علينا من الحق، قال: فأمر بأولادها فألقوا بين يديها، واحداً واحداً، إلى أن انتهى ذلك إلى صبى لها مُرْضَع، كأنها تقاعست من أجله، قال: يا أمَّه، اقتحمى، فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة، فاقتحمت».

قال: قال ابن عباس: تكلم أربعة صغار: عيسى ابن مريم عليه السلام، وصاحب جريج، وشاهد يوسف، وابن ماشطة ابنة فرعون».

(*) مجلة التوحيد، رجب، ١٤٢٢هـ.

التحليل البيانى لطرق القصة

الراوى الأعلى للقصة (عبد الله بن عباس رضي الله عنه)



أولاً- تخريج أحمد للقصة:

ح (٢٨٢٢) قال أحمد: حدثنا أبو عمر الضرير، أنا حماد بن سلمة به.

ح (٢٨٢٣) قال أحمد: حدثنا عفان، ثنا حماد بن سلمة به.

ح (٢٨٢٤) قال أحمد: حدثنا حسن، ثنا حماد بن سلمة به.

ح (٢٨٢٥) قال أحمد: حدثنا هدبة بن خالد، ثنا حماد بن سلمة به.

ثانيًا- تخريج الطبراني للقصة:

ح (١٢٢٧٩) قال الطبراني: حدثنا أبو مسلم الكشي إبراهيم بن عبد الله، ثنا أبو عمر الضرير، ثنا حماد بن سلمة به. وحدثنا ثابت بن نعيم الهوجي، ثنا آدم بن أبي إياس، ثنا حماد بن سلمة به. وحدثنا محمد بن النضر الأزدي، ثنا أبو نصر التمار، ثنا حماد بن سلمة به.

ح (١٢٢٨٠) قال الطبراني: حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، ثنا أبي، ثنا أبو عمر الضرير، عن حماد بن سلمة به.

ثالثًا- تخريج البزار للقصة :

ح (٥٤) قال البزار: حدثنا عبد الله بن أبي يمامة ومحمد بن معمر، قالا: ثنا عفان، ثنا حماد بن سلمة به. ثم قال البزار -رحمه الله-: « هذا لا نعلمه يُرْوَى عن النبي ﷺ بهذا اللفظ من وجه متصل إلا بهذا الإسناد».

التحقيق

١- **هذه القصة واهية. وعلتها:** عطاء بن السائب، وقد اختلط، ولم يرو هذه القصة عنه إلا حماد بن سلمة، كما هو ظاهر من التحليل البياني لطرق القصة، والذي يؤكده قول الإمام البزار -رحمه الله-.

٢- قاعدة «حكم رواية المُخْتَلِط»:

قال الحافظ ابن حجر في «شرح النخبة» ص (١٣٩): « والحكم فيه أن ما حدَّث به قبل الاختلاط إذا تميّز قُبل، وإذا لم يتميّز تُوُقِّف فيه، وكذا من اشتبه الأمر فيه، وإنما يعرف ذلك باعتبار الآخذين عنه ».

٣- اعتبار الآخذين عنه:

حماد بن سلمة من الآخذين عن عطاء بن السائب، كما في «التهذيب» (٧/ ١٨٣):

«قال أبو طالب عن أحمد: من سمع منه قديماً فسماعه صحيح، ومن سمع منه حديثاً لم يكن بشيء، سمع منه قديماً سفيان وشعبة، وسمع منه حديثاً جرير وخالد وإسماعيل وعليّ بن عاصم». كذا فى «التهذيب» (٧/ ١٨٤).

٤ - استنتاج:

نستنتج أن سماع جرير من عطاء بن السائب لم يكن بشيء.

٥ - ولقد أورد الحافظ ابن حجر فى «التهذيب» (٧/ ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦) كلام أئمة الجرح والتعديل فى الآخذين عن عطاء قبل الاختلاط والآخذين عنه بعد الاختلاط، ثم قال -رحمه الله- فى آخر ترجمته: « فيحصل لنا من مجموع كلامهم أن سفيان الثورى وشعبة وزهيرًا وزائدة وحماد بن زيد وأيوب عنه صحيح، ومن عداهم يتوقف فيه إلا حماد بن سلمة فاختلف قولهم، والظاهر أنه سمع منه مرتين:

* مرة مع أيوب كما يومي إليه كلام الدراقطنى.

* ومرة بعد ذلك لما دخل البصرة، وسمع منه مع جرير وذويه.. ». اهـ.

قلت: ومن تدبر هذه القواعد يتبين له الآتى:

أ- أن حماد بن سلمة سمع من عطاء بن السائب عندما دخل عطاء البصرة.

ب- وأن حماد بن سلمة سمع منه مع جرير وذويه.

جـ- وجرير سمع منه حديثاً كما بيَّنا آنفًا.

د- ومن سمع منه حديثاً لم يكن بشيء.

هـ- إذن فسماع حماد بن سلمة منه لا يُحتج به.

قلت: أخرج ابن أبى حاتم فى «الجرح والتعديل» (٦/ ٣٣٤/ ١٨٤٨) عن يحيى ابن معين قال:

٦- « عطاء بن السائب اختلط، فمن سمع منه قديماً فهو صحيح، وما سمع منه

جرير وذووه ليس من صحيح حديث عطاء، وقد سمع أبو عوانة من عطاء فى الصحة وفى الاختلاط جميعًا ولا يحتج بحديثه».

٧- ثم قال ابن أبى حاتم: سمعت أبى يقول: «ثم بآخره تغير حفظه، فى حديثه تخاليط كثيرة، وقديم السماع من عطاء سفيان وشعبة، وفى حديث البصريين الذين يحدِّثون عنه تخاليط كثيرة؛ لأنه قدم عليهم فى آخر عمره...».

٨- أخرج العقيلى فى «الضعفاء الكبير» (٣/ ٣٩٩) ترجمة(١٣٤٨) قصة فى اختلاط عطاء من طريق الحسن بن علىّ الحلوانى عن علىّ بن المدينى ... ثم قال علىّ قلت ليحيى: «وكان أبو عوانة حمل عن عطاء بن السائب قبل أن يختلط، ثم حمل عنه بعدُ، فكان لا يفصل ذا من ذا، وكذلك حماد بن سلمة.

٩ - **قلت**: ونقل هذه القصة التى أخرجها العقيلى الحافظُ ابن حجر فى «التهذيب» (٧/ ١٨٥) ثم قال: «فاستفدنا من هذه القصة أن رواية وهيب، وحماد، وأبى عوانة عنه فى جملة ما يدخل فى الاختلاط» انتهى، وقد يحسبه من لا دراية له أنه هين، ولكنه عند علماء هذا الفن عظيم؛ خاصة ونحن أمام قصة اشتهرت على ألسنة الخطباء والوعاظ والقصاص. وإلى القارئ الكريم، بل وطالب هذا الفن خاصة، بيان أهمية هذا التحقيق:

قال الشيخ الألبانى -رحمه الله- فى «الضعيفة» (٢/ ٣٣٤/ ح٩٣٠): «وهذا تحقيق دقيق يجب أن لا ينساه -كما وقع للحافظ نفسه- من يريد أن يكون من أهل التحقيق، ولازم ذلك أن لا يصح حديث حماد بن سلمة عن عطاء.... ».

١٠ - **قلت**: ولقد ضعَّف الألبانى -رحمه الله- الحديث رقم (٩٣٠) فى «الضعيفة» والذى جاء من طريق فيه «حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب»، وقد سبقه لذلك التضعيف الإمام النووي -رحمه الله- حيث ضعف الحديث، وقد حكي هذا التضعيف الإمام الشوكانى -رحمه الله- في «نيل الأوطار» (١/ ٣٧٢) مع الفارق الكبير فى التحقيق حول هذه المسألة، والذى جمع له الألبانى -رحمه الله- أقوال أئمة الجرح والتعديل حيث انتهى إلى هذه القاعدة.

* ملحوظة هامة أيضًا:

١١- ثم نلاحظ فى آخر القصة: « قال: قال ابن عباس: تكلم أربعة صغار: عيسى ابن مريم -عليه السلام-، وصاحب جريج، وشاهد يوسف، وابن ماشطة فرعون».

قلت: معنى «قال: قال ابن عباس ...» أن هذا الجزء من القصة بنفس السند ولكنه موقوف.

ولقد أخرجه أيضًا ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٧/ ٢١٢- ط.دار الغد) ح(١٩١٠٩) قال: حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا العلاء بن عبد الجبار، عن حماد بن سلمة، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: «تكلم أربعة فى المهد، وهم صغار: ابن ماشطة فرعون، وشاهد يوسف، وصاحب جريج، وعيسى ابن مريم -عليه السلام-»، وحكم الألبانى -رحمه الله- على هذه الرواية بالبطلان فى «الضعيفة» (٢/ ٢٧٢) مستخدمًا القواعد التى بيناها آنفًا فى بيان علتها حيث قال -رحمه الله-: «عطاء بن السائب فإنه قد اختلط، وحماد بن سلمة روى عنه قبل الاختلاط وبعده خلافًا لمن يظن خلافَه من المعاصرين».

١٢- وأكد -رحمه الله- على هذه القاعدة مرة بعد أخرى، يتبين ذلك ممَّا أوردناه آنفًا، ومن قوله أيضًا فى «الضعيفة» (٣/ ١٦٥): «إن بعض الرواة يسمع من المختلط قبل الاختلاط وبعده، ومن هؤلاء حماد بن سلمة فإنه سمع من عطاء فى الحالتين كما استظهره الحافظ فى «التهذيب»، ولذلك فلا يجوز الاحتجاج أيضًا بحديثه عنه خلافًا لبعض العلماء المحدَثين، والله يغفر لنا وله».

١٣- **فائدة**: نستفيد من التحليل البيانى للقصة:

أ- القصة غريبة الإسناد تفرد بروايتها حماد بن سلمة عن عطاء.

ب- وهى مشهورة عن حماد رواها عنه: أبو عمر الضرير، وعفان، وحسن، وهدبة بن خالد، وآدم بن أبى إياس، وأبو نصر التمار.

١٤- أوهـام:

يتوهم من لا دراية له من هذه الشهرة النسبية أن هناك متابعات للقصة، فيصحح القصة ولم يدرِ أن هذه المتابعات ليست لحماد ولا لشيخه، ولكن المتابعات دون حماد فلا تسمن ولا تغنى من تفرد حماد عن عطاء، وبالجهل بموقع المتابعة وقع الكثير فى تصحيح أحاديث واهية.

شاهـد واهٍ للقصـة

يقتضى هذا البحث العلمى أن أذكر هذا الشاهد حتى لا يتقول علينا بعض الأقاويل مَنْ لا دراية له بدقيق أصول هذا الفن.

«عن أبيّ بن كعب عن رسول الله ﷺ أنه ليلة أَسْرِى به، وجد ريحًا طيبة فقال: يا جبريل؛ ما هذه الريح الطيبة؟ قال : هذه ريح قبر الماشطة وابنيها وزوجها. قال: وكان بدء ذلك أن الخضر كان من أشرف بنى إسرائيل. وكان ممره براهب فى صومعته فيطلع عليه الراهب، فَيُعَلِّمُهُ الإسلام. فلما بلغَ الخضر زوجه أبوه، فَعَلَّمَهَا الخضر وأخذ عليها أن لا تُعلمه أحدًا. وكان لا يقرب النساء فطلقها. ثم زوّجه أبوه أخرى، فَعَلَّمهَا وأخذ عليها أن لا تُعْلِمْهُ أحداً، فكتمت إحداهما وأفشت عليه الأخرى فانطلق هاربًا حتى أتى جزيرة فى البحر، فأقبل رجلان يحتطبان فرأياه فكتم أحدهما وأفشى الآخر، وقال قد رأيت الخضر فقيل: ومن رآه معك؟ قال: فلان فسئل فكتم. وكان فى دينهم أن من كذب قتل. قال، فتزوج المرأة الكاتمة فبينما هى تمشط ابنة فرعون، إذ سقط المشط. فقالت: تعس فرعون. فأخبرت أباها. وكان للمرأة ابنان وزوج، فأرسل إليهم. فراود المرأة وزوجها أن يرجعا عن دينهما فأبيا. فقال: إنى قاتلكما، فقالا: إحسانًا منك إلينا إن قتلتنا، أن تجعلنا فى بيت. ففعل، فلما أُسْرِى بالنبى ﷺ وجد ريحاً طيبة، فسأل جبريل، فأخبره».

التخريج

هذا الشاهد للقصة أخرجه ابن ماجه فى «السنن» (٢/ ١٣٣٧) ح(٤٠٣٠) قال: حدثنا هشام بن عمَّار. ثنا الوليد بن مسلم، ثنا سعيد بن بشير، عن قتادة، عن مجاهد، عن ابن عباس، عن أبى بن كعب، عن رسول الله ﷺ فذكره.

التحقيق

هذا الشاهد للقصة «ضعيف جدًا» وسنده به علتان:

الأولى: قتادة مدلس، وقد عنعن، فلا يقبل حديثه. كذا فى «الميزان» (٣/ ٣٨٥) للذهبى، وفى «طبقات المدلسين» للحافظ ابن حجر فى «المرتبة الثالثة» رقم (٢٦).

الثانية: سعيد بن بشير الأزدى: أورده الحافظ ابن حجر فى «التهذيب» (٤/ ٨): قال أبو مسهر: لم يكن فى جندنا أحفظ منه، وهو ضعيف منكر الحديث، وقال الساجى: حدَّث عن قتادة بمناكير، وقال محمد بن عبد الله بن نمير: منكر الحديث ليس بشىء، ليس بقوى الحديث، يروى عن قتادة المنكرات.

وأورده ابن حبان فى «المجروحين» (١/ ٣١٥) وقال: «كان رديء الحفظ، فاحش الخطأ، يروى عن قتادة ما لا يتابع عليه». ووافقه الحافظ فى «التهذيب»، وقال الحافظ العراقى فى «شرح ألفيته» رقم (١١): «من كثر الخطأ فى حديثه وفحش استحق الترك وإن كان عدلاً». فالحديث الذى جاءت فيه هذه القصة: متروك، ولا يصلح فى المتابعات ولا الشواهد، كما هو مقرر فى أصول هذا العلم، وكما بيناه فى «سلسلة تحذير الداعية من القصص الواهية» الحلقة (٢، ٣، ٥) فليرجع إليها طالب هذا الفن لعلم الحديث التطبيقى، فإنها من النفائس العزيزة.

قلت: ولما كانت هذه القصة التى أخرجها ابن ماجه لا تصلح للمتابعات ولا الشواهد؛ لشدة ضعفها، بل هى من مناكير سعيد بن بشير عن قتادة، ولذلك أورد هذه القصة الإمام الذهبى فى «الميزان» (٢/ ١٢٨/ ٣١٤٣) وجعلها من مناكيره.

دعوى الفرديـة

*** فائدة هامة:**

قد يسال سائل، ويقول: كيف تأتى القصة بإسناد آخر فى «سنن ابن ماجه» من حديث أبىّ بن كعب، والبزار بعد أن أخرج القصة من طريق حماد، عن عطاء، عن سعيد، عن ابن عباس مرفوعًا. قال: «هذا لا نعلمه يروي عن النبي ﷺ بهذا اللفظ من وجه متصل إلا بهذا الإسناد».

قلت: هذا تعقب على دعوى الفردية من لا يفقه شروطه يضل ضلالاً بعيدًا، يبين ذلك الإمامُ السخاوى فى «فتح المغيث» (١/ ٢٥٧) حيث قال: «وكثيرًا ما يقع التعقب فى دعوى الفردية حتى أنه يوجد عند نفس مدعيها المتابع. ولكن إنما يحسن الجزم بالتعقب.

١ - حيث لم يختلف السياق.

٢ - أو يكون المتابع ممن يعتبر به؛ لاحتمال إرادة شيء من ذلك بالإطلاق». انتهى.

قلت: وبتطبيق هذه الشروط نجد:

١ - أن سياق القصة مختلف

٢ - والمتابع ممن لا يعتبر به (أو الشاهد)، وتَسْلَم دعوى التفرد للبزار من التعقب، وتصبح القصة واهية بما فى أسانيد القصة من اختلاط، وتدليس ورداءة حفظ وفحش خطأ .

هذا ما وفقنى الله إليه، وهو وحده من وراء القصد،،

❋ ❋ ❋ ❋

بحث هام في الرد علي أوهام حول قصة الماشطة

يشمل بحوثًا علمية حديثية للقواعد الأصولية:

* القواعد الأصولية للتخريج.
* القواعد الأصولية للجرح والتعديل.
* القواعد الأصولية للمصطلح.
* الجمع بين القواعد لعلم الحديث التطبيقي.

تظهر في ردنا الذي يشمل أربع مسائل

* المسألة الأولى: حول المقدمة.
* المسألة الثانية: حول التخريج.
* المسألة الثالثة: حول التحقيق.
* المسألة الرابعة: حول الشاهد.





الرد على من أراد تصحيح حديث (قصة الماشطة)

الحمد لله رب العالمين، وهو حسبى ونعم الوكيل.

جاء الرد من شخص لا أعرف اسمه ولا رسمه.

أولاً- المقدمة:

قال:

فضيلة الشيخ المشرف العام/ د. جمال المراكبي.

بعد التحية...

فجزاكم الله خيرًا على هذا الجهد المشرِّف الذى نراه فى مجلة التوحيد طليعة كل شهر، ولا أريد أن أعدد المزايا بالمجلة فلست بصدد ذلك.

وإنما الحديث عن خللٍ وقع فى أحد المقالات للأستاذ الشيخ على حشيش.

الرد على المقدمة

انظر إلى الافتراء علينا بقوله «خلل فى المقال»، وفى صفحة (٦) يقول: «هذا الكلام فيه تلبيس وتدليس على القراء ....».

إلى آخر ذلك من ألفاظ تكشف عن نيته.

١- **قلت**: اعلم أن هذا الأسلوب لن ينال مني شيئًا ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (يوسف:٢١).

٢- فلقد كتبت بفضل الله وحده سبعة وخمسين دفاعاً عن سنة رسول الله ﷺ لم يحدث فيها خلل واحد، كما تفترى اليوم علينا بهذه العبارات، وقد قمت فيها بالرد

على شيخ الأزهر يوم أن كان مفتيًا فى الدفاع رقم (٣٤)، وعلى رئيس قسم العقيدة فى كلية أصول الدين جامعة الأزهر فرع المنصورة فى «الدفاع» رقم (٣٩) -رحمه الله وغفر له-، وعلى رئيس قسم الفلسفة الإسلامية فى جامعة المنصورة فى الدفاع (٣٦)، وعلى رائد العشيرة المحمدية محمد زكى إبراهيم فى الدفاع (٢٥) ولم يستطع بفضل الله أن يخرق دِرع دفاعي، وقمت بالرد على من حرَّم النقاب فى الدفاع (٤٥)، ولقد استشهد العلامة الألبانى محدث عصره -رحمه الله- بردي هذا على الشيخ التويجرى فى «المعجم» (ص ٦٥) حيث وقف على ردى كما قال ثم دعاه الشيخ الألبانى للنظر فى كتابنا «التحذير».

٣- لماذا هذا الافتراء؟! وهؤلاء هم الجهابذة، وما افترى علينا أحد.

٤- كتبت (ستًا وثلاثين) حلقة حول «أسئلة القراء عن الأحاديث» كل حلقة بها العديد من الأحاديث، لم أطعن فى حديث واحد ولم يقل أحد، ويتقول علينا هذه الأقاويل.

٥- قولكم: «ولا أريد أن أعدد المزايا بالمجلة فلست بصدد ذلك» يدل على أنكم قرأتم المجلة بإتقان، ونسأل: لماذا لم ترد على الحديث القدسى الذى وضعه زنديق «حديث تسليط أمة محمد ﷺ على الأمم» أم هو عندك بمنهجك صحيح؟ انظر العدد الثالث ربيع الأول ١٤٢٢ هـ، وليس هذا ببعيد فهو منذ ثلاثة أشهر فقط، بل أين ردك على الحديث «الموضوع» حديث «ثَغْر الحوراء» أم هو بمنهجكم «صحيح» انظر العدد الأول المحرم ١٤٢٢هـ، فهذا العام ليس عنك أيضًا ببعيد، تلك الأحاديث التى ذكرتُ بغير تخريج ولا تحقيق.

* هذا رد على المقدمة التى تكشف عن نوايا المفترِى علينا بهذه الألفاظ أن فى مقالى خللاً وتدليسًا وتعتيمًا على القراء.

ثانيًا : التخريج

قال المفترى علينا بأسلوب لا أعرف له مثيلاً:

مع أن هناك السرد والتمطيط فى تخريج الحديث وجدنا قصوراً شديدًا فى تخريج الحديث من مصادره، والأعجب من هذا عزوك لبعض المراجع البعيدة، مع وجود المصادر الأصح والأشهر، وأضيف إلى تخريجك القاصر:

ابن حبان فى «صحيحه» (٧/ ١٦٣ رقم ٢٩٠٣).

أبو يعلى فى «مسنده» رقم (٢٥١١).

الحاكم فى «المستدرك» (٢/ ٤٩٦). والبيهقى فى «الدلائل» (٢/ ٣٨٩). هذا ما وقفت عليه مع ضيق الوقت لدى وانشغالى بما هو أهم من ذلك، وعلى كلٍّ كيف تثبت العزو للبزار، وهو من كتب الأفراد، ولا تذكر المستدرك وابن حبان وغيرها؟!

الرد من الشيخ على هذا التقول

أقول -وحسبى الله ونعم الوكيل-: أنا أيها المفترى علىَّ لم أسرد ولم أمطط فى التخريج، ولم يكن عندى قصور شديد فى التخريج للحديث من مصادره، بل القصور الشديد عندك لعدم درايتكم بالصناعة الحديثية، وأنا أعذركم لعدم درايتكم بعلم الحديث التطبيقى الذى يحتاج إلى خبرة سنين لا التقليد، وإليك البيان:

الجدول الأول

ابن حبان موارد ح(٣٦) المتوفي في ٣٥٤	أخبرنا الحسن ابن سفيان	حدثنا هدبة ابن خالد	حدثنا حماد ابن سلمة	عن عطاء بن السائب	عن سعيد بن جبير	عن ابن عباس	عن رسول الله ﷺ
	أحمد فى المسند ح(٢٨٢٥) (١٦٤هـ - ٢٤١هـ)	حدثنا هدبة ابن خالد	ثنا حماد بن سلمة	عن عطاء بن السائب	عن سعيد بن جبير	عن ابن عباس	عن رسول الله ﷺ

* انظر وقارن، واتقِ الله، لماذا تفترى قائلاً: والأعجب من ذلك عزوك لبعض المراجع البعيدة؟!

* وأقول لك : هل الأبعد ابن حبان أو الإمام أحمد، ما لكم كيف تحكمون؟

انظر وقارن، واتق الله، لماذات تفتري قائلاً: «مع السرد والتمطيط وجدنا قصوراً شديداً فى التخريج للحديث من مصادره».

* **قلت**: انظر إلى قولـي في المجلة «ص٢٥» تخريج أحـمـد للقصـة، وذكـرت ح (٢٨٢٥)، فالقصور عندك لعدم درايتك بدراسة التخريج المقارن، فأحمد أعلى طبقة وشيخ أحمد هو شيخ شيخ ابن حبان، وبنفس السند، فأين القصور؟! والقصور عندك، هل جئت بطريق عند ابن حبان غير طريق أحمد فيه متابعة لحماد أو عطاء، وهى منطقة التضعيف وعلة القصة.

* قولك: «هذا ما وقفت عليه مع ضيق الوقت، وانشغالي بما هو أهم من ذلك بعد سردكم لرواية ابن حبان».

قلت: هذا ما وقفت أنت عليه من قصور عندك نشأ من عدم المقارنة، وجئت بسند أدنى طبقة من إمام أهل السنة، وهو سرد بغير فائدة، فيا ليتك جئت بتخريج يحتوى على متابعة تامة أو قاصرة لتنسب لنا القصور، وأنت القاصر عن المقارنة فى الأسانيد.

الجدول الثانى

أبو يعلى (٢١٠-٣٠٧هـ) فى مسنده ح (٢٥١٧)	حدثنا هدبة بن خالد	حدثنا حماد بن سلمة	عن عطاء بن السائب	عن سعيد بن جبير	عن ابن عباس	عن النبى ﷺ
أحمد بن حنبل فى مسنده ح (٢٨٢٥)	ثنا هدبة بن خالد	ثنا حماد بن سلمة	عن عطاء بن السائب	عن سعيد بن جبير	عن ابن عباس	عن النبى ﷺ

* قارن بن السندين، ولا تفترِ علينا، فأين القصور وأنت المصاب بهذا القصور فى عدم دراستك للأسانيد كما توجبه الصناعة الحديثية ألم يكن قولك: «هذا الكلام فيه تلبيس وتدليس على القراء» يوهم القارئ أننى أخفيت أسانيد، أو تركت أسانيد فيها متابعات تامة ومتابعات قاصرة فى منطقة العلة.

الجدول الثالث

الحاكم فى المستدرك (٢/٤٩٩) (٣٢١-٤٠٥هـ)	حدثنا محمد بن صالح ابن هانئ	ثنا الحسين ابن الفضل البجلى	ثنا عفان بن مسلم	ثنا حماد بن سلمة	أنبأ عطاء بن السائب	عن سعيد بن جبير	عن ابن عباس	عن النبى ﷺ
		أحمد فى «المسند» ح (٢٨٢٣)	ثنا عفان	ثنا حماد بن سلمة	أنا عطاء بن السائب	عن سعيد بن جبير	عن ابن عباس	عن النبى ﷺ

* أين قولك : « والأعجب من هذا عزوك لبعض المراجع البعيدة».

قلت : انظر ولا تفتر علينا، فمن الأبعد إمام أهل السنة أحمد أم الحاكم؟

* وأين قولك: «هناك قصور شديد فى تخريج الحديث من مصادره».

فأين القصور والسند واحد، والإمام أحمد أعلى بالنسبة للطبقات، والقصور منك أنت لعدم درايتكم بأصول هذه الصناعة الحديثية.

فائدة هامة جدًا (تقرأ جيداً)

هذه الجداول قد يحسبها من لا دراية له بهذا الفن أنها هينة، ولكنها عند أصحاب الصنعة عظيمة.

المستخرجات

المستخرج: أن يأتى المصنف إلى الكتاب، فيخرّج أحاديثه بأسانيد لنفسه من غير طريق صاحب الكتاب، فيجتمع معه فى شيخه أو من فوقه» «تدريب» (١/ ١١٢).

عدم انفراد أصحاب
المستخرجات بهذه الصناعة

قال السخاوي في «فتح المغيث» (١/ ٤٧): «ثم إن أصحاب المستخرجات غير منفردين بصنيعهم، بل أكثر المخرِّجين للمشيخات والمعاجم، وكذا الأبواب، يوردون الحديث بأسانيدهم» راجع كتابنا «المدخل إلى علوم الحديث» (ص٣١٥ إلى ص ٣٢٦).

ولقد ذكرت فى التخريج معجم الطبراني، واجتماع الطبراني مع شيخ الإمام أحمد (أبو عمرو الضرير) فى الحديث رقم (٢٨٢٢) ليكون مثالاً.

استفادة من الجداول

* الحاكم: اجتمع مع الإمام أحمد فى شيخه عفان.

* ابن حبان اجتمع مع أحمد فى شيخه هدبة.

* وأبو يعلى اجتمع مع أحمد فى شيخه هدبة أيضًا.

أيها المفتري علينا لو تعلم هذه الصنعة ما افتريت علينا.

إن صناعة المستخرجات تعلم من لا دراية له أن لا يذكر المستخرج فى التخريج إلا لفائدة فى السند.

* أيها المفترى علينا بالسرد والتمطيط لو كنت حلَّلت ما تقول كتحليلنا لعلمت وما افتريت، ولعلمت أننى ذكرت التخريج للمصدر الأعلى ح (٢٨٢٢)، ح(٢٨٢٣) ، ح (٢٨٢٤) ، ح (٢٨٢٥). وهو الإمام أحمد، والكل يرجع إليه بنفس السند كأنهم بالنسبة له مستخرجات، ولكن عدم درايتكم وسردكم أنتم بغير تحليل بياني، والذى لم أسبق إليه، جعلكم تتهجمون وتجادلون بغير علم ولا صنعة، وتفترون علينا قائلين: «**مع السرد والتمطيط وجدنا قصورًا شديداً فى تخريج الحديث من مصادره، والأعجب عزوك لبعض المراجع البعيدة**» يا أيها المفترى مَنْ البعيد؟

الإمام أحمد بن حنبل ليس ببعيد ولكنك أنت البعيد لعدم درايتك بالصنعة وتحليل الأسانيد الذى بين أن الكل يرجع لأحمد.

تقوّل آخر (افتراء آخر حول التخريج)

قال المفترى علينا: هذا ما وقفت عليه مع ضيق الوقت لدى، وانشغالى بما هو أهم من ذلك، وعلى كلٍّ كيف تثبت العزو للبزار، وهو من كتب الأفراد، ولا تذكر المستدرك وابن حبان وغيرهما.

الـــرد

هذا الكلام من الافتراء علينا يدل على عدم درايته بعلم الحديث التطبيقى، وأنه يعلم ظاهرًا من القول علم الأحداث، ونسى أننى ثلاثين عامًا فى هذا العلم، وأتفرغ له من عملى، وأنا فى أعلى المستويات الوظيفية، فليتفرغ هذا المفترى لهذا العلم؛ حتى لا يفترى علينا بدلاً من مشاغله، ويقول: كيف تثبت العزو للبزار، وهو من كتب الأفراد ولا تذكر المستدرك وابن حبان وغيرهما.

انظر: يا أيها المفترى علينا أنا أذكر العزو للبزار تخريجًا ليخدمنى تحقيقًا، فأنا لا أسرد كتبًا فى التخريج بغير خدمة فى التحقيق، فذكره الأدنى كفانى فيه الأعلى الإمام أحمد، وكلهم رجع إلى أحمد عند شيخه، ولا يخرج عنه حيث الحديث فرد، ولقد بيّن الفردية بوضوح الإمام البزار، حيث نقلت حكمه بالفردية (ص ٢٥ – المجلة) بعد أن التقى مع الإمام أحمد فى شيخه، قال البزار -رحمه الله-: «هذا لا نعلمه يروى عن النبى ﷺ بهذا اللفظ من وجه متصل إلا بهذا الإسناد».

قلت: ولذلك ذكرت هذه العبارة في آخر التخريج وقبل التحقيق، وهذه العبارة إذا قالها جهبذ تجعل قلبي يطمئن إلى أنْ لا سند آخر يأتى بمتابعات تامة أو قاصرة؛ لأنه يقول هذه العبارة بعد بحث طويل وتفريغ وقت للبحث في الأسانيد والمقارنة كما فعلت في الجداول، فوجد أن الحديث ليس له إلا هذا الإسناد، وهذا ما يفعله الطبراني فى «الأوسط».

مهمة جدًا: ولكن هذا المفترى علينا لعدم درايته بالصنعة الحديثية للربط بين التخريج والتحقق لا يعرف قيمة البحث فى الأفراد للبزار والطبرانى، هذا العلم يدل على سعة الرواية وكثرة الاطلاع على طرق الحديث وتميز الطرق التى اشترك فيها عدد من الرواة عن هذا الراوى عن الطرق التى انفرد بها بعض الرواة عن بعض، وهذا الأمر لا ينقاد إلا لإمام جهبذ من جهابذة هذا الفن الدقيق الواسع؛ لذلك قال الطبرانى عن كتابه «الأوسط» : «هذا الكتاب روحى»(١).

ثالثًا : التحقيق

لقد بيّنت فى ردى على هذا المفترى علينا أن القصة لا تخرج عن طريق حماد بن سلمة، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس مرفوعًا.

قال البزار -رحمه الله-: «هذا لا نعلمه يُروى عن النبى ﷺ بهذا اللفظ من وجه متصل إلا بهذا الإسناد».

الرد على المفترى

لعدم دراية المفترى علينا رمانا بالتقصير، وعتب علىَّ لماذا أخرجت للبزار، وهذا نتج كما بينا من قصوره فى تحليل الأسانيد؛ لأن القصور الشديد لو كان للقصة طريقًا آخر يأتى بمتابع تام أو قاصر ولم أذكره؛ إذن لم يوجد إلا هذا الطريق (السند).

طريقتي فى التحقيق، والرد على المفترى علينا

السند (للقصة)	الشاهد «سعيد بن بشير عن قتادة»
«حماد بن سلمة عن عطاء...»	منكر متروك فاحش الخطأ
ساقط	جمع بين وصفين للمنكر كما في
	«فتح المغيث» (١/ ٢٣٥)

(١) ولكن المفترى علينا لا يميز بين الروح والجسد، فأراد نزع روح التخريج، وهو البزار — انظر مجلة التوحيد (ص٢٧) تحت فائدة.

أولاً- القاعدة التى أسقطت السند:

(١) قال العراقى فى «ألفيته»: وفى الثقات مَنْ أخيرًا اختلط فما روي فيه أو أبهم سقط.

(٢) شرح ذلك السخاوى فى « فتح المغيث » (٤/ ٣٧١):

(فما روى) : المنصف بذلك، (فيه) : أي فى حال اختلاطه.

(أو أبهم) بنقل الهمزة مبنيًا للفاعل، الأمر فيه وأشكل، بحيث لم نعلم روايته صدرت فى حال اتصافه به أو قبله، سقط حديثه فى الصورتين. (انتهى).

قلت: وهذا ينطبق تمام الانطباق على رواية حماد بن سلمة عن عطاء، وسأرد على هذا المفترى افتراءاته على التحقيق كما رددتها عليه فى التخريج.

قال المفترى علينا:

قال (ص٢) فى رده: هذا الحديث قد صححه جماعة من أهل العلم المحققين.[١]

وإليك البيان

* ابن حبان أخرجه فى «صحيحه»، والقاعدة أن ما أخرجه فى «صحيحه» فهو صحيح عنده.

* والحاكم قال فى مستدركه، وقال: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه. والشيخ أحمد شاكر ناقلاً لتصحيحه عن ابن كثير والسيوطى، وسكوت الحافظ عليه.

الـــرد

أقول: نحن أمام قواعد أصولية، إن كنت تريد تحقيقًا لا تقليدًا .

قال الإمام ابن القيم فى «إعلام الموقعين» (١/ ٦): «قال أبو عمر وغيره من

---

(١) لفظه هذا في حاجة إلى تحقيق حيث إن المحققين وصف للجماعة، ولكنه معذور لضيق الوقت وانشغاله.

العلماء: أجمع الناس على أن المقلد ليس معدودًا من أهل العلم، وأن العلم معرفة الحق بدليله».

قال ابن القيم : «وهذا كما قال أبو عمر -رحمه الله تعالى-؛ فإن الناس لا يختلفون أن العلم: هو المعرفة الحاصلة عن الدليل، وأما بدون الدليل فإنما هو التقليد».

قلت: ولكنى أعذره كما قال لضيق الوقت لديه وانشغاله بما هو أهم من ذلك؛ إلا للافتراء علينا.

الـــرد

أنا والحمدَ لله لست مقلدًا للحاكم ولا غيره، ولكن أطبق القواعد الأصولية، فإن وافقت تحقيقه كان على عينى ورأسى، فكم صحح الحاكم وغيره أحاديث ضعيفة بل موضوعة، انظر إلى تحقيقنا فى «سلسلة تحذير الداعية» الحلقة الحادية عشرة، عدد جمادي الآخرة (ص٥٧):

قال الحاكم عن القصة : «والباقون ثقات».

تعقبه الذهبى قائلاً: «وهذا شأن الموضوع يكون كل رواته ثقات سوى واحد فلو استحيا الحاكم لما أورد مثل هذا». انتهى.

قال المفترى علينا ص (٣)

وممن قوّاه من المعاصرين الشيخ .... وقال: صحيح لغيره.

انظر الـرد

فإنى أعرف جيداً من حسّنه من المعاصرين، وعلى القائمة الشيخ الأرنؤوط فى المسند، ولقد جربت ذلك كثيرًا وأنا من عشرات السنين أعرف أدب الخلاف جيدًا، الذي أسكبه على الفتنة إذا أراد أحد إيقاد نارها وإليك التبيان العملى لموقفي من المعاصرين:

موقفنا من المعاصرين

لهم منى كل حب وتقدير، ولكن حبى للقواعد الأصولية التى تبين الحق أشد، وإنى أوافق الشيخ الألبانى فى بحثى هذا فيما توصَّل إليه من قواعد أسقطت سند القصة.

وموافقتى للشيخ الألبانى -رحمه الله- ليست تقليدًا، ولكنها اتباع للقواعد الأصولية بعد بحث دقيق للشيخ رحمه الله.

فقد خالفته فى حديث « من أتى حائضًا .... » كما هو مبين فى رسالتنا «الميزان بين تصحيح الألبانى وتضعيف الطحان» وكانت فى حياة الشيخ -رحمه الله- ووصل إليه الخبر -رحمه الله- كما هو مسجل فى «شريط كاسيت» من أشرطة سلسلة «الهدى والنور» من الدروس العلمية والفتاوى الشرعية، والتى قام بتسجيلها الأخ الكريم محمد بن أحمد أبو ليلة الأثري، والشريط رقمه فى السلسلة السادس والستين بعد المائة السابعة على واحد، وسجل الحديث، وكانت آخر كلمة قالها الشيخ -رحمه الله- حول من عرض عليه ردى، قال الشيخ: هذا بحث علمي لا يقبل مثل هذا الكلام؛ فإن كنت يعنى جادًا وحريصًا على أن تحظى بالجواب على هذا السؤال، فاتصل بى هاتفيًا فى كل ليلة من الساعة التاسعة إلى الساعة الحادية عشرة، فأنا أفتح الكتاب أمامى وأنظر، وأنا أسمع ما تقول وأعطيك الجواب، إما بتراجعى عن خطأى، أو لبيان خطأ غيرى». انتهى.

قلت: ولكنك أيها المفترى علينا وقتك ضيق وانشغالك بما هو أهم من ذلك. رحم الله الألباني، وجزاه الله خير الجزاء عن أدبه فى الخلاف.

معاصر آخر

كتبت فى سلسلة الدفاع عن السنة عدم صحة حديث: «من قرأ آية الكرسي فى دبر الصلاة المكتوبة ..... »، وصححه وحسنه بعض المعاصرين.

هذا الحديث صححه أو حسنه كثير من المعاصرين، فجاءت الردود من مصر

يومها ومن خارجها حتى مجلة «الاستجابة» بالسودان تحت عنوان «الرأى السديد فى الرد على مجلة التوحيد» ليعلم هذا المفترى أنها ليست لأول مرة، فقد بدأت حياتى مع الحديث منذ ثلاثين عامًا برد مشهور مسجل، ولكن كان الذى يرد عليَّ فى أدب جم.

واختلف معى يومها الأخ الحبيب الشيخ محمد عمرو عبد اللطيف، ووقفت يومها ثابتًا أمام قواعد أصولية، حتى سجل الأخ الحبيب الشيخ محمد عمرو فى مجلة «التوحيد» العدد الثامن - شعبان (١٤١٥هـ) وكان يتولى يومها الإجابة عن أسئلة القراءة عن الأحاديث (ص ٣٣) قال -حفظه الله-: «كنت قد حسنت حديث أبى أمامة فى «تبييض الصحيفة (ج١) لكننى رجعت عن ذلك لتفرد محمد بن حمير الحمصى رحمه الله به، وهو موثق، لكن أبا حاتم الرازى ويعقوب بن سفيان العشوى قد غمزاه بما يقتضي أنه لا يحتمل منه مثل هذا الحديث، وقد سبقني إلى ذلك أخى الحبيب الشيخ على إبراهيم حشيش فى مجلة «التوحيد» أيام كان يتولى هذا الباب، واتضح لى صحة تحقيقه بفضل ربى تعالى، فأسأل الله العفو عما سلف». انتهى.[1]

تحقيق هام جدًا

قال المعترض: لو أخذنا بالقول الآخر أنه سمع منه مرتين، فمعنى ذلك التوقف، وأسأل هنا هل معنى التوقف عن تصحيح حديثه التضعيف الشديد.

اللهم إن هذا الفهم لا يتفق مع عقل أو نقل.

وقد قال الشيخ الألبانى -رحمه الله- (٢/ ٣٣٢): والحق الوقف عن تصحيحه وتضعيفه؛ حتى يتبين حاله.

الـــرد

هذا المفترى علينا نقل كلامًا مبتورًا فى (ص٣٣٢)، وترك ما قاله الألبانى بعقب هذه العبارة : «كما يأتى بيانه»، والبيان أورده الألبانى -رحمه الله- فى ص (٣٣٤) من

(١) انظر إلى أدب الخلاف، وانظر إلى افتراء هذا المفترى بألفاظ التعتيم والتدليس والخلل.

نفس الجزء قال: (إن حمادًا هذا قد سمع منه بعد الاختلاط أيضًا كما ذكر ذلك الحافظ نفسه فى «التهذيب» فقد قال فى آخر ترجمة عطاء بعد أن نقل أقوال العلماء فى اختلاطه، وفيمن روى عنه فى هذه الحالة وقبلها:

«فيحصل لنا من مجموع كلامهم أن سفيان الثورى وشعبة وزهيرًا وزائدة وحماد ابن زيد وأيوب عنه صحيح، ومن عداهم يتوقف فيهم إلا حماد بن سلمة فاختلف قولهم. والظاهر أنه سمع منه مرتين، يعنى قبل الاختلاط وبعده». وقال قبيل ذلك: فاستفدنا من هذه القصة أن رواية وهيب وحماد -يعنى ابن سلمة- وأبى عوانة عنه فى جملة ما يدخل فى الاختلاط»).

قلت: انظر إلى مجموع كلام العلماء، والنتيجة التى حصل عليها الحافظ من هذا المجموع، وانظر إلى هذا الاستثناء من التوقف بقول الحافظ: ومن عداهم يتوقف فيهم إلا حماد بن سلمة. فغفل المفترى علينا عن هذا الاستثناء؛ لأنه مشغول بما هو أهم، فراح يتهكم علينا.

لقد حصل الحافظ ابن حجر مجموع أقوال العلماء، وخرج بهذه الفوائد الثلاثة، ولذلك قال بعقبها الشيخ الألبانى رحمه الله: «وهذا تحقيق دقيق يجب أن لا ينساه -كما وقع للحافظ نفسه- مَنْ يريد أن يكون من أهل التحقيق، ولازم ذلك أن لا يصحح حديث حماد بن سلمة عن عطاء لاحتمال أن يكون سمعه منه فى حالة الاختلاط».

قاعدة السقوط

وهنا تنطبق القاعدة التى أوردها العراقى فى ألفيته: «وفى الثقات من أخيرًا اختلط فما روى فيه أو أبهم سقط». وقال السخاوى فى «فتح المغيث» (٤/ ٣٧١): (أو أبهم) الأمر فيه وأشكل، بحيث لم نعلم روايته صدرت فى حال اتصافه به أو قبله، سقط حديثه فى الصورتين»[(١)].

---

(١) قلت: انظر إلى هذا التطبيق الدقيق لسقوط حديث حماد أمام هذه القاعدة.

نتيجة التحقيق

بعد أن سَلِم لنا السقوط لسند القصة بتطبيق تحصيل مجموع كلام العلماء الذى جمعه الحافظ ابن حجر، وخرج بالنتيجة التى طبقناها على القاعدة الأصولية وجدنا أن الحديث ساقط.

انظر هذا التحصيل من مجموع كلام العلماء فى «التهذيب» (٧/ ١٨٦)، وهى النتيجة النهائية فى الحكم على رواية حماد بن سلمة عن عطاء، والتى ختم بها الحافظ ابن حجر ترجمة حماد بن سلمة. والتى كثيرًا ما ذكرها الشيخ الألبانى -رحمه الله-، انظر «الضعيفة» (٢/ ٣٣٤)، (٣/ ١٦٥).

ثم انظر القاعدة (قاعدة السقوط) فى ألفية العراقى، وفتح المغيث للسخاوي.

قول المفترى علينا

يقول -قلت: يقصدنى-: لقد ضعَّف الألبانى -رحمه الله- الحديث (٩٣٠) فى «الضعيفة» (ثم يعقب). أقول هذا الكلام فيه تلبيس وتدليس على القراء، فالكثير يفهم من هذا أن التضعيف المنقول عن غير واحد إنما هو على حديثنا المذكور، لكن للأسف بالرجوع إلى المصدر رأينا حديثًا آخر هو: «من ترك موضع شعرة....».

الرد على هذا الافتراء

أقول -والله المستعان على ما يصفون-: إن هذا فهمك الفاسد فلا تظن بالناس ظن السوء فنقول: (فالكثير يفهم)، فتتهكم علينا، وتظن السوء بالكثير؛ لأنك بترت النص، فالنص يقول: واستمع: قلت أنا فى المجلة (ص٢٧) بعد ذكر الخلاصة لمجموع أقوال العلماء فى رواية حماد بن سلمة عن عطاء: وتمسك الألبانى بهذه الخلاصة حتى قال: وهذا تحقيق دقيق يجب أن لا ينساه من يريد أن يكون من أهل التحقيق، ولازم ذلك أن لا يصحح حديث حماد بن سلمة عن عطاء... ». اهـ.

قلت بعقبها: ولقد ضعَّف الألباني -رحمه الله- الحديث(٩٣٠) في «الضعيفة»، والذي جاء من طريق فيه حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب.

* انظر: لم أقل ضعَّف الألبانى هذا الحديث، ولكن قلتُ ضعَّف الحديث الذى جاء من طريق فيه حماد بن سلمة عن عطاء.

فقيَّدت يا هذا التضعيف بالسند (حماد عن عطاء) فلم أقيده بالمتن، ومفهوم الألبانى -رحمه الله- «أن لا يصحح حديث حماد عن عطاء» كما بيّنا آنفًا.

الرد على الشاهد

رابعًا- الشاهد الأوهى:

جاء الشاهد عند ابن ماجه فيه قصة للخضر وزواجه بامرأتين، وكان لا يقرب النساء، فكتمت إحداهما وأفشت الأخرى، والكاتمة كانت الماشطة لابنة فرعون إلى آخر القصة التى جاءت من رواية سعيد بن بشير عن قتادة، ولقد أورد العلماء قولهم فى سعيد بن بشير عن قتادة الذى عنعن فى هذه الرواية وهو مدلس.

الافتراء فى الرد

يقول: ذكرت الشاهد الذى أخرجه ابن ماجه وضعفته بعلتين:

الأولى: عنعنة قتادة.

والثانية: سعيد بن بشير، ضعفه لا ينجبر، ثم يقول: إن عنعنة قتادة فهذه مسلم بها.

أما تضعيف سعيد فقد نقلتم أقوال المضعفين، وكأنه لم يوثقه أحد فيظن من يقرأ ما ذكرت أنه واهٍ، فقد قوّاه جماعة.

الرد

أقول -والله المستعان على ما تصفون-: إن عدم درايتكم بقواعد علم الحديث التطبيقى أوقعك فى هذه المخاضة.

القاعدة

قال الإمام ابن الصلاح فى «علوم الحديث»، وهى الأصل لكل نظم ومختصر، فى ص (٢٢٤): «إذا اجتمع فى شخص جرح وتعديل، فالجرح مقدَّم؛ لأن المعدل يخبر عمَّا ظهر من حاله، والجارح يخبر عن باطن خَفِيَ على المعدِّل».

قلت: إن ضياع هذه الأصول من المفترى علينا، نظراً لضيق وقته ومشاغله وانشغاله بما هو أهم من هذه القواعد جعله يفترى علينا بغير أصول، فقد تبين كما بيَّنا فى المجلة (ص ٢٨) ضعف سعيد بن بشير؛ خاصة فى روايته عن قتادة المدلس، وقد عنعن، ففى «التهذيب» (٤/ ٨) قال أبو مسهر: سعيد بن بشير ضعيف منكر الحديث. وقال الساجي: حدث عن قتادة بمناكير. وقال محمد بن عبد الله بن نمير: منكر الحديث ليس بشيء، ليس بقوى الحديث، يروى عن قتادة المنكرات، قال ابن حبان فى «المجروحين» (١/ ٣١٥): كان رديء الحفظ فاحش الخطأ، يروي عن قتادة ما لا يتابع عليه.

وقال العراقي فى «شرح الألفية» رقم (١١): «ومن كثر الخطأ فى حديثه وفحش استحق الترك، ولو كان عدلاً».

خلاصة التحقيق فى الشاهد

لقد تبين من قواعد علم أصول الحديث أن رواية سعيد بن بشير عن قتادة التى جاءت بها القصة أنها رواية منكرة، بحكم أئمة الحديث الذى ذكرتهم آنفًا وأنه رديء الحفظ فاحش الخطأ، لا يصلح للمتابعات، ولما كثر خطؤه وفحش استحق الترك.

مجادلة بغير علم من المفترى

يقول مَنْ افترى علينا فى آخر كلمة من افتراءاته: فتبين بجلاء بعد هذا أن الرجل يصلح فى باب الشواهد والمتابعات خلافًا لما ذهبتم إليه.

الـــرد

ونقول -والله المستعان على ما يصفون- بعدما تبين الحق من القواعد: إذا تعرى الكلام من القواعد فليقل ما يشاء ، فهذا رماد يقذف به المفترى فى وجه الشمس؛ شمس القواعد الأصولية لعلم الحديث، والتى يقول فيها الحافظ ابن كثير فى «الباعث الحثيث» (ص ٣٣):

قال الشيخ أبو عمرو: « لا يلزم من ورود الحديث من طرق متعددة أن يكون حسنًا؛ لأن الضعف يتفاوت فمنه ما لا يزول بالمتابعات، يعنى لا يؤثر كونه تابعًا أو متبوعًا، كرواية الكذابين والمتروكين.... ».

ولذلك ختم القاعدة الجليلة التى نقلها عنه ابن كثير ختمها ابن الصلاح: «وهذه جملة تفاصيلها تدرك بالمباشرة والبحث، فاعلم ذلك فإنه من النفائس العزيزة».

قلت: فأني له الصلاحية وقد استبان حاله بأنه رديء الحفظ، فاحش الخطأ، منكر الحديث، متروك.

* **نصيحة:** إن علم الحديث ليس متنًا يحفظ لمختصر أو نظم، ولكنه تطبيق كما فى علم الحديث التطبيقى يدرك بالمباشرة والبحث.

* وأنا أسأل الله أن يغفر لك ما تهكمت به علينا بألفاظ متعددة فى أماكن متفرقة وأهدى إليك كتابى طبعة أولى هذا العام «علم الحديث التطبيقي» لعل الله يوفقكم لقراءته رغم ضيق وقتكم وانشغالكم بما هو أهم كما أخبرتم عن أنفسكم.

هذا ما وفقني الله إليه، وهو وحده من وراء القصد

تم بحمد الله يوم الثلاثاء ٢٢/رجب/١٤٢٢هـ

❊ ❊ ❊ ❊

بعد أن كتبت هذه القصة بفترة زمنية وقع بصرى على كتاب للشيخ المحدث العلامة محمد ناصر الدين الألباني -رحمه الله تعالى- وهو «الإسراء والمعراج»، وهذا المصنف - كغيره من ذخائر ونفائس مشروع الشيخ «تقريب السنة بين يدى الأمة» الذى أفنى فيه عمره -وهذا المصنف لم يطبع إلا بعد وفاة الشيخ -رحمه الله-. ولقد أثبت فيه عدم صحة خبر قصة الماشطة.

حيث قال ص (٨٠): أخرجه أحمد (١/ ٣١٠)، وابن حبان (٣٦، ٣٧)، والطبراني (١٢٢٧٩) وغيرهم وفيه ضعف لاختلاط عطاء بن السائب وما قيل من سماع حماد منه قبل اختلاطه، فقد قيل أيضًا: إنه سمع منه بعد الاختلاط؛ كما هو مبين فى «التهذيب» و«الأحاديث الضعيفة» (٨٨٠)، فقول السيوطي فى «الخصائص» (١/ ٣٩٩): «سنده صحيح» مردود، ونحوه قول ابن كثير: «إسناده لا بأس به». اهـ.

قلت: وبهذا يتبين عدم صحة خبر قصة الماشطة عند الشيخ - رحمه الله- وموافقته لنا فى بيان العلة، والحمد لله.

وإلى هذا وأمثاله نصيحة الشيخ المحدث العلامة الألبانى -رحمه الله-، فى ختام رده على مثل هؤلاء: «أرجو مخلصًا أن لا تشغلوا أنفسكم بالكتابة في علم لم تنضجوا فيه بعدُ، ولا تشغلونا بالرد عليكم حين تكتبون ردًا عليَّ، ولو بطريقة السؤال والاستفادة، فإن ما أنا فيه من الاشتغال بالمشروع العظيم «تقريب السنة بين يدى الأمة» الذى يشغلني عنه فى كثير من الأحيان ردود تنشر فى رسائل وكتب ومجلات من بعض أعداء السنة من المتمذهبة والأشاعرة والمتصوفة وغيرهم: ففى هذا الانشغال ما يغنيني من الرد ...». اهـ.

قلت: ونحن ولله الحمد مشغلون بالعديد من المشاريع منها:

١ - بمشروع تيسير حفظ السنة: «درر البحار من صحيح الأحاديث القصار».
ألف حديث كل ثلاث سنوات.

٢ - مشروع تحذير الداعية من القصص الوَاهية.

٣- مشروع مجالس تنقية قصص الأنبياء والسيرة من الواهيات الشهيرة.

٤ - مشروع دقيق فقه الأسماء والصفات.

فنسأل الله أن يبارك فى وقتنا لخدمة سنة نبينا، والله وحده من وراء القصد.

❁ ❁ ❁ ❁

(١٣)
قصة ابن الاكرمين(*)

نواصل فى هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارىء الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة التى اشتهرت على ألسنة الخطباء والوعاظ والقصاص والكتاب:

* عن **أنس بن مالك** ﷺ أتى رجل من أهل مصر إلى عمر بن الخطاب ﷺ فقال يا أمير المؤمنين، عائذ بك من الظلم. قال: عذت معاذاً. قال: سابقت ابن عمرو بن العاص فسبقته، فجعل يضربني بالسوط ويقول: أنا ابن الأكرمين فكتب عمر إلى عمرو يأمره بالقدوم عليه، ويَقْدم بابنه معه، فقدم، فقال عمر: أين المصرى؟ خذ السوط فاضرب. فجعل يضربه بالسوط، ويقول عمر: اضرب ابن الأليمين، قال أنس: فضرب، فوالله لقد ضربه ونحن نحب ضربه، فما أقلع عنه حتى تمنَّينا أنه يرفع عنه. ثم قال عمر للمصرى: ضع على صلعة عمرو، فقال: يا أمير المؤمنين، إنما ابنه الذى ضربنى، وقد اشتفيت منه، فقال عمر لعمرو: مُذْ كم تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟ قال :يا أمير المؤمنين لم أعلم ولم يأتنى.

تخريج القصة

هذه القصة أخرجها ابن عبد الحكم فى «فتوح مصر وأخبارها» (ص٢٩٠) والقصة أوردها محمد بن يوسف الكاندهلوى فى «حياة الصحابة» (٢/ ٨٨) باب «عدل النبى ﷺ وأصحابه» قال: «وأخرج ابن عبد الحكم عن أنس ﷺ أن رجلاً من أهل مصر أتى عمر بن الخطاب وقال يا أمير المؤمنين... القصة، ثم قال كذا فى «منتخب كنز العمال» (٤/ ٤٢٠).

قلت: وبالرجوع إلى «كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال» للعلامة علاء الدين المتقى بن حسام الدين الهندى وجدنا القصة تقع فى «كنز العمال» (١٢/ ٦٦٠) رقم (٣٦٠١٠) وعزاه لابن عبد الحكم أيضاً.

(*) مجلة التوحيد، شعبان، ١٤٢٢هـ.

وابن عبد الحكم الذى أخرج هذه القصة : أورده الإمام المزى في «تهذيب الكمال» (١١/ ٢٥٤/ ٣٨٥٠) قال : عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم بن أَعْيَن بن ليث المصرى أبو القاسم.

ثم نقل عن أبى سعيد بن يونس أنه كان فقيها، والأغلب عليه الحديث والأخبار ونقل عن أبي الحسن بن قديد :أن ابن عبد الحكم توفى فى المحرم سنة سبع وخمسين ومائتين، وسِنُّه نحو السبعين أو زيادة.

وقال الحافظ ابن حجر فى «تهذيب التهذيب» (٦/ ١٨٩): قال القضاعى: كان من أهل الحديث عالماً بالتواريخ صنف تاريخ مصر وغيره.

التحقيــق:

هذه القصة واهية وسندها منقطع ومظلم:

* يظهر هذا الانقطاع من الصناعة الحديثية فى السند حيث قال ابن عبد الحكم فى فتوح مصر (ص٢٩٠).

حُدِّثنا عن أبى عبدة، عن ثابت البنانى وحميد، عن أنس :فذكر القصة.

قلت : قول ابن عبد الحكم : حدثنا عن أبى عبدة يظهر منها طريقة تحمله للقصة وصيغة الأداء.

والمراد بتحمله : بيان طرق أخذه وتلقيه عن الشيوخ.

قال الإمام النووى -رحمه الله- فى التقريب (٢/ ٨-تدريب): «بيان أقسام طرق تحمل الحديث . ومجامعها ثمانية أقسام :الأول :سماع لفظ الشيخ، وهو إملاء وغيره من حفظ ومن كتاب وهو أرفع الأقسام عند الجماهير».

قلت: وألفاظ الأداء فى هذا القسم: سمعت، وحدثنى ولفظ الأداء فى رواية ابن عبد الحكم للقصة مبنى للمجهول، وبهذا لم يعرف من الشيخ الذي أخذ عنه وتلقى عنه هذه القصة وترتب عليه عدم معرفة أبى عبدة الذى روى عنه هذا المجهول.

وأصبح السند مظلماً بهذه الجهالة وزاد الجهالة جهالة أنه بالبحث عمن روى عن ثابت فى تهذيب الكمال (٣/ ٢٤٤/ ٧٩٧) وجدنا أن عددهم (١٠٤) راوٍ لم يكن من بينهم أبو عبدة وزاد الجهالة جهالة أيضاً أنه بالبحث عمن روى عن حميد فى تهذيب الكمال (٥/ ٢٣٦/ ١٥٠٧) وجدنا أن عددهم (٧٣) راو لم يكن من بينهم أبو عبدة.

وبهذا التحقيق أصبح السند منقطعاً ومظلماً، والمتن منكراً.

أوجه نكارة المتن

أولاً : قول عمر للمصرى : ضع على صلعة عمرو:

قلت: وجه النكارة هى مؤاخذة عمرو بذنب ولده، والله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ (الإسراء:١٥).

قال ابن كثير رحمه الله فى «تفسيره» (٥/ ٣٤):« أى لا يحمل أحد ذنب أحد، ولا يجنى جان إلا على نفسه».

وقال القرطبى رحمه الله فى «تفسيره الجامع لأحكام القرآن» (٣/ ٢٦٧٦- دار الغد): «أى لا تحمل حاملة ثقل أخرى، أى لا تؤخذ نفس بذنب غيرها، بل كل نفس مأخوذة بجرمها ومعاقبة بإثمها».

سنة الجاهلية: أخرج البخارى فى «صحيحه» (١٢/ ٢١٩- فتح) ح (٦٨٨٢) قال: حدثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب، عن عبد الله بن أبى حسين، حدثنا نافع ابن جبير عن ابن عباس أن النبى ﷺ قال: «**أبغض الناس إلى الله ثلاثة: ملحد فى الحرم - ومبتغ فى الإسلام سنة الجاهلية، ومطَّلِب دم امرئ بغير حق ليهريق دمه**».

قلت : والحديث أخرجه الإمام الطبرانى فى «المعجم الكبير» (١٠/ ٣٧٤/ ١٠٧٤٩) قال : حدثنا أحمد بن عبد الوهاب بن نجدة الحوطى ثنا أبو اليمان الحكم بن نافع به.

فائدة: لقد أخرج الطبرانى هذا الحديث من غير طريق البخارى فاجتمع معه فى شيخه أبى اليمان.

وقد يحسبه من لا دراية له بهذا الفن أنه هين، ولكنه عند علماء هذه الصناعة عظيم ويسمى «المستخرجات» والمستخرج: «أن يأتي المصنف إلى الكتاب فيخرج أحاديثه بأسانيد لنفسه من غير طريق صاحب الكتاب، فيجتمع معه فى شيخه أو من فوقه» كذا فى «التدريب» (١/ ١١٢). للسيوطى وعزاه للعراقى.

«ملحوظة هامة»

قال السخاوى فى فتح المغيث (١/ ٤٧): «ثم إن أصحاب المستخرجات غير منفردين بصنيعهم بل أكثر المخرجين للمشيخات والمعاجم وكذا الأبواب يوردون الحديث بأسانيدهم. ثم يصرحون بعد انتهاء سياقه غالباً بعزوه إلى البخارى أو مسلم أو إليهما معاً مع اختلاف الألفاظ وغيرها يريدون أصله».

قلت: ويلاحظ طالب هذا الفن تلاقى الطريقان عند شيخ البخارى أبى اليمان ومع ذلك نجد اختلاف اللفظ فقد أوردنا لفظ البخارى آنفاً وهذا لفظ الطبرانى: «أبغض الناس إلى الله مبتغ فى الإسلام سنة الجاهلية، وطالب دم امرىء بغير حق ليهريق دمه» اهـ.

قلت : ومن لا يعرف اللفظ والأصل وقع فى تيهاء العزو.

فنجد فى لفظ الطبرانى جملتين فقط، ونجد أن الجملة التى اشتركت عندهما فى اللفظ هى جملة «مبتغ فى الإسلام سنة الجاهلية» والتى هى موضوع بحثنا والتى يتبين منها أن القصة منكرة المتن حيث جاء فيه «ضع على صلعة عمرو» وبعض القصاص والكتاب يوردها بالمعنى «أدرها على صلعة عمرو».

يظهر ذلك من قول الحافظ فى الفتح (١٢/ ٢١٩) قوله : (ومبتغ فى الإسلام سنة الجاهلية):

١ - أى يكون له الحق عند شخص فيطلبه من غيره ممن لا يكون له فيه مشاركة كوالده، أو ولده، أو قريبه.

٢ -وقيل المراد : من يريد بقاء سيرة الجاهلية أو إشاعتها أو تنفيذها.

٣ -وسنة الجاهلية اسم جنس يعم جميع ما كان أهل الجاهلية يعتمدونه من أخذ الجار بجاره، والحليف بحليفه ونحو ذلك، ويلحق بذلك ما كانوا يعتقدونه، والمراد منه ما جاء الإسلام بتركه ...» اهـ.

ملحوظة:

وقد يحاول من لا دراية له بالصناعة الحديثية تأويل قول عمر، والتأويل فرع التصحيح والقصة واهية وسندها منقطع مظلم.

فمؤاخذة الوالد بفعل ولده سنة الجاهلية وهذا منكر يجب أن لا ينسب إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﵁.

ثانياً - الشتم:

فى هذه القصة الواهية ينسب إلى عمر بن الخطاب ﵁ أنه قال للمصرى وهو يضرب ابن عمرو بن العاص : «إضرب ابن الأليمين».

يعنى : الألأمين.

قلت : وهذا اللفظ أشد من لفظ (لئيم) لأن هناك اللئيم والألأم.

ولفظ اللئيم كما فى «لسان العرب» (١٢/ ٥٣٠) معناه:

«الدنىء الأصل الشحيح النفس».

قلت: والتعيير بالأصل لا يجوز لأنه من أمور الجاهلية، والشاهد ما أخرجه الإمام البخارى فى «صحيحه» ح (٣٠، ٢٥٤٥، ٦٠٥٠) من حديث أبى ذر قال: إنى ساببت رجلا فعيرته بأمه فقال لى النبي ﷺ : «**يا أبا ذر، أعيرته بأمه؟ إنك امرؤ فيك جاهلية**.....».

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله فى «الفتح» (١/ ١٠٨): «ويظهر لى أن ذلك كان من أبى ذر قبل أن يعرف تحريمه، فكانت تلك الخصلة من خصال الجاهلية باقية

عنده، فلهذا قال كما عند المؤلف فى «الأدب»: قلت: على ساعتى هذه من كبر السن؟ قال: «نعم» كأنه تعجب من خفاء ذلك عليه مع كبر سنه فبين له كون هذه الخصلة مذمومة شرعاً».

قلت: من هذا التخريج والتحقيق يتبين أن القصة واهية سندها تالف ومتنها منكر.

اشتهار القصة

لقد اشتهرت هذه القصة الواهية على ألسنة القصاص والوعاظ والخطباء حتى قررتها وزارة التربية والتعليم على طلاب الثانوية العامة: حيث أورد هذه القصة الواهية الكاتب عباس محمود العقاد فى كتابه (عبقرية عمر) ص (١٤٦، ١٤٧) طبعة الجهاز المركزى للكتب الجامعية والمدرسية والوسائل التعليمية طبعة سنة (١٣٩٩هـ. ١٩٧٩م) فاشتهرت القصة بين آلاف الطلبة.

وإن تعجب فعجب أن الكاتب العقاد قدم لهذه القصة بأن عمر ﷺ قد يأخذ الوالى أحياناً بوزر ولده أو ذوى قرابته ثم اتخذ من هذه القصة شاهداً على ذلك، ثم يذكر عبارة :قال أنس بن مالك راوى القصة.

والكاتب العقاد الذى فتن الكثير بكتابته حتى اتخذها هؤلاء حقائق قد افتقر منهجه إلى البحوث العلمية الحديثية: فالأحاديث والآثار التى أوردها عن الصحابة ﷺ وهو يترجم لهم خلت من أصول علم الحديث من التخريج والتحقيق، وهذه القصة الواهية التى اتخذها شاهداً تبين للقراء عامة ولطالب هذا الفن خاصة برهان ما ذهبنا إليه.

والقصة كما ترى من تحقيقنا أنها طعن فى الصحابة.

ولقد تتبعت الكاتب العقاد فى كتاباته عن الصحابة ﷺ فوجدته ينقل الأحاديث والآثار المتعلقة بالصحابة ﷺ بمنهج لا يعرف أصول الرواية من التخريج والتحقيق فكيف يكون منهجاً للطلاب فى المعاهد العلمية؟

برهــان آخــر:

فى كتابه «عمرو بن العاص» (ص/ ١٦ طبعة دار الكتاب -بيروت -لبنان) أورد العقاد قصة للصحابى الجليل عمرو بن العاص ﷺ، والصحابية الجليلة أَرْوَى بنت الحارث بن عبد المطلب الهاشمية فقال العقاد: شتم عمرو بن العاص أروى بنت الحارث بن عبد المطلب بمجلس معاوية فانتهرته قائلة: «وأنت يا ابن النابغة تتكلم، وأمك كانت أشهر امرأة تغنى بمكة وآخذهن لأجرة؟ اربع على ظَلْعك، واعن بشأن نفسك، فوالله ما أنت من قريش فى اللباب من حسبها ولا كريم منصبها ولقد ادعاك خمسة نفر من قريش كلهم يزعم أنه أبوك، فسئلت أمك عنهم فقالت: كلهم أتانى فانظر أشبههم به فألحقوه به» ..!!

قلت: انظر إلى هذا المنهج الذى يطعن فى صحابة النبى ﷺ منهج العقاد الذى لا يعرف أصول علم الحديث ولا صناعته فيذكر هذه القصص الواهية دون تخريج ولا تحقيق فمنهج العقاد يجعل الصحابى الجليل عمرو بن العاص ﷺ شتاماً ابن زانية، والتى تسبُّه هى الصحابية الجليلة أروى بنت الحارث بن عبد المطلب الهاشمية بنت عم النبى ﷺ انظر ترجمتها فى «الإصابة فى حياة الصحابة» (٧/ ٤٧٩) لابن حجر ترجمة (١٠٢٨٢) قال الحافظ: «ذكرها ابن سعد فى «الصحابيات فى باب بنات عم النبى ﷺ » لتعرف مدى نكارة هذه القصة.

قلت: وانظر الطبقات لابن سعد (٨/ ٤٠) ترجمة (٤١٢٠).

وإن شاء الله سأواصل بيان هذه القصص الواهية التى اشتهرت وتطعن فى خير الناس فقد ثبت فى مسند أحمد والصحيحين وسنن الترمذى من حديث ابن مسعود عن النبى ﷺ قال: «**خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته**».

هذا ما وفقنى الله إليه وهو وحده من وراء القصد

❁ ❁ ❁ ❁

(١٤)

قصة صيـــام امرأتيـن (*)

نواصل فى هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم، حتى يقف على حقيقة هذه القصة التى اشتهرت على ألسنة الخطباء والوعاظ والقصاص والكُتّاب، خاصةً فى شهر رمضان.

لقد جاءت هذه القصة من حديث عُبيْد مولى رسول الله ﷺ: «أن امرأتين صامتا، وأن رجلاً قال: يا رسول الله، إن هاهنا امرأتين قد صامتا، وإنهما قد كادتا أن تموتا من العطش، فأعرض عنه أو سكت، ثم عاد وأراه. قال: بالهاجرة، قال: يا نبى الله إنهما، والله قد ماتتا، أو كادتا أن تموتا؟ قال: ادْعُهُمَا. قال: فجاءتا. قال: فجىء بقدح أو عُسٍّ، فقال لإحداهما: قيئى. فقاءت قيحاً ودماً وصديدًا ولحمًا حتى قاءت نصف القدح، ثم قال للأخرى: قيئى: فقاءت من قيح ودم وصديد ولحم عبيط وغيره، حتى ملأت القدح، ثم قال: إن هاتين صامتا عما أحل الله وأفطرتا على ما حرَّم الله -عز وجل- عليهما، جلست إحداهما إلى الأخرى، فجعلتا تأكلان من لحوم الناس.

أولاً: التخريج

١- الحديث الذى جاءت به هذه القصة أخرجه الإمام أحمد فى «المسند» (٥/ ٤٣١) (ح٢٣٦٥٣)، وأخرجه ابن أبى الدنيا فى «ذم الغيبة» (ح٣٢)، وفى «الصمت» (١٧١)، والبيهقى فى «الدلائل»(٦/ ١٨٦) من طريق: يزيد بن هارون، عن سليمان التيمى، عن رجل، عن عبيد مولى رسول الله ﷺ به.

٢- وأخرجه أبو يعلى فى «مسنده» (٢/ ٢٣٤) (ح١٥٧٣) قال: حدثنا عبد الأعلى ابن حماد، حدثنا حماد بن سلمة، عن سليمان التيمي، عن عبيد مولى رسول الله ﷺ به.

وأخرجه من طريقه ابن الأثير في «أسد الغابة» (٣/ ٥٣٣) ترجمة (٣٤٩٥).

(*) مجلة التوحيد، العدد التاسع، السنة الثلاثون.

التحقيق

١ - لقد جاء السند عند أحمد من طريق يزيد بن هارون، وأيضاً تابع يزيد فى روايته عن سليمان عند أحمد فى «المسند» ابنُ أبى عدى، واسمه محمد بن إبراهيم، وسليمان هو ابن طرخان التيمى.

ملحوظة هامة

لقد أورد هذا الحديث الحافظ ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٢١٦) للآية (الحجرات:١٢)، وقال: «وهكذا رواه الإمام أحمد عن يزيد بن هارون وابن أبى عدى، كلاهما عن سليمان بن صوعان التيمى به مثله».

قُلْتُ: وهذا عند علماء الفن تصحيف، ويحسبه من لا دراية له بالصنعة هينًا، ولكنه عظيم عند أهل الصنعة ، خاصة عند البحث حول الاسم فى الجرح والتعديل، فترى أن «سليمان بن طَرْخان التيمى» صُحف إلى «سليمان بن صوعان التيمى»، وقد يكون هذا التصحيف من النقل من المخطوطة، حيث وجدت هذا فى أكثر من طبعة، فليتنبه الذين يقومون بطبع هذا التفسير إلى هذا التصحيف.

وتظهر أهمية ذلك من أن علماء الصنعة جعلوا المُصَحَّف نوعًا من أنواع علم المصطلح، فقد أورده الإمام النووى فى «التقريب» النوع الخامس والثلاثين، وقال: معرفة المصحف: هو فن جليل وإنما يحققه الحذاق من الحفاظ، والدارقطني منهم. ولقد أورد أقسامه فى «التدريب» (٢/ ١٧٣) الإمامُ السيوطي، وهذا من قسم التصحيف فى السند. من حيث الموقع، فقد صحف «طرخان» إلى «صوعان» أى سليمان بن طرخان إلى سليمان بن صوعان.

وهو أيضًا تصحيف بصر من حيث منشئه، أى اشتبه الخط على بَصَرِ القارئ أو الناقل من المخطوطة، وباعتبار اللفظ هو تصحيف لفظ لا معنى، ولكى تقف على حقيقة هذا التصحيف راجع «التهذيب» (٤/ ١٧٦) تجد ترجمة سليمان بن طرخان التيمي أبى المعتمر البصري، روى عنه ابن أبى عدى ويزيد بن هارون.

٢- والقصة أوردها الشيخ محمد عليّ الصابوني في «مختصر تفسير ابن كثير» وهذه من القصص التي سكت عنها ابن كثير -رحمه الله- كقصة «ثعلبة». فأوردها الصابوني متوهماً صحتها، ونسي القاعدة: من أسند فقد أحال، فسبحان ربي ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى﴾ (طه:٥٢).

وسنبين -إن شاء الله- لاحقًا منهج ابن كثير في إيراد الأحاديث للوقوف على حقيقة تناول الصابوني للأحاديث في «مختصره».

٣- نلاحظ أن في السند الذي أخرجه أحمد وابن أبي الدنيا والبيهقي رجلاً لم يُسم، وبذلك أصبح هذا الحديث من أقسام المبهم، كما عند البيقوني في «منظومته»:

ومبهم ما فيه راوٍ لم يسم

وفي المصطلح: حكم رواية المبهم عدم القبول، وسبب الرد لروايته جهالة عينه؛ لأن من أبهم اسمه جُهلت عينه، وجُهلت عدالته من باب أولى، فلا تُقبل روايته.

فإذا قيل: إن حكم رواية المبهم عدم القبول حتى يصرح الراوي عنه باسمه أو يُعرَف اسمه بوروده من طريق آخر مصرَّح فيه باسمه.

قُلْتُ: بالرجوع إلى طرق الحديث لم نجد طريقاً صرَّح باسمه، ولذلك قال الحافظ العراقي في «المغني» (٣/ ١٣٩ -إحياء): إنه مجهول.

٤- وفي السند الذي أخرجه أبو يعلى ومن طريقه ابن الأثير؛ أسْقِط الرجل المبهم، وجاء السند: عن سليمان عن عبيد مولى رسول الله ﷺ. وأصبح السند هنا منقطعاً، لذلك قال ابن الأثير في «أُسْد الغابة» (٣/ ٥٣٣) عقب القصة: «وقيل: لم يسمع سليمان من عبيد بينهما رجل».

شاهد واهٍ للقصة

وجاءت القصة من حديث أنس، أخرجها ابن أبى الدنيا فى «ذم الغيبة» (ح ٣١)، وفى «الصمت» (ح١٦٩)، وأخرجها أبو داود الطيالسى (١/ ١٨٨) من طريق الربيع ابن صبيح، عن يزيد الرقاشي، عن أنس بن مالك قال: أمر النبى ﷺ الناس بصوم يوم، وقال: «**لا يفطرن أحد حتى آذن له**»، فصام الناس حتى أمسوا، وجعل الرجل يجيء فيقول: يا رسول الله، إنى ظللت صائماً فأذن لى فأفطر، فأذن له والرجل، حتى جاء رجل، فقال: يا رسول الله، فتاتان من أهلك ظلتا صائمتين، وإنهما يستحيان أن يأتياك، فأذن لهما فليفطرا، فأعرض عنه، ثم عاوده فأعرض عنه، ثم عاوده فأعرض عنه، ثم عاوده فأعرض عنه، فقال: «إنهما لم يصوما، وكيف صام مَنْ ظل هذا اليوم يأكل لحوم الناس؟ اذهب فمرهما إن كانتا صائمتين فليستقيئا». فرجع إليهما فأخبرهما، فاستقاءتا، فقاءت كل واحدة منهما علقة من دم، فرجع إلى النبى ﷺ فأخبره، فقال: «والذى نفس محمد بيده لو بقيتا فى بطونهما لأكلتهما النار». واللفظ لابن أبى الدنيا.

التحقيق

* يزيد الرقاشى: هو يزيد بن أبان من أهل البصرة، كنيته أبو عمر، قال الإمام ابن حبان فى «المجروحين» (٣/ ٩٨): يروى عن أنس بن مالك، وهو ممن غفل عن صناعة الحديث وحفظه واشتغل بالعبادة، كان يقلب كلام الحسن، فيجعله عن أنس عن النبى ﷺ وهو لا يعلم، فلما كثر من روايته ما ليس من حديث أنس وغيره من الثقات بطل الاحتجاج به، فلا تحل الرواية عنه إلا على سبيل التعجب، وكان قاصًا يقص بالبصرة، ويُبْكِي الناس، وكان شعبة يتكلم فيه بالعظائم. اهـ.

قال النسائى فى كتابه «الضعفاء والمتروكين» (ص١١٠) تحت رقم(٦٤٢): يزيد ابن أبان الرقاشى: متروك، وقد قال النسائى: «لا يترك الرجل عندي حتى يجتمع الجميع على تركه». وفى «الميزان» (٤/ ٤١٨): قال أحمد: كان يزيد منكر الحديث،

وعقَّب الإمام الحافظ ابن كثير فى «تفسيره» (٤/ ٢١٦) على هذا الشاهد الذى أورده عن أبى داود الطيالسى قال: «إسناد ضعيف ومتن غريب».

وعلة أخرى: الربيع بن صبيح، قال الحافظ فـي «التقريب» (١/ ٢٤٥): «سيئ الحفظ».

قال البخارى فى كتابه «الضعفاء» (ص٤٤): كان يحيى القطان لا يحدِّث عنه، وفى «الميزان» (٢/ ٤١) كان القطان لا يرضاه. قال ابن معين والنسائى: ضعيف.

قلت: وهذا الشاهد كما بيّنا لا يصلح، فيزيد القصة وهنًا على وهن.

هذا ما وفقنى الله إليه، وهو وحده من وراء القصد



(١٥)

قصة موت الصحابي عمرو بن العاص

نواصل فى هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة التى اشتهرت على ألسنة الخطباء، والوعاظ، والقصاص، وكثير من الكتاب الذين يكتبون عن أصحاب رسول الله ﷺ ومما زاد القصة اشتهاراً وانتشاراً أن أحد الخطباء أوردها فى كتاب بعنوان : «أصحاب الرسول ﷺ» قدم له أربعة من الخطباء المشهورين عفا الله عنى وعنهم ونحن لا نذكر الأسماء لأن الذى يهمنا التحقيق.

أولاً : «متن القصة»

قال عمرو بن العاص :عجبا لمن نزل به الموت وعقله معه، كيف لا يصفه؟

فلما نزل به الموت، قال له ابنه عبد الله بن عمرو:

«يا أبت إنك كنت تقول :عجباً لمن نزل به الموت وعقله معه كيف لا يصفه فصف لنا الموت وعقلك معك، فقال :يا بنى، الموت أَجَلّ من أن يوصف، ولكنّى سأصف لك منه شيئاً.

أجدنى كأن على عنقى جبال رَضْوَى وأجدنى كأن فى جوفى شوك السُّلاَّءِ وأجدنى كأن نفسى يخرج من ثقب إبرةٍ» اهـ.

ثانيًا : أسباب البحث فى هذه القصة

١- المقارنة بين أحوال الناس عند احتضارهم وبين حالة الصحابى عمرو أبن العاص ﷺ عند احتضاره.

قال الله تعالى فى كتابه العزيز فى ختام سورة الواقعة:

﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَـٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ (الواقعة:٨٨-٩٦).

٢- قال الإمام الحافظ ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٣٠٠):

هذه الأحوال الثلاثة هى أحوال الناس عند احتضارهم:

أ - إما أن يكون من المقربين.

ب - أو يكون ممن دونهم من أصحاب اليمين.

جـ- وإما أن يكون من المكذبين بالحق، الضالين عن الهدى، الجاهلين بأمر الله . ولهذا قال تعالى: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ﴾ أى المحتضر ﴿مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ وهم الذين فعلوا الواجبات والمستحبات وتركوا المحرمات وبعض المباحات ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾ أى فلهم روح وريحان وتبشرهم الملائكة بذلك عند الموت كما تقدم فى حديث البراء ....» اهـ.

٣- **قلت**: وحديث البراء يبين حالة العبد المؤمن عند الاحتضار، وحالة العبد الكافر أو الفاجر عند الاحتضار.

أ -حالة العبد المؤمن عند الاحتضار (حالة المقربين وأصحاب اليمين).

قال النبي ﷺ : «**إن العبد المؤمن إذا كان فى انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء، بيض الوجوه، كأن وجوههم الشمس، معهم كفن من أكفان الجنة، وحنوط من حنوط الجنة، حتى يجلسوا منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت عليه السلام حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الطيبة (وفى رواية: المطمئنة) أخرجى إلى مغفرة من الله ورضوان، قال فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من فِىِّ السقاء، فإذا أخذها لم يدعوها فى يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها فى ذلك الكفن وفى ذلك الحنوط فذلك قوله تعالى: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ (الأنعام:٦١)**» اهـ.

ب -حالة العبد الكافر أو الفاجر عند الاحتضار

قال النبي ﷺ : «**وإن العبد الكافر** (وفى رواية: الفاجر) **إذا كان فى انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه من السماء ملائكة** [غلاظ شداد] **سود الوجوه معهم المسوح** [من النار] **فيجلسون منهْ مد البصر ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخط من الله وغضب قال: فتفرق فى جسده فينتزعها كما ينتزع السَّفُّود** [الكثير الشعب] **من الصوف المبلول** [فتقطع معها العروق والعصب] **فيأخذها فإذا أخذها، لم يدعوها فى يده طرفة عين حتى يجعلوها فى تلك المسوح ....**» اهـ.

قلت: حديث البراء مرفوعاً أخرجه أحمد (٤/ ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٩٥، ٢٩٦) ح(١٨٥٥٧)، (١٨٦٣٧) والسياق له وأخرجه الآجُرِّى فى «الشريعة» (٢/ ١٩٠) ح(٩١٩) وأخرجه أبو داود (٤٧٥٣، ٤٧٥٤) والحديث صححه الإمام ابن القيم ونقل تصحيح أبى نعيم والحاكم له فى «تهذيب السنن» (7/ 140) وأخرجه الحاكم (١/ ٣٧-٤٠) وقال: «صحيح على شرط الشيخين».

٤- بتطبيق القول المنسوب إلى الصحابى الجليل وهو يصف حالة احتضاره حيث قال:

«أجدنى كأن فى جوفى شوك السُّلاَّء» قلت: والسلاء: شوك النخل الواحدة سلاءة كذا فى «المصباح المنير» ص (٢٨٧) نجده ينطبق تمام الانطباق على قوله ﷺ : «**فينتزعها كما ينتزع السَّفود الكثير الشعب من الصوف المبلول**».

وهذه الحالة هى حالة العبد الكافر أو الفاجر بل ما نسب إلى الصحابى عمرو ابن العاص فى هذه القصة التى تصف حالة احتضاره أشد، حيث فوق شوك السلاء الذى يشبه السفُّود الكثير الشعب وصف آخر أشد ينسب إلى عمرو بن العاص حيث يزعمون أنه قال: «وأجدنى كأن على عنقى جبال رضوى».

قلت: ورضوى: جبل بالمدينة كذا فى «لسان العرب» (١٤/ ٣٢٤) فكيف وعلى

عنقه جبال وفوق هذا الوصف وصفٌ ثالث أدهى وأمر ينسب إلى الصحابى عمرو ابن العاص حيث يزعمون أيضاً أنه قال فى احتضاره: «وأجدنى كأن نفسى يخرج من ثقب إبرة».

٥ - **قلت:** كيف تكون هذه حالة الصحابى عمرو بن العاص ﷺ.

وقد ثبت فى مسند أحمد (٢/ ٣٥٤، ٣٢٧، ٣٥٣) والحاكم(٣/ ٤٥٢) من حديث محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ قال : «**ابنا العاص مؤمنان**».

قلت : وله شاهد بالإيمان أخرجه أحمد والرويانى فى مسنده والترمذى من حديث عقبة بن عامر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**أسلم الناس وآمن عمرو بن العاص**».

قلت: وأورد هذا الشاهد الألبانى رحمه الله فى «الصحيحة» (١/ ٣٢٨) ح(١٥٥) وحسنه وأورد حديث أبى هريرة ح (١٥٦) وصححه ثم قال فى «الصحيحة» (١/ ٢٣٩).

وفى الحديث منقبة عظيمة لعمرو بن العاص ﷺ إذ شهد له النبي ﷺ بأنه مؤمن فإن هذا يستلزم الشهادة له بالجنة لقوله ﷺ فى الحديث الصحيح المشهور : «**لا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة** » متفق عليه.

وقال تعالى: «وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الأنهار».[1]

وعلى هذا فلا يجوز الطعن فى عمرو ﷺ كما يفعل بعض الكُتّاب المعاصرين، وغيرهم من المخالفين - بسبب ما وقع له من الخلاف ....» اهـ.

---

(١) بالبحث في القرآن الكريم لم توجد آية بهذا اللفظ تربط بين ثلاثة عناصر وعد الله، أو الإيمان، والجنة، ونقلت ما قاله الشيخ الألباني رحمه الله من غير تغيير كما تقتضي الأمانة العلمية، فما كتبه الشيخ رحمه الله ليس بآية. ولكن الآية التي تحقق الروابط الثلاثة هي قوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ (التوبة:٧٢) ونحن نحب الشيخ رحمه الله وحبنا للحق أشد.

٦- **قلت**: وعلى هذا فالصحابى عمرو بن العاص ﵁ شهد له النبى ﷺ بأنه مؤمن، والحالة التى جاءت فى القصة هى حالة الكافر والفاجر والمنافق.

٧- قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في «الفتاوي» (٣٥/ ٦٢):

أ- (ومعاوية وعمرو بن العاص وأمثالهم من المؤمنين لم يتهمهم أحد من السلف بنفاق، بل قد ثبت فى «الصحيح» أن عمرو بن العاص لما بايع النبى ﷺ قال: «على أن يغفر لى ما تقدم من ذنبى» فقال ﷺ : «**يا عمرو أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله**» ومعلوم أن الإسلام الهادم هو إسلام المؤمنين لا إسلام المنافقين).

ب- وأيضاً فعمرو بن العاص وأمثاله ممن قدم مهاجراً إلى النبى ﷺ بعد الحديبية هاجر إليه من بلادهم طوعاً لا كرهاً والمهاجرون لم يكن فيهم نفاق، وإنما كان النفاق فى بعض من دخل من الأنصار وذلك لأن الأنصار هم أهل المدينة، فلما أسلم أشرافهم وجمهورهم احتاج الباقون أن يظهروا الإسلام نفاقاً لعز الإسلام وظهوره فى قومهم، وأما أهل مكة فكان أشرافهم وجمهورهم كفاراً فلم يكن يظهر الإيمان إلا من هو مؤمن ظاهراً وباطناً فإنه كان من أظهر الإسلام يؤذى ويهجر وإنما المنافق يظهر الإسلام لمصلحة دنياه، وكان من أظهر الإسلام بمكة يتأذى فى دنياه....».

جـ - والمهاجرون من أولهم إلى آخرهم ليس فيهم من اتهمه أحد بالنفاق بل كلهم مؤمنون مشهود لهم بالإيمان.

د -وعمرو بن العاص قد أمَّره النبى ﷺ فى غزوة ذات السلاسل والنبى ﷺ لم يول على المسلمين منافقاً . اهـ.

٨- قال الحافظ ابن كثير فى «البداية والنهاية» (٨/ ٣٩٣) سنة ثلاث وأربعين:

أ - وممن توفى فيها عمرو بن العاص على المشهور، وكان أحد أمراء المسلمين، وهو أمير ذات السلاسل وأمره رسول الله ﷺ بمدد عليهم أبو عبيدة ومعه الصديق وعمر الفاروق، واستعمله رسول الله ﷺ على عمان فلم يزل عليها مدة حياة رسول الله ﷺ وأقره عليها الصديق.

ب - ثم إن الصديق بعثه في جملة من بعث من أمراء الجيش إلى الشام فكان ممن شهد تلك الحروب وكانت له الآراء السديدة والمواقف الحميدة والأحوال السعيدة.

جـ -ثم بعثه عمر إلى مصر فافتتحها واستنابه عليها».

الاستنتـاج

من هذا البحث يتبين:

١ - أن الصحابى عمرو بن العاص من المؤمنين ولم يتهمه أحد من السلف بنفاق.

٢- قال شيخ الإسلام ابن تيمية فى «مجموع فتاويه» (٣٥/ ٦٦): «وإذا كانوا مؤمنين محبين لله ورسوله فمن لعنهم فقد عصى الله ورسوله».

٣- وتبين من الأدلة الثابتة المنقبة العظيمة لعمرو بن العاص ﷺ إذ شهد له النبى ﷺ بأنه مؤمن.

٤- من هذا يتبين التناقض الشديد بين هذه المنقبة العظيمة، وبين ما نُسِب إليه فى القصة وهو يصف حالة احتضاره .تلك الحالة التى بينت السنة الثابتة أنها حالة الكافر أو الفاجر أو المنافق بل أشد كما بيَّنا آنفاً.

فائدة: وحتى لا يتأول متأوِّل هذه الحالة التى نعوذ بالله منها سنقوم بتخريج وتحقيق القصة.

ثالثًا: التخريـج

١- القصة أخرجها ابن سعد فى «الطبقات الكبرى» (٤/ ٤٤٨): «الصحابة الذين أسلموا قبل فتح مكة » رقم (٤٤٣) حيث قال:

أخبرنا هشام بن محمد بن السائب الكلبى عن عوانة بن الحكم قال :عمرو ابن العاص يقول : عجباً لمن نزل به الموت وعقله معه كيف لا يصفه »...فذكر القصة.

رابعًا : التحقيق

القصة واهية : والخبر الذى جاءت به القصة موضوع ؛ فهو كذب مختلق مصنوع وهو مسلسل بالعلل:

١ - العلة الأولى :هشام بن محمد بن السائب الكلبى

أ - قال الإمام الحافظ ابن حبان فى «المجروحين» (٣/ ٩١):

«هشام بن محمد بن السائب أبو المنذر الكلبى من أهل الكوفة يروى عن العراقيين العجائب والأخبار التى لا أصول لها، وكان غالياً فى التشيع، أخباره فى الأغلوطات أشهر من أن يحتاج إلى الإغراق فى وصفها» اهـ.

قلت : انظر إلى قول الإمام ابن حبان «وكان غالياً فى التشيع» وكيف وصل به الغلو إلى أن يأتى بخبر لا أصل له يجعل حالة احتضار الصحابى عمرو بن العاص كحالة احتضار الكفار والفجار.

ب- قال الإمام الحافظ أبو جعفر العقيلى فى «الضعفاء الكبير» (٤/ ٣٣٩/ ١٩٤٥): «حدثنا عبد الله بن أحمد، قال: سمعت أبى يقول: هشام بن محمد بن السائب الكلبى من يحدث عنه؟! إنما هو صاحب سمر ونسب؛ وما ظننت أن أحدًا يحدث عنه» اهـ.

جـ- قال الإمام الحافظ ابن عدى فى «الكامل» (٧/ ١١٠-٩/ ٢٠٢٦):

سمعت ابن حماد يقول حدثنى عبد الله سمعت أبى يقول هشام بن الكلبى فذكر ما أخرجه العقيلى.

د- أورده الدارقطنى فى كتابه «الضعفاء والمتروكين» برقم (٥٦٣) مما يدل على أن هشام بن الكلبى اتفق الأئمة البرقانى، وابن حمكان والدارقطنى على تركه.

هـ- أورده الذهبى فى «الميزان» (٤/ ٣٠٤/ ٩٢٣٧):

حيث أقر قول الإمام أحمد بن حنبل، ونقل عن الدارقطنى وغيره : أنه متروك وقال ابن عساكر : رافضى ليس بثقة.

و ـ وأقر الحافظ ابن حجر في «اللسان» (٦/ ٢٣٧-٨١/ ٨٩٣٧) قول أحمد فى هشام بن الكلبي: «ما ظننت أن أحداً يحدث عنه» وقول الدارقطنى وغيره : أنه متروك وقول ابن عساكر: «إنه رافضي، ليس بثقة».

الرافضة وأثرهم السيئ فى الحديث

قلت: بهذا يتبين أسباب وضع هذه القصة من هذه العلة التى كشفت عن هشام ابن محمد بن السائب الكلبى حيث تبين أنه كان غاليًا فى التشيع حتى قال ابن عساكر أنه رافضى فنجد الإمام ابن الجوزى فى «الموضوعات» (١/ ٣٨) وهو يبين دواعى الوضع وأصناف الوضاعين قال:

القسم الثانى : قوم كانوا يقصدون وضع الحديث نصرة لمذهبهم.

قلت: بيّن ذلك السخاوى فى «فتح المغيث» (١/ ٣٠٠) ثم ذكر الرافضة ثم قال: «الرافضة فرق متنوعة من الشيعة وانتسبوا كذلك لأنهم بايعوا زيد بن على ثم قالوا له تبرأ من الشيخين فأبى، وقال: كانا وزيرى جدى ﷺ فتركوه ورفضوه» اهـ.

قلت : وهذا ما بيَّنه شيخ الإسلام ابن تيمية فى «الفتاوى» (١٣/ ٣٥) قال:

«وأما لفظ الرافضة: فهذا اللفظ أول ما ظهر فى الإسلام، لما خرج زيد بن على بن الحسين فى أوائل المائة الثانية فى خلافة هشام بن عبد الملك واتبعه الشيعة فسئل عن أبى بكر وعمر فتولاهما وترحم عليهما فرفضه قوم فقال: رفضتمونى رفضتمونى فسموا الرافضة فالرافضة تتولى أخاه أبا جعفر محمد بن على والزيدية يتولون زيدًا وينسبون إليه ومن حينئذ انقسمت الشيعة إلى : زيدية ورافضة إمامية » اهـ.

قلت : ثم بيَّن ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية فى «الفتاوى» (٤/ ٤٣٥) حيث قال:

أ- «فأبو بكر وعمر أبغضتهما الرافضة ولعنتهما دون غيرهم من الطوائف ولهذا

قيل للإمام أحمد: من الرافضى؟ قال الذى يسب أبا بكر وعمر وبهذا سميت الرافضة، فإنهم رفضوا زيد بن على لما تولى الخليفتين أبا بكر وعمر لبغضهم لهما فالمبغض لهما هو الرافضي..».

ب ـ «وأصل الرفض من المنافقين الزنادقة فإنه ابتدعه ابن سبأ الزنديق وأظهر الغلو فى على بدعوى الإمامة والنص عليها وادعى العصمة له..» اهـ.

جـ ـ **قلت**: ثم ذكر الأثر السيئ لهم على الحديث فى «الفتاوى» (٦/ ٢٨٩) فقال: «الرافضة كَذَبُوا أحاديث كثيرة جدًا راج كثير منها على أهل السنة وروى خلق كثير منها أحاديث حتى عسر تمييز الصدق من الكذب على أكثر الناس، إلا على أئمة الحديث العارفين بعلله متنًا وسندًا » اهـ.

ثم بين مكانهم من الطوائف فقال فى «الفتاوى» (٤/ ٤٧١):

«وبهذا وأمثاله يتبين أن الرافضة أمة ليس لها عقل صريح، ولا نقل صحيح ولا دين مقبول، ولا دنيا منصورة، بل هم أعظم الطوائف كذبًا وجهلاً ودينهم يدخل على المسلمين كل زنديق ومرتد، كما دخل فيهم النصيرية، والإسماعيلية وغيرهم فإنهم يعمدون إلى خيار الأمة يعادونهم، وإلى أعداء الله من اليهود والنصارى والمشركين يوالونهم، ويعمدون إلى الصدق الظاهر المتواتر يدفعونه، وإلى الكذب المختلق الذى يعلم فساده يقيمونه، فهم كما قال فيهم الشعبى ـ وكان من أعلم الناس بهم ـ لو كانوا من البهائم لكانوا حُمُراً[1]، ولو كانوا من الطير لكانوا رخَمًا»[2] اهـ.

فائدة هامة:

زيارة المسجد النبوى تكشف عن رافضة هذا العصر.

---

(١) حمُرُ: جمع حمار كما في قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ﴾ (المدثر: ٥٠).

(٢) رَخَم: جمع رخمة: وهو طائر يأكل العذرة وهو من الخبائث وليس من الصيد – كذا في «المصباح المنير» (ص ٢٢٤).

كنت أظن هذا الفكر الرافضى قد انتهى من الشيعة اليوم فيسلم الحديث من الكذابين وتسلم السنة ولكن قدَّر الله أن يزور رأس من رؤوسهم من سنوات قليلة المملكة السعودية (حفظها الله) وقدَّر الله أن يزور المسجد النبوى ثم ذهب إلى قبر النبى ﷺ وقدَّر الله أن يمنعه من استخدام تقيته، ليكشف عن رافضيته، أمام قبرى الخليفتين أبى بكر وعمر رضي الله عنهما . فالحمد لله الذى أخرج أضغانهم وأنطق بعلامتهم ألسنتهم.

وهنا يتجلى قول الحق تبارك وتعالى فى سورة محمد ﷺ ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَـٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَـٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَـٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَـٰلَكُمْ﴾ (محمد:٢٩-٣٠).

أهل السنة وسيماهم عند زيارة المسجد النبوي

فى المدينة المنورة

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله:

١ ـ تتوجه إلى المدينة قبل الحج أو بعده بنية زيارة المسجد النبوى والصلاة فيه لأن الصلاة فيه خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام.

٢ ـ فإذا وصلت المسجد فصلِّ فيه ركعتين تحية المسجد أو صلاة الفريضة إن كانت قد أقيمت.

٣ ـ ثم اذهب إلى قبر النبي ﷺ فقف أمامه وسلم عليه قائلاً : «السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته صلى الله عليك وجزاك عن أمتك خيرًا».

٤ ـ ثم اخط يمينك خطوة واحدة أو خطوتين لتقف أمام أبى بكر فسلم عليه قائلاً: «السلام عليك يا أبا بكر خليفة رسول الله ﷺ ورحمة الله وبركاته رضي الله عنك وجزاك عن أمة محمد خيرًا».

٥ ـ ثم اخط عن يمينك خطوة أو خطوتين لتقف أمام عمر فسلم عليه قائلاً : «السلام عليك يا عمر أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته رضي الله عنك وجزاك عن أمة محمد خيرًا »اهـ.

قلت : أيها القارئ الكريم انظر إلى الفارق بين أهل السنة وبين الرافضة.

تحـذيـر

فليحذر من وقع في أوحال هذه القصة أن يؤوِّل ما نسب للصحابي عمرو ابن العاص ﷺ وهو صاحب منقبة عظيمة إذ شهد له النبي ﷺ بأنه مؤمن ليبرر موقفه أمام الناس:

أ ـ لأن التأويل فرع التصحيح والقصة واهية.

ب ـ وأنَّى له التأويل والقصة من الأباطيل التي اختلقها غلاة الشيعة من الرافضة وأئمتنا يقولون : «ثبت العرش ثم انقش».

والقصة خاوية على عروشها حيث تتابع عللها ففوق علة هشام بن الكلبي الرافضي المتروك عند أئمة الحديث علة أخرى:

العلة الأخرى : عوانة بن الحكم:

وهو عوانة بن الحكم بن عوانة بن عياض الإخباري الكوفي الذي نقل عنه هشام ابن الكلبي هذه القصة.

أ ـ أورده ابن عراق في «تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة» من بين أسماء الوضاعين والكذابين في الفصل الأول الذي ابتدأ به كتابه هذا مرتبًا على حروف المعجم تحت حرف العين المهملة رقم (٣٧٠) ثم قال: «عوانة بن الحكم قيل كان عثمانيًا وكان يضع الأخبار لبني أمية».

قلت : وقدَّم لهذا الفصل في «تنزيه الشريعة» (١/ ١٧) فقال:

«فصل فى سرد أسماء الوضاعين والكذابين ومن كان يسرق الأحاديث ويقلب الأخبار ومن اتهم بالكذب والوضع من رواة الأخبار ملخصًا من الميزان والمغنى وذيله للحافظ الذهبى ولسان الميزان للحافظ ابن حجر مع زوائد من موضوعات ابن الجوزى مرتبًا على حروف المعجم» اهـ.

قلت : بالرجوع إلى «لسان الميزان» (٤/ ٤٤٦-٢٠٢٤/ ٦٣٧٥).

قال الحافظ ابن حجر: «عوانة بن الحكم كان أبوه عبدًا خياطًا وأمُّه أمة وهو كثير الرواية عن التابعين قلَّ أن روى حديثاً مسندًا، كان عثمانيًا فكان يضع الأخبار لبنى أمية مات سنة ثمان وخمسين ومائة» اهـ.

من هذا التحقيق يتبين أن سند هذا الخبر تالف.

علة ثالثة : وهى السقط فى السند .تظهر من قول هشام بن الكلبى عن عوانة بن الحكم قال : «عمرو بن العاص يقول..».

قلت: فصيغة الأداء تدل على السقط فى الإسناد فلم يقل عوانة بن الحكم «سمعت عمرو» وهى طريقة التحمل للسماع ولم يقل «أخبرنى» للقراءة ولم يقل «أنبأنى» للإجازة. وأنَّى له أن يشهد احتضار عمرو ﵁ .

بل وقد لا يدرك ذلك حيث قال الحافظ ابن كثير فى «البداية والنهاية» (٨/ ٣٩٢): «ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين» وممن توفى فيها عمرو بن العاص .. على المشهور».

قلت : ثم انظر إلى قول الحافظ ابن حجر أن عوانة بن الحكم مات سنة ثمان وخمسين ومائة بفارق بين الوفاتين (١١٥) سنة فكيف يحدث عنه هذا الوضاع إلا إذا كان عمره أكبر من ذلك الفارق بكثير.

«وكانت وفاته ليلة عيد الفطر سنة ثلاث وأربعين للهجرة فدفن بجوار المقطم» انظر «تاريخ مصر» لابن عبد الحكم ص (٣١٠).

فأين كان عوانة الكوفى الوضاع وقد بَعُد الزمان والمكان فسقط الإسناد فالخبر تالف والمتن مصنوع .وهذا ما صنعته الفتنة فى وضع الأخبار .

وفى وسط هذه الفتن التى كقطع الليل المظلم ظهر علم الإسناد الذى محى الله به ظلمات الكذب على رسول الله وصار خصيصة لهذه الأمة.

فقد أخرج مسلم فى «مقدمة الصحيح» باب «بيان أن الإسناد من الدين» (١/ ٨) حيث قال: حدثنا أبو جعفر محمد بن الصباح، حدثنا إسماعيل بن زكريا عن عاصم الأحول عن ابن سيرين قال: لم يكونوا يسألون عن الإسناد فلما وقعت الفتنة قالوا: سموا لنا رجالكم فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم » اهـ.

قلت : وأصبح الإسناد خصيصة لأمة محمد ﷺ فقد قال النووى فى «التقريب» فى النوع (٢٩) «الإسناد خصيصة لهذه الأمة وسنة بالغة مؤكدة »اهـ.

القصة الصحيحة فى موت الصحابي

عمرو بن العاص رضي الله عنه

فقد ثبت فى «صحيح مسلم» ح (١٩٢) كتاب الإيمان ـ «باب الإسلام يهدم ما قبله وكذا الحج والهجرة» من حديث ابن شماسَة المَهْرى قال: حضرنا عمرو بن العاص وهو فى سياقة الموت فبكى طويلاً وحول وجهه إلى الجدار فجعل ابنه يقول: يا أبتاه أما بشرك رسول الله ﷺ بكذا، أما بشرك رسول الله ﷺ بكذا؟ قال :فأقبل بوجهه فقال:

إن أفضل ما نُعِدُّ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، إنى قد كنت على أطباق ثلاث: لقد رأيتنى وما أحد أشد بغضًا لرسول الله ﷺ منى، ولا أحب إلىّ أن أكون قد استمكنت منه فقتلته فلو مُتُّ على تلك الحال لكنت من أهل النار.

فلما جعل الله الإسلام فى قلبى أتيت النبى ﷺ فقلت : أُبْسُط يمينك فلأبايعك فبسط يمينه قال :فقبضت يَدِى قال **مالك يا عمرو؟** قال :قلت :أردت أن أشترط قال : **تشترط بماذا؟** قلت :أن يُغْفر لى قال:

«**أما علمت أن الإسلام يَهْدم ما كان قبله، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها. وأن الحج يهدم ما كان قبله**». وما كان أحد أحبَّ إلىَّ من رسول الله ولا أجلَّ فى عينى منه، وما كنت أُطِيق أن أملأ عينى منه إجلالاً له، ولو سُئلتُ أن أصفه ما أطَقْتُ لأنى لم أكن أملأ عيْنِيَّ منه ولو مُتُّ على تلك الحال لرجوت أن أكون من أهل الجنة.

ثم ولينا أشياء ما أدرى ما حالى فيها.

فإذا أنا مت فلا تَصْحَبْنى نائحةٌ، ولا نارٌ.

فإذا دفنتمونى فشنوا علىَّ الترابَ شَنًا.

ثم أقيموا حول قبرى قدر ما تُنْحَرُ جزور، ويُقسَّمُ لحمها حتى أستأنس بِكُمْ، وأنظرَ ماذا أراجع رُسَل رَبى » اهـ.

قلت : هذا ما صح فى قصة احتضار الصحابى عمرو بن العاص ﷺ والذى شهد له الرسول ﷺ بأنه مؤمن.

من هذا البحث يتبين افتراء الرافضة على الصحابى عمرو بن العاص ﷺ ولقد بيَّنا من قبل الافتراء عليه أيضًا فى قصة ابن الأكرمين« سلسلة تحذير الداعية رقم (١٣). ولا زال الافتراء عليه بالقصص الواهية التى من صناعة الرافضة تلك القصص التى سنبين للقارئ الكريم فى بحوث علمية بأنها كذب مختلق مصنوع . خاصة قصة التحكيم التى اشتهرت وانتشرت والتى من وضع الرافضة وتصف الصحابى عمرو بن العاص ﷺ بالغدر والخداع وإن تعجب فعجب أن هذه القصة تُدرس هذا العام فى كتاب «الدراسات الاجتماعية».

«معالم التاريخ الإسلامى» ص (٨٩) المقرر على الصف الثانى الإعدادى فى التعليم العام والمعاهد الأزهرية هذا العام (٢٠٠٢-٢٠٠٣) وذكرت فيه القصة ومن جملها الجملة الآتية: «إن عمرو بن العاص خدع الحاضرين وقال أنا أخلع صاحبه كما خلعه وأثبت صاحبى معاوية فاحتج «أبو موسى» على هذا الغدر والمكيدة» اهـ.

وتحت هذه السلسلة : «سلسلة تحذير الداعية من القصص الواهية» سنقوم إن شاء الله بالرد والله وحده من وراء القصد.

❁ ❁ ❁ ❁

(١٦)
قصة حـــج آدم (*)

فى كتاب «قصص الأنبياء» المسمى «العرائس» لأبى إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابورى الثعلبى المتوفى سنة ٤٢٧هـ، باب « صفة بناء الكعبة وبدء أمرها إلى وقتنا هذا» ص(٩٥) قال: أخبرنا أبو عمر وأحمد بن أبى أحمد الفرانى، أخبرنا الحسن بن المغيرة بن عمر بن الوليد المغربى بمكة، حدثنا أبو سعيد المفضل ابن محمد بن إبراهيم بن المفضل (الجندى)، حدثنا عبد الله بن أبى غسان اليمانى، حدثنا أبو همام، حدثنا محمد بن زياد، عن ميمون بن مهران، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ :

«كان البيت قبل هبوط آدم -عليه السلام- ياقوتة من يواقيت الجنة، والبيت المعمور الذى فى السماء يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، ثم لا يعودون إليه إلى يوم القيامة حذاء الكعبة، وإن الله تعالى أهبط آدم -عليه السلام- إلى موضع الكعبة، وهو مثل الفلك من شدة رعدته، وأنزل عليه الحجر الأسود، وهو يتلألأ كأنه لؤلؤة بيضاء، فأخذه آدم وضمه إليه استئناسًا به، ثم أخذ الله تعالى من بنى آدم ميثاقهم، فجعله فى الحجر، ثم أنزل الله تعالى على آدم العصا، ثم قال: يا آدم تخط فتخطى، فإذا هو بأرض الهند، فمكث هناك ما شاء الله أن يمكث، ثم استوحش البيت، فقيل له: حج يا آدم، فأقبل يتخطى، فصار موضع كل قدم قرية، وما بين ذلك مفاوز حتى قدم إلى مكة.

فقال آدم: يا رب اجعل لهذا البيت عماراً يعمرونه من ذريتى، فأوحى الله تعالى إليه إنى معمره بنبى من ذريتك اسمه إبراهيم أتخذه خليلاً، أقضى على يديه عمارته، وأنيط له سقايته، وأورثه حله وحرمه ومواقفه وأعلمه مشاعره ومناسكه، فلما فرغ من بنائه نادى يا أيها الناس إن الله تعالى بنى بيتًا فحجوه، فأسمع مَنْ بين الخافقين، فأقبل من يحج هذا البيت من الناس يقول: لبيك لبيك. وقال ﷺ : إن

(*) مجلة التوحيد، ذو القعدة، ١٤٢٢هـ.

آدم -عليه السلام- سأل ربه -عز وجل- فقال: يا رب أسألك لمن مات فى هذا البيت من ذريتى لا يشرك بك شيئًا أن تلحقه بى فى الجنة. فقال الله تعالى: يا آدم من مات فى الحرم لا يشرك بى شيئًا بعثته آمنًا يوم القيامة».

قلت: لما كان هذا الكتاب مشهورًا، واسع الانتشار، لميل الكثير من الوعاظ والخطباء إلى القصص، كان لابد من تحقيق هذا الحديث الذى جاءت به هذه القصة، والله أسأل أن يوفقنا لتخريج وتحقيق أحاديثه، لأنه كما نقل الحافظ ابن حجر فى «لسان الميزان» (١/ ٢٤) عن ابن قتيبة قوله:

«والقصاص، فإنهم يُميلون وجوه العوام إليهم، ويستدرون ما عندهم؛ بالمناكير والغرائب والأحاديث، ومن شأن العوام ملازمة القصاص، مادام يأتى بالعجائب الخارجة عن نظر العقول».

قلت: لو كان كتاب «العرائس» كتاب قصص وأخبار لا صلة له بالقرآن الكريم والسنة المطهرة ربما هان الأمر وتركناه وما لفتنا إليه سلسلة «تحذير الداعية من القصص الواهية»، ولكن الأمر خطير، لأن الثعلبى فى كتابه هذا -وفى الأعم الأغلب- يذكر الآيات المتعلقة بالقصة، ثم يفسرها بأحاديث تحتوى على قصص واهية غالبًا لذلك قال ابن تيمية فى «مجموع الفتاوى» (١٣/ ٣٥٤): «والثعلبى هو فى نفسه كان فيه خير ودين، وكان حاطب ليلٍ ينقل ما وجد فى كتب التفسير من صحيح وضعيف وموضوع».

قلت: فالكتاني فى «الرسالة المستطرفة» (ص٥٩) لم يكن متجنيًا على الثعلبى، إذ يقول عند الكلام على الواحدى المفسر: «ولم يكن له ولا لشيخه الثعلبى كبير بضاعة فى الحديث، بل فى تفسيريهما وخصوصًا الثعلبى أحاديث موضوعة وقصص باطلة». اهـ.

قلت: وهذه القصة التى ذكرها الثعلبى منها، والحديث التى جاءت فيه «موضوع». وفى «تدريب الراوى» (١/ ٢٧٤):

(الموضوع هو الكذب المختلق المصنوع، وهو شر الضعيف وأقبحه، وتحرم روايته مع العلم به، أي بوضعه فى أى معنى كان، سواء الأحكام والقصص والترغيب وغيرها إلا مبينًا، أي مقرونًا ببيان وضعه، لحديث مسلم: «**من حدَّث عنى بحديث يُرَى أنه كذب فهو أحد الكاذبين**»). اهـ.

التخريج والتحقيق

هذه القصة أخرج حديثها كما بيّنا الثعلبى فى «قصص الأنبياء» (ص٩٥)، وأخرجها ابن الجوزى فى «العلل المتناهية فى الأحاديث الواهية» (٢/ ٥٧٠). ح(٩٣٧) من طريق: المفضل بن محمد الجندى به. ولذلك قال السيوطى فى «الدر المنثور» (١/ ١٣٣) أخرجه الجندى عن ابن عباس مرفوعًا.

استنتاج

أولاً: نستنتج من تخريج هذه القصة أنها لم ترو عن النبى ﷺ إلا من هذا الوجه، وبما أن القصة لا تعرف إلا من طريق ابن عباس رضي الله عنهما.

إذاً الحديث الذى جاءت فيه القصة عند علماء هذا الفن من نوع «الفرد المطلق».

قاعدة هامة فى علم المصطلح التطبيقى:

قال الإمام السخاوي فى «فتح المغيث» (٤/ ٤):

«الفرد المطلق: وهو الحديث الذى لا يعرف إلا من طريق ذلك الصحابى، ولو تعددت الطرق إليه».

* تفرد به محمد بن زياد، وهو علة هذه القصة.

ثانيًا: بالبحث عن الراوى محمد بن زياد الذى لم يأتِ فى السند إلا باسمه واسم أبيه:

١- وجدت أن من اتفقت أسماؤهم وأسماء آبائهم فى «التهذيب» (٩/ ١٤٨- ١٥٢) من اسمه محمد بن زياد سبعة من رقم (٢٥٠) حتى رقم (٢٥٦).

٢- وفى «الميزان» (٣/ ٥٥١-٥٥٤) بلغ عددهم ستة عشر من رقم (٧٥٤٤) حتى رقم (٧٥٥٩).

٣- وبالبحث عن مراتب من ذُكرت أسماؤهم فى «التهذيب»، و«الميزان» وجدتهم بين: ثقة، وصدوق، ومقبول، ومجهول، وضعيف، بل وكذاب.

إذًا الباحث أمام هذا العدد من المشتركين فى اسم الراوى واسم أبيه مع اختلاف مراتبهم يركز بحثه حول تحديد الراوى صاحب هذه القصة، وهذا فن هام جدًا لا يعرف قدره إلا أهل الصنعة؛ لذلك أفردوه بنوع خاص فقد ذكره ابن الصلاح فى كتابه «علوم الحديث» ص (٥٥٢) فقال: النوع الرابع والخمسون «معرفة المتفق والمفترق من الأسماء والأنساب ونحوها» ثم عرَّفه فقال: «هذا النوع متفق لفظًا وخطًا، وهذا من قبيل ما يسمى فى أصول الفقه المشترك. وذلق بسببه غيرُ واحد من الأكابر، ولم يزل الاشتراك من مظان الغلط فى كل علم».

قلت: ولأهميته صنف الخطيب فيه كتاب «المتفق والمفترق».

قال السخاوى فى «فتح المغيث» (٤/ ٢٦٩): «المتفق والمفترق: وهو نوع جليل يعظم الانتفاع به.

وفائدة ضبطه: الأمنُ من اللبس، فربما ظن الأشخاص شخصًا واحداً.

وربما يكون أحد المشتركين ثقة والآخر ضعيفًا، فيضعِّف ما هو صحيح، ويصحح ما هو ضعيف » اهـ.

ملحوظة هامة:

عندما نقدم هذه القواعد ثم نطبقها فى هذه القصة، فإننا نحقق أهداف هذه السلسلة، ونذكّر بهذه الأهداف حتى تُعْلم حدود هذه السلسلة فلا يتقول علينا من لا يعلم هذه الحدود، وهى:

١ - أن يقف القارئ الكريم على درجة القصة، وحسبه هذا القدر.

٢ - والداعية: يكون على حذر، ويَسْلَم له عمله على السنة وحدها، ويعرف مواضع هذه القصة فى الكتب التى أخرجتها والكتب التى أوردتها، فلا يغتر بوجودها.

٣- وطالب هذا الفن: يجد نماذج من علم الحديث التطبيقى.

ثالثًا- تطبيق قواعد المتفق والمفترق:

لقد بيّنا أن علة القصة هو محمد بن زياد، واشترك فى اسم الراوى واسم أبيه عدد كثير فوق العشرة، ومن طرق التمييز بين المشتركين فى الاسم: هو التمييز بشيخ الراوى إذا لم يشاركه فيه أحد من المشتركين فى الاسم.

رابعًا- تطبيق هذه الطريقة:

محمد بن زياد الذى هو علة هذه القصة شيخه هو ميمون بن مهران، كما بيّنا فى سند القصة، وبمعرفة الشيخ تميز محمد بن زياد راوى القصة من بين المشتركين فى اسم الراوى واسم أبيه، حيث قال الذهبى فى «الميزان» (٣/ ٥٥٢/ ٧٥٤٧): «محمد ابن زياد اليشكرى الميمونى الطحان، يروى عن ميمون بن مهران وغيره».

قلت: انظر إلى دقيق فقه التمييز بهذه الطريقة، حتى نسب الراوى إلى شيخه، وكذلك نسبه إلى شيخه ميمون الإمامُ المزى فى «تهذيب الكمال» (١٦/ ٢٨٢/ ٥٨١٢) قال: «محمد بن زياد اليشكري الطحان الكوفى، ويقال الجَنَدِى الأعور الفأفاء المعروف بالميمونى».

خامسًا- مرتبته:

لقد قسَّم الحافظ ابن حجر فى «التقريب» (١/ ٤، ٥) المراتب إلى اثنتى عشرة مرتبة، بدأت بأعلى مراتب التعديل، وانتهت بأشد مراتب التجريح، وهى المرتبة الثانية عشرة: من أُطلق عليه اسم الكذب والوضع.

* محمد بن زياد من المرتبة الثانية عشرة (مرتبة الكذب والوضع).

البرهان: فى «التهذيب» (٩/ ١٥١) قال عبد الله بن أحمد: سألته -يعنى أباه- عن محمد بن زياد كان يحدث عن ميمون بن مهران؟ فقال: كذاب خبيث، يضع الحديث. وقال أبو داود: سمعت أحمد يقول: ما كان أجرأه يقول حدثنا ميمون بن مهران فى كل شيء. وقال إبراهيم بن الجنيد عن ابن معين: ليس بشيء كذاب.

وقال عمرو بن عليّ: متروك الحديث، كذاب، منكر الحديث، سمعته يقول ثنا ميمون بن مهران عن ابن عباس مرفوعًا «زينوا مجالس نسائكم بالمغزل».

قلت: وهو نفس طريق القصة.

وقال الجوزجانى: كان كذابًا، وقال أبو زرعة: كان يكذب.

قال البخارى فى «الضعفاء الصغير» (٣١٧): محمد بن زياد صاحب ميمون بن مهران متروك الحديث

قال النسائى فى «الضعفاء والمتروكين» (٥٤٧): محمد بن زياد يروى عن ميمون ابن مهران متروك الحديث.

قال الحافظ ابن حجر فى «شرح النخبة» (ص٦٩): «مذهب النسائى أن لا يترك حديث الرجل حتى يجتمع الجميع على تركه».

قال ابن حبان فى «المجروحين» (٢/ ٢٥٠): محمد بن زياد الجزرى اليشكري يروى عن ميمون بن مهران، كان ممن يضع الحديث على الثقات، ويأتى عن الأثبات بالأشياء المعضلات، لا يحل ذكره فى الكتب إلا على جهة القدح، ولا الرواية عنه إلا على سبيل الاعتبار عند أهل الصناعة خصوصًا دون غيرهم».

قلت: وأختم هذا التحقيق بقول ابن حبان هذا كما ختمه من قبلى ابن الجوزي فى «العلل المتناهية فى الأحاديث الواهية» (٢/ ٥٧١/ ٩٣٧) عند ذكره لهذه القصة.

بدائل صحيحة

بعد تحذير الداعية من هذه القصة الواهية، نذكّر بهذه القصة العظيمة الصحيحة التى أخرجها الإمام البخارى -رحمه الله- فى «صحيحه» (٦/ ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨/ فتح) ح (٣٣٦٤) فى أربعة وخمسين سطرًا من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وفيها يجد القارئ الكريم:

١- المناسبة العظيمة التى دعا فيها إبراهيم -عليه السلام- بهذا الدعاء الذى ذكره الله سبحانه وتعالى فى القرآن الكريم على لسان إبراهيم -عليه السلام-: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾ (إبراهيم:٣٧).

٢- بيان بأصل سعى الناس بين الصفا والمروة.

٣- بيان بأصل زمزم، وكيف ظهر ماؤها.

٤- بيان حال البيت، وكيف كان قبل البناء.

٥- أول قبيلة نزلت مكة عندما ظهر ماء زمزم، وكيف تحققت دعوة إبراهيم -عليه السلام- ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ﴾.

٦- بيان لأصول نسب الرسول ﷺ، هذا الأصل العظيم الذى أخرجه مسلم فى «صحيحه» ح (٢٢٧٦) كتاب الفضائل ح(١) من حديث واثلة بن الأسقع يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشًا من كنانة، واصطفى من قريش بنى هاشم، واصطفانى من بنى هاشم**».

٧- بيان تعليم إسماعيل -عليه السلام- العربية، وزواجه، والأمر بتثبيت عتبة بابه.

٨- الأمر ببناء الكعبة، فجعل إسماعيل -عليه السلام- يأتي بالحجارة، وإبراهيم -عليه السلام- يبنى، وهما يقولان: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ ولذلك يجد القارئى الكريم بيانًا مفصلاً لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ (البقرة:١٢٧).

٩- ومع هذه الأصول التى جاءت بهذه القصة العظيمة التى أخرجها الإمام البخارى يجد القارئ الكريم فوائد تربوية من اليقين، والصبر، بل يجد تطبيقًا عمليًا لقاعدة عظيمة، ما أحوجنا إليها تلك القاعدة أوردها شيخ الإسلام ابن تيمية فى «الفتاوى» (٨/ ١٦٩) قال: «ومما ينبغى أن يعلم: ما قاله طائفة من العلماء. قالوا: الالتفاف إلى الأسباب شرك فى التوحيد، ومحو الأسباب أن تكون أسبابًا نقص فى العقل، والإعراض عن الأسباب بالكلية قدح فى الشرع، وإنما التوكل والرجاء معنى يتألف من موجب التوحيد والعقل والشرع». اهـ.

هذا ما وفقنى الله إليه، وهو وحده من وراء القصد



(١٧)

قصة حوار الخليفتين عند الحجر الأسود (*)

نواصل فى هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم، حتى يقف على حقيقة هذه القصة التى اشتهرت على ألسنة المتصوفة، وهذا بيانها:

روى عن أبى سعيد الخدرى ﷺ قال حججنا مع عمر بن الخطاب ﷺ ، فلما دخل الطواف استقبل الحجر، فقال: «إنى أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أنى رأيت رسول الله ﷺ قبّلك ما قبلتك»، ثم قبله فقال له علىّ بن أبى طالب ﷺ : بلى يا أمير المؤمنين إنه يضر وينفع.

قال: بم؟

قال: بكتاب الله تبارك وتعالى.

قال: وأين ذلك من كتاب الله ؟

قال: قال الله -عز وجل-: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ﴾ (الأعراف:١٧٢).

خلق الله آدم ومسح على ظهره، فقررهم بأنه الرب، وأنهم العبيد، وأخذ عهودهم ومواثيقهم، وكتب ذلك فى رقٍّ، وكان لهذا الحجر عينان ولسان، فقال له: افتح فاك. قال: ففتح فاه. فألقمه ذلك الرق، وقال: اشهد لمن وافاك بالموافاة يوم القيامة، وإنى أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يؤتى يوم القيامة بالحجر الأسود له لسان ذلق يشهد لمن يستلمه بالتوحيد**»، فهو يا أمير المؤمنين يضر وينفع.

فقال عمر: «أعوذ بالله أن أعيش فى قومٍ لست فيهم يا أبا الحسن». اهـ.

(*) مجلة التوحيد، ذو الحجة، ١٤٢٢هـ.

التخريج

هذه القصة أخرجها الحاكم في «المستدرك» (١/ ٤٥٧، ٤٥٨) في كتاب «المناسك»، قال: أخبرناه أبو محمد عبد الله بن محمد بن موسى العدل من أصل كتابه، ثنا محمد بن صالح الكيليني، ثنا محمد بن يحيى بن أبى عمرو العدنى، ثنا عبد العزيز بن عبد الصمد العمى، عن أبى هارون العبدي، عن أبى سعيد الخدرى ﷺ، فذكر القصة، وأخرجها الإمام البيهقي فى «الشعب» (٣/ ٤٥١/ ٤٠٤٠) عن شيخه الحاكم به.

التحقيق

علة هذه القصة: أبو هارون العبدى.

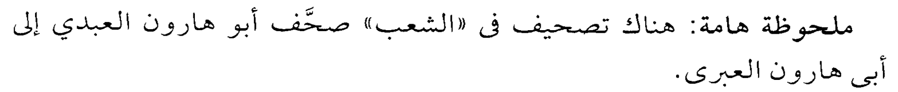
وأبو هارون العبدى: هو عُمارة بن جوين أبو هارون العبدى.

أورده الإمام الذهبى فى «الميزان» (٣/ ١٧٣/ ٦٠١٨)، وقال: عمارة بن جوين أبو هارون العبدى، تابعى ليّن بمرة وقال فى «التلخيص» (١/ ٤٥٨ - مستدرك): ساقط. ثم قال الذهبى فى «الميزان»: كذَّبه حماد بن زيد، وقال شعبة: لئن أُقَدَّم فَتُضْرَب عنقى أحَبُّ إلىَّ من أن أُحَدِّث عن أبى هارون، وقال أحمد: ليس بشيء، وقال الجوزجانى: أبو هارون كذَّاب مُفْتَرٍ.

قال الإمام النسائى فى كتابه «الضعفاء والمتروكين» ترجمة (٤٧٦): عمارة بن جوين أبو هارون العبدى، متروك الحديث بصرى.

قلت: ونذكر طالب هذا الفن بأن هذا المصطلح بالنسبة للإمام النسائى بينه الحافظ ابن حجر فى «شرح النخبة» (ص ٦٩) حيث قال: «ولهذا كان مذهب النسائى أن لا يترك حديث الرجل حتى يجتمع الجميع على تركه».

قال ابن حبان فى «المجروحين» (٢/ ١٧٧): «عُمارة بن جُوَين: أبو هارون العبدى، يروى عن أبى سعيد الخدرى، كان رافضيًا يروى عن أبى سعيد ما ليس من حديثه لا يحل كتابة حديثه إلا على جهة التعجب».



ملحوظة هامة: هناك تصحيف فى «الشعب» صحَّف أبو هارون العبدي إلى أبى هارون العبرى.

قلت: بهذا التحقيق تكون هذه القصة واهية، والحديث الذى جاءت به هذه القصة: موضوع.

أحاديث منكرة وبلاغات واهية متعلقة بالقصة

قال الإمام أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى المتوفى سنة ٢٧٦ هجرية، فى كتابه «تأويل مختلف الحديث» (ص١٤٥):

* (قالوا حديث فى التشبيه) قالوا: رويتم أن ابن عباس، قال: الحجر الأسود يمين الله تعالى فى الأرض يصافح بها من شاء من خلقه.

* (قال أبو محمد) – يعنى ابن قتيبة-: ونحن نقول إن هذا تمثيل وتشبيه، وأصله أن الملك كان إذا صافح رجلاً قبّل الرجل يده، فكأن الحجر لله تعالى بمنزلة اليمين للملك، تستلم وتلثم، وبلغنى عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: إن الله تبارك وتعالى حين أخذ الميثاق من بنى آدم وأشهدهم على أنفسهم: ألست بربكم؟ قالوا: بلى، جعل ذلك فى الحجر الأسود، وقال: أما سمعتم إذا استلموه يقولون: إيمانًا بك ووفاءً بعهدك -أى قد وفينا بعهدك- إنك أنت ربنا»، وذلك أن الجاهلية قد استلموه وكانوا مشركين- لم يستلموه بحقه لأنهم كانوا كفاراً». انتهى كلام الإمام ابن قتيبة -رحمه الله-.

قلت: وما قاله الإمام ابن قتيبة حول تأويل حديث ابن عباس « الحجر الأسود يمين الله فى الأرض ..» فيه نظر.

أولاً: التأويل فرع التصحيح، والحديث غير صحيح.

فالحديث أخرجه ابن قتيبة فى «غريب الحديث» (٢/ ٩٦): عن إبراهيم بن يزيد، عن عطاء، عن ابن عباس موقوفًا عليه. وهو حديث واهٍ، ولو صح لكان موقوفًا لفظًا مرفوعًا حكمًا؛ لأن هذا من الأمور التى لا مجال للاجتهاد فيها، ولكن أنَّى له

الصحة وهو حديث ساقط علته إبراهيم بن يزيد، أورده الذهبى فى«الميزان» (١/ ٧٥/ ٢٥٤) وقال: إبراهيم بن يزيد الخوزى المكى عن طاوس وعطاء وعدة، قال أحمد والنسائى: متروك. وقال ابن معين: ليس بثقة. وقال البخارى: سكتوا عنه.

قلت: بالبحث فى كتاب «الضعفاء الصغير» للبخارى ترجمة (١٢) نجد البخارى يقول: إبراهيم بن يزيد أبو إسماعيل الخوزى مكى سكتوا عنه.

قلت: ومصطلح «سكتوا عنه» عند البخارى له معنى، قد بينه الإمام السيوطى فى «التدريب» (١/ ٣٤٩) حيث قال: «البخارى يطلق (فيه نظر وسكتوا عنه): فيمن تركوا حديثه».

قلت: لذلك قال النسائى فى كتابه «الضعفاء والمتروكين» ترجمة (١٤): إبراهيم ابن يزيد الخوزى متروك الحديث، مكى، كان ينزل شِعبَ الخوز.

قلت: قد بيّنا معنى هذا المصطلح عند النسائى آنفًا، وبهذا التحليل يتبين معنى مصطلح «سكتوا عنه»؛ لأن من لا دراية له بهذا الفن يحسبه هينًا، ولكنه عند علماء هذا الفن عظيم، وحسبك قول الذهبى فى «مقدمة الميزان» (١/ ٤):

وأردى عبارات الجرح:

١- دجال كذاب، أو وضاع يضع الحديث.

٢- ثم: متهم بالكذب ومتفق علي تركه.

٣- ثم: متروك، وليس بثقة، وسكتوا عنه، وذاهب الحديث، وفيه نظر، وهالك، وساقط.

٤- ثم: واهٍ بمرة، وليس بشيء، وضعيف جداً، وضعفوه، وواهٍ، ومنكر الحديث، ونحو ذلك.

٥- ثم: يُضعَّف، وفيه ضعف، وقد ضُعِّف، ليس بالقوى، ليس بحجة، ليس

بذاك، يعرف وينكر، فيه مقال، تكلم فيه، لين، سيئ الحفظ، لا يحتج به، اختلف فيه، صدوق لكنه مبتدع.

قلت: بهذا يتبين مصطلح «سكتوا عنه» فهو كمتروك وهالك وساقط؛ حتى لا يتقول علينا من لا دراية له بهذه الصنعة.

طريق آخر للحديث

* أخرجه الخطيب في «التاريخ» (٦/ ٣٢٦)، وابن الجوزي في «العلل المتناهية في الأحاديث الواهية» (٢/ ٥٧٥/ ٩٤٤) من حديث جابر بن عبد الله وقال: هذا حديث لا يصح، وإسحاق بن بشر قد كذبه أبو بكر ابن أبي شيبة وغيره. وقال الدارقطني: هو في عداد من يضع الحديث. قال: وأبو معشر ضعيف.

طريق ثالث للحديث

* أخرجه ابن الجوزي في «الأحاديث الواهية» (١/ ٥٧٦/ ٩٤٥)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٤٥٧) من حديث عبد الله بن عمرو، وقال ابن الجوزي: هذا لا يثبت. وقال الذهبي في «التلخيص» (١/ ٤٥٧ - مستدرك): عبد الله بن المؤمل، ثنا عطاء، عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال: يأتي الركن يوم القيامة أعظم من أبي قبيس له لسان وشفتان، يتكلم عمن استلمه بالنية، وهو يمين الله التي يصافح بها خلقه.

قال الذهبي: عبد الله بن المؤمل واهٍ. وقال في «الميزان» (٢/ ٥١٠/ ٤٦٣٧): ضعفوه. وقال يحيى: عامة حديثه منكر. وقال أحمد: أحاديثه مناكير.

قلت: فالحديث بهذه الطرق يزداد وهنًا على وهن، فلا يصح مرفوعًا ولا موقوفًا، فهو حديث منكر، وقصة وضع الميثاق في الحجر قصة واهية كما بيّنا آنفًا من حديث أبي سعيد، وقد رواها ابن قتيبة بلاغًا عن عائشة، فلا تصح للسقط في السند.

وبهذا لا يصح تأويل ابن قتيبة للحديث؛ لأن الحديث غير صحيح.

وإن كنا نرد على ابن قتيبة تأويله، فقد رد الألباني -رحمه الله- على ابن رجب تأويله لهذا الحديث حيث قال في «الضعيفة» (١/ ٢٥٧) ح (٢٢٣):

(وإذا عرفت ذلك، فمن العجائب أن يسكت عن الحديث الحافظُ ابن رجب في «ذيل الطبقات» (٧/ ١٧٤/ ١٧٥)، ويتأول ما روى عن ابن الفاعوسي الحنبلي أنه كان يقول: «الحجر الأسود يمين الله حقيقة» بأن المراد بيمينه أنه محل الاستلام والتقبيل، وأن هذا المعنى حقيقة فى هذه الصورة، وليس مجازًا، وليس فيه ما يوهم الصفة الذاتية أصلاً»، وكان يغنيه عن ذلك كله التنبيه على ضعف الحديث، وأنه لا داعي لتفسيره أو تأويله؛ لأن التفسير فرع التصحيح كما لا يخفى). اهـ.

ثانيًا: وبعد أن ذكر الإمام ابن قتيبة قصة وضع الميثاق فى الحجر الأسود قال: «أما سمعتم إذا استلموه يقولون: إيمانًا بك ووفاءً بعهدك».

قلت: الشيخ الألبانى -رحمه الله- فى كتابه «مناسك الحج والعمرة» (ص٥١) جعل هذا القول من بدع الحج والعمرة، حيث قال فى البدعة رقم (٤٤): « قولهم عند استلام الحجر: اللهم إيمانًا بك وتصديقًا بكتابك... ».

وفى كتابه «حجة النبى ﷺ» (ص١١٥) البدعة رقم (٤١)، قال -رحمه الله-: وفى «المدونة» (٢/ ١٢٤) أن الإمام مالك أنكر قول الناس إذا حاذوا الحجر الأسود: إيمانًا بك ...... وقد روى ذلك عن عليّ وابن عمر موقوفًا بسندين ضعيفين، ولا تغتر بقول الهيثمى فى حديث ابن عمر: ورجاله رجال الصحيح» فإنه قد التبس عليه راوٍ بآخر . اهـ.

التخريج والتحقيق لهذه الأحاديث

١- قال الحافظ ابن حجر فى «تلخيص الحبير فى تخريج أحاديث الرافعى الكبير» (١/ ٢٤٧) ح (١٠٢٤) حديث عبد الله بن السائب: أنه كان يقول فى ابتداء الطواف: بسم الله والله أكبر، اللهم إيمانًا بك، وتصديقًا بكتابك، ووفاءً بعهدك، واتباعًا لسنة

نبيك» لم أجده هكذا، وقد ذكره صاحب المهذب من حديث جابر، وقد بيَّض له المنذري، والنووي، وخرجه ابن عساكر من طريق ابن ناجية بسند له ضعيف.

٢- وقال الحافظ فى «التلخيص»: ورواه الشافعى عن ابن أبى نجيح، قال: أُخبرت أن بعض أصحاب النبى ﷺ قال: يا رسول الله؛ كيف نقول إذا استلمنا؟ قال: «قولوا: بسم الله، والله أكبر، إيمانًا بالله، وتصديقًا بما جاء به محمد». قال الحافظ: وهو فى «الأم» عن سعيد بن سالم، عن ابن جريج.

قلت: وبالبحث فى كتاب «الأم» (٢/ ٢٥٠) باب «ما يقال عند استلام الركن» قال الشافعى -رحمه الله-: أخبرنا سعيد، عن ابن جريج، قال: أُخبرت أن بعض أصحاب النبى ﷺ قال: يا رسول الله؛ كيف نقول إذا استلمنا الحجر؟ قال: «قولوا: بسم الله، والله أكبر، إيمانًا بالله، وتصديقًا بما جاء به رسول الله ﷺ».

قلت: ابن جريج هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج كما فى «التقريب» (٢/ ٤٩٩) قال الحافظ فى «التقريب» (١/ ٥٢٠): ثقة كان يدلس، ويرسل من السادسة. قال الحافظ فى مقدمة «التقريب» (١/ ٦) السادسة: طبقة عاصروا الخامسة، لكن لم يثبت لهم لقاء أحد من الصحابة كابن جريج. اهـ.

قلت: فالسند منقطع يظهر ذلك من قوله: «أُخْبِرت» فصيغة التحمل مبنية للمجهول، فهو مبهم «ومبهم فيه راوٍ لم يسم»، والحديث «مؤنن» يظهر من اللفظ [أُخبرت أن] والراوى مدلس.

قلت: وابن أبى نجيح مثله، فهو عبد الله بن أبى نجيح، يسار المكي، ربما دلس، من السادسة كما فى «التقريب» (٢/ ٥٢٩)، (١/ ٤٥٦).

٣- أخرج الطبرانى فى «الأوسط» (١/ ٣٠٣/ ٤٩٦) قال:

حدثنا أحمد بن محمد الشافعي، قال: حدثنى عمى إبراهيم بن محمد، قال: حدثنا حفص بن غياث، عن أبى العُمَيْس، عن أبى إسحاق، عن الحارث، عن عليّ: «أنه كان

إذا استلم الحجر، قال: اللهم إيمانًا بك، وتصديقًا بكتابك، واتباعًا سنة نبيك ﷺ».

قال الطبراني: «لا نعلم أسند أبو العُميس عن أبى إسحاق حديثًا غير هذا، ولم يَرْوه عن أبى العميس إلا حفص، ولا عن حفص إلا إبراهيم الشافعى».

قلت: هذا سند واهٍ علته الحارث، أورده ابن حبان فى «المجروحين» (١/ ٢٢٢)، وقال: الحارث بن عبد الله الهمدانى الأعور، يروى عن علىّ، روى عنه أبو إسحاق السبيعى كان غاليًا فى التشيع، واهيًا فى الحديث، قال الشعبى: حدثنا الحارث، وأشهد أنه أحد الكذابين. ثم قال ابن حبان: حدثنا الهمدانى، ثنا عمرو بن علىّ قال: «كان يحيى وعبد الرحمن لا يحدِّثان عن أبى إسحاق، عن الحارث، عن علىّ».

قلت: وهو طريق هذا الحديث، وأورده الذهبى فى «الميزان» (١/ ٤٣٥/ ١٦٢٧) وقال ابن المدينى: كذاب. لذلك أورده الألبانى -رحمه الله- فى «الضعيفة» (٣/ ١٥٦) ح (١٠٤٩) فقال: هذا سند واهٍ من أجل الحارث، وهو الأعور، وهو ضعيف. وقال: الحديث موقوف ضعيف.

٤- عن نافع عن ابن عمر قال: كان إذا رأى أن يستلم الحجر يقول: «اللهم إيمانًا بك، وتصديقًا بكتابك وسنة نبيك ﷺ، ثم يصلى على النبى ﷺ، ثم يستلمه»، أخرج العقيلي فى «الضعفاء الكبير» (٤/ ١٣٦/ ١٦٩٥) قال: حدثنا محمد ابن الحسين الوادعى، حدثنا عون بن سلام، حدثنا محمد بن مهاجر الحضري، عن نافع به. وقال العقيلى: حدثنى آدم، قال: سمعت البخاري قال: محمد بن مهاجر القرشي عن نافع لا يتابع على حديثه. فعلة هذا الحديث محمد بن مهاجر القرشي أورده الذهبى فى «الميزان» (٤/ ٤٨/ ٨٢١٦)، ثم نقل قول البخارى: لا يتابع على حديثه. ثم قال: ولا يعرف.

ثم قال: أما محمد بن مهاجر الأنصارى، فشامى ثقة مشهور.

قلت: الأنصارى الشامى روى له مسلم والأربعة، وهو من طبقة القرشي الكوفى

السابعة كما فى «التقريب» (٢/ ٢١١)، ولكن الشامى ليس من شيوخه نافع، ولا من الرواة عنه عون بن سلام، وتفريق الذهبى بينهما مهم جداً، حيث وقع فيه الهيثمى فى «المجمع» (٣/ ٢٤٠) فتوهم أنه الأنصارى الشامى فصحح الحديث، حيث أخرجه الطبرانى فى «الأوسط» من طريق عون بن سلام به. وقد تبين ضعف الحديث، وأن هذه البدعة التى أوردها الألبانى -رحمه الله- مرجعها إلى هذه الأحاديث الضعيفة.

بدائل صحيحة

١- أخرجه البخارى فى «صحيحه» ح (١٥٩٧)، (١٦٠٥)، (١٦١٠) من حديث عمر ﷺ: « أنه جاء إلى الحجر الأسود فقبله فقال: إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أنى رأيت النبى ﷺ يقبلك ما قبلتك ».

قلت: وهذا هو الصحيح، أما ما ورد فى القصة من مراجعة علىّ ﷺ لعمر، فغير صحيح كما بيَّنا.

٢- قال الألبانى -رحمه الله- فى كتابه «حجة النبى ﷺ» (ص٥٧):

(أ) والسنة فى الركن الأسود تقبيله، فإن لم يتيسر استلمه بيده وقبّلها، وإلا استلمه بنحو عصا وقبّلها، وإلا أشار إليه.

(ب) ولا يشرع شيء من هذا فى الأركان الأخرى، إلا الركن اليماني، فإنه يحسن استلامه فقط.

(جـ) ويسن التكبير عند الركن الأسود فى كل طوفة؛ لحديث ابن عباس قال: «طاف النبى ﷺ بالبيت على بعيره، كلما أتى الركن أشار إليه بشيء كان عنده وكبَّر»، رواه البخارى. وأما التسمية، فلم أرها فى حديث مرفوع، وإنما صح عن ابن عمر أنه كان إذا استلم الحجر قال: «بسم الله، والله أكبر». أخرجه البيهقي (٥/ ٧٩) وغيره بسند صحيح، كما قال النووى والعسقلانى، ووهم ابن القيم -رحمه الله- فذكره من

رواية الطبرانى مرفوعًا، وإنما رواه موقوفًا كالبيهقي، كما ذكر الحافظ فى «التلخيص»، فوجب التنبيه عليه؛ حتى لا يُلْصَق بالسنة الصريحة ما ليس منها». اهـ.

فائـدة و تَعَـقُّـب

قال الحافظ ابن حجر فى «الفتح» (٣/ ٥٥٥):

١ - (**فائدة أخرى**): استنبط بعضهم من مشروعية تقبيل الأركان، جواز تقبيل كل من يستحق التعظيم من آدمي وغيره، فأما تقبيل يد الآدمي فيأتى فى كتاب الأدب، وأما غيره، فنقل عن الإمام أحمد أنه سئل عن تقبيل منبر النبى ﷺ وتقبيل قبره؟ فلم ير به بأسًا. واستبعد بعض أتباعه صحة ذلك، ونقل عن ابن أبى الصيف اليماني أحد علماء مكة من الشافعية جواز تقبيل المصحف وأجزاء الحديث وقبور الصالحين. اهـ.

٢- تعقب هذا الشيخ ابن باز -رحمه الله- في حاشيته على «الفتح» (٣/ ٥٥٥) فقال: «الأحكام التى تنسب إلى الدين لابد من ثبوتها فى نصوص الدين، وكل ما لم يكن عليه الأمر فى زمن التشريع وفى نصوص التشريع فهو مردود على من يزعمه، وتقدم قول الإمام الشافعي: «ولكنا نتبع السنة فعلاً وتركًا» وهو مقتضى قول أمير المؤمنين عمر فيما خاطب به الحجر الأسود برقم (١٥٩٧)، (١٦١٠)، هذه هى النصوص، وسيأتى قول الحافظ عن ابن عمر فى جوابه لمن سأله عن استلام الحجر[1] «أمره إذا سمع الحديث أن يأخذ به، ويتقى الرأى». والخروج عن هذه الطريقة تغيير للدين، وخروج به إلى غير ما أراده الله». اهـ.

قلت: وهذا من النفائس التى وفقنى الله إليها، وهو وحده من وراء القصد.



(١) الحديث (١٦١١).

(١٨)

قصة غناء بنات النجار(*)

نواصل فى هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم، حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت على ألسنة الناس، ويذكرها القصاص والوعاظ بمناسبة الهجرة.

ولقد اشتهرت هذه القصة بين أولادنا فى الأزهر الشريف، حيث يدرسها آلاف الطلاب كل عام فى مقرر السيرة النبوية للصفوف الثلاثة بالمرحلة الإعدادية، وذلك فى كتاب «السيرة النبوية» تأليف: دكتور عبد المقصود نصار، ودكتور/ محمد الطيب النجار، الحائزين لدرجة الأستاذية فى التاريخ الإسلامى، طبعة ١٩٩٩/ ٢٠٠٠م - ١٤١٩/ ١٤٢٠ هـ، حيث جاءت القصة فى ص (٨١) من الكتاب، وفيها:

«ثم غادر رسول الله ﷺ «قباء» واتجه إلى حيث كان الأوس والخزرج، وهم الأنصار، يحيطون به عن يمين ويسار، وقد تقلدوا سيوفهم، وامتلأت نفوسهم بالبِشر والسرور، فكانت لحظات خالدة فى تاريخ المدينة، وكان يوماً عظيماً فى تاريخ الإسلام، وخرج النساء والصبيان فى جوٍّ من النشوة والفرح يرددون فيه هذا النشيد الجميل:

طلعَ البدرُ علينا ❁ من ثنيات الوداعْ
وجبَ الشكرُ علينا ❁ ما دعَا للهِ داعْ
أيها المبعوث فينا ❁ جئتَ بالأمرِ المطاعْ

وأوردها المباركفوري في كتابه «الرحيق المختوم» ص (١٧٧) تحت عنوان: «الدخول فى المدينة». هذا الكتاب الذى اشتهر بين طلبة العلم؛ لفوزه بالجائزة الأولى، والتى أعلنت رابطة العالم الإسلامى عنها فى المؤتمر الإسلامى الآسيوى الأول، الذى عُقد فى كراتشى فى شهر شعبان ١٣٩٨هـ، كما أعلن على ذلك فى جميع الصحف،

(*) مجلة التوحيد، محرم، ١٤٢٣هـ.

وطبع بعدة لغات، مما أدى إلى اشتهار القصة، حيث قال المباركفورى: «وكان يوماً تاريخياً أغر، فقد كانت البيوت والسكك ترتج بأصوات التحميد والتقديس، وكانت بنات الأنصار تتغنى بهذه الأبيات فرحًا وسروراً ... ثم ذكر الأبيات.

ملحوظة هامة: ونحن فى بحثنا هذا لا نتناول أشخاصاً ولا مؤسسات؛ فهذه المؤسسات لها منا كل احترام وتقدير، ولكن كما ذكرنا آنفًا نقدِّم للقارئ الكريم بحوثًا علمية حديثية حول هذه القصة التى اشتهرت فى مثل هذه الكتب، من غير أن يذكر مؤلفوها للقصة تخريجًا ولا تحقيقًا.

أولاً : التخريج

أخرجه البيهقى فى «الدلائل» (٢/ ٥٠٦) قال: «أخبرنا أبو عمرو الأديب، قال: أخبرنا أبو بكر الإسماعيلى، قال: سمعت أبا خليفة يقول: سمعت ابن عائشة يقول: لما قدم عليه السلام المدينة جعل النساء والصبيان يقلن: فذكره».

وقد أورده الحافظ ابن كثير فى «البداية والنهاية» (٣/ ٢٣٨) عن البيهقي بهذا السند، وسكت عنه.

ثانيًا: التحقيق

هذا الحديث الذي جاءت به هذه القصة ليس صحيحاً، لوجود سقط عظيم فى الإسناد؛ فابن عائشة هذا الذى يتحدث عن دخول الرسول ﷺ المدينة، ليس صحابياً حتى يروى ما حدث عند دخول الرسول ﷺ المدينة، وهو ليس بتابعى أيضاً، ولا حتى من أتباع التابعين، فهو من الآخذين عن تبع الأتباع، ولم يلقَ التابعين.

البرهان: ابن عائشة أورده الحافظ ابن حجر فى «التقريب» (٢/ ٥١٥) باب: من نُسب إلى أبيه أو جده أو أمه ونحو ذلك. قال: «ابن عائشة هو: عبيد الله بن محمد بن حفص».

قلت: لقد حدث تصحيف فى اسم ابن عائشة عند الشيخ الألبانى رحمه الله فى «الضعيفة» (٢/ ٦٣) ح (٥٩٨) حيث أورد الاسم عبد الله بن محمد ابن عائشة،

والصواب هو عبيد الله بن محمد ابن عائشة، يؤكد ذلك أيضًا الإمام المزى فى «تهذيب الكمال» (١٢/ ٢٦١) ترجمة (٤٢٦٢) حيث قال: «عبيد الله بن محمد بن حفص بن عمر بن موسى بن عبيد الله بن معمر القرشى التيمي. أبو عبد الرحمن البصرى، المعروف بالعيشى وبالعائشى وبابن عائشة، لأنه من ولد عائشة بنت طلحة بن عبيد الله، قدم بغداد».

ثم نقل عن محمد بن عبد الله الحضرمى، وأبى القاسم البغوى، وزكريا بن يحيى الساجى: أنه مات سنة ثمان وعشرين ومائتين.

قلت: لذلك قال الحافظ ابن حجر فى «التقريب» (١/ ٥٣٨): إنه من كبار العاشرة.

قلت: وهذه الطبقة بيّنها الحافظ فى «مقدمة التقريب» حيث قال: «العاشرة: كبار الآخذين عن تبع الأتباع، ممن لم يلقَ التابعين».

قلت: وهذا البحث فى الطبقات يحسبه مَنْ لا دراية له أنه هيِّن؛ ولكنه عند علماء الفن عظيم. فقد تبين من بحثنا أن السند سقطت منه ثلاث طبقات رئيسية، وهى: طبقة الصحابة، وطبقة التابعين، وطبقة أتباع التابعين.

فأقل السقط من السند ثلاثة رواة على التوالى، وهذا النوع فى «علم المصطلح» يسمى «المعضل».

حيث قال السخاوى فى «فتح المغيث» (١/ ١٨٥):

«المعضل فى الاصطلاح: هو الساقط من إسناده اثنان فصاعداً مع التوالى».

قلت: بهذا التحقيق يتبين أن القصة واهية، فلا يغتر الداعية بإيرادها فى هذه الكتب المشهورة، بعد أن تبين سقوطها بالسقط المتوالى فى إسنادها.

وليتخذ طالب هذا الفن من هذه القصة مثالاً لعلم الحديث التطبيقى للمعضل.

بطلان احتجاج أبى حامد الغزالى

لقد احتج أبو حامد الغزالى بهذا القصة على إباحة الغناء. حيث قال فى «الإحياء» (٢/ ٢٧٥): «ووجه جوازه: أن من الألحان ما يثير الفرح والسرور والطرب، فكل ما جاز السرور به ، جاز إثارة السرور فيه، ويدل على هذا من النقل إنشاد النساء على السطوح بالدف والألحان عند قدوم رسول الله ﷺ :

طلـــعَ البـــدرُ علينـــا ❁ مـــن ثنيـــات الـــوداعْ
وجـــبَ الشّكـــرُ علينـــا ❁ مـــا دعَـــا للهِ داعْ

قلت: لقد بيّنا فى تحقيقنا أن القصة واهية بالسقط فى الإسناد، وفوق ذلك أن أبا حامد الغزالى أورد هذه القصة بزيادة لا أصل لها، حيث قال: «إنشاد النساء على السطوح بالدف والألحان».

قلت: ولقد بيّن ذلك الإمام الحافظ العراقى فى «تخريج الإحياء» (٢/ ٢٧٥)، حيث قال: «حديث إنشاد النساء عند قدوم رسول الله ﷺ : أخرجه البيهقي فى «دلائل النبوة» معضلاً، وليس فيه ذكر للدف والألحان».

قلت: وقد نقل الشيخ الألبانى رَحِمَهُ اللهُ تحقيق العراقى مقراً له، حيث قال فى «الضعيفة» (٢/ ٦٣): (تنبيه: أورد الغزالى هذه القصة بزيادة «بالدف والألحان»، ولا أصل لها كما أشار لذلك الحافظ العراقى بقوله: «وليس فيه ذكر للدف والألحان»).

وقد اغتر بهذه الزيادة بعضهم فأورد القصة بها، مستدلاً على جواز الأناشيد النبوية المعروفة اليوم .

فيقال له: «أثبت العرش ثم انقش»، على أنه لو صحت القصة لما كان فيها حجة على ما ذهبوا إليه».

شاهد للقصة غير صحيح

روى عن أنس قال: قدم رسول الله ﷺ المدينة، فلما دخل المدينة جاءت الأنصار برجالها ونسائها، فقالوا : إلينا يا رسول الله . فقال: «دعوا الناقة فإنها مأمورة» فبركت على باب أبى أيوب. قال: فخرجت جوارٍ من بنى النجار يضربن بالدفوف، وهن يقلن:

نحن جوارٍ من بني النجار ❁ يا حبذا محمد من جار

فخرج إليهم رسول الله ﷺ فقال: «أتحبونى» فقالوا: إي والله يا رسول الله. قال: «أنا والله أحبكم، وأنا والله أحبكم، أنا والله أحبكم».

التخريج

أخرجه البيهقي فى «الدلائل» (٢/ ٥٠٨) قال: «أخبرنى أبو الحسن علىّ بن عمر الحافظ، قال: حدثنا أبو عبد الله محمد بن مخلد الدورى، قال: حدثنا محمد بن سليمان ابن إسماعيل بن أبى الورد، قال: حدثنا إبراهيم بن صِرْمة، قال: حدثنا يحيى بن سعيد، عن إسحاق بن عبد الله بن أبى طلحة، عن أنس قال: فذكره.

قلت: وهذه القصة نقلها الحافظ ابن كثير فى «البداية والنهاية» (٣/ ٢٤٠) عن البيهقي بهذا الإسناد، ثم قال: «هذا حديث غريب من هذا الوجه لم يروه أحد من أصحاب السنن».

التحقيق

هذه قصة واهية أيضاً، موضوعة فى غناء بنات بنى النجار عند قدوم رسول الله ﷺ المدينة.

حيث إن علة هذه القصة : إبراهيم بن صِرْمة.

فقد أورده الإمام الذهبى فى «الميزان» (١/ ٣٨/ ١١٥) حيث قال: « إبراهيم بن

صِرمة الأنصارى، عن يحيي بن سعيد الأنصارى: ضعَّفه الدارقطنى وغيره، وقال ابن عدى : عامة حديثه منكر المتن والسند، وقال ابن معين: كذاب خبيث».

قلت: فهذه قصة باطلة واهية، تزيد الأولى وهنًا على وهن.

حديث لا أصل له حول هذه القصة الواهية

قال شيخ الإسلام ابن تيمية فى «مجموع الفتاوى» (١٨/ ١٢٤): (وما يروونه عن النبى ﷺ : لما قدم إلى المدينة خرجن بنات النجار بالدفوف، وهن يقلن:

طلعَ البدرُ علينا ❁ من ثنيات الوداعْ

إلى آخر الشعر. فقال لهن رسول الله ﷺ : «هزوا غرابيلكم، بارك الله فيكم». هذا لا يعرف عنه).

تنبيه:

١- لا يصح أن تتخذ هذه القصة دليلاً على إنشاد النساء بالدف والألحان.

٢- لقد بيّنا فى «مجلة التوحيد» فى سلسلة «تحذير الداعية من القصص الواهية». عدم صحة حديث: «أعلنوا النكاح، واجعلوه فى المساجد، واضربوا عليه بالدفوف»، مع بيان صحة الجزء الأول منه، وهو جملة: «**أعلنوا النكاح**».

٣- قال الحافظ فى «الفتح» (٩/ ٦٧):

«واضربوا عليه بالدف» وسنده ضعيف، واستدل بقوله: «واضربوا» على أن ذلك لا يختص بالنساء؛ لكنه ضعيف.

والأحاديث القوية فيها الإذن فى ذلك للنساء، فلا يلتحق بهن الرجال؛ لعموم النهى عن التشبه بهن».

قلت: لذلك قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فى «مجموع الفتاوى» (١١/ ٥٦٥): رخَّص النبى ﷺ للنساء أن يضربن بالدف فى الأعراس والأفراح.

وأما الرجال على عهده فلم يكن أحد منهم يضرب بدف، ولا يصفق بكف.

بل قد ثبت عنه فى الصحيح أنه قال: «التصفيق للنساء، والتسبيح للرجال».

«ولعن المتشبهات من النساء بالرجال، والمتشبهين من الرجال بالنساء».

ولما كان الغناء والضرب بالدف والكف من عمل النساء، كان السلف يسمون من يفعل ذلك من الرجال مخنثاً، ويسمون الرجال المغنين مخانيث، وهذا مشهور فى كلامهم». اهـ.

بدائل صحيحة: حول قدوم الرسول ﷺ المدينة

بعد أن حذرنا الداعية من هذه القصة الواهية نذكر البدائل الصحيحة حول قدوم الرسول ﷺ ، فقد بوَّب الإمام البخارى رَحِمَهُ اللَّهُ فى «صحيحه» كتاب «مناقب الأنصار» بابًا رقم (٤٦) باب «مَقْدِم النبى ﷺ وأصحابه المدينة»، ثم بيان حال أهل المدينة وكيفية استقبالهم للنبى ﷺ كما فى الحديث (٣٩٢٥)، وكذلك الحديث رقم (٣٩٠٦)، وفيه بيان بأول مَنْ شهد مَقْدِم رسول الله ﷺ ، وكيف تلقى المسلمون رسول الله ﷺ ، ثم بيان بشهر دخول الرسول ﷺ المدينة، ويوم الدخول، وكذلك المكان، وهذا الحديث الصحيح يصل إلى أربعين سطرًا مما لا تتحمله المساحة المخصصة بالمجلة، ونكتفى ببيان موضعه للرجوع إليه.

ومن البدائل الصحيحة: حول مقدم الرسول ﷺ والتى تبين كيفية استقبال المدينة للنبي ﷺ الحديث الذى أخرجه الإمامُ مسلم فى «صحيحه» ح(٣٠١٤) باب حديث الهجرة، فليتمسك الداعية بهذه البدائل الصحيحة.

٥- ذكر الإمامُ ابن القيم فى «زاد المعاد» (٣/ ١٠) أن إنشاد «طلع البدر علينا» كان عند مرجعه ﷺ من تبوك، ثم قال: «وبعض الرواة يهم فى هذا، ويقول: إنما كان ذلك عند مقدمه المدينة من مكة. وهو وهم ظاهر؛ لأن ثنيات الوداع إنما هى من ناحية الشام، لا يراها القادم من مكة إلى المدينة، ولا يمر بها إلا إذا توجه إلى الشام».

٦- وأورد القصة الحافظُ ابن حجر فى «الفتح» (٧/ ٣٠٧) شرح باب «مقدم النبى ﷺ المدينة»، وخرَّج حديثها قائلاً: (أخرج أبو سعيد فى «شرف المصطفى» ورويناه فى «فوائد الخلعى» من طريق عبيد الله ابن عائشة منقطعًا» فذكر القصة ثم قال: «وهو سند معضل، ولعل ذلك كان فى قدومه من غزوة تبوك»).

٧- **قلت**: فالقصة واهية بالنسبة لقدومه ﷺ من مكة، ونلاحظ أن الحافظ ابن حجر لم يجزم بقدومه من تبوك، فالقصة أيضًا بالنسبة لتبوك فى حاجة إلى تحقيق -إن شاء الله-.

هذا ما وفقني الله إليه، وهو وحده من وراء القصد

❁ ❁ ❁ ❁

(١٩)

قصة حوار عثمان مع ابن مسعود رضي الله عنهما (*)

نواصل فى هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم؛ حتى يقف على حقيقة هذه القصة التى اشتهرت على ألسنة الخطباء والوعاظ.

أولاً: السبب الذى دفعنى لتحقيق هذه القصة: «قصة حوار الخليفة الراشد ذى النورين عثمان بن عفان ﷺ مع الصحابى الجليل عبد الله بن مسعود ﷺ»، وهو سبب ليس بالهين؛ لأنه دليل اشتهار وانتشار، فلقد استمعت آذان الألوف إلى هذه القصة حيث قدَّمتها إذاعة «القرآن الكريم» - حفظها الله – فى تمام الساعة الثامنة والنصف صباح يوم الأحد ٨ شوال ١٤٢٢هـ ، ٢٣ ديسمبر ٢٠٠١ م، فى برنامج «تقديم لقراءة قرآنية» من سورة الواقعة.

ونحن فى بحثنا عن حقيقة هذه القصة لا نتناول اسم الشيخ الذى قام بالتقديم لهذه القراءة القرآنية ولا رسمه، ولكن نتناول القصة من حيث أصول علم الحديث؛ لنبين عدم صحة هذه القصة التى قُدّمت فى البرنامج على أنها من فضائل سورة الواقعة، فقد يجربها بعض الذين استمعوا هذه القصة، فلا يتحقق الفضل المذكور فى القصة، فيتولد عنده الشك، إما فى القرآن حيث إنه يقوم بقراءة السورة كل ليلة ، أو فى السُّنة حيث الحديث الذى جاء فى هذه القصة.

ثانيًا- متن القصة:

رُوِىَ عن أبى فاطمة أن عثمان بن عفان ﷺ عاد ابن مسعود فى مرضه.

فقال: ما تشتكى؟

قال: ذنوبى.

قال: فما تشتهى؟

(*) مجلة التوحيد، صفر، ١٤٢٣هـ.

قال: رحمة ربى.

قال: ألا ندعوا لك الطبيب؟

قال: الطبيب أمرضنى.

قال: ألا آمر لك بعطائك؟

قال: منعتنيه قبل اليوم، فلا حاجة لى فيه.

قال: فدعه لأهلك وعيالك.

قال: إنى قد علمتهم شيئًا إذا قالوه لم يفتقروا، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من قرأ الواقعة كل ليلة لم يفتقر».

قلت: هذه القصة ليست صحيحة.

ونذكّر القارئ الكريم بأننا عندما نقدِّم البرهان على عدم صحة هذه القصة، نحقق أهداف هذه السلسلة من خلال هذا البرهان، ونذكِّر بهذه الأهداف حتى نعرف حدود هذه السلسلة، وهى:

١ – أن يقف القارئ الكريم على درجة القصة، وحسبه هذا القدر.

٢ – والداعية يكون على حذر، ويَسْلَم له عمله على السنة وحدها، ويعرف مواضع هذه القصة فى الكتب التى أخرجتها، والكتب التى أوردتها، فلا يغتر بوجودها.

٣– وطالب هذا الفن، يجد نماذج من علم الحديث التطبيقى.

وهذا هو التخريج والتحقيق الذى سنحقق به –إن شاء الله– هذه الأهداف.

(أ) القصة أخرجها البيهقى فى «الشعب» (٢/ ٤٩١/ ٢٤٩٧) قال: أخبرنا أبو الحسين ابن الفضل القطان، أنا عبد الله بن جعفر، ثنا يعقوب بن سفيان، ثنا الحجاج، ثنا السرى بن يحيى الشيبانى أبو الهيثم، عن شجاع، عن أبى فاطمة: أن عثمان بن عفان رضي الله عنه عاد ابن مسعود فى مرضه، فذكر القصة.

(ب) والحديث أخرجه ابن الجوزى فى «العلل المتناهية فى الأحاديث الواهية»

(١/ ١١٢/ ١٥١) من طريق عبد الله بن وهب قال: حدثنى السرى بن يحيى أن شجاعًا حدثه، عن أبى ظبية، عن ابن مسعود قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«من قرأ سورة الواقعة فى كل ليلة لم تصبه فاقة». قال أحمد بن حنبل: هذا حديث منكر، وشجاع والسرى لا أعرفهما». اهـ.

(جـ) والحديث أخرجه الحارث بن أبى أسامة فى «مسنده» (٢/ ٧٢٩/ ح٧٢١- زوائد) قال: حدثنا العباس بن الفضل، ثنا السرى بن يحيى، ثنا شجاع، عن أبى طيبة، عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ : «من قرأ سورة الواقعة فى كل ليلة، لم تصبه فاقة أبدًا». فكان ابن مسعود يأمر بناته بقراءتها كل ليلة.

(د) والحديث أخرجه ابن السنى فى «عمل اليوم والليلة» ح(٦٨٠) من طريق محمد بن منيب العدنى، ثنا السرى بن يحيى الشيبانى، عن أبى طيبة أن ابن مسعود رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من قرأ سورة الواقعة فى كل ليلة لم تصبه فاقة أبداً». قال: وقد أمرت بناتى أن يقرأنها كل ليلة.

(هـ) والحديث أخرجه البيهقى فى «الشعب» (٢/ ٤٩١/ ٢٤٩٨) من طريق عبد الله بن وهب، ثنا السرى بن يحيى، أن شجاعًا حدثه عن أبى ظبية عن ابن مسعود، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من قرأ سورة الواقعة فى كل ليلة لم تصبه فاقة»، ثم قال البيهقى: كذا قال شيخنا -يعنى الحاكم- عن أبى ظبية مقيدًا بنقطة فوق الظاء، وذكر البخارى -رحمه الله- فى «التاريخ» شجاعًا وذكر أنه يروى عنه السرى بن يحيى، وهو ذا ابن وهب يروى عن السرى عن شجاع عن أبى ظبية، وخالف حجاج بن منهال حيث قال: أبى فاطمة. وكذلك قاله أيضًا غير ابن وهب.

(و) وأخرج الحديث البيهقىُّ أيضًا فى «الشعب» (٢/ ٤٩١/ ٢٤٩٩) من طريق أبى العباس ابن الفضل البصرى، ثنا السرى بن يحيي، ثنا شجاع، عن أبى ظبية، عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ : «من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبداً».

وكان ابن مسعود يأمر بناته يقرأنها كل ليلة. وكذا رواه يونس بن بكير عن السري.

(ز) وأخرجه أبو عمرو ابن عبد البر من طريق عمرو بن الربيع بن طارق، عن السرى، عن أبى شجاع، عن أبى فاطمة؛ كذا فى «اللسان» (٧/ ٦٢).

(حـ) وأخرجه الثعلبي من طريق أبى بكر العطاردى، وابن مردويه من طريق حجاج بن نصير، كلاهما فى «التفسير»، فقالا جميعًا: عن السرى ، عن أبى شجاع. كما فى «اللسان» (٧/ ٦٣).

قلت: قمت بالتخريج مفصلاً لبيان الاضطراب فى سند الحديث، الذى جاء بالقصة، هذا الاضطراب الذى بيّنه الحافظ ابن حجر فى «اللسان» (٧/ ٦٣)، حيث جمع ألطرق التى فصّلناها، ثم قال: « فاجتمع من الخلال فيه ثلاثة أشياء:

أحدهما: هل شيخ السرى شجاع؟ أو أبو شجاع؟ والراجح أنه أبو شجاع.

ثانيها: هل شيخه أبو طيبة؟ أو أبو فاطمة؟ والراجح أبو طيبة.

ثالثها: أبو طيبة بمهملة، ثم تحتانية ساكنة، ثم موحدة، أو بمعجمة عن موحدة ساكنة ثم تحتانية – يعنى أبو ظبية؟ رجَّح الدارقطني الأول أنه بالمهملة، وتقديم التحتانية – يعنى أبو طيبة. اهـ.

واستشهد الألبانى رَحِمَهُ اللَّهُ فى «الضعيفة» (١/ ٣٠٤/ ٢٨٩) بقول الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ على اضطراب سند الحديث حيث قال: «ثم إن فى سند الحديث اضطرابًا من وجوه ثلاثة، بيّنها الحافظ ابن حجر فى «اللسان» فى ترجمة أبى شجاع هذا فليراجعه. وفى «فيض القدير» للمناوى.

وقال الزيلعى تبعًا لجمع: هو معلول من وجوه:

أحدها: الانقطاع كما بيّنه الدارقطني وغيره.

الثاني: نكارة متنه كما ذكره أحمد.

الثالث: ضعف رواته، كما قاله ابن الجوزي.

الرابع: اضطرابه. وقد أجمع على ضعفه أحمد وأبو حاتم وابنه والدارقطني والبيهقي وغيرهم». اهـ.

قلت: وحديث القصة أورده الإمام الذهبي في «الميزان» (٢/ ٢٦٥/ ٣٦٧٠) قال: شجاع، عن أبي ظبية، عن ابن مسعود.

قال أحمد بن حنبل: لا أعرفهما، حدّث عنه الليث بن سعد، مجهول.

ثم قال الذهبي: وهو صاحب حديث: «من قرأ الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة، رواه عنه السرى بن يحيى بإسناده مرفوعًا». اهـ.

قلت: هكذا أورده الإمام الذهبي من الأحاديث المنكرة، هذا بالنسبة لشجاع. ثم أورد الإمام الذهبي في «الميزان» (٤/ ٥٣٦/ ١٠٢٨٤) ترجمة لأبي شجاع قال: أبو شجاع نكرة لا يعرف، عن أبي ظبية -ومن أبو ظبية؟-، عن ابن مسعود، عن النبي ﷺ قال: «من قرأ الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبداً، رواه الربيع بن طارق وابن وهب عن السرى بن يحيى أن هذا حدثه، أخرجه ابن وهب في «جامعه»، وأبو عبيد في «فضائل القرآن». اهـ.

قلت: راجع تخريجها الذي بيّناها آنفًا.

ثم أورد الإمام الذهبي في «الميزان» (٤/ ٥٤٢/ ١٠٣٣٣) ترجمة لأبي طيبة قال: «أبو طيبة عن ابن مسعود وغيره، وعنه أبو شجاع سعيد: مجهول». اهـ.

شاهد لحديث القصة

«من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبداً، ومن قرأ كل ليلة ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ لقي الله يوم القيامة ووجهه في صورة القمر ليلة البدر».

أخرجه الديلمي من حديث ابن عباس كما في «تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة» (١/ ٣٠١) لابن عراقي، وقال: «فيه أحمد بن عمر اليمامي».

قاعدة هامة:

وحتى لا يتقول علينا من لا دراية له بهذه الصناعة، فيتوهم من قول ابن عراق فى في «تنزيه الشريعة» عن الراوى بعد تخريج الحديث:«فيه فلان» أنه سكت عنه، أو أن ضعفه خفيف، نذكر قاعدة ابن عراق، والتى تعتبر من أصول «تنزيه الشريعة» التى يجب أن يرجع إليها الباحث فى هذا الكتاب القيّم (١/ ١٧) حيث قال: «فصل فى سرد أسماء الوضاعين، والكذابين، ومن كان يسرق الأحاديث ويقلب الأخبار ومن اتهم بالكذب والوضع من رواة الأخبار ملخصًا من «الميزان» و«المغنى» و«ذيله» للحافظ الذهبى، و«لسان الميزان» للحافظ ابن حجر، مع «زوائد موضوعات ابن الجوزى» مرتبًا على حروف المعجم، وغرضي من ذلك أمران:

أحدهما: إذا كان فى سند حديث من أحاديث هذا الكتاب أحد من المذكورين متفق على تكذيبه فإنى أكتفى بقولى بعد تخريج الحديث: فيه فلان أو من طريق فلان؛ طلبًا للاختصار، وهربًا من التكرار، وإن كان غير متفق على تكذيبه وتركه ذكرت من وثقه». اهـ .

قلت: بتطبيق هذه القاعدة، بما أن ابن عراق قال بعد تخريج الحديث: «وفيه أحمد ابن عمر اليمامي».

إذن أحمد بن عمر اليمامى متفق على تكذيبه.

قلت: لذلك أورده ابن أبى حاتم فى «الجرح والتعديل» (١/ ١/ ٧١/ ١٣٠): أحمد بن محمد بن عمر بن يونس بن القاسم الحنفى اليمامى؛ قال: سألت أبى عنه؟ فقال: «قدم علينا وكان كذابًا».

قلت: وأورده ابن عراق فى الأسماء برقم (١٦٨) قال: «أحمد بن عمر اليمامي هو ابن محمد بن عمر يأتي».

قلت: فتتبعته فوجدته أورد الاسم برقم (٢٠٤) قال: «أحمد بن محمد بن عمر بن يونس اليمامى، قال أبو حاتم وابن صاعد: كذاب».

قلت: وأقر ذلك الذهبى فى «الميزان» (١/ ١٤٢/ ٥٥٩).

وأورده الدارقطني في «الضعفاء والمتروكين» برقم (٤٩) قال: «أحمد بن محمد بن عمر بن يونس بن القاسم، يمامى، عن جده وعن عبد الرزاق».

قلت: من قرأ هذه الترجمة من الذين لا دراية لهم بهذه الصناعة يتوهم أن الرجل لا جرح فيه، فيتقول علينا بعض الأقاويل، فلابد وأن نذكِّر بهذا التأصيل:

قاعـدة:

عند البحث فى كتاب «الضعفاء والمتروكين» للدارقطني نجد أسماء كثيرة، لا يكتب معها أى صيغة من صيغ الجرح، فأصحاب هذه الأسماء متروكون؛ تبعًا للقاعدة التى جاءت فى صدر الكتاب، والتى قال فيها الإمام أبو بكر البرقانى: «طالت محاورتى مع ابن حمكان لأبي الحسن علىّ بن عمر الدارقطنى -عفا الله عنى وعنهما- فى المتروكين من أصحاب الحديث، فتقرر بيننا وبينه على ترك مَنْ أثبته على حروف المعجم فى هذه الورقات».

قلت: فهذه قاعدة بها يتبين مرتبة من أورده الدارقطنى فى كتابه هذا، وبهذا يصبح أحمد بن عمر اليمامى (متروكًا) عند الدارقطنى والبرقانى وابن حمكان.

* وأحمد بن عمر اليمامى أورده ابن حبان فى «المجروحين» (١/ ١٤٣) قال: «يروى عن عبد الرزاق وعمر بن يونس وغيرهما أشياء مقلوبة». ثم ذكر له مقلوبات، ثم قال: «هذا إلى ما يشبهه مما يأتى من المقلوبات والملزقات التى ينكرها المتبحر فى هذه الصناعة».

قلت: هذا ما قاله الإمام الحافظ ابنُ حبان المتوفى سنة (٣٥٤هـ) فقد مضى على وفاته أكثر من ألف عام، وفى قوله: «المتبحر فى هذه الصناعة» أصل لنا عندما نذكره؛ لئلا يتقول علينا متقول وهو لا يدرى.

من هذا التحليل يتبين أن شاهد حديث القصة «موضوع»، وفيه كذاب متروك،

كما بيّنا من قواعد الجرح والتعديل، وبتطبيق قواعد الاصطلاح الخاصة بالمتابعات والشواهد والنفائس العزيزة التى أوردناها فى هذه السلسلة رقم (٢) ورقم (٥) نجد أن هذا لا يصلح للمتابعات ولا الشواهد، بل يزيد القصة وهنًا على وهن.

شاهد آخر لحديث القصة

«من قرأ سورة الواقعة وتعلمها لم يكتب من الغافلين، ولم يفتقر هو وأهل بيته». الحديث أخرجه أبو الشيخ من طريق عبد القدوس بن حبيب، عن الحسن، عن أنس مرفوعًا كما فى «ذيل الأحاديث الموضوعة» للسيوطي (٢٧٧).

وعلته: عبد القدوس بن حبيب، أورده ابن حبان فى «المجروحين» (٢/ ١٣١) وقال: «كان يضع الحديث على الثقات لا يحل كتابة حديثه، ولا الرواية عنه».

وأورده الذهبى فى «الميزان» (٢/ ٦٤٣/ ٥١٥٦) ثم نقل قول عبد الرزاق فيه: «ما رأيت ابن المبارك يفصح بقولة كذاب إلا لعبد القدوس».

قلت: وبتطبيق القواعد التى ذكرناها آنفًا للشاهد الأول من حديث ابن عباس على هذا الشاهد الثانى من حديث أنس يتبين أنه لا يصلح، وأنه يزيد القصة وهنًا على وهن. **قلت**: فحديث القصة جاء من حديث ابن مسعود، وابن عباس، وأنس فهو مشهور مطلق، ولكنه لا يصح كما بيّنا.

البدائل

لقد تبين أن حديث القصة واهٍ، ومتنه: «من قرأ الواقعة كل ليلة لم يفتقر»، ولكن هناك بدائل هى من أسباب زيادة الرزق ومحو الفاقة، وهى:

١- التوكل: فقد ثبت عند أحمد فى «مسنده» (١/ ٣٠) والترمذى فى «سننه» ح(٢٣٤٤)، وابن ماجه فى «السنن» (٤١٦٤)، وابن حبان ح (٢٥٤٨)، والحاكم (٤/ ٣١٨) من حديث عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لو أنكم كنتم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصًا وتروح بطانًا**».

٢- الصلاة: لأن الله تعالى يقول: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَالْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ (طه:١٣٢).

٣- عمارة المساجد: لقوله تعالى: ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْأٓصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ الزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (النور:٣٦-٣٨).

٤- التقوى: لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ﴾ (الطلاق:٣).

٥- الاستغفار: لقوله تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾ (نوح: ١٠-١٢).

٦- التحرك: لقوله تعالى: ﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾ (مريم:٢٥) وقوله: ﴿فَامْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ (الملك:١٥).

٧- صلة الرحم: للحديث المتفق عليه من حديث أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**من أحب أن يبسط له رزقه، وينسأ له فى أثره، فليصل رحمه**».

وللبخارى عن أبى هريرة: «**من سره أن يُبسط له رزقه وينسأ له فى أثره، فليصل رحمه**».

٨- الإيمان والدخول فى شعبه كافة، يؤدى إلى زيادة الرزق وفتح البركات، فقد أخرج أحمد والبخارى ومسلم والترمذى وابن ماجه من حديث ابن عمر، وأخرج أحمد ومسلم من حديث جابر، وأخرج أحمد والبخارى ومسلم من حديث أبى هريرة،

وأخرج مسلم وابن ماجه من حديث أبى موسى، عن النبى ﷺ : «**المؤمن يأكل فى معى واحد، والكافر يأكل فى سبعة أمعاء**»، إلى غير ذلك من الأحاديث والآيات التى توضح القاعدة التى ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية فى «مجموع الفتاوى» (٨/ ١٦٩) حيث قال: «ومما ينبغى أن يعلم ما قاله طائفة من العلماء. قالوا: الالتفات إلى الأسباب شرك فى التوحيد، ومحو الأسباب أن تكون أسبابًا نقصٌ فى العقل، والإعراض عن الأسباب بالكلية قدح فى شرع، وإنما التوكل والرجاء معنى يتألف من موجب التوحيد والعقل والشرع». اهـ.

هذا ما وفقنى الله إليه، وهو وحده من وراء القصد



(٢٠)

قصة انتقال النور المحمدي (*)

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم؛ حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت على ألسنة الناس، ويذكرها القصاص والوعاظ بمناسبة مولد النبي ﷺ.

ولقد اشتهرت هذه القصة لأن مرجع الكثير من الكُتّاب والقصاص هو «السيرة النبوية» لابن هشام، والقصة رواها ابن هشام في «السيرة» (١/ ١٠٠) قال ابن إسحاق: «ثم انصرف عبد المطلب آخذًا بيد عبد الله فمر به -فيما يزعمون- على امرأة من بني أسد بن عبد العزى بن قصي، وهي عند الكعبة، فقالت له حين نظرت إلى وجهه: أين تذهب يا عبد الله ؟ فقال: مع أبي. قالت: لك عندي من الإبل مثل التي نُحرت عنك، وَقَعْ عليَّ الآن. فقال لها: إن معي أبي الآن، لا أستطيع خلافه ولا فراقه، ولا أريد أن أعْصِيَه شيئًا، فخرج به عبد المطلب حتي أتى به وَهْبَ بن عبد مناف بن زُهْرَة – ووهب يومئذ سيد بني زهرة نسبا وشرفًا – فزوّجه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة، وهي يومئذٍ أفضل امرأة في قريش نسبًا وموضعًا.

أمهات آمنة: وهي لبرة بنت عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي. وأم بَرَّة: أم حبيب بنت أسد بن عبد العزى بن قصي، وأم حبيب بنت أسد: لبرة بنت عوف ابن عبيد، يعني ابن عويج بن عدي بن كعب بن لؤي.

قال: وذكروا أنه دَخل عليها حين ملكها مكانه، فوقع عليها عبدُ الله فحملت برسول الله ﷺ .

قال: ثم خرج من عندها حتى أتى المرأة التي قالت له ما قالت- وهي أخت ورقة

(*) مجلة التوحيد، ربيع الأول، ١٤٢٣هـ.

ابن نوفل بن أسد بن عبد العزى – وهى فى مجلسها، فجلس إليها، وقال لها: ما لك لا تَعْرِضِين علىَّ اليوم مثل الذى عرضت أمس؟

فقالت: قد فارقك النور الذى كان فيك فليس لي بك اليوم حاجة.

وكانت فيما زعموا تسمع من أخيها ورقة بن نَوْفل، وكان قد تنصر، واتبع الكتب يقول: إنه لكائن فى هذه الأمة نبى من بنى إسماعيل، فقالت فى ذلك شعرًا واسمها: أم قتال بنت نوفل بن أسد:

آلآن وقد ضيعت ما كنت قادرًا ❁ عليه وفارقك الذي كان جاءَكا
غدوت عليَّ حافلاً قد بذلْتَهُ ❁ هناك لغيري فالحَقَنَّ بشانكا
ولا تحْسَبَنِّي اليوم خِلْوًا وليتني ❁ أصبت جَنينًا منك يا عَبْد داركا
ولكن ذاكم صار فى آل زهرةٍ ❁ به يَدْعَمُ الله البرية ناسكا

أولاً: التخريج

هذا الخبر الذى جاءت به هذه القصة أخرجه البيهقى فى «دلائل النبوة» (١/ ١٠٢) قال: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، قال: حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، قال: حدثنا أحمد بن عبد الجبار، قال: حدثنا يونس بن بكير، عن محمد بن إسحاق قال: ثم انصرف عبد المطلب آخذًا بيد عبد الله فمر به – فيما يزعمون – فذكره.

ثانيًا: التحقيق

الخبر الذى جاءت به هذه القصة ليس صحيحًا كما سنفصِّله في هذا التحقيق:

١ – أحمد بن عبد الجبار: هو أحمد بن عبد الجبار بن محمد بن عُمير بن عِطارد التميمي العطاردى، أورده المزى فى «تهذيب الكمال» (١/ ١٨٤) ترجمة (٦٢) وبيَّن أنه روى عن يونس بن بُكَيْر الشيبانى عنده عنه «مغازى» محمد بن إسحاق.

قال محمد بن عبد الله الحضرمي: كان – أحمد بن عبد الجبار – يكذب.

وقال مُطيّن: كان يكذب. كذا فى «الميزان» (١/ ١١٢) ترجمة (٤٤٣)، وضعفه ابن حجر فى «التقريب» (١/ ١٩).

٢- الخبر رواه البيهقي، وكذلك ابن هشام: قال ابن إسحاق .... فذكره هكذا بدون إسناد.

٣- هذا الخبر واهٍ، ويدل على هذا قول ابن إسحاق وغيره ممن نقلوا الخبر - فيما يزعمون - وهو زعم باطل.

٤- المتن مضطرب: يظهر ذلك فى تخبط الروايات فى اسم المرأة، فهى مرة: امرأة من خثعم، ومرة أم قتال أخت ورقة بن نوفل، ومرة هى ليلى العدوية، ومرة كاهنة من أهل تبالة، ومرة أنه كان متزوجًا بامرأة أخرى غير آمنة، ومرة فاطمة بنت مر، وإن تعجب فعجب لماذا اختار الرواة أخت ورقة بن نوفل، وفى رواية امرأة من خثعم كانت قد قرأت الكتب؟

٥- فوق ذلك كله نكارة المتن التى نبيّنها فى آخر تحقيقنا لهذه القصة الواهية.

طريق آخر للقصة

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كانت امرأة من خَثعم تَعْرِض نفسها فى مواسم الحج، وكانت ذات جمال، وكان معها أدم تطوف بها، كأنها تبيعها، فأتت على عبد الله ابن عبد المطلب، فأظن أنه أعجبها، فقالت: إنى والله ما أطوف بهذا الأدم، وما لى إلى ثمنها حاجة، وإنما أتوسم الرجل هل أجد كفؤًا، فإن كانت إلى حاجة فقم. فقال لها: مكانك حتى أرجع إليك، فانطلق إلى رحله فبدأ فواقع أهله، فحملت بالنبى ﷺ فلما رجع إليها، قال: ألا أراك ههنا؟ قالت: ومن كنت؟ قال: الذى واعدتك. قالت: لا، ما أنت هو، ولئن كنت هو لقد رأيت بين عينيك نورًا ما أراه الآن.

التخريج

خبر ابن عباس الذى به هذه القصة أخرجه البيهقى فى «دلائل النبوة» (١/ ١٠٧) قال: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، قال: حدثنا عبد الباقى بن قانع، قال: حدثنا

عبد الوارث بن إبراهيم العسكري، قال: حدثنا مسدد، قال: حدثنا مسلمة بن علقمة، عن داود بن أبي هند، عن عكرمة، عن ابن عباس قال فذكره. وأخرجه ابن عساكر (١/ ٥٢٣) من طريق الحاكم: حدثنا عبد الباقي بن قانع به.

التحقيق

١ - القصة بهذا الطريق أيضًا واهية، وعلتها عبد الباقي بن قانع.

أورده ابن حجر في «لسان الميزان» (٣/ ٤٦٩) (٥٤٩/ ٤٩٠٠) ونقل عن ابن حزم أنه قال: «ابن سفيان في المالكيين، نظير ابن قانع في الحنفيين، وجد في حديثهما الكذب البحت، والبلاء المبين، والوضع اللائح ، فإما تغييرا، وإما حملاً عمن لا خير فيه من كذاب ومغفل يقبل التلقين، وإما الثالثة وهي أن يكون البلاء من قِبلهما، وهي ثالثة الأثافي، نسأل الله السلامة».

وقال أبو الحسن ابن الفرات: حدث به اختلاط قبل موته بسنتين.

٢ - وعبد الوارث بن إبراهيم العسكري لا يعرف.

٣- **قاعدة**: حاول بعض الذين يكتبون في السيرة تصحيح بقية السند، حيث قال أحدهم: «وهذا إسناد رجاله فوق مسدد على شرط مسلم».

قلت: يتوهم الكثير أن الإسناد الذي رجاله روى لهم مسلم يكون على شرط مسلم، وهذا ليس على إطلاقه، ولقد بيّن غلط ذلك الحافظ ابن حجر، ونقله عنه محدث وادي النيل الشيخ أحمد شاكر -رحمه الله- في «شرح اختصار علوم الحديث» (ص٢١) حيث قال الحافظ ابن حجر: «وأدق من هذا: أن يرويا -يعني البخاري ومسلم- عن أناس مخصوصين من غير حديث الذين ضعفوا فيهم، فيجيء عنهم حديث من طريق من ضعفوا فيه، برجال كلهم في الكتابين أو أحدهما فنسبته أنه على شرط من خرج له غلط». اهـ.

قلت: فبتطبيق هذه القاعدة الجليلة على القول « هذا إسناد رجاله فوق مسدد على

شرط مسلم»، نجد أن الإسناد عن مسدد: قال حدثنا مسلمة بن علقمة، عن داود ابن أبى هند، عن عكرمة عن ابن عباس. لم يكن على شرط مسلم يظهر ذلك من «تحفة الأشراف» (٥/ ١٣٢).

ولذلك نجد مسلمة بن علقمة عن داود بن أبى هند ليس على شرط مسلم؛ لأن مسلم أخرج عن مسلمة من غير حديث داود، فإنه ضُعّف فيه؛ حيث قال الذهبي فى «الميزان» (٤/ ١٠٩/ ٨٥٢٦): «ضعَّفه أحمد فقال: شيخ ضعيف. روى عن داود مناكير».

قلت: وكذلك قال العقيلى فى «الضعفاء الكبير» (٤/ ٢١٢/ ١٧٩٩): «ولمسلمة ابن علقمة عن داود مناكير، وما لا يتابع من حديثه كثير».

قلت: وهذه فائدة تفاصيلها تدرك بالمباشرة والبحث، فاعلم ذلك فإنه من النفائس العزيزة.

طريق آخر للقصة من خبر ابن عباس

أخرجه الطبرى فى «التاريخ» (٢/ ٢٤٤)، وأبو نعيم فى «دلائل النبوة» (ص٩١)، والخرائطى فى «الهواتف» ح (١٣)، من طريق: علىّ بن حرب، قال: حدثنا محمد بن عمارة القرشي، قال: ثنا مسلم بن خالد الزنجى، قال: حدثنا ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس به.

التحقيق

القصة بهذا الطريق واهية، تزداد به ضعفًا على ضعف، وعلة هذا الطريق: مسلم ابن خالد الزنجي، أورده الإمام البخارى فى «الضعفاء الصغير» رقم (٣٤٢)، وقال: «مسلم بن خالد الزنجى أبو خالد عن هشام بن عروة وابن جريج منكر الحديث».

قلت: وهذا المصطلح عند البخارى له معناه كما فى «التدريب» (١/ ٣٤٩): «البخارى يطلق (منكر الحديث): على من لا تحل الرواية عنه».

وفى «الميزان» (٤/ ١٠٢/ ٨٤٨٥) قال ابن المدينى: ليس بشيء وقال الساجى: كثير الغلط. وضعفه أبو داود.

قلت: ومحمد بن عمارة لا يعرف، وابن جريج مدلس وقد عنعن، وقد أورده الحافظ ابن حجر فى «طبقات المدلسين» المرتبة الثالثة رقم (١٧)، حيث نقل الحافظ عن الدارقطنى قوله: «شر التدليس ابن جريج، فإنه قبيح التدليس، لا يدلس إلا فيما سمعه من مجروح». اهـ.

قلت: فمثل هذا الطريق المظلم بالمتروك الذى لا تحل الرواية عنه وبالمجهول وبالمدلس لا يصلح للمتابعات ولا الشواهد، بل يزيد القصة وهنًا على وهن.

طريق رابع للقصة من خبر ابن عباس

أخرجه ابن سعد فى «الطبقات» (١/ ٤٤) قال: أخبرنا هشام بن محمد بن السائب الكلبى، عن أبيه، عن أبى صالح، عن ابن عباس، وأشار إلى القصة باختصار.

التحقيق

قال السيوطى فى «التدريب» (١/ ١٨١): «أما أوهى أسانيد ابن عباس مطلقًا: فالسدى الصغير محمد بن مروان، عن الكلبي، عن أبى صالح عنه.

قال شيخ الإسلام: هذه سلسلة الكذب لا سلسلة الذهب». اهـ.

قال ابن معين: الكلبى ليس بثقة. وقال الجوزجانى وغيره: كذاب. وقال الدارقطنى وجماعة: متروك. كذا فى «الميزان» (١/ ٥٥٦/ ٧٥٧٤).

قال ابن حبان فى «المجروحين» (٢/ ٢٥٥): «الكلبى هذا مذهبه فى الدين ووضوح الكذب فيه أظهر من أن يحتاج إلى الإغراق فى وصفه».

طريق خامس للقصة

أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (١/ ٤٤) قال: أخبرنا هشام بن محمد بن السائب الكلبي، عن أبى الفياض الخثعمي، قال: مر عبد الله بن عبد المطلب بامرأة من خثعم؛ فذكر القصة فى أكثر من عشرين سطراً.

التحقيق

القصة بهذا الطريق واهية، وتزداد به وهنًا على وهن، وعلة هذا الطريق: هشام بن محمد بن السائب أورده الدارقطنى فى «الضعفاء والمتروكين» رقم (٥٦٣)، وقال: «هشام بن محمد بن السائب الكلبي، عن أبى مخنف ومجاهد».

قاعدة: هذا كل ما قاله الدارقطنى فى الكلبي، فيظن من لا دراية له بقاعدة الدارقطنى فى كتابه: أن الدارقطنى لم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلاً، ولكن عند الرجوع إلى القاعدة يتبين أن الكلبى: متروك. وهذه القاعدة: قال أخص تلاميذ الدارقطنى الإمامُ البرقاني: طالت محاورتى مع ابن حمكان للدارقطنى -عفا الله عنى وعنهما- فى المتروكين من أصحاب الحديث، فتقرر بيننا وبينه على ترك من أثبته على حروف المعجم فى هذه الورقات».

قلت: هذه القاعدة هى صدر كتاب «الضعفاء والمتروكين» للدارقطني، وعلى هذا فكل من ذكره الدارقطنى فى كتابه هذا متروك، وإن ذكره باسمه فقط.

ولذلك أورده ابن حبان فى «المجروحين» (٣/ ٩١) قال: هشام بن محمد بن السائب الكلبى: من أهل الكوفة، يروى العجائب والأخبار التى لا أصول لها، أخباره فى الأغلوطات أشهر من أن يحتاج إلى الإغراق فى وصفها». اهـ.

قلت: وإن تعجب فعجب قول الأحداث فى هذا الفن: «والكلبى لا بأس بالاستشهاد به هنا».

طريق سادس للقصة

أخرجه ابن سعد فى «الطبقات» (١/ ٤٥)، ومن طريقه ابن عساكر (١/ ٥٣٥) قال: أخبرنا وهب بن جرير بن حازم، أخبرنا أبى، قال: سمعت أبا يزيد المدني، قال: نُبِّئْتُ أن عبد الله أبا رسول الله ﷺ أتى على امرأة من خثعم، فرأت بين عينيه نورًا ساطعًا إلى السماء فذكر القصة.

التحقيق

قلت: هذا سند ساقط. قال الحافظ ابن حجر فى «التقريب» (٢/ ٤٩٠): «أبو يزيد المدني نزيل البصرة، مقبول من الرابعة».

قلت: قال الحافظ فى «مقدمة التقريب»: «الإشارة بلفظ مقبول حيث يتابع وإلا فلين».

قلت: وأنى لأبى يزيد المدنى المتابعة والسند ساقط، حيث قال الحافظ فى «شرح النخبة» (ص٣٢): (المتابعة على مراتب؛ لأنها إن حصلت للراوى نفسه فهى تامة، وإن حصلت لشيخه فمن فوقه فهى قاصرة».

قلت: فلا يوجد حتى المتابعة القاصرة؛ لأن السند مظلم، فلا يعرف شيخ أبى يزيد المدنى ولا من فوقه حيق قال: «نُبِّئْتُ أن عبد الله أبا رسول الله ﷺ» فمن الذى نَبَّأه، والفعل مبنى للمجهول، وهو لم ير النبى ﷺ ، فكيف بأبيه ﷺ والطبقة الرابعة: جُلُّ روايتهم عن كبار التابعين، فالسند ساقط ومظلم بالمجاهيل، وما ذون أبى يزيد المدنى متكلم فيه، كما في «هَدْى الساري» ص(٤١٤) ، (٤٧٣).

طريق سابع للقصة

أخرجه ابن سعد فى «الطبقات» (١/ ٤٤) قال: أخبرنا محمد بن عمر بن واقد الأسلمى قال: حدثنى محمد بن عبد الله ابن أخي الزهري، عن الزهري، عن عروة -قال: وحدثنا عبيد الله بن محمد بن صفوان عن أبيه- وحدثنا إسحاق بن عبيد الله عن سعيد بن محمد بن جبير بن مطعم – قالوا جميعًا فذكروا القصة .

التحقيق

قلت: هذا سند واهٍ جدًا، ومحمد بن عمر الواقدى متهم بالكذب.

وفى «الميزان» (٣/ ٦٦٢/ ٧٩٩٣) قال أحمد بن حنبل: هو كذاب يقلب الأحاديث.
وقال ابن المديني: الواقدى يضع الحديث.

قلت: وفى «الضعفاء الصغير» للبخارى قال فى ترجمة (٣٣٤): محمد بن عمر الواقدي: متروك، وقال النسائى فى آخر كتابه «الضعفاء والمتروكين» (ص١٢٣): «والكذابون المعروفون بوضع الحديث على رسول الله ﷺ أربعة:

١ - ابن أبى يحيى بالمدينة.
٢ - والواقدى ببغداد.
٣- ومقاتل بن سليمان بخراسان.
٤ - ومحمد بن سعيد بالشام، يعرف بالمصلوب». اهـ.
فهذا الإسناد من أسقط إسناد فى الدنيا.

من هذا يتبين أن طرق القصة السبعة: لا تخلو من الكذابين والمتروكين والمجهولين والمدلسين، فوق ذلك السقط فى الإسناد، كما فى قول ابن إسحاق وغيره ممن نقلوا الخبر - فيما يزعمون - وقول بعضهم «نُبئت» بصيغة المبنى للمجهول.

ملحوظة: قد يتقول علينا مَنْ لا دراية له بهذا الفن متوهمًا أن القصة جاءت من سبعة طرق، وأن الضعيف يقوِّى بعضه بعضًا.

قلت: تقوية الحديث بكثرة الطرق ليس على إطلاقه، حيث قال الحافظ ابن كثير فى «اختصار علوم الحديث» (ص٢٣) «لا يلزم من ورود الحديث من طرق متعددة أن يكون حسنًا؛ لأن الضعف يتفاوت، فمنه ما لا يزول بالمتابعات، يعنى لا يؤثر كونه تابعًا أو متبوعًا كرواية الكذابين والمتروكين».

قلت: فالقصة واهية، وكما بيَّنا أن الطرق تزيد القصة وهنًا على وهن.

تناقض

هذا الخبر المنكر الذى جاءت به هذه القصة الواهية للمرأة التى عرضت الزنا على عبد الله أبى الرسول ﷺ ، ورفض؛ لأنه كان مع أبيه، ولا يريد أن يعصيه، ولا يستطيع أن يفارقه، وإن تعجب فعجب قول هؤلاء الوضاعين أن عبد الله بعد أن تزوج آمنة أم النبى ﷺ وحملت برسول الله ﷺ لم ينسَ المرأة التى دعته إلى الزنا، فخرج من عند آمنة حتى آتى المرأة وجلس إليها، وقال لها: ما لك لا تعرضين عليَّ اليوم مثل الذى عرضت أمس؟ فقالت: قد فارقك النور الذى كان فيك، فليس لى بك اليوم حاجة.

انظر كيف سولت لهؤلاء الوضاعين أنفسهم ليضعوا مثل هذه القصة الواهية التى تناقض الأحاديث الصحيحة من طهارة وشرف الأنبياء، وأن هذه الطهارة وهذا الشرف من دلائل نبوتهم.

الصحيح الذي يناقض هذه القصة الواهية

١- عن واثلة بن الأسقع قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشًا من كنانة، واصطفى من قريش بنى هاشم، واصطفانى من بنى هاشم**».

الحديث (صحيح) أخرجه مسلم كتاب الفضائل- باب: « فضل نسب النبى ﷺ» ح(٢٢٧٦)، والترمذي (٥/ ٥٤٤- شاكر) ح (٣٦٠٥)، وأحمد (٤/ ١٠٧)، واللفظ لمسلم وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

قلت: والحديث أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (١/ ١٦٥) باب: « ذكر شرف أصل رسول الله ﷺ ونسبه»

٢- ومع شدة العداء من قريش للنبى ﷺ شهدوا له بطهارة وشرف أصله ونسبه ﷺ كما فى مساءلة هرقل لأبى سفيان فى «صحيح البخارى» حديث (٦)، قال: كيف نسبه فيكم؟ قال أبو سفيان: « هو فينا ذو نسب».

فقال هرقل: «فكذلك الرسل تبعث فى نسب قومها». اهـ.

قلت: ولكنَّ الوضاعين والمتصوفة لا يهمهم هذه الطهارة وهذا الشرف فى سبيل وضع هذه القصة الواهية فى أن النبى ﷺ خُلق من نور قبل وجوده العيني، وأن المرأة الخثعمية رأت هذا النور ساطعًا إلى السماء بين عينى عبد الله أبى النبى ﷺ ، وإلى القارئ الكريم الأحاديث المرتبطة بهذه المسألة والبدائل الصحيحة فى سلسلة «صحِّح أحاديثك».

❁ ❁ ❁ ❁

(٢١)

قصة تقبيل النبي ﷺ يد الصحابي سعد الأنصاري (*)

نواصل فى هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم؛ حتى يقف على حقيقة هذه القصة التى اشتهرت على ألسنة الخطباء والوعاظ.

أولاً: متن القصة

عن أنس بن مالك، قال: أقبل رسول الله ﷺ من غزوة تبوك، فاستقبله سعد بن معاذ الأنصارى، فصافحه النبى ﷺ ثم قال له: « ما هذا الذى أكفت يداك؟ فقال: يا رسول الله أضرب بالمر والمسحاة فى نفقة عيالى، قال: فقبل النبى ﷺ يده، وقال: «هذه يد لا تمسها النار أبداً».

ثانيًا: التخريج

هذه القصة أخرجها: الخطيب فى «تاريخ بغداد» (٧/ ٣٤٢) ترجمة (٣٨٦٤)، وابن الجوزى فى «الموضوعات» (٢/ ٢٥١) قال: أنبأنا عبد الرحمن بن محمد، أنبأنا أحمد بن علىّ بن ثابت الخطيب (البغدادى) به.

من طريق محمد بن تميم الفريابي، حدثنا عبد الله بن عيسى الجرجاني، حدثنا عبد الله ابن المبارك، عن مسعر بن كدام، عن عون، عن الحسن، عن أنس بن مالك قال: فذكره.

ثالثًا: التحقيق

القصة: باطلة.

١- قال الخطيب فى «التاريخ» (٧/ ٣٤٣): «هذا الحديث باطل، لأن سعد بن معاذ لم يكن حيًا وقت غزوة تبوك، وكان موته بعد غزوة بني قريظة من السهم الذى رُمى به، ومحمد بن تميم الفريابي كذاب يضع الحديث». اهـ.

(*) مجلة التوحيد، ربيع الآخر، ١٤٢٣هـ.

قلت: وأقره الإمام الشوكانى فى «الفوائد المجموعة» ص (١٥١).

٢- قال ابن الجوزى فى «الموضوعات» (٢/ ٢٥١): «هذا حديث موضوع، وما أجهل واضعه بالتاريخ، فإن سعد بن معاذ لم يكن حيًا فى غزوة تبوك، لأنه مات بعد غزوة بني قريظة من السهم الذى رمى به يوم الخندق، وكانت غزوة بنى قريظة فى سنة خمس من الهجرة، وأما غزوة تبوك فإنها كانت فى سنة تسع، فلو كان عند الكذاب توفيق ما كذب، ومحمد بن تميم الفريابي كذاب».

رابعًا: مغايـرة

لقد بيَّن الخطيب بطلان القصة لأن سعد بن معاذ لم يكن حيًا وقت غزة تبوك كما بيّنا آنفًا.

وأقره ابن الجوزى بقوله: هذا حديث موضوع، وما أجهل واضعه بالتاريخ.

قلت: بهذا جرى الخطيب على أن سعدًا هذا هو ابن معاذ سيد الأوس المشهور، فظهر بطلان القصة.

فأورد الحافظ ابن حجر فى «الإصابة» (٣/ ٨٦) آخر ذكر فى ترجمته هذه القصة ترجمة (٣٢٠٧) وقال: «سعد بن معاذ الأنصارى ، آخر».

قلت: هذا ليغاير بينه وبين سيد الأوس الذى جزم الحافظ الخطيب بنسبة هذه القصة إليه.

وبالمقارنـة:

١- سيد الأوس هو سعد بن معاذ، أورده الحافظ ابن حجر فى «الإصابة فى تمييز الصحابة» (٣/ ٨٤) ترجمة (٣٢٠٦)، وقال: «سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل بن جشم بن الحارث بن الخزرج بن النبيت بن مالك بن الأوس الأنصاري الأشهلي سيد الأوس، وأمه كبشة بنت رافع لها صحبة، ويكنى أبا عمرو». اهـ.

قلت: لا تصح فيه هذه القصة لما بينه الخطيب.

٢- الآخر الذى نسب إليه الحافظ ابن حجر هذه القصة فى ترجمته، أورده الحافظ ابن حجر فى «الإصابة» (٣/ ٨٦) ترجمة (٣٢٠٧) قال: «سعد بن معاذ الأنصاري آخر».

قلت: كذلك ذكره بغير نسب.

ملحوظة هامة جدًا:

لقد جرى الحافظ ابن حجر على مثل هذا، عندما تبين القرائن بطلان الخبر بالنسبة للصحابي، فلقد سلك الحافظ ابن حجر هذا المسلك فى القصة المنسوبة إلى الصحابى الجليل ثعلبة بن حاطب، حيث قال فى «الإصابة» (١/ ٤٠١): (وفى كون صاحب هذه القصة – إن صح الخبر ولا أظنه يصح – هو البدرى المذكور قبله- نظر وقد تأكدت المغايرة بينهما بقول ابن الكلبى: إن البدرى استشهد بأحد، ويقوِّى ذلك أيضًا أن ابن مردويه روى فى «تفسيره» من طريق عطية عن ابن عباس فى الآية المذكورة، قال: وذلك أن رجلاً يقال له ثعلبة بن أبى حاطب من الأنصار أتى مجلسًا فأشهدهم فقال: ﴿لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ﴾ (التوبة:٧٥) الآية، فذكر القصة بطولها، فقال: «إنه ثعلبة بن أبى حاطب، والبدرى اتفقوا على أنه ثعلبة بن حاطب؛ وقد ثبت أنه ﷺ قال ﷺ : «**لا يدخل النار أحد شهد بدرًا والحديبية**».

وحكى عن ربِّه أنه قال لأهل بدر: «اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم» فمن يكون بهذه المثابة كيف يُعْقبه الله نفاقًا في قلبه، ويُنزل فيه ما نزل؟ فالظاهر أنه غيره، والله أعلم).

قلت: من أجل هذا جعل الحافظ ابن حجر ترجمتين بنفس المسلك فى «قصة سعد» هذه.

١ – ثعلبة البدرى:

أورده الحافظ ابن حجر فى «الإصابة» (١/ ٤٠٠) ترجمة (٩٢٩) قال: «ثعلبة بن

حاطب بن عمرو بن عبيد بن أمية بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس الأنصارى»، ثم قال: «ذكره موسى بن عقبة وابن إسحاق في البدريين».

قلت: لا تصح فيه هذه القصة لما ثبت من الأحاديث فى فضل من شهد بدرًا .

٢- الآخر الذى نسب إليه الحافظ ابن حجر هذه القصة فى ترجمته:

أورده الحافظ ابن حجر فى «الإصابة» (١/ ٤٠٠) ترجمة (٩٣٠) قال: «ثعلبة بن حاطب أو ابن أبى حاطب الأنصارى».

قلت: كذلك ذكره بغير نسب تمامًا كقوله: «سعد بن معاذ الأنصاري»، ولقد بينت بالتفصيل من أقوال الأئمة أن المفترى عليه بهذه القصة هو الصحابى الجليل ثعلبة بن حاطب البدرى من غير مغايرة، وهو هو لا شك فيه، ولكن القصة واهية، وانظر التفصيل فى سلسلة «تحذير الداعية من القصص الواهية» الحلقة (١٥).

خامسًا: وجه الشبه بين القصتين من حيث تراجم الإصابة

١- لقد استبان من السنة بطلان نسبة القصة لثعلبة بن حاطب البدرى، فنسبوا القصة لثعلبة بن حاطب آخر، لا يعرف له نسب، سمي ثعلبة بن حاطب الأنصارى.

٢- ولقد استبان من التاريخ بطلان نسبة القصة لسعد بن معاذ سيد الأوس، فنسبوا القصة التى هى موضوع بحثنا لسعد بن معاذ آخر لا يعرف له نسب، سمى أيضًا سعد بن معاذ الأنصاري، وتعلق به السيوطي فى «اللآلىء» (٢/ ١٥٤).

سادسًا: الإسناد من الدين

وكان يُغنى عن هذا كله عدم صحة سند القصة عند أهل الفن، وحسبى فى ذلك ما أخرجه الإمام مسلم فى «مقدمة الصحيح» باب «الإسناد من الدين» حيث قال:

١- وحدثني محمد بن عبد الله بن قهزاد من أهل مرو، قال: سمعت عبدان بن عثمان، يقول: سمعت عبد الله بن المبارك يقول: «الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء».

٢- وقال محمد بن عبد الله: حدثنى العباس بن رزمة، قال: سمعت عبد الله يقول: «بيننا وبين القوم القوائم -يعنى الإسناد-».

قال الإمام النووى فى شرحه لهذا النص: «ومعنى هذا الكلام: إن جاء بإسناد صحيح قبلنا حديثه، وإلا تركناه، فجعل الحديث كالحيوان: لا يقوم بغير إسناد، كما لا يقوم الحيوان بغير قوائم». اهـ.

سابعًا: أهمية معرفة التواريخ

لقد أورد الإمام ابن الصلاح فى «علوم الحديث» نوعًا هامًا جداً حيث قال: «النوع الموفى ستين - معرفة تواريخ الرواة» ثم قال: «وفيها معرفة وفيات الصحابة والمحدِّثين والعلماء ومواليدهم ومقادير أعمارهم ونحو ذلك». ثم نقل عن الإمام «سفيان الثورى» أنه قال: «لما استعمل الرواة الكذب استعملنا لهم التاريخ».

قلت: انظر إلى هذه النفائس، وكيف طبقها الحافظ المؤرخ أبو بكر أحمد بن علىّ ابن ثابت الخطيب البغدادى على هذه القصة الواهية.

حيث قال فى «التاريخ» (٧/ ٣٤٣): «هذا الحديث باطل، لأن سعد بن معاذ لم يكن حياً فى وقت غزوة تبوك، وكان موته بعد غزوة بنى قريظة من السهم الذى رمى به، ومحمد بن تميم الفريابى كذاب يضع الحديث».

قلت: انظر إلى جزم الخطيب بأن الصحابى المنسوب إليه هذه القصة الواهية هو سعد بن معاذ سيد الأوس، وكيف لا يكون كذلك والإمام الخطيب جهبذ هذا الفن.

ثامنًا : أهمية المتفق والمفترق

قال الإمام ابن الصلاح فى «علوم الحديث»: «النوع الرابع والخمسون: معرفة المتفق والمفترق من الأسماء والأنساب وغيرها» ثم قال: «هذا النوع متفق لفظًا وخطًا ... وهذا من قبيل ما يسمى في أصول الفقه: المشترك، وزلق بسببه غير واحد من الأكابر، ولم يزل الاشتراك من مظان الغلط فى كل علم، وللخطيب فيه (كتاب المتفق والمفترق)» اهـ.

وبما أنه صاحب هذا الفن فقد جزم بأن الصحابى المنسوب إليه هذه القصة الباطلة هو سعد بن معاذ سيد الأوس، ولم ينسب القصة لسعد بن معاذ آخر لا يعرف، وبهذا يكون الخطيب رَحِمَهُ ٱللَّهُ قد بيَّن للأمة أهمية معرفة التواريخ، هذا النوع الهام فى علوم الحديث.

ولم يكتفِ الخطيب رَحِمَهُ ٱللَّهُ بهذا، بل أورد علة أخرى وهى:

محمد بن تميم الفريابى وبيَّن أنه كذاب يضع الحديث، فالقصة واهية، وإن نسبت إلى آخر.

تاسعًا: إقرار الحافظ ابن حجر أن القصة واهية

لقد أقر الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ فى «الإصابة» (٣/ ٨٦) بأن القصة واهية حيث قال: «وروى الخطيب فى «المتفق» بإسناد واهٍ، وأبو موسى فى «الذيل» بإسناد مجهول عن الحسن، عن أنس » فذكر القصة .

قلت: وقول الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن هذه القصة: «وروى الخطيب فى «المتفق» بإسناد واهٍ» هو ما سبقه إليه الخطيب فى «التاريخ» حيث قال: «محمد بن تميم الفريابى كذاب يضع الحديث».

قلت: ولم ينفرد الإمام الخطيب بهذا القول فى محمد بن تميم الفريابى.

فقد قال ابن حبان فى «المجروحين (٢/ ٣٠٦): «محمد بن تميم بن سليمان السعدى الفريابى: يضع الحديث»، وأقره الذهبى فى «الميزان» (٣/ ٤٩٤/ ٧٢٩٠)، وزاد الحافظ ابن حجر فى «لسان الميزان» (٥/ ١١٢) ترجمة (٣٣١/ ٧١١٦) حيث نقل عن سهل بن ساذويه ببخارى أنه قال: رأيت ببخارى ثلاثة من الكذابين الذين يكذبون على رسول الله ﷺ: «محمد بن تميم، والحسن بن سهل، وآخر».

ثم نقل أقوال أهل الفن فى محمد بن تميم الفريابي، فقال: «وقال الحاكم: هو كذاب خبيث، قال النقاش: وضع غير حديث، وقال أبو نعيم: كذاب وضاع». اهـ.

قلت: ولقد نقل الشيخ الألبانى رَحِمَهُ اللَّهُ فى «الضعيفة» (١/ ٣٨٧) عن الشيخ عبد الحى الكتانى فى «التراتيب الإدارية» (٢/ ٤٢-٤٣) أن الكتانى قال بعد ما نقل كلام الحافظ: «قلت: فى هذه القصة عجيبة، وهى تقبيل النبى ﷺ يد صحابى لأجل ضربه الأرض بالفاس»، فعقبه الألبانى قائلاً: «قلت: لكن يقال: أثبت العرش ثم انقش، فإن القصة غير ثابتة كما علمت». اهـ .

البدائل

وهناك بدائل صحيحة من هَدْى النبى ﷺ تغنى عن هذه القصة الواهية نقدمها للقارئ الكريم فى سلسلة «صحح أحاديثك» فلينظر القارئ إليها.

❁ ❁ ❁ ❁

(٢٢)

قصة مجيء إبليس عيانًا إلى رسول الله ﷺ (*)

نواصل فى هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثة للقارئ الكريم؛ حتى يقف على حقيقة هذه القصة التى اشتهرت، حيث طبعت منها رسائل عديدة بطبعات مختلفة، وأرسل إلينا القراء الكرام هذه الرسائل التى جاءت بها القصة يريدون الوقوف على حقيقتها، ومنها:

١ - رسالة بعنوان: «اعترافات إبليس للرسول ﷺ من تراث محيي الدين بن عربى»، مطبعة مكة بمصر، رقم الإيداع بدار الكتب المصرية (١٠٢٥٩/ ٩٧).

٢ - رسالة بعنوان : «حكاية إبليس بما أخبر به النبى ﷺ »، مطبعة الحلبى بمصر.

٣- رسالة بعنوان: «الرسول ﷺ يسأل وإبليس يجيب»، مطبعة دار الرسالة المصرية- رقم الإيداع بدار الكتب المصرية (١٠٥٠٠/ ٩٩).

قلت: ولقد تعددت الرسائل المكتوبة بها هذه القصة، واختلفت العناوين كما هو مبين ولكن المتن واحد.

٤ - وهذه القصة قد اشتهرت منذ قرون حتى سئل عنها شيخ الإسلام ابن تيمية فى «مجموع الفتاوى» (١٨/ ٣٥٠) كما سنبينه -إن شاء الله- فى بحثنا هذا؛ حتى يقف القارئ الكريم على حقيقة هذه القصة.

أولاً: متن القصة

قصة مجيء إبليس عيانًا إلى رسول الله ﷺ والصحابة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبى الأمين، وعلى آله الطاهرين، وصحبه أجمعين، عن معاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه، عن ابن عباس

(*) مجلة التوحيد، جمادى الأولى، ١٤٢٣هـ.

رضى الله تعالى عنهما قال: «كنا مع رسول الله ﷺ فى بيت رجل من الأنصار فى جماعة فنادى مناد: يا أهل المنزل أتأذنون لى بالدخول، ولكم إلىَّ حاجة؟ قال رسول الله ﷺ: أتعلمون مَنْ المنادى؟ فقالوا: الله ورسوله أعلم، فقال رسول الله ﷺ : هذا إبليس اللعين لعنه الله تعالى، فقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه: أتأذن لى يا رسول الله أن أقتله؟ فقال النبى ﷺ: مهلاً يا عمر، أما علمت أنه من المنظرين إلى يوم الوقف المعلوم! ولكن افتحوا له الباب، فإنه مأمور، فافهموا عنه ما يقول، واسمعوا منه ما يحدِّثكم، قال ابن عباس رضي الله عنهما : ففتح له الباب، فدخل علينا، فإذا هو شيخ أعور كوسج، وفى لحيته سبع شعرات كشعر الفرس، وعيناه مشقوقتان بالطول ورأسه كرأس الفيل الكبير، وأنيابه خارجة كأنياب الخنزير، وشفتاه كشفتى الثور.

فقال: السلام عليك يا محمد، السلام عليكم يا جماعة المسلمين، فقال النبى ﷺ : السلام لله يا لعين، قد سمعت حاجتك ما هى؟ فقال له إبليس: يا محمد ما جئتك اختياراً، ولكن جئتك اضطراراً، فقال النبى ﷺ : وما الذى اضطرك يا لعين؟ فقال: أتانى مَلَك من عند رب العزة، فقال: إن الله تعالى يأمرك أن تأتى لمحمد ﷺ وأنت صاغر ذليل متواضع وتخبره كيف مكرك ببنى آدم، وكيف إغواؤك لهم، وتصدقه في أى شيء يسألك، فوعزتى وجلالى لئن كذبته بكذبة واحدة ولم تصدقه لأجعلنك رماداً تذروه الرياح، ولأشمتن الأعداء بك، وقد جئتك يا محمد كما أُمرت، فاسأل عما شئت، فإن لم أصدقك فيما سألتنى عنه شمتت بى الأعداء، وما شيء أصعب من شماتة الأعداء.

فقال رسول الله ﷺ : إن كنت صادقاً فأخبرني من أبغض الناس إليك؟ فقال: أنت يا محمد أبغض خلق الله إلىَّ، ومن هو على مثلك، فقال النبى ﷺ : ماذا تبغض أيضًا؟ فقال: شاب تقى وهب نفسه لله تعالى، قال: ثم من ؟ قال: عالم ورع عرفت أنه صبور، قال: ثم من؟ قال: من يدوم على طهارة ثلاثة، قال: ثم من؟ قال: فقير صبور إذا لم يصف فقره لأحد، ولم يشكُ ضرره، قال: ومن يدريك أنه صبور؟ قال:

يا محمد إذا شكا ضره لمخلوق مثله ثلاثة أيام لم يكتب الله له عمل الصابرين، قال: ثم من؟ قال: غنى شاكر. فقال النبى ﷺ : وما يدريك أنه شكور؟ قال: إذا رأيته يأخذ من حله ويضعه فى محله، فقال النبى ﷺ : كيف يكون حالك إذا قامت أمتى إلى الصلاة، فقال: يا محمد تلحقنى الحمة والرعدة، قال: ولم يا لعين؟ قال: إن العبد إذا سجد لله سجدة رفعه الله درجة، قال: فإذا صاموا؟ قال: أكون مقيدًا حتى يفطروا، قال: فإذا حجوا؟ قال: أكون مجنونًا، قال: فإذا قرءوا القرآن؟ قال: أذوب كما يذوب الرصاص على النار، قال : فإذا تصدقوا؟ قال: فكأنما يأخذ المتصدق المنشار فيجعلنى قطعتين. فقال له النبى ﷺ : ولم ذلك يا أبا مرة؟ قال: فإن في الصدقة أربع خصال، وهى: أن الله تعالى ينزل فى ماله البركة، ويحببه إلى خلقه، ويجعل صدقته حجاباً بينه وبين النار، ويرفع بها عنه العاهات والبلايا. فقال له النبى ﷺ : فما تقول فى أبى بكر؟ فقال: يا محمد لم يطعنى فى الجاهلية، فكيف يطيعني فى الإسلام؟ قال: فما تقول فى عمر بن الخطاب؟ قال: والله ما لقيته إلا وهربت منه. قال: فما تقول فى عثمان بن عفان؟ قال: أستحي ممن استحت منه ملائكة الرحمن، قال: فما تقول فى علىّ بن أبى طالب؟ قال: ليتني سلمت من رأساً برأس ويتركنى وأتركه ولكنه لم يفعل ذلك قط.

قال رسول الله ﷺ. الحمد لله الذى أسعد أمتى وأشقاك إلى يوم معلوم، فقال له إبليس اللعين: هيهات هيهات، وأين سعادة أمتك وأنا حي لا أموت إلى يوم معلوم. وكيف تفرح على أمتك، وأنا أدخل عليهم فى مجارى الدم واللحم، وهم لا يروننى، فالذى خلقنى وأنظرنى إلى يوم يبعثون لأغوينهم أجمعين: جاهلهم وعالمهم، وأميهم وقارئهم، وفاجرهم وعابدهم، إلا عباد الله المخلصين.

قال: ومن المخلصون عندك؟ قال: أما علمت يا محمد أن من أحب الدرهم والدينار ليس بمخلص لله تعالى، وإذا رأيت الرجل لا يحب الدرهم والدينار، ولا يحب المدح والثناء، علمت أنه مخلص لله تعالى فتركته، وإن العبد مادام يحب المال والثناء، وقلبه متعلق بشهوات الدنيا، فإنه أطوع ممن أصف لكم، أما علمت أن حب المال من أكبر

الكبائر، يا محمد، أما علمت أن حب الرياسة من أكبر الكبائر، وأن التكبر من أكبر الكبائر، يا محمد ، أما علمت أن لى سبعين ألف ولد، ولكل ولد منهم سبعون ألف شيطان؛ فمنهم من قد وكلته بالعلماء، ومنهم من قد وكلته بالشباب، ومنهم من قد وكلته بالمشايخ، ومنهم من قد وكلته بالعجائز، أما الشبان فليس بيننا وبينهم خلاف، وأما الصبيان فيلعبون بهم كيف شاءوا، ومنهم من قد وكلته بالعباد، ومنهم من قد وكلته بالزهاد، فيدخلون عليهم فيُخرجونهم من حال إلى حال، ومن باب إلى باب.

حتى يسبوهم بسبب من الأسباب، فآخذ منهم الإخلاص وهم يعبدون الله تعالى بغير إخلاص وما يشعرون ، أما علمت يا محمد أن برصيصا الراهب أخلص لله سبعين سنة؛ حتى كان يُعافى بدعوته كل من كان سقيمًا، فلم أتركه حتى زنى وقتل وكفر، وهو الذى ذكره الله تعالى فى كتابه العزيز بقوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (الحشر:١٦).

أما علمت يا محمد أن الكذب منى، وأنا أول من كذب، ومن كذب فهو صديقى، ومن حلف بالله كذبًا فهو حبيبى، أما علمت يا محمد أنى حلفت لآدم وحواء بالله: إنى لكما لمن الناصحين؛ فاليمين الكاذبة سرور قلبى، والغيبة والنميمة فاكهتى وفرحى، وشهادة الزور قرة عينى ورضائى، ومن حلف بالطلاق يوشك أن يأثم ولو كان مرة واحدة، ولو كان صادقًا، فإنه من عوَّد لسانه بالطلاق حرمت عليه زوجته، ثم لا يزالون يتناسلون إلى يوم القيامة، فيكونون كلهم أولاد زنا فيدخلون النار من أجل كلمة، يا محمد؛ إن من أمتك من يؤخر الصلاة ساعة فساعة، كلما يريد أن يقوم إلى الصلاة لزمته فأوسوس له وأقول له: الوقت باق وأنت فى شغل. حتى يؤخرها ويصليها فى غير وقتها، فيُضرب بها فى وجهه.

فإن هو غلبنى أرسلت إليه واحدة من شياطين الإنس تشغله عن وقتها، فإن غلبنى فى ذلك تركته، حتى إذا كان فى الصلاة قلت له: انظر يمينًا وشمالاً، فينظر فعند ذلك أمسح بيدى على وجهه وأقبل ما بين عينيه، وأقول له: قد أتيت ما لا يصلح

أبدًا، وأنت تعلم يا محمد أن من أكثر الالتفات فى الصلاة يضرب الله بها وجهه، فإن غلبنى فى الصلاة وصلى وحده أمرته بالعجلة فينقرها كما ينقر الديك الحبة، ويبادر بها، فإن غلبنى وصلى فى الجماعة ألجمته بلجام، ثم أرفع رأسه قبل الإمام وأضعه قبل الإمام، وأنت تعلم أن من فعل ذلك بطلت صلاته، ويمسخ اللهُ رأسَه رأس حمار يوم القيامة. فإن غلبنى فى ذلك أمرته أن يفرقع أصابعه فى الصلاة حتى يكون من المسبحين لى وهو فى الصلاة.

فإن غلبنى فى ذلك نفخت فى أنفه حتى يتثاءب وهو فى الصلاة؛ فإن لم يضع يده على فيه دخل الشيطان في جوفه. فيزداد بذلك حرصًا فى الدنيا وحبًا لها، ويكون سميعًا مطيعًا لنا، وأى سعادة لأمتك وأنا آمر المسكين أن يدع الصلاة، وأقول له: ليست عليك صلاة، إنما هى على الذى أنعم الله عليه، وأقول للمريض: دعها فإنها ليست عليك؛ إنما هى على من أنعم الله عليه بالعافية ؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ (النور:٦١)، وإذا فقت صليت ما عليك، حتى يموت كافراً، فإذا مات تاركاً للصلاة وهو فى مرضه لقى الله تعالى وهو غضبان عليه، يا محمد، وإذا كنت كذبتُ أو زغتُ، فاسأل الله أن يجعلنى رماداً.

يا محمد أتفرح بأمتك، وأنا أُخْرِج سدس أمتك من الإسلام، فقال النبى ﷺ : يا لعين، من جليسك؟ قال: آكل الربا، قال: فمن صديقك؟ قال: الزانى. قال: فمن ضجيعك؟ قال: السكران، قال: فمن ضيفك؟ قال: السارق، قال: فمن رسولك؟ قال: الساحر، قال: فما قرة عينك؟ قال: الحالف بالطلاق، قال: فمن حبيبك؟ قال: تارك صلاة الجمعة، فقال رسول الله ﷺ : يا لعين فما يكسر ظهرك؟ قال: صهيل الخيل فى سبيل الله، قال: فما يذيب جسمك؟ قال: توبة التائب، قال: فما ينضج كبدك؟ قال: كثرة الاستغفار لله تعالى بالليل والنهار، قال: فما يخزى وجهك؟ قال: صدقة السر، قال: فما يطمس عينيك، قال: صلاة السحر، قال: فما يقمع رأسك؟ قال: كثرة الصلاة فى الجماعة. قال: فمن أسعد الناس عندك؟ قال: تارك الصلاة عامداً، قال: فأى الناس أشقى عندك؟ قال: البخلاء.

قال: فما يشغلك عن عملك؟ قال: مجالس العلماء، قال: فكيف تأكل؟ قال: بشمالي وبأصبعي، قال: فأين تستظل أولادك فى وقت الحرور والسموم؟ قال: تحت أظفار الإنسان، قال النبى ﷺ : فكم سألت من ربك حاجة؟ قال: عشرة أشياء؛ قال: فما هي؛ يا لعين؟ قال: سألته أن يشركنى فى بنى آدم في مالهم وولدهم فأشركنى فيهم، وذلك قوله تعالى: ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾ (الإسراء:٦٤). وكل مال لا يزكى فإنى آكل منه ، وآكل من كل طعام خالطه الربا والحرام، وكل مال لا يتعوذ عليه من الشيطان الرجيم، وكل من لا يتعوذ عند الجماع إذا جامع زوجته، فإن الشيطان يجامع معه، فيأتى الولد سميعاً مطيعاً لى، ومن ركب دابة يسير عليها فى غير طلب حلال، فإنى رفيقه لقوله تعالى: ﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾ (الإسراء:٦٣).

وسألته أن يجعل لى بيتًا فكان الحمام، وسألته أن يجعل لى أذانًا فكان المزامير، وسألته أن يجعل لي ضجيعًا فكان السكران، وسألته أن يجعل لى أعوانًا فكان القدرية، وسألته أن يجعل لى إخوانا فقال: الذين ينفقون أموالهم فى المعصية، ثم تلا قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ (الإسراء:٢٧) الآية ، فقال النبى ﷺ : «لولا أتيتنى بتصديق كل قول بآية من كتاب الله تعالى ما صدقتك، قال: يا محمد، سألت الله تعالى أن أرى بنى آدم، وهم لا يرونني فأجراني على عروقهم مجرى الدم، أجول بنفسى كيف شئت، وإن شئت فى ساعة واحدة، فقال الله تعالى لك ما سألت. وأنا أفتخر بذلك إلى يوم القيامة، وإن مَنْ معى أكثر ممن معك، وأكثر ذرية آدم معى إلى يوم القيامة.

وإن لي ولداً قد سميته عتمة يبول فى أذن العبد إذا نام عن صلاة العتمة؛ ولولا ذلك ما وجد الناس نوماً حتى يؤدوا الصلاة، وإن لى ولداً سميته المتقاضى فإذا عمل العبد طاعة سراً، وأراد أن يكتمها لا يزال يتقاضى به بين الناس حتى يخبر بها الناس، فيمحو الله تعالى تسعة وتسعين ثوابًا من مائة ثواب، فيبقى له ثواب واحد؛ لأن له بكل عمل يعمله سراً مائة ثواب، وإن لى ولدًا سميته كحيلاً وهو الذي

يكحل عيون الناس فى مجالس العلماء، وعند خطبة الخطيب، حتى ينام عند سماع كلام العلماء، فلا يكتب له ثواب أبدًا، وما من امرأة تخرج إلا قعد شيطان عند مؤخرها وشيطان يقعد فى حجرها، يزينانها للناظرين، ويقولان لها: أخرجى يدك فتخرج يدها، ثم تبرز ظفرها فتهتك.

ثم قال: يا محمد ليس لى من الإضلال شيء، إنما أنا موسوس ومزيّن، ولو كان الإضلال بيدى ما تركت أحداً على وجه الأرض ممن يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله، ولا صائمًا ولا مصلياً، كما أنه ليس لك من الهداية شيء، بل أنت رسول ومبلغ، ولو كانت الهداية بيدك ما تركت على وجه الأرض كافرًا، وإنما أنت حجة الله على خلقه، وأنا سبب لمن سبقت له الشقاوة، والسعيد من أسعد الله فى بطن أمه، والشقى من أشقاه الله تعالى فى بطن أمه، فقرأ رسول الله ﷺ : ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ (هود:١١٩) الآية، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ (الأحزاب:٣٨) ثم قال النبى ﷺ : يا أبا مرة؛ هل لك أن تتوب وترجع إلى الله تعالى، وأنا أضمن لك الجنة؟ فقال: يا رسول الله؛ قد قضى الأمر، وجف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة، فسبحان من جعلك سيد الأنبياء، وخطيب أهل الجنة فيها، وخصك، واصطفاك، وجعلنى سيد الأشقياء وخطيب أهل النار، وأنا شقى مطرود، وهذا آخر ما أخبرتك عنه، وقد صدقت فيه». والحمد لله رب العالمين أولاً وآخرًا وظاهراً وباطنا ، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي، وعلى آله، وصحبه أجمعين، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

ثانيًا: تحقيق هذه القصة

أورد شيخ الإسلام ابن تيمية فى «مجموع الفتاوى» (١٨/ ٣٥٠) تحقيقاً علمياً حديثياً حول هذه القصة عندما سئل عنها ، حيث جاء أنه: سئل: عن قصة إبليس وإخباره النبى ﷺ ، وهو فى المسجد مع جماعة من أصحابه، وسؤال النبى ﷺ له عن أمور كثيرة، والناس ينظرون إلى صورته عياناً، ويسمعون كلامه جهراً. فهل ذلك

حديث صحيح أم كذب مختلق؟ وهل جاء ذلك في شيء من الصحاح والمسانيد والسنن، أم لا؟ وهل يحل لأحد أن يروى ذلك؟ وماذا يجب على من يروى ذلك ويحدِّثه للناس، ويزعم أنه صحيح شرعي؟

فأجاب:

الحمد لله؛ بل هذا حديث مكذوب مختلق، ليس هو في شيء من كتب المسلمين المعتمدة ، لا الصحاح، ولا السنن، ولا المسانيد. ومن علم أنه كذب على النبي ﷺ لم يحل له أن يرويه عنه، ومن قال: إنه صحيح فإنه يُعلَّم بحاله، فإن أصر عوقب على ذلك، ولكن فيه كلام كثير قد جمع من أحاديث نبوية، فالذى كذبه واختلقه جمعه من أحاديث: بعضها كذب، وبعضها صدق، فلهذا يوجد فيه كلمات متعددة صحيحة، وإن كان أصل الحديث وهو مجيء إبليس عياناً إلى النبي ﷺ بحضرة أصحابه وسؤاله له كذباً مختلقًا لم ينقله أحد من علماء المسلمين، والله سبحانه وتعالى أعلم.

البدائل الصحيحة

قلت: هناك بدائل صحيحة متعلقة بإبليس، ولذلك تجد الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيحه» كتاب بدء الخلق بوَّب بابًا رقم (١١) بعنوان: باب «صفة إبليس وجنوده» ح (٣٢٦٨)، (٣٢٦٩)، (٣٢٧٠)، (٣٢٧١)، (٣٢٧٢)، (٣٢٧٣)، (٣٢٧٤)، (٣٢٧٥)، (٣٢٧٦)، (٣٢٧٧)، (٣٢٧٨)، (٣٢٧٩).

[(٣٢٨٠)- أطرافه في: (٣٣٠٤)، (٣٣١٦)، (٥٦٢٣)، (٥٦٢٤)، (٦٢٩٥)، (٦٢٩٦)]، (٣٢٨١)، [(٣٢٨٢) – طرفاه في (٦٠٤٨)، (٦١١٥)]، (٣٢٨٣) ، (٣٢٨٤) (٣٢٨٥)، [(٣٢٨٦) – طرفاه في (٤١٣١)، (٤٥٤٨)].

[(٣٢٨٧) – أطرافه في: (٣٧٤٢)، (٣٧٤٣)، (٣٧٦١)، (٤٩٤٣)، (٤٩٤٤)، (٦٢٧٨)].

(٣٢٨٨)، [(٣٢٨٩) – طرفاه في : (٦٢٢٣) ، (٦٢٢٦)].

[(٣٢٩٠) – أطـرافـه فـي: (٣٨٢٤)، (٤٠٦٥)، (٦٦٦٨)، (٦٨٨٣)، (٦٨٩٠)]، (٣٢٩١).

[(٣٢٩٢) – أطرافه في: (٥٧٤٧)، (٥٩٨٤)، (٦٩٨٦)، (٦٩٩٥)، (٦٩٩٦)، (٧٠٠٥)، (٧٠٤٤)] [(٣٢٩٣) – طرفه في: (٦٤٠٣)] ، [٣٢٩٤ – طرفاه فى : (٣٦٨٣، ٦٠٨٥)] (٣٢٩٥).

قلت: وفى كتاب « بدء الخلق» بوَّب الإمام البخاري بابًا رقم (١٢) بعنوان: باب: «ذكر الجن وثوابهم وعقابهم» ح (٣٢٩٦). وأيضًا في كتاب «بدء الخلق» بوَّب الإمام البخاري بابًا رقم (١٣) بعنوان: باب قول الله عز وجل: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ إلى قوله: ﴿أَوْلِيَآءُ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ (الأحقاف:٢٩-٣٢).

وأيضًا في كتاب «بدء الخلق» بوَّب الإمام البخارى بابًا رقم (١٤) بعنوان: باب قول الله تعالى: ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ﴾ (البقرة:١٦٤).

ح[(٣٢٩٧) – أطرافه فى : (٣٣١٠، ٣٣١٢، ٤٠١٦)].

ح[(٣٢٩٨) – طرفاه فى : (٣٣١١) ، (٣٣١٣)].

ح (٣٢٩٩).

قلت: هذا بالنسبة للإمام البخارى فقط فكيف بباقى كتب السنة الأصلية.

واستكمـالاً للفائـدة أقدم لك عزيزي القـارئ الحلقـة السـابقة من سلسلة «صحح أحاديثك».



(٢٣)

قصة حجل الصحابة (*)

نواصل فى هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم؛ حتى يقف على حقيقة هذه القصة التى اشتهرت على ألسنة الناس واتخذها المتصوفة دليلا يلبسون به البدعة ثوب الشرعية، تلك البدعة هى بدعة التمايل والتواجد والرقص فى حلقات تسمى حلقات الذكر، فقد جاء فى كتاب «منهاج الصوفية» مؤلفه حسن كامل الملطاوى، وقد أصدره المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بمصر - العدد (٦١) تحت عنوان «الرد على اعتراضات المعترضين» (ص ٩١) قال: « يعيب بعض الناس على الطرق الصوفية أموراً كثيرة، وسأضعها تحت نظر القارئ العزيز مع الرد عليها واحدة واحدة».

قلت: ثم ذكر المؤلف من الأمور التى هى موضع الاعتراض ص (٩٥): «التمايل والتواجد» حيث قال: « بقى ما يعترض به على التمايل والتواجد، وقد كانا فى صدر الإسلام.. أما التواجد فقد روى الإمام أحمد عن الإمام علىّ بن أبى طالب رضي الله عنه أن سادتنا عليًا وجعفرًا وزيدًا قدموا على مولانا رسول الله ﷺ : فقال -عليه الصلاة والسلام- لزيد: «أنت مولاي» فحجل، وقال لجعفر: «أشبهت خلقي وخلقي» فحجل، وقال لى: «أنت منى» فحجلت » انتهى الحديث. ثم قال المؤلف. «والحجل أن يمشى على رجل واحدة، فهؤلاء الكرام تواجدوا وحجلوا بين يديه ﷺ بلا إرادة، من النشوة التى حصلت لهم». اهـ.

قلت: انظر أيها القارئ الكريم كيف اتخذ المؤلف من هذه القصة دليلاً لمشروعية التمايل والتواجد والرقص الذى تفعله المتصوفة، ويتخذها حجة للدفاع عن منهاج الصوفية، ويرد بها على من يعترض عليهم، وسأبين للقارئ الكريم أن حجته داحضة

(*) مجلة التوحيد، جمادى الآخر، ١٤٢٣هـ.

من غير أن أمس شخص المؤلف، سواء كان حيًا أو ميتًا بشيء؛ لأن المؤلف إن كان استخدم هذه القصة لتكون حجة للمبتدعين، فقد استخدمها من قبل ابن منظور فى «لسان العرب» لتكون حجة للغويين حيث قال فى «اللسان» (١١/ ١٤٤): «وفى الحديث: أن النبى ﷺ قال لزيد: «أنت مولانا» فحجل. ثم قال:الحَجْل: أن يرفع رجلاً، ويقفز على الأخرى من الفرح». اهـ.

قلت: وإلى القارئ الكريم تخريج هذه القصة.

أولاً: التخريج

الحديث الذي جاءت به هذه القصة أخرجه الإمام أحمد فى «المسند» (١/ ١٠٨) ح (٨٥٧) قال: حدثنا أسود يعنى بن عامر أنبأنا اسرائيل عن أبى إسحاق عن هانى ابن هانئ، عن عليّ رضي الله عنه قال: أتيت النبى ﷺ، وجعفر، وزيد قال: فقال لزيد: «أنت مولاي» فحجل، قال: وقال لجعفر: «أنت أشبهت خلقي وخلقي»، قال: فحجل وراء زيد، قال: وقال لى: «أنت منى وأنا منك»، فحجلت وراء جعفر». اهـ.

ثانيًا: التحقيق

قصة حجل الصحابة زيد، وجعفر، وعليّ رضي الله عنهم وراء بعضهم أمام النبى ﷺ وإقراره الحجل قصة ليست صحيحة، وسند الحديث الذى جاءت به قصة الحجل واهٍ بعلتين:

الأولى: جهالة هانئ بن هانئ:

أورده الإمام المزى فى «تهذيب الكمال» (١٩/ ٢٢٢/ ٧١٤٢) قال: «هانئ بن هانئ الهمدانى الكوفى؛ روى عن: عليّ بن أبى طالب، روى عنه: أبو إسحاق السبيعي، ولم يرو عنه غيره».

قال الحافظ ابن حجر فى «تهذيب التهذيب» (١١/ ٢٢): «ذكره ابن سعد فى الطبقة الأولى من أهل الكوفة، قال: وكان يتشيع. وقال ابن المديني: مجهول، وقال حرملة عن الشافعي: هانئ بن هانئ لا يعرف.

قلت: وذكره الذهبى فى «الميزان» (٤/ ٢٩١/ ٩١٩٩)، ونقل قول ابن المديني: مجهول، وأقره.

الثانية: تدليس أبى إسحاق السبيعي.

فقد أورده الحافظ ابن حجر فى «طبقات المدلسين» فى المرتبة الثالثة برقم (٢٥) قال: «عمرو بن عبد الله السبيعى الكوفى مشهور بالتدليس».

قلت: وهذه المرتبة الثالثة بيَّن حكمها الحافظ فى مقدمة «طبقات المدلسين» حيث قال: «الثالثة: من أكثر من التدليس فلم يحتج الأئمة من أحاديثهم إلا بما صرحوا فيه بالسماع ... ».

قلت: وبتطبيق هذه القاعدة على الحديث الذى جاءت به هذه القصة نجد أن أبا إسحاق السبيعي لم يصرح بالسماع، فبطل الاحتجاج بهذا الحديث.

قلت: وفى «تهذيب التهذيب» (٨/ ٥٩) قال الحافظ ابن حجر في ترجمة أبي إسحاق السبيعى: «ذكره فى المدلسين: حسين الكرابيسى، وأبو جعفر الطبرى،..».

قلت: وبهذا التحقيق تصبح قصة حجل الصحابة قصة واهية بالجهالة والتدليس، وعند علماء الفن يصبح السند مردودًا، ينطبق عليه السببان الرئيسيان للرد معًا وهما:

أ- سقط من الإسناد.

ب- طعن فى الراوي.

أما عن نوع السقط فهو سقط خفى، وهذا لا يدركه إلا الأئمة الحذاق المطلعون على طرق الحديث وعلل الإسناد، وله تسميتان وهما:

١ - المدلَّس.

٢ - المرسل الخفي.

وهذا متحقق فى التدليس الذى بيّناه بالتفصيل آنفًا.

أما عن الطعن فى الراوى: فمنها ما يتعلق بالعدالة، ومنها ما يتعلق بالضبط، وبتطبيق أسباب الطعن فى الراوى على الحديث وجدنا الجهالة، والجهالة تجعل الطعن متعلق بالعدالة.

فاحتجاج المتصوفة بهذه القصة الواهية على مشروعية الرقص والتمايل والتواجد فيما يسمونه حلقات الذكر لا يصح؛ لأن حجتهم داحضة.

ثالثًا : البديل الصحيح للقصة من غير فرية الحجل

إن الصحابة الثلاثة عليًا وزيدًا وجعفرًا ﷺ لم يثبت أنهم حجلوا وراء بعضهم والنبى ﷺ جالس، وأثبتنا أن هذا الحجل افتراء عليهم، ولقد جاءت السنة الصحيحة المطهرة تثبت لهؤلاء الصحابة مناقبهم من غير فرية الحجل، وإلى القارئ الكريم هذه القصة الصحيحة التى تبين ذلك، فقد أخرج الإمام البخارى فى «صحيحه» (٧/ ٥٧٠- فتح) ح (٤٢٥١) من حديث البراء ﷺ قال: «لما اعتمر النبى ﷺ فى ذى القعدة، فأبى أهل مكة أن يدعوه يدخل مكة حتى قاضاهم على أن يقيم بها ثلاثة أيام فلما كتبوا الكتاب كتبوا: هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله، قالوا: لا نقر لك بهذا، لو نعلم أنك رسول الله ما منعناك شيئًا، ولكن أنت محمد بن عبد الله. فقال: «أنا رسول الله، وأنا محمد بن عبد الله». ثم قال لعلىّ: «امحُ رسول الله. قال علىّ: لا والله لا أمحوك أبدًا (فقال رسول الله ﷺ : «**أرني مكانها فأراه مكانها، فمحاها**)[1] – فكتب: هذا ما قاضي محمد بن عبد الله لا يُدْخل مكة السلاح إلا السيف فى القراب، وأن لا يخرج من أهلها بأحد إن أراد أن يتبعه، وأن لا يمنع من أصحابه أحدًا إن أراد أن يقيم بها، فلما دخلها ومضى الأجل أتوا عليًا فقالوا: قل لصحابك اخرج عنا، فقد مضى الأجل. فخرج النبي ﷺ فتبعته ابنة حمزة تنادى: يا عمّ يا عمّ، فتناولها علىٌّ فأخذ بيدها. وقال فاطمة -عليها السلام-: دونك ابنة عمك احمليها فاختصم فيها علىّ، وزيد، وجعفر: فقال علىّ أنا أخذتها وهى بنت

---

(١) ما بين القوسين لفظ مسلم ح (١٧٨٣) كتاب الجهاد ح (٩٢).

عمى، وقال جعفر: ابنة عمى وخالتها تحتى، وقال زيد: ابنة أخى فقضى بها النبى ﷺ لخالتها، وقال: «**الخالة بمنزلة الأم**».

وقال لعلى: «**أنت منى وأنا منك**».

وقال لجعفر: «**أشبهت خَلْقي وخُلُقي**».

وقال لزيد: «**أنت أخونا ومولانا**».

وقال عليٌّ: ألا تتزوج بنت حمزة؟ قال: «**إنها ابنة أخى من الرضاعة**».

قلت: هذه هى القصة الصحيحة، وهذه ألفاظها التى تبين مناقب الصحابة الثلاثة عليّ، وجعفر، وزيد ﷺ وبراءتهم من الحجل الذى فيه رفع رجل وقفز على الأخرى، هذا الوضع الذى لا يليق بإنسان عنده رزانة فضلاً عن أنهم صحابة، خاصة بين يدى رسول الله ﷺ.

رابعًا: حال الصحابة كما فى الكتاب والسنة

١ - ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (الأنفال:٢).

قال الإمام القرطبى فى تفسيره «الجامع لأحكام القرآن» (٤/ ٢٨٩١):

«ونظير هذه الآية: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ۝ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ (الحج:٣٤-٣٥)، وقال: ﴿وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ (الرعد:٢٨)، فهذا يرجع إلى كمال المعرفة وثقة القلب، والوَجَل: الفزع من عذاب الله، فلا تناقض، وقد جمع الله بين المعنيين فى قوله: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ (الزمر:٢٣).

أى: تسكن نفوسهم من حيث اليقين إلى الله، وإن كانوا يخافون الله. فهذه حالة العارفين بالله، الخائفين من سطوته وعقوبته، لا كما يفعله جهال العوام، والمبتدعة

الطعام من الزعيق والزئير، ومن النهاق الذى يشبه نهاق الحمير[1] فيقال لمن تعاطى ذلك وزعم أن ذلك وجد وخشوع: لم تبلغ أن تساوى حال الرسول ولا حال أصحابه فى المعرفة بالله، والخوف منه والتعظيم لجلاله، ومع ذلك فكانت حالهم عند المواعظ الفهم عن الله والبكاء خوفًا من الله، فمن كان مستنًا فليستن، ومن تعاطى أحوال المجانين والجنون فهو من أخسهم حالاً، والجنون فنون.

روى مسلم عن أنس بن مالك أن الناس سألوا النبى ﷺ حتى أحفوه في المسألة، فخرج ذات يوم فصعد المنبر فقال: «**سلوني، لا تسألوني عن شيء، إلا بينته لكم، ما دمت فى مقامى هذا**» فلما سمع ذلك القوم أَرَمَّوا ورهبوا أن يكون بين يدى أمر قد حضر. قال أنس: فجعلت ألتفت يمينًا وشمالاً، فإذا كل إنسان لاف رأسه فى ثوبه يبكى. وذكر الحديث. وروى الترمذى وصححه عن العرباض بن سارية قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب. الحديث. ولم يقل: زعقنا ولا رفصنا ولا زفنا ولا قمنا». انتهى كلام القرطبي.

خامسًا: تعلقات واهية

قلت: وللإمام القرطبى فى «تفسيره» (٥/ ٤٠٩٦) للآية (الكهف:١٤) فى قوله تعالى: ﴿**وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا مِن دُونِهِ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا**﴾ رد على الصوفية عندما اتخذوها حجة لهم فى التمايل والوجد، حيث قال الإمام القرطبى: قال ابن عطية: تعلقت الصوفية فى القيام والقول بقوله: ﴿**إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾.

قال الإمام القرطبى: «وهذا تعلق غير صحيح، هؤلاء قاموا فذكروا الله على هدايته، وشكروا لما أولاهم من نعمة ونعمته، ثم هاموا على وجوههم منقطعين إلى ربهم خائفين من قومهم، وهذه سنة الله فى الرسل والأنبياء والفضلاء الأولياء. أين

---

(١) هذه عبارة الإمام القرطبي في «تفسيره»، أنقلها للأمانة العلمية من غير حذف أو إضافة أو تغيير.

هذا من ضرب الأرض بالأقدام؟! والرقص بالأكمام؟! وخاصة فى هذه الأزمان عند سماع الأصوات الحسان من المُرْد والنسوان، هيهات بينهما والله ما بين الأرض والسماء، ثم هذا حرام عند جماعة العلماء». اهـ.

سادسًا: تعلق غير صحيح بحديث صحيح

تعلقت الصوفية فى التمايل والتواجد بحديث «**المؤمن كخامة الزرع**».

حيث قال الملطاوي فى «منهاج الصوفية» ص (٩٥): «بقى ما يعترض به على التمايل والتواجد، وقد كانا فى صدر الإسلام، فقد ورد أن أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يتمايلون يمنة ويسرة، كما ورد فى الحديث أن المؤمن كخامة الزرع تفيئها الريح ها هنا وها هنا».

قلت: وهذا تعلق غير صحيح فمتن الحديث: «**مثل المؤمن كالخامة من الزرع تفيؤها الريح مرة وتعدلها مرة، ومثل المنافق كالأَرْزَة لا تزال حتى يكون انجعافها مرة واحدة**».

١- الحديث أخرجه: البخارى في «الفتح» (١٠/ ١٠٧) ح (٥٦٤٣)، ومسلم ح(٢٨١٠)، وأحمد (٣/ ٤٥٤) ح (١٥٨٠٧) من حديث كعب بن مالك.

٢- غريب ألفاظ الحديث:

أ- الخامة: وهى الطاقة والقصبة اللينة من الزرع.

ب- تفيؤها: أي تميلها، وزنه ومعناهُ.

جـ- الأرزة: بفتح الهمزة وسكون الراء بعدها زاى كذا للأكثر: هو شجر معتدل صلب، لا يحركه هبوب الريح، ويقال له الأرزن، يكون بالشام وبلاد الأرمن، أورده الإمام النووي والحافظ فى «الفتح» في شرحهما للحديث، وفى «لسان العرب» (٥/ ٣٠٦).

قلت: وشجرة الأرزة غير نبات الأرز ذات السنابل التى تؤكل.

د- انجعافها: بجيم ومهملة ثم فاء، أى انقلاعها.

٣- فقه الحديث كما هو فهم السلف:

أورد الحافظ ابن حجر فى «الفتح» (١٠/ ١١١) معنى الحديث فقال: «قال المهلب: معنى الحديث أن المؤمن حيث جاءه أمر الله انطاع له، فإن وقع له خير فرح به وشكر، وإن وقع مكروه صبر ورجا فيه الخير والأجر، فإذا اندفع عنه اعتدل شاكرًا. والكافر لا يتفقده الله باختياره، بل يحصل له التيسير فى الدنيا ليتعسر عليه الحال فى المعاد، حتى إذا أراد الله إهلاكه قصمه، فيكون موته أشد عذابًا عليه، وأكثر ألـمًا فى خروج نفسه». اهـ.

قلت: «وهذا الوعيد إذا تدبرت كتاب الله تجده فى كتاب الله: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأنعام:٤٤-٤٥) فقوله تعالى: ﴿أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً﴾. يفسرها قوله ﷺ: «**انجعافها مرة واحدة**».

أما المسلم فكما أخرج البخارى ح (٥٦٤٠) من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**ما من مصيبة تصيب المسلم إلا كفَّر الله بها عنه، حتى الشوكة يشاكها**».

قلت: وهذا ما نقله الإمام النووى لفهمه لهذا الحديث عن السلف الصالح من أئمة الدين رحمهم الله حيث قال: « قال العلماء: معنى الحديث أن المؤمن كثير الآلام فى بدنه، أو أهله، أو ماله، وذلك مكفر لسيئاته، ورافع لدرجاته، أما الكافر فقليلها، وإن وقع به شيء، لم يكفر شيئًا من سيئاته، بل يأتي بها يوم القيامة كاملة». اهـ.

قلت: ويكون كالأرزة انجعافها مرة واحدة، يؤخذ بغتة ويقطع دابره.

هذا هو فهم السلف للحديث، فأين هذا من ضرب الأرض بالأقدام، والرقص بالأكمام، والتمايل والتواجد فى بدعة يسمونها -الصوفية- الذكر، ونقول كما قال القرطبى رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «هيهات، بينهما والله ما بين الأرض والسماء».

قلت: نستخلص من هذا البحث العلمي الحديثي أن القصة واهية، وتعلق الصوفية فى التمايل والتواجد بها لا يصح، والقصة الصحيحة ليس بها حجل، وبيّنا حال أهل السنة والجماعة عند سماع القرآن والمواعظ، وحال أهل البدعة، وأبطلنا تعلق الصوفية ببعض آيات القرآن والأحاديث الصحيحة فى التمايل والتواجد، وبيّنا فَهْم هذه الآيات والأحاديث بمنهج أهل السنة والجماعة، حفظنا الله من أهل البدعة والفرقة والضلالة.

هذا ما وفقني الله إليه، وهو وحده من وراء القصد



(٢٤)

قصة اختراق الحجاب ليلة الإسراء والمعراج (*)

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم؛ حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت، وكان لاشتهارها وانتشارها أسباب منها:

١ – أن هذه القصة أُذيعت على مستوى العالم ضمن حلقات عن الإسراء والمعراج في برنامج «نور على نور» لأحد الشيوخ، من غير أن نتناول اسمه ولا شخصه؛ لأن الغاية الوقوف على حقيقة ما نُسِب إلى النبي ﷺ في الحلقة الثانية المذاعة يوم الجمعة ٢ شعبان ١٣٩٣هـ، الموافق ٣١ أغسطس سنة ١٩٧٣م، وسجلت هذه الحلقات وتذاع كل عام بمناسبة الإسراء والمعراج، بل وطبعت في كتاب انتشر بين الوعاظ والقصاص بعنوان «الإسراء والمعراج» تحت الحلقة الثانية (ص٧٢)، حيث جاء فيه:

«ثم بعد ذلك نجد أنه بعد أن انتقل إلى مرحلة يكون فيها ملائكيًا كالملائكة يراهم ويتكلم معهم ويخاطبهم ويفهم، يأتي بعد ذلك في منطقة أخرى بعد سدرة المنتهى، فينتهي حد جبريل، ثم بعد ذلك يزج برسول الله في سبحات النور ولم يكن جبريل معه، وهذا دليل على أن محمدًا عليه الصلاة والسلام قد ارتقى ارتقاءًا آخر، ونُقل من ملائكية لا قدرة لها على ما وراء سدرة المنتهى إلى شيء من الممكن يتحمل إلى ما وراء سدرة المنتهى، دون مصاحبة جبريل عليه السلام، إذًا فمحمد كان بشرًا في الأرض مع جبريل، وبعد ذلك كانت له ملائكية مع الرسل ومع جبريل في السماء، وبعد ذلك كان له وضع آخر ارتقى به عن الملكية حتى أن جبريل نفسه يقول له: «أنا لو تقدمت لاحترقت.. وأنت لو تقدمت لاخترقت»».

فذاتية محمد حصل فيها شيء من التغيير، التغيير الذي يناسب ذلك الملأ الأعلى، فجبريل بملائكيته لا يستطيع أن يخترق وإلا احترق، أما هو فيستطيع أن يخترق.اهـ.

(*) مجلة التوحيد، رجب، ١٤٢٣هـ.

٢- وتأثر بقصة اختراق الحجاب أحد الوعاظ من غير ذكر لاسمه أيضًا، يقول في شريط كاسيت قد انتشر واشتهر: «جبريل عند سدرة المنتهى يقول للنبي ﷺ : السير من هنا قد انتهى، والنبي يقول لجبريل: أفي هذا الموضع يترك الخليل خليله

وجبريل يقول: لكلٍّ منا مقام معلوم، فوالذي بعثك بالحق لو تقدمتُ قدر أنملة لاحترقت بأنوار الكمال، ولو تقدمتَ يا بن عبد الله لاخترقت أنوار الجلال، تقدم إلى ربك الكبير المتعال، تقدم إلى الله، وهنا يحس النبي برعدة شديدة، ويتساءل: أين أنا يا رب؟ فالله يقول: أنت على بساط أنس الله يا محمد». اهـ.

٣- وقصة اختراق الحجاب ليلة الإسراء والمعراج جاءت في كتاب منسوب إلى الصحابـي الجليل ابن عباس رضي الله عنهما، ويسمى «الإسراء والمعراج للإمام ابن عباس رضي الله عنهما ».

قلت: وهو مليء بالكذب والأباطيل، وابن عباس بريء من هذا الكتاب الذي اشتهر وانتشر لصغر حجمه -حيث يحتوي على ست وأربعين صفحة-، ورخص ثمنه، واحتوائه على عجائب منكرة يستميل بها القصاص والوعاظ قلوب العوام.

ففي (ص٢٦): جاءت قصة اختراق الحجاب، حيث نُسب إلى الرسول ﷺ أنه قال: «ثم تقدمت أمامي فلم أر أخي جبريل معي، فقلت: يا أخي يا جبريل، أفي مثل هذا المكان يفارق الخليل خليله والأخ أخاه، فَلِمَ تركتني وتخلفت عني فنادى: يَعِزُّ عليَّ أن أتخلف عنك، والذي بعثك بالحق نبيًا؛ ما منا إلا له مقام معلوم، ولو أن أحدًا منا تجاوز مقامه لاحترق بالنور، قال ﷺ : فلما قال لي هذا المقال، وضعت يدي على وجهي وأخذتني الرَّعدة والخوف، فضمني جبريل إلى صدره بجناحه، وقال لي: لا تخف ولا تحزن، إنما عرج بك ربك ليحييك ويكرمك ويصطفيك ويعطيك، فلما قال لي هذا المقال خفَّ عني كل ما أجده، وإذ بالنداء من قِبَل الله تعالى: زُجوا حبيبي محمدًا في النور، فأتتني الملائكة برفرف أخضر، كمثل المقعد، يحمله أربعة من الملائكة، فوضعوه بين يدي، وقالوا لي: ارق يا محمد، فاستويت على الرفرف، فسار

بي كالسهم يخرج من القوس، وبينما أنا أتفكر، وقد أخذتني الهيبة مما رأيت من الجلال والكمال والبهاء والعظمة وهيبة الله، نُوديت: يا أحمد، أمامك أمامك، ادنُ مني، فخطوت خطوة مسيرة خمسمائة عام، فقيل لي: يا أحمد لا تخف ولا تحزن، فسكن قلبي مما كنت أجده، وأخذ ذلك الرفرف يعلو بي حتى قربني من حضرة سيدي ومولاي، فأبصرت أمرًا عظيمًا، لا تناله الأوهام، ولا تبلغه الخواطر، سبحانه وتعالى، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فدنوت من ربي حتى صرت منه كقاب قوسين أو أدنى، فوضع سبحانه تعالى يده بين كتفي، ولم تكن يدًا محسوسة كيد المخلوقين، بل يد قدرة وإرادة، فوجدت بَرْدها على كبدي، فذهب عني كل ما كنت أجده، وأورثني علم الأولين والآخرين، وملئت فرحًا وسرورًا، فأخذني عند ذلك الثبات والسكون، فظننت أن مَنْ في السماوات والأرض قد ماتوا إلا أنا، لا أسمع هناك لا حسًا ولا حركة، ثم رجع إليَّ عقلي، وتفكرت فيما أنا فيه من الشرف العظيم، فنُوديت: يا أحمد، ادنُ مني، فقلت: إلهي وسيدي ومولاي، أنت السلام ومنك السلام، فناداني ثانيًا: ادنُ مني، فدنوت منه، فقال: وعليك السلام...».

٤- وقصة الرفرف الأخضر، واختراق الحجاب وتأخر جبريل: ليلة الإسراء أوردها الإمام ابن عراق في «تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة» (١/ ١٥٥: ١٦٩) في حديث ابن عباس الطويل حيث بلغ خمسة وسبعين وثلاثمائة سطر، وفيه بعض الزيادات التي نسبت إلى الرسول ﷺ أنه قال:

أ- فلما أُسرى بي إلى العرش، وحاذيت به ودُلي لي رفرف أخضر لا أطيق وصفه لكم، فأهوى بي جبريل فأقعدني عليه، ثم قصر دوني ورد يديه على عينيه، مخافة على بصره أن يلتمع من تلألؤ نور العرش، وأنشأ يبكي بصوت رفيع، ويسبح الله تعالى، ويحمده، ويثني عليه، فرفعني ذلك الرفرف بإذن الله ورحمته إياي، وتمام نعمته عليَّ، إلى قرب سيد العرش، إلى أمر عظيم لا تناله الألسن، ولا تبلغه الأوهام.

ب- فنظرت إليه فإذا هو حين كشف عنه حجبه مستوٍ على عرشه في وقاره وعزه ومجده وعلوه.

جـ- فمال إليَّ من وقاره بعض الميل فأدناني منه، فذلك قوله في كتابه يخبركم فعاله بي وإكرامه إياي: ﴿ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾، حيث مال إليَّ فقربني منه قدر ما بين طرفي القوسين.

د- فلما مال إليَّ من وقاره سبحانه وتعالى وضع إحدى يديه بين كتفي، فلقد وجدت بَرْد أنامله على فؤادي حينًا، ووجدت عند ذلك حلاوته وطيب ريحه وبَرْد لذاذته وكرامة رؤيته، وظننت أن مَنْ في الأرض والسماوات ماتوا كلهم.

التخريج والتحقيق للقصة

الحديث الذي جاءت به هذه القصة: أخرجه ابن مردويه في «تفسيره» من حديث ابن عباس من طريق ميسرة بن عبد ربه، كذا في «تنزيه الشريعة» (١/ ١٦٩)، وأخرجه ابن حبان في «المجروحين» (٣/ ١١) قال: أخبرنا محمد بن بَدْوست النسوي، قال: حدثنا حميد بن زِنْجوَيه، قال: حدثنا محمد بن أبي خِداش الموصلي، قال: حدثنا علي بن قتيبة عن ميسرة بن عبد ربه، قال: حدثنا عمر بن سليمان الدمشقي، عن الضّحاك بن مزاحم، عن ابن عباس مرفوعًا.

١- قال ابن عراق في «تنزيه الشريعة» (١/ ١٦٩): أخرج ابن حبان قطعة منه. **قلت**: وهذا إجمال قد فصلناه حيث بيَّنا أنه أخرجه في كتابه «المجروحين» لا في «صحيحه» هذا بالنسبة لمصنفات ابن حبان.

أما قول ابن عراق: «أخرج ابن حبان قطعة منه»، فهو إجمال بالنسبة للمتن، فابن حبان يعرف متن الحديث بطوله، فبعد أن ذكر هذه القطعة من حديث ابن عباس من طريق ميسرة بن عبد ربه عن عمر بن سليمان قال: «فذكره بطوله، أكره ذكره لشهرته عند من كَتَبَ الحديث وطلبه». اهـ.

قلت: ثم بيّن الإمام ابن حبان في «المجروحين» (٣/ ١١) علة الحديث، فقال: «ميسرة بن عبد ربه الفارسي من أهل دَوْرق، كان ممن يروي الموضوعات عن الأثبات ويضع المعضلات عن الثقات في الحث على الخير والزجر عن الشر، لا يحل كتابة حديثه إلا على سبيل الاعتبار».

قلت: ثم أخرج ابن حبان هذا الحديث دليلاً على أن ميسرة بن عبد ربه يروي الموضوعات، وذكر قطعة منه، ثم قال: «فذكر- أي ميسرة بن عبد ربه- حديثًا طويلاً في قصة المعراج شبيهًا بعشرين ورقة».

وعلل ابن حبان عدم ذكره للحديث بطوله حيث قال: «أكره ذكره لشهرته عند من كتب الحديث وطلبه». اهـ.

٢- أورده الإمام البخاري في كتابه «الضعفاء الصغير» ترجمة (٣٥٥)، ثم قال: «ميسرة بن عبد ربه: يُرْمى بالكذب».

٣- أورده الإمام النسائي في كتابه «الضعفاء والمتروكين» ترجمة (٥٨٠)، ثم قال: «ميسرة بن عبد ربه: متروك الحديث».

فـائـدة:

قلت: هذا المصطلح عند النسائي له معناه، حيث قال الحافظ ابن حجر في «شرح النخبة» (ص٦٩): «مذهب النسائي أن لا يترك حديث الرجل حتى يجتمع الجميع على تركه».

٤- أورده الدارقطني في كتابه «الضعفاء والمتروكين» ترجمة (٥١٠)، ثم قال: «ميسرة بن عبد ربه، بغدادي عن زيد بن أسلم كتاب «العقل» لداود بن المُحبَّر تصنيفه». اهـ.

فائـدة:

يتوهم من لا دراية له بهذا الفن أن عبارة الدارقطني هذه لا تدل على الجرح، ولا يدري أن مجرد ذكر اسم الراوي فقط يدل على أنه متروك، يدل على ذلك قول الإمام البرقاني: «طالت محاورتي مع ابن حمكان لأبي الحسن علي بن عمر الدارقطني -عفا الله عني وعنهما- في المتروكين من أصحاب الحديث، فتقرر بيننا وبينه على ترك من أثبته على حروف المعجم في هذه الورقات».

٥- أقر الإمام الذهبي هذه الأقوال في «الميزان» (٤/ ٢٣٠/ ٨٩٥٨).

٦- ثم ذكر الإمام الذهبي في «الميزان» (٣/ ٢٠٢/ ٦١٢٩) علة أخرى لحديث القصة، فقال: «عمر بن سليمان عن الضحاك، فذكر حديث الإسراء بلفظ موضوع». وأقره الحافظ ابن حجر في «اللسان» (٤/ ٣٥٦) (١٧٣١/ ٦٠٨٢)، وبهذا التحقيق حكم الحافظان الذهبي وابن حجر على حديث القصة في ليلة الإسراء بأنه موضوع.

فائـدة:

الموضوع: «هو الكذب المختلق المصنوع، وهو شر الضعيف وأقبحه، وتحرم روايته مع العلم بوضعه في أي معنى كان، سواء الأحكام والقصص والترغيب وغيرها، إلا مبيّنًا أي مقرونًا ببيان وضعه». قاله السيوطي في «التدريب» (١/ ٢٧٤).

ولقد تأثر بهذه القصة الواهية «قصة اختراق الحجاب» ليلة الإسراء والمعراج كثير من الكُتّاب والوعاظ والقُصاص، هذا التأثير أدى إلى الغلو في النبي ﷺ، حتى نسبوا إليه أن الله مال إليه بعض الميل فأدناه منه، وذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ (النجم:٨-٩).

والقارئ الكريم يرى هذا التأثير في الكتاب الذي أوردناه آنفًا، والذي يتضمن ثلاث حلقات مذاعة في برنامج «نور على نور» حول الإسراء والمعراج، حيث قال الشيخ في «الكتاب» (ص٨٠):

«أنا شخصيًا لست مع المفسرين حين يفسرون: «دنا» المدنو والداني جبريل؛ لأن جبريل معه، وما دام جبريل معه، فماذا دنا؟ فكان قاب قوسين أو أدنى، ذلك ملحظ آخر يعطينا أن الدنو ... «ثم دنا فتدلى».. لشيء آخر، من ربه، أو ربه منه». اهـ.

الرد على هذه الشبهة

١- قول الشيخ -عفا الله عنا وعنه-: أنا شخصيًا لست مع المفسرين حين يفسرون «دنا» الداني جبريل من النبي ﷺ، ثم قال: «الدنو لشيء آخر، من ربه أو ربه منه».

٢- ثم بيّن السبب الذي جعله يخالف هؤلاء المفسرين الذين قالوا: إن الدنو هو دنو جبريل من النبى ﷺ فقال: «جبريل معه، وما دام جبريل معه فماذا دنا».

قلت: هذا السبب فيه نظر؛ لأن الشيخ ظن أن جبريل مع النبي ﷺ قبل الدنو وأثناء الدنو وبعد الدنو على صورة واحدة، ولكن جبريل كان في حالة الدنو على صورته التي خلقه الله عليها، هذه الصورة التي هي من آيات الله الكبرى، وهي من أعظم معجزات النبي ﷺ، حيث أعطاه الله سبحانه القدرة في بصره فيرى جبريل منهبطًا من السماء سادًا عظم خلقه ما بين السماء والأرض، وأما صورته التي كان فيها معه قبل ذلك فكان يأتيه في صورة الرجال.

هكذا فسره النبي ﷺ في الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي من حديث عائشة رضي الله عنها، هذا الحديث الذي أورده الإمام المزي في «تحفة الأشراف» (١٢/ ٣٠٩) (ح١٧٦١٣) من طريق عامر بن شراحيل الشعبي عن مسروق[1] بن الأجدع أبي عائشة الهمداني، عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وبعد أن بيّن طريق مسلم في كتاب «الإيمان» من صحيحه قال: «وهو أتم الروايات».

قلت: فقد أخرجه مسلم في «الصحيح» (ح٢٨٧) من حديث مسروق قال: كنت متكئًا عند عائشة فقالت: يا أبا عائشة، ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على

(١) قال الشَّعبي: «ما رأيت أطلب للعلم من مسروق» كذا في «تهذيب التهذيب» (١٠/ ١٠٠).

الله الفرية. قلت: ما هن؟ قالت: من زعم أن محمدًا ﷺ رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية. وكنت متكئًا فجلست، فقلت: يا أم المؤمنين أنظريني ولا تعجليني، ألم يقل الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾، ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾، فقالت: أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله ﷺ ، فقال: «إنما هو جبريل لم أره على صورته التي خُلق عليها غير هاتين المرتين، رأيته منهبطًا من السماء سادًا عظم ما بين السماء إلى الأرض»، فقالت: أو لم تسمع أن الله يقول: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ (الأنعام:١٠٣)، أو لم تسمع أن الله يقول: ﴿۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾ (الشورى:٥١).

قالت: ومن زعم أن رسول الله ﷺ كتم شيئًا من كتاب الله فقد أعظم على الله الفرية، والله يقول: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ﴾ (المائدة:٦٧). قالت: ومن زعم أنه يخبر بما يكون في غد، فقد أعظم على الله الفرية، والله يقول: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ﴾ (النمل:٦٥). اهـ.

قلت: انظر أيها القارئ الكريم إلى الجزء المرفوع من الحديث وهو موضوع بحثنا في الرد على الشيخ في قوله: أنا شخصيًا لست مع المفسرين حين يفسرون (دنا) بأن الداني جبريل هذا الجزء المرفوع الذي قالت فيه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله ﷺ فقال: «**إنما هو جبريل..**».

قلت: والشيخ إن لم يكن مع المفسرين، فليكن مع النبي ﷺ ، ولكني أرى أن الشيخ -عفا الله عنا وعنه- لم يقف على هذا الحديث المتفق عليه.

بل ولم يقف على الحديث المتفق عليه الذي أخرجه الإمام البخاري (٦/ ٣٦١- فتح) ح (٣٢٣٥)، والإمام مسلم ح (٢٩٠) من طريق الشَّعْبي عن مسروق قال:

قلت لعائشة: فأين قوله: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾.

قالت: «إنما ذاك جبريل كان يأتيه في صورة الرجال وإنه أتاه في هذه المرة في صورته التي هي صورته فسدَّ أفق السماء». واللفظ لمسلم.

قلت: والحديث موقوف لفظًا مرفوع حكمًا.

فائدة: قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «شرح النخبة» (ص١٤١):«ومثال المرفوع من القول حكمًا لا تصريحًا: أن يقول الصحابي -الذي لم يأخذ عن الإسرائيليات- ما لا مجال للاجتهاد فيه، ولا له تعلق ببيان لغة، أو شرح غريب.

١ - كالإخبار عن الأمور الماضية من بدء الخلق وأخبار الأنبياء.

٢ - أو الآتية، كالملاحم والفتن وأحوال يوم القيامة.

٣- وكذا الإخبار عمَّا يحصل بفعله ثواب مخصوص، أو عقاب مخصوص، وإنما كان له حكم الرفع؛ لأن إخباره بذلك يقتضي مخبرًا له، وما لا مجال للاجتهاد فيه يقتضي مُوقِفًا للقائل به، ولا موقِّف للصحابة: إلا النبي ﷺ، أو بعض من يخبر عن الكتب القديمة، فلهذا وقع الاحتراز عن القسم الثاني، وإذا كان كذلك فله حكم ما لو قال: قال رسول الله ﷺ، فهو مرفوع». اهـ.

قلت: وبتطبيق هذه القاعدة الهامة جدًا -التي تدل على دقيق حفظ السنة من الإسرائيليات- على حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا نجد أن الحديث مرفوع حكمًا:

١ - أم المؤمنين عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا لم تأخذ عن الإسرائيليات، كما هو مقرر عند أهل الحديث.

٢- الحديث لا مجال للاجتهاد فيه؛ حيث إنه من أحاديث بدء الخلق، ولذلك أخرجه الإمام البخاري في «صحيحه» كتاب رقم (٥٩) «كتاب بدء الخلق» باب (٧).

٣- يشهد لرفعه الحديث السابق الذي فيه قال الرسول ﷺ لعائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: «إنما هو جبريل...».

بل ولم يقف على الحديث المتفق عليه الذي أخرجه الإمام البخاري في «الصحيح»

(٨/ ٤٧٦ - فتح) والإمام مسلم في «الصحيح» ح (٢٨٠) عن سليمان الشيباني قال: سألت زِرَّ بن حُبَيْش عن قول الله ﷻ: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ قال: أخبرني ابن مسعود: أن النبي ﷺ رأى جبريل له سِتمائة جناح.

قلت: وحسبك ما أخرجه البخاري في «صحيحه» (٨/ ٦٦٢ - فتح) ح (٥٠٠٢)، ومسلم في «صحيحه» ح (٢٤٦٣) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «والله الذي لا إله غيره ما من كتاب الله سورة إلا أنا أعلم حيث نزلت، وما من آية إلا أنا أعلم فيما أنزلت، ولو أعلم أحدًا أعلم بكتاب الله مني تبلغه الإبل لرَكِبت إليه».

فائــدة هامــة:

ولقد رَدَّ الإمام ابن القيم في «مدارج السالكين» (٣/ ٣١٩) على أبي إسماعيل عبد الله ابن محمد الهروي صاحب «منازل السائرين»، عندما قال الهروي في «باب الاتصال»: قال الله تعالى ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ آيس العقول فقطع البحث بقوله: ﴿أَوْ أَدْنَىٰ﴾.

فرد عليه الإمام ابن القيم قال: «كأن الشيخ فهم من الآية أن الذي دنا فتدلى، فكان من محمد ﷺ قاب قوسين أو أدنى: هو الله عز وجل.

والصحيح: أن ذلك هو جبريل -عليه الصلاة والسلام- فهو الموصوف بما ذكر من أول السورة إلى قوله: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ (النجم:١٣،١٤)، هكذا فسره النبي ﷺ في الحديث الصحيح. قالت عائشة رضي الله عنها: «سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية؟ فقال: **جبريل، لم أره في صورته التي خلق عليها إلا مرتين**». اهـ.

قلت: بهذا قد تبيَّن للقارئ الكريم أن قصة اختراق الحجاب ليلة الإسراء قصة مكذوبة، وتبين أيضًا من الأحاديث الصحيحة أن الذي دنا فتدلى فكان -من محمد ﷺ- قاب قوسين أو أدنى: هو جبريل.

وسبحان ربي كيف يخرق الحجاب أو يكشف، وقد ثبت في «صحيح مسلم» ح(٢٩٣/ ١٧٩) «وسنن ابن ماجه» ح(١٩٥)، و«مسند أحمد» (٤/ ٤٠٥) ح(١٩٦٤٩) من حديث عبد الله بن قيس عن أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ قال: **«حجابه النور، لو كشفه لأَحْرَقت سُبْحَاتُ وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه»**.

قلت: ومن المناسبة أن أختم هذا التحقيق بالحديث الذي ختم به الإمام النووي كتابه «رياض الصالحين»، هذا الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم في «الصحيح» ح(١٨١)، والترمذي ح (٢٢٥٥)، وابن ماجه ح (١٨٧)، وأحمد (٤/ ٣٣٢)، وابن أبي عاصم ح (٤٧٢)، والآجُرِّي ح (٢٩٥) من حديث صهيب عن النبي ﷺ قال: **«إذا دخل أهل الجنة الجنة قال: يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئًا أَزِيدكم؟ فيقولون: ألم تُبَيِّض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتُنَجِّنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب فما أُعطوا شيئًا أحبَّ إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل»**.

فائـدة هـامـة:

لئلا يعتقد من لا دراية له بهذا الفن في هذا الحديث الصحيح الذي أخرجه مسلم في صحيحه ما لا يليق بالإمام مسلم متعلقًا بقول الإمام الترمذي في «السنن» (٤/ ٥٩٣): «هذا حديث إنما أسنده حماد بن سلمة ورفعه، وروى سليمان بن المغيرة وحماد بن زيد هذا الحديث عن ثابت البُناني عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قوله». اهـ.

قلت: فيطعن في «صحيح مسلم» بما أعله به الترمذي، وهو ليس بعلة ولقد بيَّن ذلك الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ في «شرح مسلم» (١٠/ ٢٦) فقال: «قال أبو عيسى الترمذي وأبو مسعود الدمشقي وغيرهما: لم يروه هكذا مرفوعًا عن ثابت غير حماد ابن سلمة، ورواه سليمان بن المغيرة، وحماد بن زيد، وحماد بن واقد عن ثابت عن ابن أبي ليلى من قوله، ليس فيه ذكر النبي ﷺ ولا ذكر صهيب، وهذا الذي قاله هؤلاء ليس بقادح في صحة الحديث، فقد قدمنا في الفصول أن المذهب الصحيح المختار الذي ذهب إليه الفقهاء وأصحاب الأصول والمحققون من المحدثين، وصححه

الخطيب البغدادي: أن الحديث إذا رواه بعض الثقات متصلاً وبعضهم مرسلاً، أو بعضهم مرفوعًا وبعضهم موقوفًا حُكم بالمتصل وبالمرفوع؛ لأنهما زيادة ثقة مقبولة عند الجماهير من كل الطوائف، والله أعلم». اهـ.

قلت: أضف إلى ذلك أقوال أئمة هذا الفن في رواية حماد بن سلمة عن ثابت البناني كما في «تهذيب التهذيب» (٣/ ١١).

١- قال الدوري عن ابن معين: «من خالف حماد بن سلمة في ثابت، فالقول قول حماد».

٢- قال ابن المديني: «لم يكن في أصحاب ثابت أثبت من حماد بن سلمة».

٣- قال أحمد بن حنبل: «أثبتهم في ثابت حماد بن سلمة».

قلت: وبأقوال هؤلاء الأئمة أخذ الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «ظلال الجنة» ح(٤٧٢) حيث قال: حماد بن سلمة ثقة حافظ، ولا سيما في روايته عن ثابت، فزيادته حجة، وصحح الحديث في «الظلال» ح(٤٧٢)، وصححه في «صحيح الجامع» ح(٥٢٣)، وصححه في «رياض الصالحين» ح(١٩٠٥)، وقال: «يكشف الله -تبارك وتعالى- الحجاب، وهو حجاب منه للعباد أن يروه، فيرفعه عنهم، فيروه -جل جلاله-، نسأل الله تعالى أن يتفضل علينا بالنظر إلى وجهه الكريم، والحمد لله رب العالمين». اهـ.

قلت: فما أفضل وما أجمل ما ختم به النووي بهذا الحديث العظيم الذي نسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يمن علينا وعلى القراء الكرام برؤية وجهه الكريم، وبهذا الختام أراد الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ أن يُظهِر عقيدة أهل السنة والجماعة برؤية رب العالمين في الآخرة خلافًا للمعتزلة وغيرها».

هذا ما وفقني الله إليه، وهو وحده من وراء القصد

❋ ❋ ❋ ❋

(٢٥)

قصة عائشة رضي الله عنها ليلة النصف من شعبان (*)

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم؛ حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت على ألسنة الخطباء والوعاظ والقصاص بمناسبة ليلة النصف من شعبان. وسأقوم -«إن شاء الله- ببيان جميع طرق القصة تخريجًا وتحقيقًا، لئلا يتقول علينا متقول أو يتوهم واهم أوهامًا لوجود طرق للقصة.

تحليل طرق القصة

الطريق الأول: عروة بن الزبير، عن عائشة رضي الله عنها:

وهذا الطريق يتفرع منه ثلاثة طرق:

١- حديث الحجاج بن أرطاة، عن يحيى بن أبي كثير، عن عروة، عن عائشة قالت: فقدت رسول الله ﷺ ليلةً فخرجت، فإذا هو بالبقيع، فقال: «أكنت تخافين أن يحيف الله عليك ورسوله؟» قلت: يا رسول الله، إني ظننت أنك أتيت بعض نسائك. فقال: «إن الله عز وجل ينزل ليلة النصف من شعبان إلى السماء الدنيا، فيغفر لأكثر من عدد شعر غنم كلب». اهـ.

التخريج

أخرج هذا الحديث الذي جاءت به هذه القصة: أحمد (٦/ ٢٣٨) ح (٢٦٠٦٠)، وابن أبي شيبة (٦/ ١٠٨)، والترمذي (٣/ ١١٦- شاكر) ح(٧٣٩)، وابن ماجه ح(١٣٨٩)، والبيهقي في «الشعب» (٣/ ٣٨٠) (ح٣٨٢٦) من طريق الحجاج بن أرطاة به.

(*) مجلة التوحيد، شعبان، ١٤٢٣هـ.

التحقيق

الحديث (ليس صحيحًا)، قال الترمذي في «السنن» (٣/ ١١٧): «حديث عائشة لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث الحجاج، وسمعت محمدًا يضعف هذا الحديث. وقال: يحيى بن أبي كثير لم يسمع من عروة، والحجاج بن أرطاة لم يسمع من يحيى بن أبي كثير».

قلت: وأخرج ابن الجوزي هذه القصة في «العلل المتناهية» (٢/ ٥٥٦) (ح٩١٥)، ونقل قول الإمام الترمذي، ثم نقل عن الإمام الدارقطني أنه قال: «قد روى من وجوه، وإسناده مضطرب غير ثابت».

قلت: ولا يغتر أحد بأن الحجاج بن أرطاة روى له مسلم، ويقول هو من رجال مسلم، وغاب عنه أنه قد يكون في السند رجل من رجال مسلم، ولكن لم يحتج به، وإنما أخرج له استشهادًا أو مقرونًا بغيره لضعفه.

والحجاج أورده الإمام الذهبي في «الميزان» (١/ ٤٥٨) وقال: «خرَّج له مسلم مقرونًا بآخره». اهـ.

قلت: بهذا يتبين أن الإمام مسلم لم يحتج به لضعفه.

وأورده الإمام ابن حبان في «المجروحين» (١/ ٢٢٥) وقال: تركه ابن المبارك ويحيى القطان، وابن المهدي، ويحيى بن معين، وأحمد بن حنبل، وسُئل يحيى بن معين عن الحجاج بن أرطاة فقال: ضعيف، ضعيف. وقال أبو حاتم: كان الحجاج مدلسًا عمن رآه وعمن لم يره. اهـ.

قلت: وفي «التهذيب» (٢/ ١٧٤) قال يعقوب بن شيبة: الحجاج واهي الحديث في حديثه اضطراب كثير. اهـ.

فالحديث به ثلاث علل: طعن في الراوي، وإرسال خفي في موضعين.

٢- حديث سليمان بن أبي كريمة: عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة

قالت: كانت ليلة النصف من شعبان ليلتي، وبات رسول الله ﷺ عندي، فلما كان في جوف الليل فقدته، فأخذني ما يأخذ النساء من الغيرة، فتلفعت بمرطي، أما والله ما كان خزًا، ولا قزًا، ولا حريرًا، ولا ديباجًا، ولا قطنًا، ولا كتانًا، قيل: وما كان؟ قالت: كان سداه شعرًا، ولحمته من أوبار الإبل، وطلبته في حجر نسائه فلم أجده، فانصرفت إلى حجرتي، فإذا به كالثوب الساقط على وجه الأرض ساجدًا، وهو يقول في سجوده: «سجد لله سوادى وخيالي، وآمن بك فؤادي، هذه يدي وما جنيته بها على نفسي، يا عظيم يرجى لكل عظيم، اِغْفِرِ الذنب العظيم، أقول كما قال داود عليه السلام: أُعَفِّر وجهي في التراب لسيدي، وحق له أن يسجد وجهي للذي خلقه، وشق سمعه وبصره، ثم رفع رأسه، فقال: اللهم ارزقني قلبًا نقيًا من الشرك لا كافرًا ولا شقيًا». ثم سجد وقال: أعوذ برضاك من سخطك، وأعوذ بعفوك من معاقبتك، لا أحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك، قالت: ثم انصرف ودخل معي في الخميلة وبي نفس عالٍ، فقال: ما هذا النفس يا حميراء؟

قالت: فأخبرته، فطفق يمسح بيده على ركبتي. ويقول: ويس هاتين الركبتين ما لقيتا في هذه الليلة، ليلة النصف من شعبان ينزل الله ﷻ إلى السماء الدنيا، فيغفر لعباده إلا لمشرك أو مشاحن». اهـ.

التخريج

هذا الحديث الذي جاءت به القصة بهذا اللفظ: أخرجه ابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٢/ ٥٧٧) ح(٩١٧)، والدارقطني في «النزول» ح(٩٢).

التحقيق

قال ابن الجوزي: هذا حديث لا يصح، قال ابن عدي: أحاديث سليمان بن أبي كريمة مناكير.

قلت: ضعفه أبو حاتم في «الجرح والتعديل» (٤/ ١٣٨). وأورد له ابن عدي في

«الكامل» (٣/ ٢٦٢) (٨/ ٧٤٠) حديثين من مناكيره بنفس طريق القصة، ثم قال: ولسليمان بن أبي كريمة غير ما ذكرت، وليس بالكثير، وعامة أحاديثه مناكير. اهـ.

وقال العقيلي في «الضعفاء الكبير» (٢/ ١٣٨) ترجمة (٦٢٧): يحدِّث بمناكير، ولا يتابع على كثير من أحاديثه.

قلت: وأقر ذلك الحافظ ابن حجر في «اللسان» (٣/ ١٢١) (٣٤٢/ ٣٩٢٥). من هذا التحقيق يتبين أن حديث سليمان بن أبي كريمة يزيد حديث الحجاج بن أرطاة ضعفًا على ضعفه، وفوق ذلك اضطراب المتن كما هو ظاهر من لفظي الحديث، فحديث الحجاج بن أرطاة فيه: أن عائشة رضي الله عنها تبعته إلى البقيع، وحديث سليمان بن أبي كريمة فيه: أنها رأته وهو ساجد وليس فيه ذكر البقيع، ومثل هذا يعد اضطرابًا في المتن.

٣- حديث النضر بن كثير، عن يحيى بن سعيد الأنصاري، عن عروة، عن عائشة. أورده الإمام الذهبي في «الميزان» (٤/ ٢٦٢/ ٩٠٨١) من منكرات النضر بن كثير بهذا الطريق عن عائشة قالت: لما كانت ليلة النصف من شعبان انسلَّ النبي ﷺ من مرْطِي، فخشيت أن يكون أتى بعض نسائه، فقمت ألتمسه فيقع قدمي على قدمه وهو ساجد... الحديث.

قلت: والحديث أخرجه البيهقي في «فضائل الأوقات» ح (٢٦) من هذا الطريق بلفظ حديث سليمان بن أبي كريمة، وزاد فيه: هل تدرين ما في هذه الليلة؟ قالت: ما فيها يا رسول الله؟ فقال: «فيها يُكتب كل مولود من بني آدم في هذه السنة، وفيها أن يكتب كل هالك من بني آدم في هذه السنة، وفيها ترفع أعمالهم، وفيها تنزل أرزاقهم»، فقالت: يا رسول الله، ما أحد يدخل الجنة إلا برحمة الله؟ فقال: «ما من أحد يدخل الجنة إلا برحمة الله». قلت: ولا أنت يا رسول الله؟ فوضع يده على هامته، فقال: «ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله منه برحمة» يكررها ثلاثًا.

التحقيق

قلت: حديث النضر بن كثير الذي جاءت به القصة حديث لا يصح. قال ابن حبان في «المجروحين» (٣/ ٤٩): « النضر بن كثير كان ممن يروي الموضوعات عن الثقات على قلة روايته، حتى إذا سمعها مَنِ الحديثُ صِنَاعَتُه شهد أنها موضوعة، لا يجوز الاحتجاج به بحال». اهـ.

قلت: وقال أبو حاتم: «فيه نظر»، وقال البخاري: «عنده مناكير»، كذا في «الميزان» (٤/ ٢٦٢)، وبهذا يتبين أن حديث النضر بن كثير يزيد القصة وهنًا على وهن، ولا يصلح للمتابعات.

الطريق الثاني: أنس بن مالك عن عائشة رضي الله عنها:

من حديث سعيد بن عبد الكريم، عن أبي النعمان السعدي، عن أبي رجاء العطاردي، عن أنس ﷺ، عن عائشة ﷺ: أخرجه ابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٢/ ٥٥٨) ح(٩١٨) عن أنس بن مالك قال: بعثني النبي ﷺ إلى عائشة، فقلت لها: أسرعي، فإني تركت رسول الله ﷺ يحدِّث بحديث ليلة النصف من شعبان، فقالت: يا أنيس، اجلس حتى أحدثك عن ليلة النصف من شعبان، كانت ليلتي، فجاء النبي ﷺ حتى دخل معي في اللحاف، قالت: فانتبهت من الليل فلم أجده، فطفت في حجرات نسائه فلم أجده، قالت: قلت: ذهب إلى جاريته مارية القبطية، قالت: فخرجت فمررت في المسجد، فوقعت رجلي عليه وهو ساجد وهو يقول: سجد لك خيالي وسوادي وآمن بك فؤادي...» الحديث.

التحقيق

قال ابن الجوزي: «وهذا الطريق لا يصح، قال أبو الفتح الأزدي: سعيد بن عبد الكريم متروك».

وأقره الإمام الذهبي في «الميزان» (٢/ ١٤٩/ ٣٢٣٢)، وأورد هذا الحديث الذي جاءت به القصة من مناكيره.

قلت: بهذا يتبين أن هذا الطريق يزيد القصة أيضًا وهنًا على وهن.

وفي هذا الحديث الواهي جاءت زيادة في هذه القصة الواهية، وفي هذه الزيادة يزعمون أن عائشة رضي الله عنها قالت: يا رسول الله، وما بال شعر غنم كلب؟ قال: «لم يكن في العرب قبيلة قوم أكثر غنمًا منهم، لا أقول فيهم ستة نفر: مدمن خمر، وعاق لوالديه، ولا مصر على الزنى، ولا مصادم، ولا مصور، ولا قتات». اهـ.

الطريق الثالث: حديث العلاء بن الحارث، أخرج البيهقي في «الشعب» (٣/ ٣٨٢) (ح٣٨٣٥) قال: أخبرنا أبو نصر ابن قتادة، أنا أبو منصور محمد بن أحمد الهروي، نا الحسين بن إدريس، نا أبو عبيد الله ابن أخي ابن وهب، نا عمي، نا معاوية بن صالح، عن العلاء بن الحارث أن عائشة قالت: قام رسول الله ﷺ من الليل يصلي فأطال السجود حتى ظننت أنه قد قبض، فلما رأيت ذلك قمت حتى حرَّكت إبهامه فتحرك، فرجعت، فلما رفع إلي رأسه من السجود وفرغ من صلاته قال: «يا عائشة، أو يا حميراء، أظننت أن النبي ﷺ قد خاس بك». قلت: لا والله يا رسول الله، ولكنني ظننت أنك قبضت لطول سجودك. فقال: «أتدرين أي ليلة هذه؟» قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «هذه ليلة النصف من شعبان، إن الله ﷻ يطلع على عباده في ليلة النصف من شعبان فيغفر للمستغفرين، ويرحم المسترحمين، ويؤخر أهل الحقد كما هم».

التحقيق

القصة من هذا الطريق واهية أيضًا، وإلى القارئ الكريم التحقيق:

١ - العلاء بن الحارث بن عبد الوارث: أورده الحافظ في «التقريب» (٢/ ٩١):

«قد اختلط من الخامسة، مات سنة ست وثلاثين، وهو ابن سبعين سنة». وكذا في «التهذيب» (٨/ ١٥٨) ناقلاً عن ابن سعد وغير واحد أنه مات سنة ست وثلاثين ومائة، زاد بعضهم: وهو ابن سبعين سنة.

قلت: قد يتوهم من لا دراية له بهذا الفن أن «التقريب» اختلف عن «التهذيب» في تحديد سنة الوفاة للعلاء، ولكن هيهات، فالتقريب يذكر سنة الوفاة مع الطبقة، ووضع قاعدة، قال فيها الحافظ ابن حجر في مقدمة «التقريب» : «وذكرت وفاة من عرفت سنة وفاته منهم، فإن كان من الأولى والثانية فهم قبل المائة، وإن كان من الثالثة إلى آخر الثامنة فهم بعد المائة، وإن كان من التاسعة إلى آخر الطبقات فهم بعد المائتين، ومن ندر عن ذلك بينته».

قلت: فقول الحافظ ابن حجر: «من الخامسة، مات سنة ست وثلاثين»، تعني: بعد المائة. وبما أنه مات وهو ابن سبعين سنة، إذن فسنة ميلاده هي سنة ست وستين.

٢- عائشة بنت أبي بكر الصديق، أم المؤمنين:

قال الحافظ ابن حجر في «التقريب» (٢/ ٦٠٦): «أفقه النساء مطلقًا، ماتت سنة سبع وخمسين على الصحيح». اهـ.

قلت: بمقارنة التاريخ للعلاء بن الحارث الذي روى عن أم المؤمنين عائشة: يتبين أن العلاء بن الحارث ولد بعد وفاة أم المؤمنين عائشة بعدة سنوات، فكيف يروي عنها؟! ولذلك قال النووي في «التقريب» النوع (٦٠) «التواريخ والوفيات: هو فن مهم، به يعرف اتصال الحديث وانقطاعه، وقد ادعى قوم الرواية عن قوم، فنظر في التاريخ فظهر أنهم زعموا الرواية عنهم بعد وفاتهم بسنين».

ولذلك نقل السيوطي في «التدريب» (٢/ ٣٥٠) قول سفيان الثوري:«لما استعمل الرواة الكذب استعملنا لهم التاريخ».

قلت: والعلاء اختلط وتغير عقله كما في «التهذيب» (٨/ ١٥٨)، و«الميزان» (٣/ ٩٨).

٣- وفي السند أيضًا: «عن العلاء بن الحارث، أن عائشة قالت:...». **قلت**: فالحديث من نوع «المؤنن»، والمؤنن اصطلاحًا: هو قول الراوي: حدثنا فلان أن فلانًا قال. ومن شروط قبول المؤنن: اللقاء، وبهذا يتبين أن الحديث الذي جاءت به القصة مردود منقطع.

٤- وفي السند أيضًا: أبو عبيد الله ابن أخي ابن وهب، عن عمه: قال ابن حبان في «المجروحين» (١/ ١٤٩): «أحمد بن عبد الرحمن بن وهب: أبو عبيد الله ابن أخي ابن وهب من أهل مصر، يروي عن عمه، حدثنا عنه شيوخنا ابن خزيمة وغيره، وكان يحدِّث بالأشياء المستقيمة قديمًا حيث كتب عنه ابن خزيمة وذووه، ثم جعل يأتي عن عمه بما لا أصل له، كأن الأرض أخرجت له أفلاذ كبدها».

قلت: وبهذا يتبين أن هذا الطريق يزيد القصة أيضًا وهنًا على وهن.

الطريق الرابع: حديث سعد بن مالك أبو سعيد الخدري رضي الله عنه عن عائشة رضي الله عنها: أخرجه البيهقي في «الشعب» (٣/ ٣٨٣) ح(٣٨٣٧) قال: «أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ومحمد بن موسى قالا: نا أبو العباس محمد بن يعقوب، نا محمد بن عيسى بن حبا المدائني، نا سلام بن سليمان، أنا سلام الطويل، عن وهيب المكي، عن أبي رهم: أن أبا سعيد الخدري دخل على عائشة، فقالت له عائشة: يا أبا سعيد، حدثني بشيء سمعته من رسول الله ﷺ، وأحدثك بما رأيته يصنع، قال أبو سعيد: كان رسول الله ﷺ إذا خرج إلى صلاة الصبح قال: «اللهم املأ سمعي نورًا، وبصري نورًا، ومن بين يدي نورًا، ومن خلفي نورًا، وعن يميني نورًا، وعن شمالي نورًا، ومن فوقي نورًا، ومن تحتي نورًا، وعظم لي النور برحمتك». وفي رواية محمد: «وأعظم لي نورًا». قالت عائشة: دخل عليّ رسول الله ﷺ فوضع عنه ثوبيه، ثم لم يستتم أن قام فلبسهما فأخذتني غيرة شديدة، فظننت أنه يأتي بعض صويحباتي فخرجت أتبعه...» الحديث.

التحقيق

هذه القصة بهذا الطريق واهية أيضًا، وعلتها: سلام الطويل.

قال الذهبي في «الميزان» (٢/ ١٧٥/ ٣٣٤٣): «سلام بن سلم (ق)، ويقال ابن سليم التميمي السعدي الخراساني، ثم المدائني الطويل. روى عن: زيد العمي، ومنصور بن زاذان، وحميد، والبصريين، قال البخاري: سلام بن سلم السعدي الطويل عن يزيد العمي: تركوه.

وقال أحمد بن أبي مريم: سألت ابن معين عن سلام بن سلم التميمي فقال: ضعيف، لا يكتب حديثه. وروى ابن الدورقي عن يحيى: سلام الطويل ليس بشيء. وروى عباس عن يحيى: سلام بن سلم التميمي ليس بشيء. وقال أحمد: سلام بن سلم الطويل منكر الحديث. وقال النسائي: سلام بن سلم متروك».اهـ. قال البخاري في «الضعفاء الصغير» (١٥٢): «سلام الطويل: تركوه». وقال النسائي في«الضعفاء والمتروكين» (٢٣٧): «متروك الحديث».

قلت: قال الحافظ ابن حجر في «شرح النخبة» (ص٦٩):« مذهب النسائي أن لا يترك حديث الرجل حتى يجتمع الجميع على تركه».

قلت: وقال ابن حبان في «المجروحين» (١/ ١٣٥): « سلام الطويل يروي عن الثقات الموضوعات كأنه كان المتعمد لها».

قلت: وعلة أخرى: سلام بن سليمان بن سوّار المدائني.

أورده المزي في «تهذيب الكمال» (٨/ ٢٢٦/ ٢٦٣٩)، وبيّن أنه روي عن: سلام الطويل، وروى عنه: عيسى بن حبان المدائني.

ونقل الذهبي في «الميزان» (٢/ ١٧٨/ ٣٣٤٦) قول ابن عدي: منكر الحديث، وقول العقيلي: في حديثه مناكير.

قلت: كذلك قال العقيلي في «الضعفاء الكبير» (٢/ ١٦١/ ٦٦٨).

قلت: وبهذا يتبين أن هذا الطريق يزيد القصة وهنًا على وهن.

الطريق الخامس: حديث عبد الله بن أبي مليكة عن عائشة.

أخرجه ابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٢/ ٥٥٩) (ح٩١٩) قال: أنبأنا الحريري، قال: أنبأنا العشاري، قال: نا الدارقطني، قال: نا عبدالله بن سليمان، قال: نا إسحاق ابن إبراهيم، قال: نا سعيد بن الصلت، عن عطاء بن عجلان، عن عبد الله بن أبي مليكة، عن عائشة قالت: «استيقظت ليلة، فإذا رسول الله ﷺ ليس في البيت،

فأخذني ما تقدم وما تأخر، فخرجت أطلب رسول الله ﷺ ، فظننت أنما خرج إلى بعض ما ظننت، فبينما أنا كذلك إذا برسول الله ﷺ قد أقبل، فكرهت أن يراني، فرجعت إلى البيت وأنا أسعى، فانتهى إليّ رسول الله ﷺ وقد علا نفسي، فقال: ما لك؟ فكرهت أن أخبره بالذي كان مني حتى أقسم عليّ، فحدثته، فقال: كلا، ولكن هذه ليلة يعتق الله فيها من النار أكثر من عدد شعر غنم كلب، ويطلع الله فيها إلى أهل الأرض فيغفر فيها لمن يشاء إلا أنه لا يغفر لمشرك ولا لمشاحن، وتلك ليلة النصف من شعبان».

التحقيق

قال ابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٢/ ٥٥٩) ح (٩١٩): « تفرد به عطاء بن عجلان، قال يحيى: ليس بشيء كذاب، كان يوضع له الحديث، فيحدِّث به، وقال الرازي: متروك الحديث، وقال ابن حبان: يروي الموضوعات عن الثقات، لا يحل كَتْب حديثه إلا على جهة الاعتبار».

قلت: هذه هي جميع طرق القصة تزيد القصة وهنًا على وهن.

لذلك قال الإمام ابن الصلاح في «علوم الحديث» (ص١٠٧): « لعل الباحث الفَهِم يقول: إنا نجد أحاديث محكومًا بضعفها مع كونها قد رُويت بأسانيد كثيرة من وجوه عديدة.

وجواب ذلك: أن ليس كل ضعف في الحديث يزول بمجيئه من وجوه، بل ذلك يتفاوت. ومن ذلك ضعف لا يزول بنحو ذلك لقوة الضعف، وتقاعد هذا الجابر عن جبره ومقاومته، وذلك كالضعف الذي ينشأ من كون الراوي متهمًا بالكذب أو كون الحديث شاذًا. وهذه جملة؛ تفاصيلها تدرك بالمباشرة والبحث، فاعلم ذلك فإنه من النفائس العزيزة، والله أعلم». اهـ.

١ ـ البديل الصحيح لهذه القصة

قلت: إن البديل الصحيح لهذه القصة لم يذكر فيه ليلة النصف من شعبان؛ فقد أخرجه الإمام مسلم في «صحيحه» (ح٩٧٤) كتاب «الجنائز» (ح١٠٣) باب: «خروجه ﷺ ليلاً إلى أحد المقابر والدعاء لأهلها » حيث قال: «حدثني هارون بن سعيد الأيلي، حدثنا عبد الله بن وهب، أخبرنا ابن جريج، عن عبد الله بن كثير بن المطلب أنه سمع محمد بن قيس يقول: سمعت عائشة تحدِّث فقالت: ألا أحدثكم عن النبي ﷺ وعني، قلنا: بلى / ح/ وحدثني من سمع حجاجًا الأعور -واللفظ له- قال: حدثنا حجاج بن محمد، حدثنا ابن جريج، أخبرني عبد الله رجل من قريش، عن محمد بن قيس بن مخرمة بن المطلب أنه قال يومًا: ألا أحدثكم عني وعن أمي. قال: فظننا أنه يريد أمه التي ولدته. قال: قالت عائشة: ألا أحدِّثكم عني وعن رسول الله ﷺ . قلنا: بلى. قال: قالت: لما كانت ليلتي التي كان النبي ﷺ فيها عندي، انقلب فوضع رداءه وخلع نعليه، فوضعهما عند رجليه، وبسط طرف إزاره على فراشه، فاضطجع فلم يلبث إلا ريثما ظن أن قد رقدتُ، فأخذ رداءه رويدًا، وانتعل رويدًا، وفتح الباب، وخرج ثم أجافه رويدًا، فجعلت درعي في رأسي واختمرت وتقنعت إزاري، ثم انطلقت على إثره، حتى جاء البقيع، فقام فأطال القيام، ثم رفع يديه ثلاث مرات، ثم انحرف فانحرفت، فأسرع فأسرعت، فهرول فهرولت، فأحضر فأحضرت، فسبقته فدخلت، فليس إلا أن اضطجعت، فدخل فقال: «**ما لك يا عائش، حشيا رابية**». قالت: قلت: لا شيء، قال: «**لتخبريني، أو ليخبرني اللطيف الخبير**». قالت: قلت: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي، فأخبرته، قال: «**فأنت السواد الذي رأيت أمامي**». قلت: نعم، فلهدني في صدري لهدة أوجعتني، ثم قال: «**أظننتِ أن يحيف الله عليك ورسوله؟**»، قالت: مهما يكتم الناس يعلمه الله، نعم. قال: «**فإن جبريل أتاني حين رأيت فناداني، فأخفاه منك فأجبته فأخفيته منك، ولم يكن يدخل عليكِ، وقد وضعت ثيابك، وظننت أن قد رقدت، فكرهت أن أوقظك، وخشيت أن تستوحشي،**

فقال: إن ربك يأمرك أن تأتي أهل البقيع فتستغفر لهم». قالت: قلت: كيف أقول لهم يا رسول الله؟ قال: «قولي: السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين، وإنا إن شاء الله بكم للاحقون».

والحديث أخرجه كذلك النسائي (٤/ ٩١) كتاب: الجنائز، باب الأمر بالاستغفار للمؤمنين، وأحمد (٦-٢٢١) (ح٢٥٨٩٧).

٢- «بديل صحيح آخر في دعائه ﷺ في السجود، ولم يقيد بليلة النصف من شعبان».

أخرجه مسلم ح (٤٨٦) من حديث أبي هريرة، عن عائشة قالت: فقدت رسول الله ﷺ ليلة من الفراش، فالتمسته فوقعت يدي على بطن قدميه، وهو في المسجد وهما منصوبتان، وهو يقول: «**اللهم أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك، لا أحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك**».

٣- «بديل صحيح آخر في صفة النزول لله تبارك وتعالى».

صفة النزول لله تبارك وتعالى لم تقيد بليلة النصف من شعبان، كما في القصة الواهية، بل هي مطلقة في كل الليالي، كما ثبت في صحيح السنة. فقد أخرج البخاري في كتاب «التهجد» (١٩) باب: «الدعاء والصلاة في آخر الليل» (١٤)، ومسلم (ح٧٥٨) كتاب: «صلاة المسافرين» (ح١٦٨) باب: «الترغيب في الدعاء والذكر آخر الليل» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، يقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له**».

هذا ما وفقني الله إليه، وهو وحده من وراء القصد

❁ ❁ ❁ ❁

(٢٦)

قصة الراوي الذي صام سنة
ليتحمل قصة الحديث الذي جمع فأوعى (*)

هذه القصة التى اشتهرت بين الناس، وانتشرت انتشارًا واسعًا، نتيجة طبع هذه القصة فى أنحاء البلاد، وتوزيعها على الناس، بأعداد كثيرة، وصور مختلفة.

وفى هذه القصة يأتى أعرابى إلى رسول الله ﷺ ، ويسأله أربعة وعشرين سؤالاً، هذا بالنسبة للمتن.

وبالبحث عن القصة التى جاء بها هذا المتن، وجدنا أن للسند أيضًا قصة عجيبة وغريبة، سنبينها للقارئ الكريم عند تحقيق هذه القصة.

والتى يقولون فيها:

إن خالد بن الوليد رضي الله عنه قال:

جاء أعرابى إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله جئت أسألك عما يغنينى فى الدنيا والآخرة. فقال رسول الله ﷺ : «سل عما بدا لك».

قال: أريد أن أكون أعلم الناس.

فقال رسول الله ﷺ : «اتق الله تكن أعلم الناس».

قال: أريد أن أكون أغنى الناس.

فقال رسول الله ﷺ : «كن قانعًا تكن أغنى الناس».

قال: أحب أن أكون أعدل الناس.

فقال رسول الله ﷺ: «أَحِبّ للناس ما تحب لنفسك تكن أعدل الناس».

(*) مجلة التوحيد، رمضان، ١٤٢٣هـ.

قال: أحب أن أكون خير الناس.

فقال رسول الله ﷺ: «كن نافعًا للناس تكن خير الناس».

قال: أحب أن أكون أخص الناس إلى الله.

فقال رسول الله ﷺ: «أَكْثِر ذكر الله تكن أخص الناس إلى الله».

قال: أحب أن يكمل إيماني.

فقال رسول الله ﷺ: «حسِّن خلقك يكمل إيمانك».

قال: أحب أن أكون من المحسنين.

فقال رسول الله ﷺ: «اعبد الله كأنك تراه، وإن لم تكن تراه فإنه يراك، تكن من المحسنين».

قال: أحب أن أكون من المطيعين.

فقال رسول الله ﷺ: «أدِّ فرائض الله تكن من المطيعين».

قال: أحب أن ألقى الله نقيًا من الذنوب.

فقال رسول الله ﷺ: «اغتسل من الجنابة متطهرًا تلقَ الله نقيًا من الذنوب».

قال: أحب أن أحشر يوم القيامة في النور.

فقال رسول الله ﷺ: «لا تظلم أحدًا تحشر يوم القيامة في النور».

قال: أحب أن يرحمني ربي يوم القيامة.

فقال رسول الله ﷺ: «ارحم نفسك، وارحم عباده، يرحمك ربك يوم القيامة».

قال: أحب أن تَقِل ذنوبي.

فقال رسول الله ﷺ: «أكثر من الاستغفار تقل ذنوبك».

قال: أحب أن أكون أكرم الناس.

فقال رسول الله ﷺ: «لا تشكُو من أمرك شيئًا إلى الخلق تكن أكرم الناس».

قال: أحب أن أكون أقوى الناس.

فقال رسول الله ﷺ : «توكل على الله تكن أقوى الناس».

قال: أحب أن يوسع الله على فى الرزق.

فقال رسول الله ﷺ: «دُمْ على الطهارة يوسّع الله عليك فى الرزق».

قال: أحب أن أكون من أحباب الله ورسوله.

فقال رسول الله ﷺ : «أحب ما أحبه الله ورسوله تكن من أحبابهما».

قال: أحب أن أكون آمنًا من سخط الله يوم القيامة.

فقال رسول الله ﷺ : «لا تغضب على أحد من خلق الله، تكن آمنًا من سخط الله يوم القيامة».

قال: أحب أن تُستجاب دعوتي.

فقال رسول الله ﷺ: «اجتنب أكل الحرام تستجب دعوتك».

قال: أحب أن يسترنى ربى يوم القيامة.

فقال رسول الله ﷺ : «استر عيوب إخوانك يسترك الله يوم القيامة».

قال: ما الذى ينجى من الذنوب؟ أو قال: من الخطايا؟

فقال رسول الله ﷺ: «الدموع والخضوع والأمراض».

قال. أى حسنة أعظم عند الله تعالى؟

فقال رسول الله ﷺ: «حسن الخلق والتواضع والصبر على البلاء».

قال: أى سيئة أعظم عند الله تعالى؟

فقال رسول الله ﷺ: «سوء الخلق والشح المناع».

قال: ما الذى يسكّن غضب الرب فى الدنيا والآخرة؟

فقال رسول الله ﷺ: «الصدقة الخفية وصلة الرحم».

قال: ما الذى يطفئ نار جهنم يوم القيامة؟

فقال رسول الله ﷺ: «الصبر فى الدنيا على البلاء والمصائب».

ثم يذكرون فى نهاية هذه الأسئلة:

أن الإمام المستغفرى قال: «ما رأيت حديثًا أعظم وأشمل لمحاسن الدين وأنفع من هذا الحديث، جمع فأوعى».

ثم يذكرون تخريج هذه القصة فيقولون: «رواه الإمام أحمد بن حنبل».

أولاً: التخريج وقصة أخرى بالسند

بالبحث فى مصنفات الإمام أحمد -رحمه الله تعالى- لم أجد الحديث الذى جاءت به هذه القصة ذات الأربعة والعشرين سؤالاً، وإن تعجب فعجب قولهم: «رواه الإمام أحمد» تلك العبارة التى يختمون بها هذه القصة، وهذا افتراء على الإمام رحمه الله تعالى.

وبالبحث وجدنا أن هذه القصة بهذه الأسئلة العديدة أوردها الإمام علىّ بن حسام الدين عبد الملك ابن قاضى خان الشهير بالمتقى الهندى البرهان فورى المتوفى سنة خمس وسبعين وتسعمائة فى كتابه «كنز العمال» (١٦/ ١٢٧، ١٢٩) ح(٤٤١٥٤): مع قصة السند.

قال الشيخ جلال الدين السيوطى رحمه الله تعالى:

وجدت بخط الشيخ شمس الدين بن القماح فى مجموع له، عن أبى العباس المستغفرى قال: قصدت مصر أريد طلب العلم من الإمام أبى حامد المصري، والتمست منه حديث خالد بن الوليد، فأمرنى بصوم سنة (!)، ثم عاودته فى ذلك، فأخبرنى بإسناده عن مشايخه إلى خالد بن الوليد، قال: جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال:

إنى سائلك عمّا فى الدنيا والآخرة، فقال له: سل عما بدا لك، قال: يا نبي الله أحب أن أكون أعلم الناس...» الحديث.

ثانيًا : التحقيق

هذه القصة واهية، والحديث الذى جاءت به منكر جداً، وهو مروى وجادةً، وسنبين للقارئ الكريم معنى هذا المصطلح «الوِجادة».

فهو قسم من أقسام طرق تحمل الحديث، ومجامعها ثمانية أقسام، قال الإمام النووى فى «التقريب» (٢/ ٦٠ تدريب):

«القسم الثامن: الوِجادَةُ، وهى مصدر لِوَجَدَ مُوَلَّدٌ غير مسموع من العرب، وهى أن يقف على أحاديث بخط راويها، لا يرويها الواجد عنه -بسماع ولا إجازة- فله أن يقول: وجدت أو قرأت بخط فلان أو فى كتابه بخطه، حدثنا فلان. ويسوق الإسناد والمتن، أو قرأت بخط فلان عن فلان، هذا الذى استمر عليه العمل قديمًا وحديثًا وهو من باب المنقطع». اهـ.

قلت:

١ - من هذا يتبين أن الرواية بالوِجادة حكمها: أنها من باب المنقطع.

٢ - السند الذى رواه السيوطى وجادة من ابن القماح إلى خالد بن الوليد يدل على أنه سند تالف.

٣- قوله: وجدت بخط ابن القماح عن الحافظ المستغفري. يدل على أن الحديث مردود بالسقط فى الإسناد، وهو سقط ليس بالهين لوجود إعضال بين ابن القماح هذا والحافظ المستغفرى المتوفى سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة.

والمعضل اصطلاحًا: «ما سقط من إسناده اثنان أو أكثر على التوالي».

٤ - وأبو حامد المصرى مجهول.

٥- رحلة الإمام المستغفري إلى مصر لطلب العلم من أبى حامد المصري، وأنه التمس هذا الحديث من أبى حامد المصري فأمره بصوم سنة، فلينظر القارئ الكريم إلى هذه البدعة «طلب حديث بصوم سنة».

٦- وإن تعجب فعجب قول المستغفري: التمست من أبى حامد حديث خالد بن الوليد فأمرني بصوم سنة، ثم عاودته في ذلك. فأخبرني بإسناده عن مشايخه إلى خالد بن الوليد. من هذا يتبين أن سائر الإسناد مجهول، فلا يعرف أبو حامد المصري هذا، ولا مَنْ هم رجاله إلى خالد بن الوليد.

٧- لذلك قال الإمام الكتاني فى «الرسالة المستطرفة» ص (٣٩):

أبو العباس جعفر بن محمد بن المعتز بن محمد بن المستغفر (المستغفري) نسبة إلى المستغفر، وهو جده المذكور، يروى الموضوعات من غير تبين.

٨- **قلت**: وهذا الحديث ظاهرة عليه علامات الوضع فى السند من قصة مكذوبة منكرة وفى المتن الملفق من أحاديث كثيرة، فيها الثابت والواهي.

٩- قولهم فى نهاية الحديث: رواه الإمام أحمد عن خالد بن الوليد.

أ- وهذا افتراء على الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ ، وانظر مسند أحمد (٤/ ٨٨) لم يوجد به على سعته إلا ثلاثة أحاديث لخالد بن الوليد ح (١٦٨٥٨)، (١٦٨٥٩)، (١٦٨٦٠) الأول والثانى حول حكم أكل لحم الضب، والثالث «**من عادى عمارًا...**».

ب- ويظهر هذا الافتراء أيضًا من البحث فى الكتب الستة فى مسند خالد بن الوليد، الذي أورده الإمام المزى فى «تحفة الأشراف» (٣/ ١١١) رقم (١٢٣)، حيث لم يوجد فى الكتب الستة من مسند خالد إلا سبعة أحاديث ح (٣٥٠٤)، (٣٥٠٥)، (٣٥٠٦)، (٣٥٠٧)، (٣٥٠٨)، (٣٥٠٩)، (٣٥١٠) ولم يوجد بها هذا الحديث المنكر بما يحمله من قصص منكرة.

جـ- وكذلك بالبحث في مسند أبي يعلى من حديث خالد بن الوليد (١٣ / ١٣٨ - ١٤٩) فلم نجد إلا عشرة أحاديث من ح (٧١٨٣) حتى ح (٧١٩٢) ولا يوجد بها هذا الحديث.

د- وكذلك بالبحث في معجم «الطبراني الكبير» من حديث خالد بن الوليد (٤/ ١٠٣-١١٥) فوجدنا به ثلاثة وأربعين حديثًا من ح (٣٧٩٨) حتى ح(٣٨٤٠) ولا يوجد بها هذا الحديث.

هـ- ثم تتبعنا باقى السنن والمسانيد، فلم نجد قصة الأعرابى الذى جاء يسأل الرسول ﷺ أربعة وعشرين سؤالاً، ولا قصة طلب حديث بصوم سنة.

١٠- بهذا يتبيَّن أن هذا الحديث بما فيه من قصة سند، وبما فيه من قصة الأعرابى الذى يسأل والرسول ﷺ يجيب، لا يصح.

والحديث مكذوب مختلق ليس هو فى شيء من كتب السنة المعتمدة، لا الصحيحين ولا السنن ولا المسانيد، ومن علم أنه كذب على رسول الله ﷺ ، لم يحل له أن يرويه عنه أو يكتبه.

١١- وعليه فإن الذين يقومون بطبع هذا الحديث وتصويره وتوزيعه على الغافلين الذين لا دراية لهم بالحديث، ويصدقون كل أحد، قد بيَّنا لهم حقيقة هذا الحديث؛ لعلهم عن طبعه وتصويره يرجعون، حيث إنهم كانوا يظنون أنهم بفعلهم هذا إلى الله يتقربون فهم فيما مضى معذورون، والآن بعد إقامة الحجة عليهم ببطلان الحديث ليس أمامهم إلا قول رسول الله ﷺ فى الحديث رقم (١٠٩) فـي «صحيح البخاري» من حديث سلمة بن الأكوع ﷺ قال: سمعت النبى ﷺ يقول: «**من يقل على ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار**».

١٢- فالذى كذبه واختلقه جمعه من أحاديث بعضها كذب وبعضها ملفق المعنى، والحديث فى مجموعه حديث منكر جدًا كما بيَّنا.

«بدعة صيام سنة لطلب حديث»

قول الإمام المستغفري: «قصدت مصر أريد العلم من الإمام أبى حامد المصري، والتمست منه حديث خالد بن الوليد فأمرنى بصوم سنة...».

وإن تعجب فعجب كيف يطلب المستغفرى الحديث من رجل، فيأمره هذا الرجل أن يفعل ما لم يفعله رسول الله ﷺ:

١- فقد ثبت فى «صحيح البخاري» ح (١٩٦٩) من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «ما رأيت رسول الله ﷺ استكمل صيام شهر إلا رمضان وما رأيته أكثر صيامًا منه فى شعبان».

٢- وثبت فى «صحيح البخاري» ح (٥٠٦٣) ومسلم ح (١٤٠١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبى ﷺ يسألون عن عبادة النبى ﷺ فلما أُخبروا بها كأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من النبى ﷺ ؟ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فأنا أصلى الليل أبدًا، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدًا. فجاء رسول الله ﷺ فقال: «**أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إنى لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكنى أصوم وأفطر، وأصلى وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتى فليس مني**». اهـ.

قال الحافظ فى «الفتح» (٩/ ٧): (قوله: «**فمن رغب عن سنتى فليس مني**» المراد بالسنة الطريقة، لا التي تقابل الفرض. والرغبة عن الشيء: الإعراض عنه إلى غيره). اهـ.

بديل صحيح لصيام الدهر

قال رسول الله ﷺ: «**ثلاث من كل شهر، ورمضان إلى رمضان، فهذا صيام الدهر كله**».

الحديث «صحيح»، أخرجه مسلم ح (١١٦٢) من حديث أبى قتادة الأنصاري.

«بدائل صحيحة لما جاء فى القصة من أسئلة»

١ – من الواهيات بالقصة: قال أحب أن أحشر يوم القيامة فى النور.

فقال رسول الله ﷺ : «**لا تظلم أحدًا تحشر يوم القيامة فى النور**».

البديل الصحيح: «اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة...». الحديث «صحيح» أخرجه أحمد ومسلم من حديث جابر.

٢– من الواهيات بالقصة: قال: أحب أن يرحمنى ربى يوم القيامة.

فقال رسول الله ﷺ : «ارحم نفسك وارحم عباده، يرحمك ربك يوم القيامة».

البديل الصحيح: «**الراحمون يرحمهم الرحمن تبارك وتعالى، ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء**». الحديث «صحيح» أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي والحاكم من حديث عبد الله بن عمرو، وقال الترمذي (٤/ ٢٨٥– شاكر): «هذا حديث حسن صحيح».

٣– من الواهيات بالقصة: قال: أحب أن أكون من المحسنين.

فقال رسول الله ﷺ: «**اعبد الله كأنك تراه، وإن لم تكن تراه فإنه يراك، تكن من المحسنين**».

البديل الصحيح: سؤال جبريل عليه السلام لرسول الله ﷺ: أخبرنى عن الإحسان؟ قال النبى ﷺ : «**أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**».

الحديث «صحيح»، أخرجه الإمام مسلم فى «صحيحه» ح(١)، حيث افتتح «صحيحه» بحديث جبريل الطويل من حديث عمر بن الخطاب، وفى آخره قال عمر رضي الله عنه: قال لى رسول الله ﷺ : «**يا عمر أتدرى من السائل؟** قلت: الله ورسوله أعلم. قال: فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم». اهـ.

٤ – من الواهيات بالقصة: قال: أحب أن يسترنى ربى يوم القيامة.

فقال رسول الله ﷺ : «**استر عيوب إخوانك يسترك الله يوم القيامة**».

البديل الصحيح: المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يُسْلِمُه، ومن كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة».

الحديث (صحيح) أخرجه البخاري ح (٢٤٤٢)، ح (٦٩٥١)، واللفظ له، ومسلم ح (٢٥٨٠).

٥- من الواهيات بالقصة: قال أحب أن يكمل إيماني.

فقال رسول الله ﷺ: **«حسِّن خلقك يكمل إيمانك»**.

البديل الصحيح: **«أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا»**.

الحديث: أخرجه أحمد وأبو داود وابن حبان والحاكم من حديث أبى هريرة. وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم.

قلت: محمد بن عمرو لم يرو له مسلم احتجاجًا، ولكن روى له متابعة، فالحديث حسن فقط. قال الذهبى فى «الميزان» (٣/ ٦٧٣/ ٨٠١٥): «محمد بن عمرو بن علقمة ابن وقاص الليثى المدنى شيخ مشهور، حسن الحديث، مكثر عن أبى سلمة ابن عبد الرحمن قد أخرج له الشيخان متابعة». اهـ.

قلت: وللحديث متابعة أخرجها ابن حبان (١٣١١)، ومتابعة أخرى عند أحمد (٢/ ٥٢٧)، والحاكم (١/ ٣) ويرتقى بهذه المتابعات إلى درجة الصحيح لغيره.

انظر تحقيقنا لحديث محمد بن عمرو فى كتابنا «علم مصطلح الحديث التطبيقي» (ص٢٥٧)، وبحثنا فى المتابعات والشواهد حتى ص (٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤).

هذا ما وفقنى الله إليه، وهو وحده من وراء القصد



(٢٧)

بحث تفصيلي حول طـرق
قصة ثعلبة بن حاطب الصحابي الجليل المفترى عليه

أولاً- تعريف بثعلبة بن حاطب:

أخرج الطبراني في «المعجم الكبير» (٢/ ٨٧) ح (١٣٩١) تحت ترجمة رقم (١٦٥): **ثعلبة بن حاطب الأنصاري بدري**: حدثنا الحسن بن هارون بن سليمان الأصبهاني، ثنا محمد بن إسحاق المسيبي، ثنا محمد بن فليح، عن موسى بن عقبة، عن ابن شهاب في تسمية من شهد بدراً من الأنصار من الأوس ثم من بني عمرو بن العوف ثم من بني أمية بن زيد ثعلبة بن حاطب.

ثانيًا- طرق هذه القصة:

١ - أخرج الطبراني في «المعجم الكبير» (٨/ ٢٦٠) ح (٧٨٧٣):

حدثنا أبو يزيد القراطيسي، ثنا أسد بن موسى، ثنا الوليد بن مسلم، ثنا معان بن رفاعة، عن علي بن يزيد، عن القاسم، عن أبي أمامة: أن ثعلبة بن حاطب الأنصاري أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله؛ ادع الله أن يرزقني مالاً[١] قال: «ويحك يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه» ثم رجع إليه، فقال: يا رسول الله؛ ادع الله أن يرزقني مالاً، قال: ويحك يا ثعلبة أما تريد أن تكون مثل رسول الله ﷺ، والله لو سألت أن يسيل لي الجبال ذهباً وفضة لسالت. ثم رجع إليه فقال يا رسول الله؛ ادعُ الله أن يرزقني مالاً، والله لئن أتاني الله مالاً لأوتين كل ذي حق حقه، فقال رسول الله ﷺ : «اللهم ارزق ثعلبة مالاً»، فاتخذ غنماً فنمت كما ينمو الدود، حتى ضاقت عنها أزقة المدينة، فتنحى بها، وكان يشهد الصلاة مع رسول الله ﷺ ، ثم يخرج إليها، ثم نمت حتى تعذرت عليه مراعي المدينة فتنحى بها، فكان يشهد الجمعة

(١) هناك تصحيف (مالاً) صُحفت إلى (الله)، وذلك في طبعة حمدي عبد المجيد السلفي.

مع رسول الله ﷺ ، ثم يخرج إليها، ثم نمت فتنحى بها، فترك الجمعة والجماعات، فيتلقى الركبان، ويقول: ماذا عندكم من الخبر؟ وما كان من أمر الناس؟ فأنزل الله -عز وجل- على رسوله ﷺ ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ (التوبة:١٠٣) قال: فاستعمل رسول الله ﷺ على الصدقات رجلين، رجل من الأنصار ورجل من بنى سليم، وكتب لهما سنة الصدقة وأسنانها، وأمرهما أن يصدِّقا الناس، وأن يمرا بثعلبة فيأخذا منه صدقة ماله، ففعلا حتى ذهبا إلى ثعلبة فأقرآه كتاب رسول الله ﷺ، فقال: صدِّقا الناس، فإذا فرغتما فمرا بى، ففعلا، فقال: والله ما هذه إلا أُخية الجزية، فانطلقا حتى لحقا رسول الله ﷺ وأنزل الله -عز وجل- على رسوله ﷺ ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ﴾ إلى قوله: ﴿يَكْذِبُونَ﴾ (التوبة:٧٥-٧٧). قال: فركب رجل من الأنصار قريب لثعلبة راحلة حتى أتى ثعلبة، فقال: ويحك يا ثعلبة؛ هلكت أنزل الله -عز وجل- فيك من القرآن كذا، فأقبل ثعلبة ووضع التراب على رأسه وهو يبكى ويقول: يا رسول الله يا رسول الله. فلم يقبل منه رسول الله ﷺ صدقته حتى قبض الله رسوله ﷺ ، ثم أتى أبا بكر رضي الله عنه بعد رسول الله ﷺ فقال: يا أبا بكر قد عرفت موقعى من قومى، ومكانى من رسول الله ﷺ ؛ فاقبل منى، فأبى أن يقبله، ثم أتى عمر رضي الله عنه فأبى أن يقبل منه، ثم أتى عثمان رضي الله عنه فأبى أن يقبل منه، ثم مات فى خلافة عثمان رضي الله عنه.

٢- أخرج ابن جرير الطبرى فى تفسيره المسمى «جامع البيان فى تأويل القرآن» (٦/ ٤٧٦، ٤٧٧ ط دار الغد) ح (١٧٠٠٢):

حدثنى المثنى قال، حدثنا هشام بن عمار، قال: حدثنا محمد بن شعيب، قال: حدثنا معان بن رفاعة السلمى، عن أبى عبد الملك علىّ بن يزيد الألهانى؛ أنه أخبره عن القاسم بن عبد الرحمن؛ أنه أخبره عن أبى أمامة الباهلى، عن ثعلبة بن حاطب الأنصارى: أنه قال لرسول الله ﷺ : ادعُ الله أن يرزقنى مالاً. فقال رسول الله ﷺ: «ويحك يا ثعلبة، قليل تؤدى شكره، خير من كثير لا تطيقه!» قال: ثم قال مرة أخرى، فقال: «أما ترضى أن تكون مثل نبى الله، فوالذى نفسى بيده، لو شئت أن

تسير معى الجبال ذهبًا وفضة لسارت!» قال: والذى بعثك بالحق لئن دعوت الله فرزقنى مالاً، لأعطين كل ذى حق حقه! فقال رسول الله ﷺ : «اللهم ارزق ثعلبة مالاً!» قال: فاتخذ غنماً، فنمت كما تنمو الدود، فضاقت عليه المدينة، فتنحى عنها، فنزل وادياً من أوديتها، حتى جعل يصلى الظهر والعصر فى جماعة، ويترك ما سواهما. ثم نمت وكثرت، فتنحى حتى ترك الصلوات إلا الجمعة، وهى تنمو كما ينمو الدود، حتى ترك الجمعة، فطفق يتلقى الركبان يوم الجمعة، يسألهم عن الأخبار، فقال: رسول الله ﷺ : «**ما فعل ثعلبة؟**» فقالوا: يا رسول الله، اتخذ غنما فضاقت عليه المدينة! فأخبروه بأمره، فقال: «**يا ويح ثعلبة، يا ويح ثعلبة، يا ويح ثعلبة!**» قال: وأنزل الله: ﴿**خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ**﴾ (التوبة:١٠٣) الآية، ونزلت عليه فرائض الصدقة، فبعث رسول الله ﷺ رجلين على الصدقة، رجلاً من جهينة، ورجلاً من سليم، وكتب لهما كيف يأخذان الصدقة من المسلمين، وقال لهما: مرا بثعلبة، وبفلان، رجل من بنى سليم، فخذا صدقاتهما! فخرجا حتى أتيا ثعلبة، فسألاه الصدقة؛ وأقرآه كتاب رسول الله ﷺ فقال: ما هذه إلا جزية! ما هذه إلا أخت الجزية! ما أدرى ما هذا!! انطلقا حتى تفرغا ثم عودا إلى، فانطلقا، وسمع بهما السُّلمى، فنظر إلى خيار أسنان إبله، فعزلها للصدقة، ثم استقبلهم بها، فلما رأوها قالوا: ما يجب عليك هذا، وما نريد أن نأخذ هذا منك. قال: بلى، فخذوه، فإن نفسى بذلك طيبة، وإنما هى لى! فأخذوها منه، فلما فرغا من صدقاتهما، رجعا حتى مرا بثعلبة، فقال: أرونى كتابكما! فنظر فيه فقال: ما هذه إلا أخت الجزية، انطلقا حتى أرى رأيى، فانطلقا حتى أتيا النبى ﷺ ، فلما رآهما قال: «**يا ويح ثعلبة!**» قبل أن يكلمهما، ودعا للمسلمين بالبركة، فأخبراه بالذى صنع ثعلبة، والذى صنع السلمى، فأنزل الله تبارك وتعالى فيه: ﴿**۞ وَمِنۡهُم مَّنۡ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنۡ ءَاتَىٰنَا مِن فَضۡلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ**﴾ إلى قوله: ﴿**وَبِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ**﴾، وعند رسول الله ﷺ رجل من أقارب ثعلبة، فسمع ذلك، فخرج حتى أتاه، فقال: ويحك يا ثعلبة؛ قد أنزل الله فيك كذا وكذا! فخرج ثعلبة حتى أتى النبى ﷺ ، فسأله أن يقبل منه صدقته، فقال: إن

الله منعنى أن أقبل منك صدقتك، فجعل يحثى على رأسه التراب، فقال له رسول الله ﷺ : «هذا عملك، قد أمرتك فلم تطعني!» فلما أبي أن يقبض رسول الله ﷺ رجع إلى منزله، وقبض رسول الله ﷺ ، ولم يقبل منه شيئاً. ثم أتى أبا بكر حين استخلف، فقال: قد علمت منزلتى من رسول الله ﷺ، وموضعى من الأنصار، فاقبل صدقتى! فقال أبو بكر: لم يقبلها رسول الله ﷺ وأنا أقبلها؟! فقبض أبو بكر، ولم يقبضها ، فلما ولى عمر، أتاه فقال: يا أمير المؤمنين، اقبل صدقتي! فقال: لم يقبلها رسول الله ﷺ، ولا أبو بكر، وأنا أقبلها منك؟! فقبض ولم يقبلها ، ثم ولى عثمان -رحمة الله عليه-، فأتاه فسأله أن يقبل صدقته، فقال: لم يقبلها رسول الله ﷺ ولا أبو بكر ولا عمر -رضوان الله عليهما- وأنا أقبلها منك؟! فلم يقبلها منه، وهلك ثعلبة فى خلافة عثمان رضى الله عن عثمان.

الطريق الثاني لقصة ثعلبة بن حاطب

أخرج الطبرى فى «تفسيره» (٦/ ٤٧٦ - دار الغد) ح (١٧٠٠١):

حدثنى محمد بن سعد، قال: حدثنى أبى، قال: حدثنى عمي، قال: حدثنى أبى، عن أبيه، عن ابن عباس قوله: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ﴾ الآية، وذلك أن رجلاً يقال له: «ثعلبة بن حاطب»، من الأنصار، أتى مجلساً فأشهدهم فقال: لئن أتانى الله من فضله، آتيت منه كل ذى حق حقه، وتصدقت منه، ووصلت منه القرابة! فابتلاه الله فآتاه من فضله، فأخلف الله ما وعده، وأغضب الله بما أخلف ما وعده . فقص الله شأنه فى القرآن: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ﴾، الآية إلى قوله: ﴿يَكْذِبُونَ﴾.

وكذلك أخرج ابن أبى حاتم فى «تفسيره» ، وابن مردويه، والبيهقى فى «الدلائل» من هذا الطريق، كذا في «الدر المنثور» (٣/ ٢٦١).

التحقيق لهذا الطريق

أولاً- محمد بن سعد: هو محمد بن سعد بن محمد بن الحسن بن عطية بن سعد بن جنادة، أبو جعفر العوفي، من بني عوف بن سعد- فخذ- من بني عمرو بن عياذ بن يشكر بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصي بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان. قاله الخطيب في «تاريخ بغداد» (٥/ ٣٢٢).

قلت: ذكرت اسمه ونسبه حتى أستطيع أن أقف على أبيه وجده وجدّ أبيه وجدّ جده، والضمير كله عائد على الراوى محمد الذى حدَّث عنه ابن جرير الطبرى.

١ - فمحمد بن سعد. قال الخطيب فيه: كان ليناً فى الحديث.

٢- أبوه: سعد بن محمد بن الحسن العوفى. أورده الحافظ ابن حجر فى «اللسان» (٣/ ٢٤) ترجمة رقم (٣٦٥٠) قال: « سعد بن محمد بن الحسن بن عطية بن سعد العوفي، عن أبيه وعمه الحسين بن الحسن، وفليح فى آخرين، روى عنه ابنه محمد، وابن أبى الدنيا، ومحمد بن غالب تمتام ، وغيرهم. قال أحمد فيه: جهمى. قال: ولم يكن هذا أيضاً ممن يستاهل أن يكتب عنه، ولا كان موضعاً لذاك، حكاه الخطيب.

٣- عم أبيه: هو الحسين بن الحسن بن عطية، أبو عبد الله العوفى. أورده ابن حبان فى «المجروحين» (١/ ٢٤٦)، وقال فيه: «حسين بن الحسن بن عطية العوفى كنيته أبو عبد الله، كان على قضاء بغداد، روى عنه البغداديون والكوفيون، منكر الحديث، يروى عن الأعمش وغيره أشياء لا يُتابع عليها، كأنه كان يقلبها، وربما رفع المراسيل وأسند الموقوفات، ولا يجوز الاحتجاج بخبره».

وأورده الذهبى فى «الميزان» (١/ ٥٣٢) تراجم رقم (١٩٩١) وأقر قول ابن حبان وقال: روى عنه ابنه الحسن وابن أخيه سعد بن محمد.

٤- جد أبيه: الحسن بن عطية. أورده الذهبى فى «الميزان» (١/ ٥٠٣) تراجم (١٨٨٩) وقال فيه: «الحسن بن عطية العوفى. عن أبيه ، وعنه ابناه حسن ومحمد،

وأخواه عبد الله وعمرو، وسفيان الثورى ، وحَكّام بن سَلْم. قال البخارى: ليس بذاك. وقال أبو حاتم: ضعيف».

٥- جد جده: عطية بن سعد بن جنادة العوفى. أورده ابن حبان فى «الضعفاء» (٢/ ١٧٦) وقال فيه: «كنيته أبو الحسن من أهل الكوفة، يروى عن أبى سعيد الخدرى. روى عنه فراس بن يحيى وفضيل بن مرزوق. سمع من أبى سعيد الخدرى أحاديث، فلما مات أبو سعيد جعل يجالس الكلبى ويحضر قصصه، فإذا قال الكلبى: قال رسول الله بكذا، فيحفظه وكنّاه أبا سعيد ويروي عنه، فإذا قيل له: مَنْ حدَّثك بهذا؟ فيقول: حدثني أبو سعيد فيتوهمون أنه يريد أبا سعيد الخدري، وإنما أراد به الكلبى. فلا يحل الاحتجاج به، ولا كتابة حديثه إلا على جهة التعجب. ومات عطية سنة سبع وعشرين ومائة. سمعت مكحولاً يقول: سمعت جعفر بن أبان يقول: ابن نمير يقول: قال لى أبو خالد الأحمر، قال لى الكلبى: قال له عطية: كنَّيتك بأبى سعيد قال: فأنا أقول: حدثنا أبو سعيد».

قلت: فهذا الطريق مسلسل بالعوفيين وهم ضعفاء، وهو إسناد ساقط، لا يسوى عند أهل الحديث شيئاً، وهذه السلسلة – سلسلة العوفيين – فهى سلسلة العجب.

الطريق الثالث لقصة ثعلبة بن حاطب

أخرجه ابن جرير الطبرى فى «تفسيره» (٦/ ٤٧٨) ح (١٧٠٠٥): «حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن عمرو بن عبيد، عن الحسن: ﴿۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ﴾ الآية، وكان الذى عاهد الله منهم: ثعلبة بن حاطب، ومعتب بن قشير، وهما من بنى عمرو بن عوف».

تحقيق هذا الطريق

١- ابن حميد: هو محمد بن حميد. أورده العقيلى فى «الضعفاء الكبير» (٤/ ٦١) تراجم (١٦١٢)، وقال: حدثنى آدم، قال: «سمعت البخارى، قال: محمد بن حميد أبو عبد الله الرازى: فيه نظر.

حدثنى إبراهيم بن يوسف قال: كتب أبو زرعة، ومحمد بن مسلم، عن محمد بن حميد، حدثنا كثيراً ثم تركا الرواية».

وأورده ابن حبان فى «المجروحين» (٢/ ٢٠٤) وقال: «كان ممن ينفرد عن الثقات بالأشياء المقلوبات، ولا سيما إذا حدَّث عن شيوخ بلده». ثم قال: «قال أبو زرعة وابن وارة: صح عندنا أنه يكذب قال: فرأيت أبى بعد ذلك إذا ذكر ابن حميد نفض يده».

٢- سلمة هو ابن الفضل الأبرش، قاضى الرى، وراوى المغازى عن ابن إسحاق.

قال النسائى فى «الضعفاء والمتروكين» (٢٤١) : ضعيف

قال العقيلى فى «الضعفاء الكبير» (٢/ ١٥٠): تراجم (٦٥٠):

حدثنا محمد بن عيسى، قال: حدثنا صالح، قال: سمعت عليّ ابن المديني يقول: ما خرجنا من الرى حتى رمينا بحديث سلمة.

حدثنى آدم، قال: سمعت البخارى، قال: سلمة بن الفضل أبو عبد الله الأبرش، عن محمد بن إسحاق وغيره فى حديثه بعض المناكير.

قال البخارى فى «التاريخ الكبير» (٤/ ٨٤) تراجم (٢٠٤٤): سلمة بن الفضل أبو عبد الله الأبرش الرازى الأنصارى ، سمع محمد بن إسحاق، روى عنه عبد الله ابن محمد الجعفى، عنده مناكير، يقال مولاهم، مات بعد التسعين، وهَّنه عليٌّ.

٣- ابن إسحاق هو الإمام الحافظ مصنف المغازي، محمد بن إسحاق بن يسار مولى قيس بن مخرمة، حدَّث عن أبيه وعمه موسى، والقاسم وعطاء.

قال الحافظ فى «التقريب» (٢/ ١٤٤) : صدوق يدلس، ورمى بالتشيع والقدر.

ولذلك أورده الحافظ فى كتابه «طبقات المدلسين» (ص٧٩) :وجعله فى المرتبة الرابعة برقم (٩)، وقال: صدوق مشهور بالتدليس عن الضعفاء المجهولين، وعن شر منهم، وصفه بالتدليس ابن حبان.

قلت: وتلك المرتبة، قال عنها الحافظ ابن حجر فى مقدمة كتابه «طبقات المدلسين» (ص٢٢):

الرابعة: من اتفق على أنه لا يحتج بشيء من حديثهم إلا بما صرّحوا فيه بالسماع لكثرة تدليسهم على الضعفاء والمجاهيل، كبقية بن الوليد.

قلت: وبالنظر إلى السند نجد أن ابن إسحاق لم يصّرح بالسماع كما هو ظاهر من العنعنة، ولذلك لا تقبل روايته.

٤- عمرو بن عبيد هو: عمرو بن عبيد بن باب، أبو عثمان البصرى المعتزلى القدرى مع زهده وتألهه، أورده الإمام الذهبى فى «الميزان» (٣/ ٢٧٤) تراجم (٦٤٠٤)، وقال:

قال ابن معين: لا يكتب حديثه. وقال النسائى: متروك الحديث. وقال أيوب ويونس: يكذب. وقال حميد: كان يكذب على الحسن. وقال ابن حبان: كان من أهل الورع والعبادة إلى أن أحدث ما أحدث.

واعتزل مجلس الحسن هو وجماعة معه، فسُموا المعتزلة. قال: وكان يشتم الصحابة، ويكذب فى الحديث وهمًا لا تعمداً . وقال الدارقطنى وغيره: ضعيف.

٥- الحسن: هو ابن أبى الحسن البصرى.

قال فيه الحافظ فى «التقريب» (١/ ١٦٥) : كان يرسل كثيراً ويدلس.

قلت: ولما كان تفسير الحسن متعلقاً بأسباب النزول، وهو من التابعين فهو مرسل.

وبهذه العلل الخمسة يصبح هذا الطريق واهياً، بل موضوعاً بعمرو بن عبيد.

وبهذا تصبح طرق القصة كلها واهية؛ لما فيها من متروكين وكذابين، وممن هو منكر الحديث ومَنْ لا يحل كتابة حديثه إلا على جهة التعجب.

فهذه الطرق لا تزيد القصة إلا وهنًا على وهن. كما بيّنه ابن الصلاح فى مقدمته (ص١٠٧- ط دار الكتب) حيث قال: «لعل الباحث الفَهِم يقول: إنا نجد أحاديث

محكوماً بضعفها مع كونها قد رويت بأسانيد كثيرة من وجوه عديدة، مثل حديث: «الأذنان من الرأس» ونحوه، فهلا جعلتم ذلك وأمثاله من نوع الحسن؛ لأن بعض ذلك عضَّد بعضاً، كما قلتم في نوع الحسن على ما سبق آنفًا؟

وجواب ذلك، أن ليس كل ضعف فى الحديث يزول بمجيئه من وجوه، بل ذلك، يتفاوت : فمن ضعف يزيله ذلك، بأن يكون ضعفه ناشئاً من ضعف حفظ راويه مع كونه من أهل الصدق والديانة. فإذا رأينا ما رواه قد جاء من وجه آخر، عرفنا أنه مما قد حفظه ولم يختل فيه ضبطه له، وكذلك إذا كان ضعفه من حيث الإرسال، زال بنحو ذلك، كما في المرسل الذي يرسله إمام حافظ، إذ فيه ضعف قليل، يزول بروايته من وجه آخر. ومن ذلك ضعف لا يزول بنحو ذلك لقوة الضعف، وتقاعد هذا الجابر عن جبره ومقاومته، وذلك كالضعف الذي ينشأ من كون الراوي متهماً بالكذب أو كون الحديث شاذاً. وهذه جملة تفاصيلها تدرك بالمباشرة والبحث، فاعلم ذلك فإنه من النفائس العزيزة، والله أعلم».

ولقد أجمل ما فصّلناه آنفاً الشيخ أبو عبد الرحمن مقبل بن هادى الوادعى فى مقدمة كتابه «الصحيح المسند من أسباب النزول» مبينًا التساهل فى نقل ما لم يثبت فى كتب التفسير، ومخالفة هذه القصة لأصل من أصول الشريعة، حيث قال (ص٩): «وإليك مثالاً واحداً يصدق ما قاله هذان الإمامان من أنه قد وقع التساهل فى نقل ما لم يثبت فى كتب التفسير، وهذا المثال هو قصة ثعلبة بن حاطب التى فيها «قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه» وهذه القصة يذكرها المفسرون عند تفسير قوله الله سبحانه وتعالى: ﴿۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ ويمكن أنه لا يوجد تفسير إلا وهى مذكورة فيه، وقلَّ من نبَّه على عدم صحتها. أما جهابذة علماء الحديث ونقاده، فإليك ما قالوه فيها: قال الإمام أبو محمد بن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد ذكره لها من طريق مسكين بن بكير، نا معان بن رفاعة السلمي، عن عليّ بن يزيد، عن القاسم بن عبد الرحمن، عن أبى أمامة قال: جاء ثعلبة بن حاطب بصدقته إلى عمر فلم يقبلها، وقال: لم يقبلها النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ولا أبو بكر ولا أقبلها. قال أبو محمد: وهذا باطل بلا شك؛

لأن الله تعالى أمر بقبض زكاة أموال المسلمين، وأمر عليه السلام عند موته ألا يبقى فى جزيرة العرب دينان، فلا يخلو ثعلبة من أن يكون مسلماً ففرضٌ على أبى بكر وعمر قبض زكاته ولابد، ولا فسحة فى ذلك. وإن كان كافراً ففرضٌ ألا يقر فى جزيرة العرب، فسقط هذا الأثر بلا شك، وفى رواته معان بن رفاعة والقاسم بن عبد الرحمن وعليّ بن يزيد وهو أبو عبد الملك الألهاني، وكلهم ضعفاء، ومسكين بن بكير ليس بالقوى. اهـ. (ج ١١ من المحلى ص ٢٠٨).

وقال السيوطى فى «لباب النقول»: إن سندها ضعيف. وقال الحافظ فى «تخريج الكشاف»: إن فى سندها عليّ بن يزيد الألهانى وهو واه. وقال فى «الفتح» (ج ٣ ص ٨) بعد ذكر بعض القصة: لكنه حديث ضعيف لا يحتج به. اهـ.

وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (ج ٧ ص ٣٢): رواه الطبراني، وفيه علي بن يزيد الألهاني وهو متروك.

وقال فيه الذهبي في «تجريد أسماء الصحابة»: إنه حديث منكر بمرة.

وقال المناوي في «فيض القدير» (ج ٤ ص ٥٢٧): قال البيهقي: في إسناد هذا الحديث نظر، وهو مشهور بين أهل التفسير. اهـ.

وأشار فى «الإصابة» إلى عدم صحة هذا الحديث، فإنه ساق هذا الحديث فى ترجمة ثعلبة هذا، ثم قال: وفى كونه صاحب هذه القصة إن صح الخبر -ولا أظنه يصح- وهو البدرى نظر. اهـ. كلام المناوي.

وقال الحافظ العراقى فى تخريج الإحياء (ج ٣ ص ٣٣٨) بسندها ضعيف. وإنما مثلت بهذه القصة لشهرتها فى كتب التفاسير، ولأن كثيرًا من إخواننا المشتغلين بالوعظ والإرشاد وفقنى الله وإياهم يستحسنونها ويلقونها على العامة غير منتبهين، مع عدم صحتها سنداً فهى لا تصح معنى، إذ فيها مخالفة لأصل من أصول الشريعة، وهو أن التائب لو بلغت ذنوبه عنان السماء ثم تاب، تاب الله عليه».

❊ ❊ ❊ ❊

(٢٨)

قصة بلال وشدِّ الرحال إلى قبـر النبي ﷺ (*)

نواصل فى هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم، حتى يقف على حقيقة هذه القصة التى اشتهرت على ألسنة الخطباء والوعاظ والقصاص.

ومن الأسباب التى جعلتنى أحذر من هذه القصة أن الأستاذ الدكتور رئيس قسم العقيدة السابق بكلية أصول الدين جامعة الأزهر –حفظها الله– فرع المنصورة أورد هذه القصة فى كتابه: «هل من الشرك التوسل بالأنبياء والأولياء » ص (٥٨) حيث اتخذ منها دليلاً على شد الرحال إلى القبور والتوسل بالموتى، وتمريغ الوجه على قبورهم. ونحن لا نذكر أسماء هؤلاء الخطباء، ولا الوعاظ، ولا القصاص، ولا اسم الدكتور؛ لأننا نقدم نموذجًا صالحًا للنقد العلمى النزيه القائم على البحث والالتزام بالقواعد العلمية الصحيحة الذى به نبين للناس حقيقة هذه القصة، فالأشخاص زائلون، والقصة تذكر كل حين.

أولاً: متـن القصـة

عن أبى الدرداء قال: لما دخل عمر بن الخطاب ﷺ من فتح بيت المقدس وصار إلى الجابية سأله بلال أن يقره بالشام ففعل ذلك، فقال: وأخى أبو رويحة الذى آخى بينى وبينه رسول الله ﷺ فنزل دارنا فى خولان، فأقبل هو وأخوه إلى قوم من خولان فقال لهم: قد أتيناكم خاطبين، وقد كنا كافرين فهدانا الله، ومملوكين فأعتقنا الله وفقيرين فأغنانا الله، فإن تزوجونا فالحمد لله، وإن تردونا فلا حول ولا قوة إلا بالله. فزوجوهما.

ثم أن بلالا رأى فى منامه النبى ﷺ وهو يقول له: «ما هذه الجفوة يا بلال، أما آن لك أن تزورنى يا بلال، فانتبه حزينًا وجلاً خائفًا، فركب راحلته وقصد المدينة، فأتى قبر

(*) مجلة التوحيد، عدد ذي القعدة، ١٤٢٣هـ.

النبى ﷺ فجعل يبكى عنده ويمرغ وجهه عليه، فأقبل الحسن والحسين فجعل يضمهما ويقبلهما، فقالا له: يا بلال نشتهى نسمع أذانك الذى كنت تؤذن به لرسول الله ﷺ فى المسجد ففعل، فَعَلا سطح المسجد، فوقف موقفه الذى كان يقف فيه، فلما أن قال: الله أكبر ارتجت المدينة، فلما أن قال: أشهد أن لا إله إلا الله ازدادت رجتها، فلما أن قال أشهد أن محمدًا رسول الله خرجت العواتق من خدورهن؛ وقالوا: بعث رسول الله ﷺ فما رؤى يومٌ أكثر باكيًا ولا باكية بالمدينة بعد رسول الله ﷺ من ذلك اليوم». اهـ.

ثانيًا: التخريج

أخرج هذه القصة الحافظ ابن عساكر فى «تاريخ دمشق» فى ترجمة بلال، وأيضًا فى ترجمة: إبراهيم بن محمد بن سليمان بن بلال بن أبى الدرداء الأنصارى بإسناده عنه قال: قال حدثنى أبى محمد بن سليمان، عن أبيه سليمان بن بلال، عن أم الدرداء، عن أبى الدرداء قال: فذكر قصة قدوم بلال إلى الشام فى عهد عمر، ثم قدومه لقبر النبى ﷺ كذا فى «الصارم المنكي» ص (٢٢٨) لابن عبد الهادى رَحِمَهُ اللَّهُ .

ثالثًا: التحقيق

قلت: وهذا إسناد واهٍ، قال فيه الحافظ ابن عبد الهادى فى «الصارم» ص (٢٣٠): «هو أثر غريب منكر، وإسناده مجهول، وفيه انقطاع». اهـ.

قلت: وإلى القارئ الكريم البيان:

١ - إبراهيم بن محمد بن سليمان بن بلال بن أبى الدرداء:

قال الحافظ ابن عبد الهادي: «هذا شيخ لم يعرف بثقة وأمانة، ولا ضبط وعدالة، بل هو مجهول غير معروف بالنقل، ولا مشهور بالرواية، ولم يرو عنه غير محمد بن الفيض روى عنه هذا الأثر المنكر». اهـ.

قلت: وأورده الذهبى فى «الميزان» (١/ ٦٤) ترجمة (٢٠٥)، وقال: «فيه جهالة حدَّث عنه محمد بن الفيض الغسانى». اهـ.

قلت: وأورده الحافظ ابن حجر فى «اللسان» (١/ ١٠٧) ترجمة (٣٢١)، وقال: «إبراهيم بن محمد بن سليمان بن أبى الدرداء: فيه جهالة، حدَّث عنه محمد بن الفيض الغسانى». **قلت:** وبذلك وافق الحافظ ابنُ حجر فى «اللسان» الذهبيَّ فى «الميزان».

ثم قال الحافظ ابن حجرفى «اللسان» (١/ ١٠٧) :

« ترجم له ابن عساكر، ثم ساق من روايته عن أبيه ، عن جده، عن أم الدرداء، عن أبى الدرداء فى قصة «رحيل بلال إلى الشام»، وفى قصة «مجيئه إلى المدينة وأذانه بها، وارتجاج المدينة بالبكاء لأجل ذلك، وهى قصة بينة الوضع». اهـ.

٢- سليمان بن بلال: هو مجهول العين، ومجهول العين هو من ذُكر اسمه، ولكن لم يرو عنه إلا راوٍ واحد، وحكم روايته عدم القبول إلا إذا وُثِّق.

قلت: لكنه لم يوثقه أحد من أهل الجرح والتعديل، حيث قال الحافظ ابن عبد الهادي فى «الصارم» ص (٢٣٢): « لم يوثقه أحد من الأئمة فيما علمناه، ولم يذكر له البخارى ترجمة فى كتابه، وكذلك ابن أبى حاتم، ولا يعرف له سماع من أم الدرداء». وقال : «إنه غير معروف، لم يشتهر بحمل العلم ونقله».

قلت: وقول الحافظ ابن حجر فى «اللسان» (١/ ١٠٧): «هى قصة بينة الوضع»، تؤيده القرائن التى فى القصة.

رابعًا: القرائن التى تبين أن القصة واهية

القرينة الأولى:

قوله: « فأتى قبر رسول الله ﷺ وجعل يبكى عنده ».

وهذا باطل لأن أصحابه ﷺ دفنوه فى حجرة عائشة رضي الله عنها التى كانت تجاور المسجد، وكان حرص الصحابة شديداً على أن يظل قبره -عليه الصلاة والسلام- خارج المسجد فى كل توسعة تمت بمسجده الشريف... حدث هذا فى عصر عمر رضي الله عنه فلقد حرص حينما وسع المسجد فى عام ١٧ هـ - على أن تكون توسعة المسجد من

جميع الجهات إلا من الجهة الشرقية التى يقع فيها قبر الرسول ﷺ وبيته، فلم يمسها حتى لا يدخل القبر داخل المسجد الشريف.

ونفس هذا الحرص تم أيضًا فى عهد عثمان رضي الله عنه حينما وسَّع المسجد فى عام ٢٤ هـ، وسنوضح هذا بالتفصيل فى موضعه.

وهذه القصة المنكرة يدّعى واضعها أنها حدثت لبلال فى عهد عمر، وكأن القبر ظاهر كسائر القبور، يمكن لكل أحد أن يأتيه، ألم يعلم أن القبر فى عهد عمر كان فى حجرة عائشة رضي الله عنها وبيتها الذى لا يجوز لأحد أن يدخله إلا بإذن منها؟

وليرجع هؤلاء القصاص والوعاظ إلى ما أخرجه الحاكم فى «المستدرك» (٣/ ٩٣): فقد ثبت أنه لما طعن عمر رضي الله عنه أمر ابنه عبد الله رضي الله عنه أن يذهب إلى عائشة رضي الله عنها ويقول لها: «إن عمر يقول لك: إن كان لا يضرك ولا يضيّق عليك فإنى أحب أن أدفن مع صاحبيَّ»؛ فقالت: « إن ذلك لا يضرنى ولا يضيق عليَّ» قال: «فادفنونى معهما». اهـ.

فائـــدة:

ولئلا يتقول علينا متقول لعدم معرفته بعلوم الحديث، ومن أهم هذه العلوم معرفة «التواريخ والوفيات» نبين أهمية هذا العلم ونطبقه على ما أوردناه آنفًا فقد ذكر الإمام النووى رحمه الله فى «التقريب» (٢/ ٣٤٩ - تدريب) : النوع الستون «التواريخ والوفيات» قال: « هو فن مهم، به يعرف اتصال الحديث وانقطاعه، وقد ادعى قوم الرواية عن قوم فَنُظِرَ فى التاريخ فظهر أنهم زعموا الرواية عنهم بعد وفاتهم بسنين ». اهـ .

قلت: وبالبحث فى «التواريخ والوفيات» بالنسبة للصحابى الجليل بلال بن رباح:

١ - فقد ذكره الحافظ المزي فى «تهذيب الكمال» (٣/ ١٨٦/ ٧٦٩) قال: «بلال بن رباح القرشى التيمي أبو عبد الله، ويقال أبو عبد الرحمن، ويقال أبو عبد الكريم،

ويقال أبو عمرو، المؤذن مولى أبى بكر الصديق رضي الله عنهما وهو ابن حمامة، وهى أمه وكانت مولاة لبعض بنى جمح، قديم الإسلام والهجرة، شهد بدرًا وأحدًا والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وسكن دمشق.

قال البخارى: مات بالشام زمن عمر.

وقال أبو زُرْعَة الدمشقى: قبره بدمشق.

قال الذهلى عن يحيى بن بكير: مات بدمشق فى طاعون عمواس سنة سبع عشرة أو ثمانى عشرة، وقال الواقدى وعمرو بن علىّ: مات بدمشق سنة عشرين، وهو ابن بضع وستين سنة ». اهـ.

قلت: لذلك قال الحافظ ابن حجر فى «التقريب» (١/ ١١٠): «مات بالشام سنة سبع عشرة أو ثمان عشرة، وقيل: سنة عشرين، وله بضع وستون سنة». اهـ.

٢- **قلت**: وهذه الأقوال فى تاريخ وفاة بلال لا تخرج عن قول الإمام البخارى: «مات بالشام زمن عمر».

تاريخ وفاة عمر رضي الله عنه:

قال الحافظ ابن حجر فى «التقريب» (٢/ ٥٤): عمر بن الخطاب بن نُفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قُرْط بن رزاح بن عدى بن كعب القرشى العدوى أمير المؤمنين مشهور، جمّ المناقب، استشهد فى ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين، وولى الخلافة عشر سنين ونصفًا» اهـ.

قلت: نستنتج من ذلك أن وفاة عمر رضي الله عنه سنة ثلاث وعشرين، وبالمقارنة بين الأقوال فى تاريخ وفاة بلال رضي الله عنه وبين تاريخ وفاة عمر رضي الله عنه يتبين حقيقة ما قاله أمير المؤمنين فى الحديث الإمام البخاري: «مات بالشام زمن عمر»

والقبر فى عهد عمر كان فى حجرة عائشة رضي الله عنها وبيتها الذى لا يجوز لأحد أن يدخله إلا بإذن منها، كما بيّنا آنفًا.

وإن تعجب فعجب كيف سوَّلت لهؤلاء الوضاعين أنفسهم بأن جعلوا قبر النبى ﷺ وكأنه خارج حجرة عائشة ﵂ وخارج بيتها، يأتيه من قصد القبر من الصحابة، كبلال الصحابى الجليل، ليبكى عنده ويمرغ وجهه عليه.

القرينة الثانية:

قوله: «ويمرغ وجهه عليه» فليتق الله هؤلاء الوضاعون، فإن بلالاً ﵁ لم يكن من أولئك الجهلة الذين لا يقفون عند حدود الشرع إذا رأوا القبور فيفعلون عندها ما لا يجوز من الشركيات والوثنيات، كتلمس القبر، والتمسح به، والتمرغ عليه.

القرينة الثالثة:

قوله: «خرجت العواتق من خدورهن»، فما علاقة ذلك بسماع الشهادة الأخرى؟

من أجل ذلك جزم الحافظ ابن حجر بأن القصة موضوعة، والحافظ ابن عبد الهادي بأنه أثر غريب منكر، والحافظ المزي في «تهذيب الكمال» فى ترجمة بلال أشار إلى ضعفها، وكذلك الحافظ ابن كثير فى «البداية» (٢/ ١٠٢).

فائـدة هـامـــة:

حديث شد الرحال ودرء الشبهات

«لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدى هذا، والمسجد الأقصى». الحديث متفق عليه، أخرجه البخارى ومسلم من حديث أبى هريرة، وكذلك أبو داود ح (٢٠٣٣)، والنسائي (١/ ١١٤)، وابن ماجه ح(١٤٠٩)، والبيهقى (٥/ ٢٤٤)، وأحمد (٢/ ٢٣٤، ٢٣٨، ٢٧٨)، وجاء أيضًا من حديث أبى سعيد الخدرى أخرجه البخارى ومسلم، فالحديث متفق عليه أيضًا من حديث أبى سعيد، وأخرجه أيضًا الترمذى (٢/ ١٤٨ - شاكر)، وابن ماجه (١٤١٠)، وأحمد (٣/ ٧، ٣٤، ٤٥، ٥١، ٧٧).

وهناك شبهة يتعلق بها القبوريون لشد الرحال إلى القبور، ولقد انتشرت هذه الشبهة

واشتهرت حتى نشرت جريدة اللواء الإسلامى فى عددها (٢٧٨) فى الصفحة (٧) تحت عنوان «أنت تسأل والإسلام يجيب» لأحد الدكاترة قال: « أما حديث «**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد** .. » إلخ ذلك وارد فى خصوص المساجد، والمساجد غير المشاهد، وقبر الرسول يعتبر مشهدًا وهو غير المسجد».

كذلك أخذ بهذه الشبهة الدكتور العلمى فى كتابه «هل من الشرك التوسل بالأنبياء والأولياء» ص (٦٧) الفصل الخامس «حكم السفر لزيارة الصالحين والأولياء»، قال: (أما المانعون الذين يحرمون السفر لزيارة الأولياء والصالحين فقالوا أن ذلك ممنوع بنص الحديث، واستدلوا بما رواه أبو هريرة ﷺ عن النبى ﷺ : «**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدى هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصى**»).

قلت: ثم رد هذا المنع فقال: «وهذا استثناء مفرغ، ومعناه: أى لا تشد الرحال إلى مسجد إلا إلى هذه المساجد الثلاث ...» ثم يقول: «وهذا أولى لكون المستثنى من جنس المستثنى منه». ولقد نبه الشيخ الألبانى رَحِمَهُ ٱللَّهُ على هذه الشبهة الناتجة عن التأويل الباطل لهذا الحديث الصحيح، فقال فى «الضعيفة» (١/ ٦٤):

(تنبيه): يظن كثير من الناس أن شيخ الإسلام ابن تيمية ومن نحى نحوه من السلفيين يمنع من زيارة قبره ﷺ ، وهذا كذب وافتراء، وليست أول فرية على ابن تيمية -رحمه الله تعالى- وعليهم، وكل من له إطلاع على كتب ابن تيمية يعلم أنه يقول بمشروعية زيارة قبره ﷺ واستحبابها إذا لم يقترن بها شيء من المخالفات والبدع، مثل شد الرحال والسفر إليها؛ لعموم قوله ﷺ : «**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد**».

والمستثنى منه فى هذا الحديث ليس هو المساجد فقط، كما يظن كثيرون بل هو كل مكان يقصد للتقرب إلى الله فيه، سواء كان مسجدًا أو قبرًا أو غير ذلك، بدليل ما رواه أبو هريرة قال (فى حديث له): «فلقيت بصرة بن أبى بصرة الغفاري، فقال: من أين أقبلت؟ فقلت: من الطور، فقال: لو أدركتك قبل أن تخرج إليه ما خرجت. سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا تعمل المطي إلا إلى ثلاثة مساجد**» الحديث أخرجه أحمد وغيره بسند صحيح.

فهذا دليل صريح على أن الصحابة فهموا الحديث على عمومه، ويؤيده أنه لم ينقل عن أحد منهم أنه شد الرحل لزيارة قبر ما، فهم سلف ابن تيمية فى هذه المسألة، فمن طعن فيه، فإنما يطعن فى السلف الصالح ﷺ، ورحم الله من قال:

وكل خير فى اتبـاع مـن سلـف ❀ وكل شر من ابتداع من خلف

قلت: وهذا الفهم الصحيح للحديث وتفسير المستثنى منه فى الحديث بحديث آخر يبين فهم الصحابة للحديث ذكره الحافظ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادي الفقيه الحنبلى المقرئ المحدث الناقد النحوى الجبل الراسخ في «الصارم المنكى فى الرد على السبكى» ص(٢٤) وهو من تلاميذ شيخ الإسلام ابن تيمية يدافع فيه عن شيخه، حيث اتهمه السبكى بتحريم زيارة قبر الرسول ﷺ، حيث فرَّق بين الزيارة الشرعية التى سنها رسول الله ﷺ وبين البدعية التى لم يشرعها».

هذا ما وفقنى الله إليه، وهو وحده من وراء القصد



(٢٩)

قصة حج الرفاعي وتقبيل يد النبي ﷺ (*)

نواصل فى هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم، حتى يقف على حقيقة هذه القصة التى اشتهرت وانتشرت على ألسنة المتصوفة وفى كتبهم وقلدهم الدعاة الذين لا دراية لهم بالأصول فكثر الابتداع، فقد كتب بعضهم فى ترجمة حياة أحمد الرفاعى نقلاً عن أبى الهدى الصيادى قال: «فإنه -يعنى أحمد الرفاعى- لما حج ووقف تجاه قبر جناب جده الأعظم ﷺ قال: السلام عليك يا جدى، فقال له الحبيب الكريم: وعليك السلام يا ولدى. فهام لذلك وتواجد، وأنشد:

فى حالة البعد روحي كنت أرسلها ❁ تقبِّل الأرض عني فهي نائبتي

وهذه دولة الأشباح قد حضرتْ ❁ فامدد يمينك كي تحظي بها شفتيْ

فمُدت له يد جده الكريم -عليه أفضل الصلاة والتسليم- فقبلها، والألوف من الناس ينظرون، والقصة متواترة لا تقبل الدفاع». اهـ.

التحقيق

١- هذه القصة علامات الوضع ظاهرة عليها، شاهدة ببطلانها، كما فى تنبيهات الإمام ابن القيم فى «المنار المنيف» رقم (٤)، (١٢) كما سأبين فى الرد؛ إن شاء الله.

٢- **قلت**: ولذلك جاء فى فتاوى «اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء» (٣/ ١٧١) فتوى رقم (٦٩١١) ما نصه: «الأصل فى الميت نبيًا أو غيره أنه لا يتحرك فى قبره بمد يد أو غيرها، فما قيل من أن النبى ﷺ أخرج يده لبعض من سلَّم عليه غير صحيح، بل هو وهم وخيال، لا أساس له من الصحة». اهـ.

٣- ولقد كذب العلامة محمود شكري الألوسى تلك القصة فى «غاية الأمانى فى

(*) مجلة التوحيد، ذو الحجة، ١٤٢٣هـ.

الرد على النبهانى» (١/ ٢٢٢- ٢٢٤) حيث قال: «إنه قد ترجم لأحمد الرفاعى هذا جماعةٌ من المؤرخين على اختلافهم فى المذهب، ولم يذكروا هذه القصة فى ترجمته»، وقال أيضًا: «مع أن هذه القصة لو صحت لتوفرت الدواعى على نقلها؛ لأنها حادث عظيم وخارق عجيب، فالشيء الذى تتوفر الدواعى على نقله، ولم يذكره أحد من الثقات، بل ذكره الدجالون الضالون المضلون فهو لا شك تزوير وبهتان وكذب من إفك الشيطان». اهـ.

فائدة جليلة حول مسألة دعوى التواتر

قلت: وما ذكره هذا الذى ترجم حياة الرفاعى: «من أن القصة متواترة لا تقبل الدفاع» دعوى باطلة، يردها ما أورده الألوسى ردًا على النبهانى، والذى ذكرناه آنفًا، إنهم يريدون أن تشيع هذه القصة الواهية؛ ليتخذوا منها دليلاً على بدعتهم أن الرسول ﷺ يخرج من قبره ليحضر ما يسمى عند المتصوفة «الحضرة».

ويريد أهل الباطل أن يروجوا لهذه القصة الواهية؛ حتى يعتقد الناس عقيدة فاسدة فى خروج الرسول من قبره، وخروج يده، ليسلم على خاصة المتصوفة.

وإن تعجب فعجب قولهم:« إن هذه القصة متواترة، لا تقبل الدفاع».

قلت: إن القصة واهية، وإن دعوى التواتر باطلة.

أ- حيث إن الكتب المشهورة المتداولة بأيدى أهل العلم شرقًا وغربًا المقطوع عندهم بصحة نسبتها إلى مصنفيها لا توجد بها هذه القصة ولا مثلها.

فلم يثبت عن الخلفاء الأربعة أو العشرة المبشرين بالجنة، أو أصحاب بدر، أو أصحاب بيعة الرضوان، أو عامة الصحابة رضي الله عنهم أن أحدهم انشقت له الأرض، وخرجت له يد رسول الله ﷺ من القبر؛ ليقبلها بشفتيه. هل الرفاعى أفضل من هؤلاء جميعًا؟ ما لكم كيف تحكمون؟

وأخرج البخاري ح (٢٦٥٢)، (٣٦٥١)، (٦٤٢٩)، (٦٦٥٨)، ومسلم ح (٢٥٣٣)

من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ عن النبى ﷺ قال: «**خير الناس قرنى، ثم الذين يلُونَهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته**».

قلت: هؤلاء هم خير الناس كما بيَّنت السنة الصحيحة المطهرة، ولم تنشق الأرض لأحد منهم، وخرجت له يد الرسول ﷺ من قبره.

فأين الرفاعى من هؤلاء؛ أين هو من الصحابة؟ أين هو من التابعين؟ بل أين هو من أتباع التابعين؟ بل أين مكانه ومكانته وزمانه من الأحاديث التى وردت فى أعلى درجات الصحة؟

ب- إن هذه القصة تناقلها الرفاعية، ولهم من الكذب الكثير الذين يوهمون به الناس أنهم أصحاب كرامات، لكنه الدجل والضلال؛ من أكل الحيات الحية ودخولهم النار وغير ذلك من الأمور العظيمة الباطلة شرعًا وعقلاً، ولشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ مناظرة علنية لدجاجلة الرفاعية لإبطال حيلهم وبدعهم وكذبهم، كما فى «مجموعة الرسائل والمسائل» (١/ ١٤٤-١٥٥).

والتواطؤ على الكذب الذى به تهدم دعوى التواتر لهذه القصة ظاهر من قول العلامة الألوسى: «الشيء الذى تتوفر الدواعى على نقله، ولم يذكره أحد من الثقات، بل ذكره الدجالون الضالون المضلون فهو لا شك تزوير وبهتان وكذب من إفك الشيطان». اهـ.

مسألة الألوف التى شاهدت خروج يد النبى ﷺ من قبره

٤-**قلت**: أما عن قوله: «فمُدت له يد جده الكريم -عليه أفضل الصلاة والتسليم- فقبلها والألوف من الناس ينظرون». اهـ.

فهو كذب وبهتان حيث قال الألوسى فى «غاية الأمانى فى الرد على النبهانى» (١/ ٢٢٢-٢٢٤): إن الدجالين الذين رووا هذه القصة المكذوبة ادعوا أن من كان حاضرًا هناك، ورأوا اليد، وسمعوا رد السلام نحو مائة ألف أو يزيدون، سبحانك

ربى هذا بهتان عظيم، كيف يمكن أن يكون هناك هذا العدد الكثير؟ وأى محل فى المسجد يسعهم أو يسع عشر معشارهم؟ إن القبر قد أحاطت به الجدران، فمن أى شباك خرجت اليد؟ ومن المعلوم إذا كان أمر عجيب وشيء غريب، يتهافت على رؤيته الراؤون، فلا يمكن الرؤيا إلا للقريب، وكذلك سماع رد السلام كيف أمكن للجميع». اهـ.

مسألة هيام وتواجد الرفاعى عندما سمع صوت النبى ﷺ من قبره

٥- **قلت**: أما عن قوله: «لما حج الرفاعي ووقف تجاه قبر جده الأعظم ﷺ قال: السلام عليك يا جدي. فقال له الحبيب الكريم: وعليك السلام يا ولدى. فهام لذلك وتواجد، وأنشد.... ثم ذكر عن الرفاعى الأبيات التى أوردناها آنفًا فى القصة». اهـ.

فهو من الكذب والبهتان حيث قال الألوسي فى «غاية الأمانى فى الرد على النبهانى» (١/ ٢٢٢ - ٢٢٤): إن كثيرًا من أهل العلم والأدب نسب البيتين إلى غير أحمد الرفاعى، قال الشيخ صلاح الدين الصفدى فى «تذكرته»: حكى أن ابن الفارض لما اجتمع بالشهاب السهروردي فى مكة أنشده:

فى حالة البعد روحي كنت أرسلها ❁ تقبِّل الأرض عني فهي نائبتي
وهذه دولة الأشباح قد حضرتْ ❁ فامدد يمينك كي تحظي بها شفتي

وكفى ما ذكره الشيخ صلاح الدين شاهدًا على بطلان ما ادعاه غلاة الرفاعية ومبتدعتهم. اهـ.

الاستنتاج

نستنتج مما أوردناه أن القصة واهية، لذلك قال الألوسى فى «الرد على النبهانى»: «فانظر إلى هذه الأكذوبة التى لا تروج على ضعفاء العقول، ومع ذلك قد تمسك بها قوم سلب الله منهم الحياء، واتخذوها حبالة من حبائل مصائدهم، وأغراهم الله على مثل هذه الدعاوى الكاذبة ليفضحهم بها فى الدنيا والآخرة، انتقامًا لأهل الحق منهم». اهـ.

قلت: بهذا يتبين تواطؤ دجاجلة البطائحية الرفاعية على الكذب لينشروا هذه الفرية بين الناس فرية انشقاق الأرض عن يد النبى ﷺ وخروجها من قبره ليقبلها الرفاعي، ويتخذوا من هذه الفرية دليلاً على خروج رسول الله ﷺ من قبره، وأنهم يرونه يقظة كما رأوا يده.

مسألة رؤية النبى ﷺ يقظة

لقد ورد فى السؤال السادس من الفتوى ذات الرقم (٣٥٤٤) فتاوى «اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء» (٢/ ١٨٨):

هل صحيح أن النبى ﷺ يمكن أن يُرى فى اليقظة، كما يزعم الصوفية فى أنهم يرونه يقظة؟

الإجابة: «وأما دعوى أن رسول الله ﷺ يُرى يقظة، فهذا ليس بصحيح؛ لعدم الدليل الدال عليه، ولأنه ثبت عنه ﷺ : «**أنه أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة**».

فدل ذلك على أنه لا يخرج من قبره قبل يوم القيامة، ويدل على ذلك فى حقه وحق غيره: ﴿**إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ**﴾ (الزمر:٣٠) وقوله عز وجل: ﴿**ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ۝ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ**﴾ (المؤمنون:١٥، ١٦). فدل على أنه ليس هناك خروج من القبور قبل يوم القيامة». اهـ.

الصحيح الذي عليه أهل السنة

أخرج مسلم فى «صحيحه» ح (٢٤٩) كتاب الطهارة ح(٣٩) – باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل- إخوانه ﷺ وأصحابه، والنسائى فى «الكبرى» ح(١٤٣/ ٢) والصغرى (١/ ٩٣) وابن ماجه ح (٤٣٠٦) من حديث أبى هريرة أن رسول الله ﷺ أتى المقبرة فقال: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، وددت أنا قد رأينا إخواننا» قالوا: أولسنا إخوانك يا رسول الله؟ قال: «**أنتم أصحابى، وإخواننا الذين لم يأتوا بعد**». فقالوا: كيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك يا

رسول الله؟ فقال: «**أرأيت لو أن رجلاً له خيل غُر محجلة بين ظهريْ خيل دُهم بُهم ألا يعرف خيله**»؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «فإنهم يأتون غراً محجلين من الوضوء، وأنا فرطهم على الحوض، ألا ليذادن رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال، أناديهم ألا هلم. فيقال: إنهم قد بدلوا بعدك، فأقول: سحقًا سحقًا». واللفظ لمسلم.

وأخرج أحمد (٣/ ١٥٥) ح (١٢٦٠١) من حديث أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ : «**وددت أنى لاقيت إخوانى**». قال: فقال أصحاب النبى ﷺ : أو ليس نحن إخوانك؟ قال: «**أنتم أصحابي، ولكن إخواني الذين آمنوا بى ولم يرونى**».

قلت: من هذا الحديث يتبين أن القصة واهية، بل ومنكرة؛ حيث فيها أن الأرض انشقت عن يد رسول الله ﷺ وخرجت من القبر، وقبّلها أحمد الرفاعى.

وهل تخرج يد النبى ﷺ (سنة ٥٥٥ هجرية) للرفاعي، والرسول يقول: «وددت أني لقيت إخوان». ويقول ﷺ : «إخوانى الذين آمنوا بى ولم يرونى».

المترجم لحياة الرفاعى يربط بين الحج وزيارة قبر النبى ﷺ ؛ حيث قال: «فإنه لما حج ووقف تجاه قبر جناب جده الأعظم ﷺ ...». اهـ.

قلت: الصوفية دائمًا يربطون بين الحج وزيارة قبور الأنبياء والصالحين، ولذلك قال الإمام ابن عبد الهادى فى «الصارم» (ص٨٣): «السفر إلى زيارة قبور الأنبياء والصالحين كما يفعل أهل البدع، ويجعلون ذلك حجًا وأفضل من الحج أو قريبًا من الحج، حتى روى بعضهم حديثًا ذكره بعض المصنفين فى زماننا فى فضل من زار الخليل قال فيه: وقال وهب بن منبه: « إذا كان آخر الزمان حيل بين الناس وبين الحج، فمن لم يحج، ولحق بقبر إبراهيم فإن زيارته تعدل حجة» وهذا كذب على وهب بن منبه.

كما أن قوله: «من زارنى وزار أبى فى عام واحد ضمنت له على الله الجنة»، كذب على رسول الله ﷺ ، وقد ذكر بعض أهل العلم أن هذا الحديث إنما افتراه الكذابون

لما فُتح بيت المقدس، واستنقذ من أيدي النصارى على عهد صلاح الدين سنة بضع وثمانين وخمسمائة، فإن النصارى نقبوا قبر الخليل، وصار الناس يتمكنون من الدخول إلى الحفرة، وأما على عهد الصحابة والتابعين ووهب بن منبه وغيره فلم يكن هذا ممكنًا، ولا عُرف عن أحد من الصحابة والتابعين أنه سافر إلى قبر الخليل عليه السلام، ولا إلى قبر غيره من الأنبياء، ولا من أهل البيت ولا من المشايخ ولا غيرهم.

ووهب بن منبه كان باليمن لم يكن بالشام، ولكن كان من المحدثين عن بنى إسرائيل والأنبياء المتقدمين، مثل: كعب الأحبار، ومحمد بن إسحاق، ونحوهما.

وقد ذكر العلماء ما ذكره وهب في قصة الخليل، وليس فيه شيء من هذا، ولكن أهل الضلال افتروا آثارًا مكذوبة على الرسول وعلى الصحابة والتابعين توافق بدعهم، وقد رووا عن أهل البيت وغيرهم من الأكاذيب ما لا يتسع هذا الموضع لذكره، وغرض أولئك الحج إلى قبر عليّ، أو الحسين .. ». اهـ.

أحاديث غير صحيحة تربط الحج بزيارة قبر النبى ﷺ

حديث: «من حج ولم يزرنى فقد جفانى».

قلت: هذا حديث «ليس صحيحًا». أورده الذهبى فى «الميزان» (٤/ ٢٦٥/ ٩٠٩٥).

وقال: «هذا موضوع».

قلت: وعلتـه؛ النعمان بن شبل الباهلي، قال: حدثنى مالك، عن نافع، عن ابن عمر مرفوعًا فذكره.

قلت: والعجب من قول النعمان: حدثنى مالك، عن نافع، عن ابن عمر ، وقد نقل الإمام ابن كثير فى «اختصار علوم الحديث» (ص ١٨) عن البخاري: «أصح الأسانيد: مالك عن نافع عن ابن عمر».

قلت: انظر كيف سوَّلت للنعمان بن شبل نفسه أن يضع سندًا من أصح الأسانيد لحديث موضوع، ولذلك قال موسى بن هارون: كان متهمًا.

قلت: وأخرج هذا الحديث ابن حبان في «المجروحين» (٣/ ٧٣) من طريق مالك عن نافع عن ابن عمر، وقال: «النعمان بن شبل يأتي عن الثقات بالطامات، وعن الأثبات بالمقلوبات». اهـ.

قرينة تدل على وضعه

قال الألباني رحمه الله في «الضعيفة» (١/ ٦١) ح (٤٥): «ومما يدل على وضعه أن جفاء النبي ﷺ من الذنوب الكبائر إن لم يكن كفرًا، وعليه فمن ترك زيارته ﷺ يكون مرتكبًا لذنب كبير، وذلك يستلزم أن الزيارة واجبة كالحج، وهذا مما لا يقوله مسلم، ذلك لأن زيارته ﷺ وإن كانت من القربات فإنها لا تتجاوز عند العلماء حدود المستحبات. فكيف يكون تاركها مجافيًا للنبي ﷺ ومعرضًا عنه؟». اهـ.

زيارة المسجد النبوي في المدينة المنورة

والسنة قصد المسجد؛ لقوله ﷺ: «**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد...**»الحديث.

فإذا وصل إليه، وصلى التحية أو صلاة الفريضة إن كانت قد أقيمت زار قبره ﷺ.

وهنا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في «الفتاوى» (٢٧/ ٣٠): «فإن زيارة القبور على وجهين: وجه شرعي، ووجه بدعي:

فالزيارة الشرعية: مقصودها السلام على الميت والدعاء له، سواء كان نبيًا أو غير نبي، ولهذا كان الصحابة إذا زاروا النبي ﷺ يسلمون عليه، ويدعون له، ثم ينصرفون، ولم يكن أحد منهم يقف عند قبره ليدعو لنفسه؛ ولهذا كره مالك وغيره ذلك، وقالوا: إنه من البدع المحدثة، ولهذا اتفق السلف على أنه لا يستلم قبرًا من قبور الأنبياء وغيرهم، ولا يتمسح به، ولا يستحب الصلاة عنده، ولا قصده للدعاء عنده أو به... وهذه الأمور ونحوها هي من الزيارة البدعية». اهـ.

هذا ما وفقني الله إليه، وهو وحده من وراء القصد



(٣٠)

قصة لطم أبي جهل لأسماء بنت أبي بكر في الهجرة (*)

نواصل فى هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم؛ حتى يقف على حقيقة هذه القصة التى اشتهرت وانتشرت على ألسنة الخطباء والوعاظ والقصاص، واغتر الكثيرون بوجودها فى كتب السيرة.

أولاً: القصة

قال ابن إسحاق: فحُدِّثت عن أسماء بنت أبى بكر أنها قالت: لما خرج رسول الله ﷺ وأبو بكر ﷺ أتانا نفر من قريش فيهم أبو جهل ابن هشام، فوقفوا على باب أبى بكر فخرجت إليهم، فقالوا: أين أبوك يا بنت أبى بكر؟ قالت: قلت: لا أدرى والله أين أبى، قالت: فرفع أبو جهل -لعنه الله- يده، وكان فاحشاً خبيثاً، فلطم خدى لطمة، فطرح منها قرطي، قالت: ثم انصرف فمكثنا ثلاث ليالٍ، وما ندرى أين وجه رسول الله ﷺ ، حتى أقبل رجل من الجن من أسفل مكة، يتغنى بأبيات من شعر غناء العرب، وإن الناس ليتبعونه يسمعون صوته، وما يرونه حتى خرج من أعلى مكة، وهو يقول:

جزى اللهُ ربُّ الناس خير جزائه ❁ رفيقين حلاَّ خيمتي أم معبدِ
هما نزلا بالبر ثم تروحا ❁ فأفلح من أمسى رفيق محمدِ
ليهن بني كعب مكان فتاتهم ❁ ومقعدها للمؤمنين بمرصدِ

ثانيًا: التحقيق

القصة: (ليست صحيحة)، رواها ابن إسحاق كما فى «السيرة» (٢/ ١٠٩) لابن هشام: حيث أوردها ابن هشام فى «سيرة النبي» (٢/ ١٠٩) ح (٥١٣)،

(*) مجلة التوحيد، محرم، ١٤٢٤هـ.

فذكر أن ابن إسحاق قال: «فَحُدِّثْتُ عن أسماء بنت أبى بكر أنها قالت: لما خرج رسول الله ﷺ ....» القصة.

قلت: فسند القصة منقطع، يشهد لذلك صيغة الرواية فى قول ابن إسحاق: «فحُدِّثت» التي جاءت بصيغة المبنى للمجهول، التى تدل على أن هناك سقطاً فى الإسناد.

ويشهد لانقطاع السند أيضاً قول الحافظ ابن حجر فى «التقريب» (٢/ ١٤٤):

«محمد بن إسحاق بن يسار، أبو بكر، المطلبى، مولاهم المدني، نزيل العراق، إمام المغازى. صدوق يدلس، ورمى بالتشيع والقدر، من صغار الخامسة. مات سنة خمسين ومائة».

قلت: ورواية السند بصيغة المبنى للمجهول فيها إسقاط فى السند، وهذا أشد من تدليس الشيوخ. حيث يتسبب فى تضييع المروى عنه، وتوعير طريق معرفته على السامع.

كذلك يشهد لهذا الانقطاع، ما أورده الإمام المزي في «تهذيب الكمال» (٢٢/ ٢٩٠/ ٨٣٦٩) فى ذكر من روى عن أسماء بنت أبى بكر رضي الله عنها.

وما أورده المزي أيضاً في «تهذيب الكمال» (١٦/ ٧٠/ ٥٦٤٤) فى ذكر من روى عنهم محمد بن إسحاق.

أورده الإمام الذهبى فى «الميزان» (٣/ ٤٦٨/ ٧١٩٧)، ثم قال: «محمد بن إسحاق ابن يسار أبو بكر، المخرمي، مولاهم المدنى. ماله عندى ذنب إلا ما قد حشا فى السيرة من الأشياء المنكرة المنقطعة والأشعار المكذوبة».

قلت: وذكر الإمام المزى فى «تهذيب الكمال» (١٦/ ٧٨/ ٥٦٤٤): أن يعقوب بن شيبة قال: سمعت محمد بن عبد الله بن نمير، وذكر ابن إسحاق فقال: إذا حدَّث عمن سمع منه من المعروفين فهو حسن الحديث صدوق، وإنما أتى من أنه يحدث عن المجهولين أحاديث باطلة».

قلت: وبهذا التحقيق تصبح هذه القصة (باطلة)؛ حيث يُحدِّث فيها ابن إسحاق عن المجهولين.

طريق آخر للقصة

هذا الطريق ذكر فيه الرجل من الجن الذى أقبل من أسفل مكة يتغنى بأبيات من شعر غناء العرب، ولم يذكر فيه لطم أبى جهل لأسماء بنت أبى بكر.

والقصة من هذا الطريق جاءت من حديث زيد بن أرقم وأنس بن مالك والمغيرة بن شعبة يتحدثون أن النبى ﷺ ليلة الغار أمر الله شجرة فنبتت فى وجه النبى ﷺ فسترته، وأمر الله العنكبوت فنسجت على وجهه فسترته، وأمر الله حمامتين وحشيتين فوقعتا بفم الغار، وأقبل فتيان قريش، من كل بطن رجل ، بأسيافهم وعِصيّهم وهراواتهم، حتى إذا كانوا من النبى ﷺ قدر أربعين ذراعًا، نظر أولهم فرأى الحمامتين فرجع فقال له أصحابه: ما لك لم تنظر فى الغار؟ قال: رأيت حمامتين وحشيتين بفم الغار، فعرفت أن ليس فيه أحد، قال: فسمع النبى ﷺ قوله، فعرف أن الله قد درأ عنه بهما، فسمَّت النبى ﷺ عليهن، وفرض جزاءهن وانحدرن فى حرم الله، رجع الحديث إلى الأول.

قالوا: وكانت لأبى بكر منيحة غنم يرعاها عامر بن فهيرة، وكان يأتيهم بها ليلاً فيحتلبون، فإذا كان سَحَرًا سرح مع الناس، قالت عائشة: وجهزناهما أحب الجهاز، ووضعنا لهما سفرة فى جراب، فقطعت أسماء بنت أبى بكر قطعة من نطاقها فأوكت به الجراب، وقطعت أخرى فصيرته عصاماً لفم القربة، فبذلك سميت ذات النطاقين.

ومكث رسول الله ﷺ ، وأبو بكر فى الغار ثلاث ليالٍ، يبيت عندهما عبد الله بن أبى بكر، واستأجر أبو بكر رجلاً من بنى الديل هادياً خريتًا، يقال له عبد الله بن أريقط، وهو على دين الكفر، ولكنهما أمناه فارتحلا ومعهما عامر بن فهيرة، فأخذ بهم

ابن أريقط يرتجز، فما شعرت قريش أين وجّه رسول الله ﷺ ، حتى سمعوا صوتاً من جنى من أسفل مكة، ولا يرى شخصه:

جزى اللهُ ربُّ الناسِ خير جزائه ۞ رفيقين قالا خيمتي أم معبدِ
هما نزلا بالبر وارتحلا به ۞ فقد فاز من أمسى رفيق محمدِ

التخريج

القصة من هذا الطريق وبهذا اللفظ: أخرجها ابن سعد فى «الطبقات» (١/ ١١٠) حيث قال: «أخبرنا مسلم بن إبراهيم، أخبرنا عوف بن عمرو القيسى أخو رياح القيسى، أخبرنا أبو مصعب المكي، قال: أدركت زيد بن أرقم، وأنس بن مالك، والمغيرة بن شعبة فسمعتهم يتحدثون أن النبى ﷺ .. فذكر القصة.

التحقيق

القصة من هذا الطريق (ليست صحيحة)، وسندها لا يصلح للمتابعات والشواهد.

وفى السند علتان:

الأولى: عوف بن عمرو القيسى.

أورده الذهبى فى «الميزان» (٣/ ٣٠٦/ ٦٥٣٥) حيث قال: «عوف بن عمرو، أخو رياح بن عمرو، بصرى، قال ابن معين : لا شيء، وقال البخارى: عوف بن عمرو القيسي جليس لمعتمر، منكر الحديث مجهول».

فائدة هامة:

(١) **قلت**: من أشد صيغ الجرح عند البخاري قوله: «فلان منكر الحديث».

يظهر ذلك من قول السيوطى فى «التدريب» (١/ ٣٤٩): «البخارى يطلق (فيه نظر)، و(سكتوا عنه) فيمن تركوا حديثه. ويطلق (منكر الحديث) على من لا تحل الرواية عنه».

(٢) قول ابن معين: (لا شيء)، فسره الإمام ابن أبى حاتم فى كتابه «الجرح والتعديل» (٣/ ٣٢١) حيث قال: « معنى قول ابن معين: (لا شيء): ليس بثقة».

قلت: ولقد أورد الإمام الذهبى فى «الميزان» (٣/ ٣٠٧) هذه القصة وبهذا الطريق، وجعلها من مناكير عوف بن عمرو. حيث قال: « مسلم بن إبراهيم، حدثنا عوف بن عمرو، سمعت أبا مصعب المكى يقول: أدركت زيد بن أرقم وأنساً والمغيرة بن شعبة، وسمعتهم يتحدثون أن النبى ﷺ ليلة الغار قال: أمر الله شجرة نبتت فى وجه النبى ﷺ فسترته، وأمر الله حمامتين وحشيتين، فوقعتا بفم الغار... »الحديث. وأبو مصعب لا يعرف .

قلت: وهذه هى العلة الثانية. فمتن القصة يدور حول ثلاث جمل:-

الأولى: لطم أبى جهل لأسماء، وقد أثبتنا أن هذه الجملة (واهية) كما بيّنا فى التحقيق آنفًا.

الثانية: عدم دراية بيت أبى بكر بمكان رسول الله ﷺ، وقد أثبتنا أن هذه الجملة غير صحيحة، ومنكرة كما هو مبيّن فى التحقيق، وسنبين فى البديل الصحيح دراية بيت أبى بكر بمكان الرسول ﷺ ، وقيامهم بالإمداد والتمويه والإخبار.

الثالثة: إقبال رجل من الجن من أسفل مكة يتغنى بأبيات من الشعر من غناء العرب، وأن الناس يتبعونه ويسمعون صوته، وأن الجن هو الذى عرّف بيت أبى بكر بمكان النبي ﷺ. وهذه الجملة أثبتنا أنها باطلة، وأن الطريق الآخر الذى جاءت فيه باطل، لا يصلح للمتابعات والشواهد، لما فيه من متروكين ومجهولين، وحتى لا يتقول علينا من لا دراية له بهذا الفن، ويقول: إن الرجل من الجن الذى تغنى بالشعر وتبعه الناس له شاهد يقويه، فقد بيّنا أن هذا الطريق لا يصلح أن يكون شاهداً.

حيث قال الإمام ابن الصلاح فى «مقدمته» ص (١٠٧): « أن ليس كل ضعف في الحديث يزول بمجيئه من وجوه، بل ذلك يتفاوت، ومن ذلك ضعف لا يزول بنحو

ذلك لقوة الضعف، وتقاعد هذا الجابر عن جبره ومقاومته، وذلك كالضعف الذى ينشأ من كون الراوى متهماً بالكذب، أو كون الحديث شاذاً، وهذه جملة تفاصيلها تدرك بالمباشرة والبحث، فاعلم ذلك فإنه من النفائس العزيزة». اهـ.

قلت: وهناك روايات أخرى يذكر فيها هذا الشعر دون ذكر لجملة لطم أبى جهل لأسماء، ودون ذكر للرجل من الجن الذى أقبل والناس يتبعونه، كما فى الرواية التى أخرجها الطبرانى فى «الكبير» (٤/ ٤٨) ح(٣٦٠٥) من حديث حبيش بن خالد.

وهذه أيضاً رواية (غير صحيحة)، حيث أوردها الهيثمى فى «مجمع الزوائد» (٥/ ٥٨)، وقال: «وفى إسناده جماعة لم أعرفهم».

بدائل صحيحة

سنذكر البدائل الصحيحة التى تبيِّن دراية بيت أبى بكر بمكان الرسول ﷺ، وأن هذا البيت العظيم قام بأعظم جهاد فى الهجرة. منذ خروج رسول الله ﷺ من مكة حتى وصوله إلى المدينة، فقد ثبت فى «صحيح الإمام البخارى» ح (٣٩٠٥) من حديث عائشة رضى الله عنها زوج النبى ﷺ قالت: فبينما نحن يوماً جلوس فى بيت أبى بكر فى نحر الظهيرة، قال قائل لأبى بكر: هذا رسول الله ﷺ متقنعاً. فى ساعة لم يكن يأتينا فيها. فقال أبو بكر: فداء له أبى وأمى، والله ما جاء به فى هذه الساعة إلا أمر، قالت: فجاء رسول الله ﷺ فاستأذن فأذن له، فدخل فقال النبى ﷺ لأبى بكر: أَخْرِج من عندك، فقال أبو بكر: إنما هم أهلك بأبى أنت يا رسول الله، قال: فإنى قد أذن لى فى الخروج، فقال أبو بكر: الصحابة بأبى أنت يا رسول الله، قال رسول الله ﷺ: نعم، قال أبو بكر: فخذ بأبى أنت يا رسول الله إحدى راحلتى هاتين، قال رسول الله ﷺ: بالثمن. قالت عائشة: فجهزناهما أحث الجهاز، وصنعنا لهما سفرة فى جراب، فقطعت أسماء بنت أبى بكر قطعة من نطاقها، فربطت به على فم الجراب، فبذلك سميت ذات النطاق.

قالت: ثم لحق رسول الله ﷺ وأبو بكر بغار في جبل ثور، فكمنا فيه ثلاث ليالٍ، يبيت عندهما عبد الله بن أبي بكر، وهو غلام شاب ثقف لقن، فيدلج من عندهما بسحر، فيصبح مع قريش بمكة كبائت، فلا يسمع أمراً يُكتادان به إلا وعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام، ويَرْعَى عليهما عامر بن فهيرة مولى أبي بكر منحة من غنم فيريحها عليهما حين تذهب ساعة من العشاء فيبيتان في رسل -وهو لبن منحتهما ورضيفهما- حتى ينعق بها عامر بن فهيرة بغلس، يفعل ذلك في كل ليلة من تلك الليالي الثلاث.

واستأجر رسول الله ﷺ وأبو بكر رجلاً من بني الديل، وهو من بني عبد بن عدي هادياً خريتاً- والخريت الماهر بالهداية- قد غمس حلفاً من آل العاصي بن وائل السهمي، وهو على دين كفار قريش ، فأمناه، فدفعا إليه راحلتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليالٍ براحلتيهما صبح ثلاث، وانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل، فأخذ بهم طريق السواحل».

قلت: وهذا الرواية تبين الهمة العالية لبيت أبي بكر، والرسول وصاحبه في الغار، ولقد بوب البخاري باباً في كتاب «الجهاد والسير» من «صحيحه»: (باب حمل الزاد في الغزو). وافتتحه بحديث أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها ح (٢٩٧٩) قالت: «صنعت سفرة رسول الله ﷺ في بيت أبي بكر، حين أراد أن يهاجر إلى المدينة. قالت: فلم نجد لسفرته ولا لسقائه ما نربطهما به، فقلت لأبي بكر: والله ما أجد شيئاً أربط به إلا نطاقي. قال: فشقيه باثنين فاربطيه، بواحدٍ السقاء، وبالآخر السفرة ففعلتُ، فلذلك سميت ذات النطاقين».

قلت: وأصبحت هذه منقبة لأسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها ، لا يجحدها إلا حاقد حاسد. فقد أخرج البخاري ح (٥٣٨٨) عن هشام بن عروة عن أبيه، وعن وهب ابن كيسان قال: كان أهل الشام يعيّرون ابن الزبير، يقولون: يا بن ذات النطاقين، فقالت له أسماء: يا بني إنهم يعيرونك بالنطاقين ، وهل تدري ما كان النطاقان؟ إنما

كان نطاقى شققته نصفين: فأوكيت قربة رسول الله ﷺ بأحدهما، وجعلت فى سفرته آخر، قال: فكان أهل الشام إذا عيّروه بالنطاقين يقول: إيهًا والإله «تلك شكاة ظاهر عنك عارها».

قلت: هذا ما صح لأسماء بنت أبى بكر فى الهجرة.

ولقد توفيت أسماء رضي الله عنها بمكة فى جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين بعد قتل ابنها عبد الله بن الزبير بيسير، لم تلبث بعد إنزاله من الخشبة ودفنه إلا ليالى، وكانت قد ذهب بصرها، وقال هشام بن عروة عن أبيه: «كانت أسماء قد بلغت مئة سنة لم يسقط لها سن، ولم ينكر لها عقل»، كذا فى «تهذيب الكمال» (٢٢/ ٢٩١/ ٨٣٦٩).

هذا ما وفقني الله إليه، وهو وحده من وراء القصد



(٣١)

قصة نبي الله داود عليه السلام والنعجة الواحدة (*)

نواصل فى هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم؛ حتى يقف على حقيقة هذه القصة التى اشتهرت، وانتشرت على ألسنة الخطباء والوعاظ والقصاص، واغتر الكثير بوجودها فى بعض التفاسير، وكذلك فى قصص الأنبياء، حتى نشرت جريدة «اللواء الإسلامى» فى عددها (٣٠٥) فى الصفحة الثامنة تحت عنوان «أنت تسأل والإسلام يجيب» إجابة عن السؤال: ما تفسير قوله تعالى: ﴿۞ وَهَلْ أَتَنٰكَ نَبَؤُاْ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُواْ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُواْ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ﴾ (ص:٢١- ٢٣).

وأجاب الشيخ إجابة هذا نصها: «إن نبي الله داود عليه السلام من أنبياء الله، ابتلاه الله سبحانه بامرأة جميلة، هي زوجة لجندي من جنوده يسمى أوريا، وكان لداود تسع وتسعون زوجة، فأمر زوجها بالنزول له عنها، فبعث الله له ملكين في صورة بشر، قال له أحدهما: إن هذا صاحبي له تسع وتسعون نعجة -أي امرأة- ولي نعجة واحدة، وطلب مني أن أتنازل له عنها ليتزوجها ويكفلها، وغلبني في الكلام، فقال داود: لقد ظلمك بسؤال امرأتك إلى امرأته...» إلى أن قال الشيخ: «فأنكر الله على داود أن يتشاغل بالدنيا، ويستزيد من شهواتها». ثم يقول الشيخ: «والقصة طويلة ونوردها هنا بإيجاز، وعلى السائل إذا أراد المزيد الرجوع إلى كتب التفسير». اهـ.

قلت: ما كنت أودّ أن يذكر الشيخ قصة، وينسبها إلى نبي الله داود بغير تخريج ولا تحقيق، خاصّة وقد جاءت إجابته تحت عنوان: «أنت تسأل والإسلام يجيب»، لم تكن

(*) مجلة التوحيد، شوال، ١٤٢٤هـ.

هذه هي إجابة الإسلام التي ظن الشيخ أنها تفسير للآيات (٢١- ٢٣ سورة ص)، بل هي إسرائيليات مدسوسة، تطعن في عصمة الأنبياء، ويرجع إلى تفسير ابن كثير (٤/ ٣١) حيث قال: «قد ذكر المفسرون هاهنا قصة أكثرها مأخوذ من الإسرائيليات ولم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب اتباعه».

قلت: وإن تعجب فعجب أن يخرج الخطباء والقصاص عن ظاهر الآيات ويجعلوا من النعجة امرأة، ومن الخصم ملكًا، والنبي المعصوم مخطئًا، وليرجع هؤلاء إلى كتاب «الفصل في الملل والأهواء والنحل» (٤/ ١٤) لابن حزم، ولينظروا إلى قوله: «إنما كان ذلك الخصم قومًا من بني آدم بلا شك مختصمين في نعاج من الغنم على الحقيقة بينهم، بغى أحدهما على الآخر على نص الآية.

ومن قال: إنهم ملائكة معرِّضين بأمر النساء، فقد كذب على الله ﷻ وقوَّله ما لم يقل، وزاد في القرآن ما ليس فيه، وكذَّب الله ﷻ، وأقر على نفسه الخبيثة أنه كذَّب الملائكة؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿۞ وَهَلۡ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلۡخَصۡمِ﴾، فقال هو: لم يكونوا قط خصمين، ولا بغى بعضهم على بعض، ولا كان قط لأحدهما تسع وتسعون نعجة، ولا كان للآخر نعجة واحدة، ولا قال له: أكفلنيها، فاعجبوا لما يقحم فيه أهل الباطل أنفسهم، ونعوذ بالله من الخذلان، ثم كل ذلك بلا دليل، بل الدعوى المجردة». اهـ.

قلت: ومن العجب قوله: «والقصة طويلة، وأنه أوردها بإيجاز».

ألم يعلم بأنها تحمل في طياتها سموم الطعن في عصمة الأنبياء؟ فقد جعلت نبي الله داود عليه السلام يترك صلاته، ويجري وراء حمامة حتى دخلت بستانًا وجد به هذه المرأة عارية تغتسل، وحانت منها التفاتة فأبصرت ظل داود فنشرت شعرها فغطى بدنها كله، فزاد بذلك إعجابه، وعرَّض زوجها (أوريا) للقتل عمدًا ليتزوجها.

قلت: وإن تعجب فعجب قوله: «وعلى السائل إذا أراد المزيد أن يرجع إلى كتب التفسير». ولو رجعوا لتبين لهم بطلان القصة:

١ - نقل القرطبي في تفسيره «الجامع لأحكام القرآن» (١٥/ ١٧٦) عن ابن العربي المالكي أنه قال عن هذا الخبر: «باطل قطعًا».

٢- قال الخازن في تفسيره «لباب التأويل في معاني التنزيل» (٦/ ٤٩): «فصل في تنزيه داود عليه السلام عما لا يليق به وما ينسب إليه»: اعلم أن من خصَّه الله تعالى بنبوته وأكرمه برسالته وشرفه على كثير من خلقه وائتمنه على وحيه، لا يليق أن ينسب إليه ما لو نسب إلى آحاد الناس لاستنكف أن يحدَّث به عنه. فكيف يجوز أن ينسب إلى بعض أعلام الأنبياء والصفوة الأمناء». اهـ.

قلت: ذكره الخازن بعد أن أورد القصة، لعله أراد أن يبين بطلانها.

٣- قال الفخر الرازي في «التفسير الكبير» (٢٦/ ١٩٤): إذا قلنا الخصمان كانا ملكين، ولما كانا من الملائكة وما كان بينهما مخاصمة وما بغى أحدهما على الآخر، كان قولهما: خصمان بغى بعضنا على بعض كذبًا، فهذه الرواية لا تتم إلا بشيئين:

أحدهما: إسناد الكذب إلى الملائكة، **والثاني**: أن يتوسل بإسناد الكذب إلى الملائكة إلى إسناد أفحش القبائح إلى رجل كبير من أكابر الأنبياء.

٤- قال ابن الحسن الطبرسي في تفسيره «جمع البيان في تفسير القرآن» (٨/ ٧٣٦) بعد أن ذكر القصة: «فإن ذلك مما يقدح في العدالة، فكيف يجوز أن يكون أنبياء الله الذين هم أمناؤه على وحيه بصفة من لا تقبل شهادته، وعلى حالة تنفِّر عن الاستماع إليه والقبول منه، جل أنبياء الله عن ذلك؟!».

٥- ذكر ابن جرير الطبري في تفسيره «جامع البيان عن تأويل القرآن» (١٠/ ٦٢٧) (ح٢٩٨٥٩) القصة مكتفيًا بذكر أسانيدها على طريقة أهل الحديث الذين قرروا أن من أسند فقد أحال إليك ذكر الوسيلة إلى معرفة درجة الحديث.

قلت: وهذه القاعدة توهم الكثيرين الذين لا يعرفون من أمر الأسانيد شيئًا أن القصة صحيحة، لوجودها في تفسير الطبري، وسكوته عن ذكر درجة الحديث.

قلت: وإلى الشيخ تخريج وتحقيق الحديث الذى روى حول هذه القصة:

الحديث «باطل». أخرجه الحكيم الترمذى فى «نوادر الأصول»، وابن جرير، وابن أبى حاتم كما فى «الدر المنثور» (٧/ ١٥٦).

قال ابن كثير فى تفسيره (٤/ ٣١): « رواه ابن أبى حاتم، ولا يصح سنده؛ لأنه من رواية يزيد الرقاشى عن أنس».

قال القرطبى فى «تفسيره»: رواه الحكيم الترمذى فى «نوادر الأصول» عن يزيد الرقاشى عن أنس.

قلت: والحديث عندهم جميعاً من طريق يزيد الرقاشى عن أنس مرفوعًا، والرقاشي أورده ابن حجر فى «التقريب» (٤/ ٥٣٨): وهو يزيد بن أبان، قال النسائى فى كتابه « الضعفاء والمتروكين» رقم (٦٤٢): الرقاشي متروك.

قلت: وقد اشتهر عن النسائى أنه قال: «لا يترك الرجل عندى حتى يجتمع الجميع على تركه»، وأورده الدارقطنى فى كتابه «الضعفاء والمتروكين» برقم (٥٩٣)، وأورده الذهبي فى «الميزان» (٤/ ٤١٨): «قال أحمد: كان يزيد منكر الحديث». وأورده ابن أبى حاتم فى «الجرح والتعديل» (٩/ ٢٥١). قال أحمد بن حنبل: «منكر الحديث»، وأورده البخاري فى «التاريخ الكبير» (٨/ ٣٢٠)، وقال: كان شعبة يتكلم فيه.

قلت: ووصل الحد فى جرحه وتحريم الرواية عنه؛ حتى أورد الذهبى فى «الميزان» (٤/ ٤١٨)، وابن حجر فى «تهذيب التهذيب» (١١/ ٣٠٩): أن يزيد بن هارون قال: سمعت شعبة يقول: لأن أزنى أحب إليَّ من أن أحدِّث عن يزيد الرقاشى».

قلت: هكذا حفظ الله تعالى بالإسناد لأمة محمد ﷺ دينها من تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين.

قال ابن حزم: «نقل الثقة عن الثقة يبلغ به النبى ﷺ مع الاتصال خصَّ الله به المسلمين دون سائر الملل». اهـ.

وبتلك الخاصية حفظ الله العقيدة السلفية من مثل هذه القصص الواهية التى تطعن فى الأنبياء الذين ينبغى الاعتقاد بأن الله ﷻ قد حلاهم بالأخلاق العظيمة.

قلت: هذه عقيدة أهل السنة والجماعة فى الأنبياء.

أما عقيدة اليهود -عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين- فهى الطعن فى الأنبياء، فقد جعلوا داود عليه السلام زانيًا، فقد جاء فى «العهد القديم» - صموئيل الثانى - الإصحاح «الحادى عشر» (ص٤٩٨): «وأما داود فأقام فى أورشليم، وكان وقت المساء أن داود قام عن سريره، وتمشى على سطح بيت الملك، فرأى من على السطح امرأة تستحم، وكانت المرأة جميلة المنظر جداً، فأرسل داود وسأل عن المرأة، فقال واحد: أليست هذه بشبع بنت أليعام امرأة أوريا الحثى، فأرسل داود رسلاً وأخذها، فدخلت إليه فاضطجع معها وهى مطهرة من طمثها، ثم رجعت إلى بيتها وحبلت المرأة، فأرسلت وأخبرت داود وقالت: إنى حبلى». اهـ.

قلت: هذا كتابهم المقدس يجعل داود عليه السلام ينظر إلى امرأة عارية، وهى تستحم، ويعشقها، ثم يزنى بها، حتى تحمل منه.

يقول: «فأرسل داود إلى يواب يقول: أرسل إلىَّ أوريا الحثى، فأرسل يواب أوريا إلى داود، فأتى أوريا إليه فيسأل داود عن سلامة يواب وسلامة الشعب ونجاح الحرب، وقال داود لأوريا: انزل إلى بيتك واغسل رجليك. فخرج أوريا من بيت الملك وخرجت وراءه حصة من عند الملك، ونام أوريا على باب بيت الملك مع جميع عبيد سيده ولم ينزل إلى بيته، فأخبروا داود قائلين لم ينزل أوريا إلى بيته، فقال داود لأوريا: أما جئت من السفر، فلماذا لم تنزل إلى بيتك؟ فقال أوريا لداود: إن التابوت وإسرائيل ويهوذا ساكنون فى الخيام وسيدى يواب وعبيد سيدى نازلون على وجه الصحراء، وأنا آتي إلى بيتى لآكل وأشرب وأضطجع مع امرأتى! وحياتك وحياة نفسى لا أفعل هذا الأمر، فقال داود لأوريا: أقم هنا اليوم أيضًا وغدًا، فأقام أوريا فى أورشليم ذلك اليوم وغده .. وفى الصباح كتب داود مكتوبًا إلى يواب وأرسله بيد

أوريا، وكتب في المكتوب يقول: اجعلوا أوريا في وجه الحرب الشديدة وارجعوا من وراءه فيُضْرَب ويموت، وكان في محاصرة يواب المدينة: أنه جعل أوريا في الموضع الذي علم أن رجال البائس فيه، فخرج رجال المدينة وحاربوا يواب، فسقط بعض الشعب من عبيد داود، ومات أوريا الحثي أيضًا».

إلى أن يقول كتابهم المقدس- لعنهم الله- في صموئيل الثاني، آخر الإصحاح (١١): «فلما سمعت امرأة أوريا أنه قد مات أوريا رجلها ندبت بعلها، ولما مضت المناحة أرسل داود وضمها إلى بيته، وصارت له امرأة، وولدت له ابنًا، وأما الأمر الذي فعله داود فَقَبح في عيني الرب». اهـ.

قلت: وقد دست هذه الإسرائيليات في الكتب، كـ «قصص الأنبياء» للثعلبي المتوفى سنة ٤٢٧هـ، حيث جاءت هذه القصة في كتابه (من ص٣٠٤، ٣١٢).

قلت: والقصة طويلة مذكورة في تسع صفحات لتحريف الآيات التي أنزلها الله في سورة «ص»: (٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥) تحت اسم الأحاديث والآثار.

الصحيح الذي جاء في تفسير الآيات

قال الإمام ابن حزم رَحِمَهُ اللَّهُ في «الملل والنحل» (٤/ ١٤) باب «الكلام في داود عَلَيْهِ السَّلَامُ»: «وذكروا أيضًا في قول الله تعالى حاكيًا عن داود عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ﴾ إلى قوله: ﴿فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ﴾».

قال: «وهذا قول صادق صحيح لا يدل على شيء مما قاله المستهزئون الكاذبون المتعلقون بخرافات ولَّدها اليهود، وإنما كان ذلك الخصم قومًا من بني آدم بلا شك... كما بيَّنا آنفًا». ثم يُقْسِم الإمام ابن حزم رَحِمَهُ اللَّهُ قائلاً: «تالله إن كل امرئ منا ليصون نفسه وجاره المستور عن أن يتعشق امرأة جاره، ثم يعرِّض زوجها للقتل عمدًا ليتزوجها، وعن أن يترك صلاته لطائر يراه، هذه أفعال السفهاء المتهوكين الفساق المتمردين، لا أفعال أهل البر والتقوى، فكيف برسول الله ﷺ، الذي أوحى

إليه كتابه، وأجرى على لسانه كلامه، لقد نزَّهه الله ﷻ عن أن يمر مثل هذا الفحش بباله، فكيف أن يضاف إلى أفعاله». اهـ.

استغفار داود

ثم يقول ابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأما استغفاره، وخروره ساجدًا ومغفرة الله له: فالأنبياء -عليهم السلام- أولى الناس بهذه الأفعال الكريمة، والاستغفار: فعل خير لا ينكر من ملك، ولا من نبي، ولا من مذنب، ولا من غير مذنب، فالنبي يستغفر الله لمذنبي أهل الأرض والملائكة، كما قال الله تعالى: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾ (غافر:٧)». اهـ.

فتنـة داود

ثم يقول ابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأما عن قوله تعالى عن داود عليه السلام: ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ﴾، وقوله تعالى: ﴿فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ﴾؛ فقد ظن داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: أن يكون ما آتاه الله ﷻ من سعة المُلْك العظيم فتنة، فقد كان رسول الله ﷺ يدعو الله أن يثبّت قلبه على دينه، فاستغفر الله تعالى من هذا الظن، فغفر الله تعالى له هذا الظن، إذ لم يكن ما آتاه الله تعالى من ذلك فتنة». اهـ.

قلت: وسياق هذه الآيات يدل على تنزيه داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ عن هذه القصة الواهية، حيث ذكره الله سبحانه في مقام العبودية، فقال سبحانه: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ (ص:١٧)، هذا المقام الذي حفظه اللهّ تعالى من الشيطان بقوله: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ (الإسراء:٦٥).

هذا ما وفقني الله إليه، وهو وحده من وراء القصد

❊ ❊ ❊ ❊

(٣٢)

قصة السفياني والرئيس العراقي(*)

نواصل فى هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارىء الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة التى اشتهرت، وانتشرت، واغتر بها كثير من الناس، حيث أوردها الأستاذ الدكتور فاروق الدسوقى فى كتابه «البيان النبوى بانتصار العراقيين على الروم (أمريكا وبريطانيا) والترك، وتدمير إسرائيل، وتحرير الأقصى»، وكتب تحت اسمه: الحائز على جائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية وطبعته الأولى رمضان ١٤١٨هـ/ يناير ١٩٩٨م وتأثر به صاحب كتاب «هرمجدون آخر بيان يا أمة الإسلام» حتى بَوب بابًا بعنوان «صدام حسين السفيانى الأول» ص (٤٥) بل صرح باستناده عليه في ص (٥٢).

هذا الكتاب طبعة شعبان 1422هـ / أكتوبر ٢٠٠١م ويحاول الدكتور فى كتابه «البيان النبوى» تنزيل أحاديث الفتن على الزمان، والمكان، والأشخاص دون تحقيق لهذه الأحاديث والآثار، التى حاولوا تنزيلها على العراق وصدام تنزيلاً على الواقع، وجاءت فتنة العدوان الأمريكى البريطانى على العراق وكانت المصيبة أليمة، والفتنة تموج كموج البحر، وكشفت الفتنة عن عدم صحة تنزيل أحاديث الفتن على الزمان والمكان والأشخاص خاصة «قصة السفيانى صدام حسين» مما كان له أثره السيىء فى تشكيك الناس فى السُّنَّة -وسنبين للقارىء الكريم عدم صحة هذه الآثار-.

وبهذا يتبين أن هناك حالتين لعدم صحة التنزيل على الزمان والمكان والأشخاص:

الأولى: النص ليس صحيحاً فيكون تنزيله على الزمان، والمكان، والأشخاص غير صحيح.

الثانية: النص يكون صحيحاً ولكن تنزيله على الزمان، والمكان، والأشخاص غير صحيح.

(*) مجلة التوحيد، ربيع الأول، ١٤٢٤هـ.

وهناك حالة لصحة التنزيل على الزمان، والمكان، والأشخاص، وفيها النص يكون صحيحاً، ويكون تنزيله على الزمان، والمكان، والأشخاص صحيحاً، ومثال هذه الحالة الأخيرة:

ما أخرجه مسلم ح (٢٩١٦) كتاب الفتن ح (٧٣) من حديث أم سلمة قالت : قال رسول الله ﷺ : «**تقتل عمارًا الفئة الباغية**».

وما أخرجه مسلم ح (٢٩١٥/ ٧٠) من حديث أبى مَسْلَمة قال : سمعت أبا نَضَرَة يحدث عن أبى سعيد الخدرى قال : أخبرنى من هو خير منى أن رسول الله ﷺ قال لعمار حين جعل يَحْفِر الخندق، وجعل يمسح رأسه ويقول : «**بُؤْسَ ابنِ سُمية تقتلك فئة باغية**».

قال الإمام النووى رَحِمَهُ ٱللَّهُ وفيه معجزة ظاهرة لرسول الله ﷺ من أوجه :منها أن عماراً يموت قتيلاً، وأن يقتله مسلمون، وأنهم بغاة، وأن الصحابة يقاتلون، وأنهم يكونون فرقتين، باغية وغيرها، وكل هذا قد وقع مثل فلق الصبح.

صلى الله وسلم على رسوله الذى لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحى يوحى.

قصة السفياني

قال الدكتور فى كتابه« البيان النبوى » ص (٢٠):

للسفيانى فى السُّنَّة عهدان:

الأول: عهد ما قبل خروجه وظهوره ويحدث فيه الحصار على بلاده التى يحكمها ...كما يحدث فى هذا العهد قتاله للروم فى عمق الجزيرة أربعين يوماً يخرج كل طرف منها ولم يأخذ من الآخر شيئاً وقد تم هذا عام ١٩٩١ ولا زال الحصار مستمراً.

العهد الثانى : هو عهد خروجه من وادى اليابس، وهو يقاتل الروم (أوروبا - وأمريكا) والترك، ويهزمهم شر هزيمة، كما يقاتل على أبواب دمشق وما حولها لا يضره من خذله».

ثم تجتاح جيوشه إسرائيل ويقاتل وحده على أبواب القدس وما حولها حتى يدخلها لا يضره الذين خذلوه من الأشقاء.

فهو من أعظم شخصيات التاريخ الإسلامى، إذ يأتى فى زمن ضعف الأمة وذلها فيعزها الله تعالى على يديه بتحرير الأقصى وتطهيره من رجس اليهود، ومن ثم جاء وصفه بأنه الجابر الذى يجبر الله تعالى على يديه قلوب أمة الإسلام المنكسرة، كما جاء وصفه أيضاً بأنه الأزهر لعلو نجمه إذ يصدق عليه وعلى جيشه الوصف بأنهم أولوا البأس الشديد الذين سيبعثهم الله على بنى إسرائيل ﴿لِيَسُـُٔوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾ (الإسراء:٧).

وهذا كله ينطبق على الرئيس العراقى «صدام حسين» وهو السفيانى لأنه من نسل خالد بن يزيد بن أبى سفيان، فهو من سلالة الخلفاء، والملوك الأمويين الأمجاد الذين عز الله تعالى بهم الإسلام، وانتشر شرقاً وغرباً، وجنوباً فلا غرابة أن يعز به الأمة فى زمن ذلها، وينهضها من كبوتها، ويسترد لها القدس بعد أن لم يمتنعوا عن أى ذل ينزل بهم كما تقول النصوص التى تتحدث عن عصرنا الراهن بكل دقة، وهو أيضاً «الصخرى» لأن اسم أبى سفيان صخر بن حرب هذا فى السنة الشريفة » انتهى كلام الدكتور.

تخريج وتحقيق النصوص

التي اعتمد عليها الدكتور فى هذه القصص

لقد قدم الدكتور لقصة السفيانى وأنه «الرئيس العراقى صدام حسين » بكلام يكشف عن القاعدة التى اعتمد عليها حيث قال فى كتابه «البيان النبوى» ص(٢١): السفيانى وهو من نسل أبى سفيان، يوسع ملكه، فيحكم العراق والشام، وفلسطين، وأجزاء من الجزيرة، وجاءت عنه مرويات كثيرة حتى أن الحافظ نعيم بن حماد المتوفى سنة ٢٨٨هـ وهو أحد شيوخ البخارى -رحمهما الله- قد خصص فى كتابه «الفتن »

إثنى عشر باباً للسفيانى، وعشرة أبواب للمهدى، أى أن الأحاديث عن السفيانى كثيرة جداً ومتواترة المعنى تواتر يقوى ضعفها». اهـ.

الـــــرد:

هذا الكلام الذى أورده الدكتور فى كتابه فيه نظر:

١ -قال: «الحافظ نعيم بن حماد المتوفى سنة ٢٨٨هـ».

قلت: «هذا قول غير صحيح -ويَحْسَبُه البعض أنه هين ولكنه عند علماء الفن عظيم -حيث جعله السيوطى فى «تدريب الراوى» (٢/ ٣٤٩) النوع : الستين، وفيه قال النووى: «النوع الستين التواريخ والوفيات : هو فن مهم به يعرف اتصال الحديث وانقطاعه».

قال الحافظ ابن حجر فى« التهذيب» (١٠/ ٤١٢): «مات سنة ثمان وعشرين ومائتين» وكذا فى «التقريب» (٢/ ٣٠٥) حيث قال: «من العاشرة مات سنة ثمان وعشرين على الصحيح».

فائدة : قال الحافظ: «إن كان من التاسعة إلى آخر الطبقات فهم بعد المائتين».

٢ -قوله: «وهو أحد شيوخ البخارى».

قلت : هذا قول فيه نظر، ولا يعرف ذلك إلا من له دراية بعلم الجرح والتعديل، فالرواة عند البخارى نوعان : سواء من روى عنه أو من روى له.

أ -نوع روى له البخارى احتجاجاً.

ب -نوع لم يحتج به البخارى ولكن روى له استشهاداً (مقروناً).

والإمام البخارى لم يحتج بنعيم بن حماد.

لذلك تجد أن أهل الفن يعبرون عن ذلك تعبيراً دقيقاً حيث قال الحافظ ابن حجر فى «التهذيب» (١٠/ ٤٠٩): «روى عنه البخارى مقرونًا».

وكذلك الإمام الذهبي في «الميزان» (٤/ ٢٦٧/ ٩١٠٢) قال: «نُعَيم بن حماد الخزاعي (خ مقرونا، د، ت، ق). [(١)]

ثم أورد الإمام الذهبي قول الأئمة فيه:

قال النسائي : ضعيف ...قد كثر تفرده عن الأئمة فصار في حد من لا يحتج به.

قال الأزدي: «كان نعيم ممن يضع الحديث في تقوية السنة، وحكايات مزورة في ثلب النعمان كلها كذب».

لذلك قال الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (١٠/ ٥٩٦): «لا يجوز لأحد أن يحتج به» وقد تتبع الذهبي كثيراً من أوهامه في «السير».

قلت : فالقول بأن نعيم بن حماد شيخ البخاري من غير هذا التقييد الذي بيناه عن علماء هذا الفن لا يصح لأن فيه تلبيس على الناس.

وهذا ما حدث بالفعل حيث أن صاحب كتاب «هرمجدون » أكثر من قوله: «هذه الرواية رواها نعيم بن حماد شيخ البخاري».

فعندما يرى القارىء كلمة «شيخ البخاري »فيتوهم الصحة في الرواية، ولكن هيهات كما سنبين للقارىء الكريم، وسئل عنه يحيى بن معين فقال: «ليس في الحديث بشيء «كذا في التهذيب» (١٠/ ٤١١)، ونقل الحافظ ابن حجر: «أن عنده مناكير كثيرة لا يتابع عليها»، قال النسائي في «الضعفاء والمتروكين» رقم (٥٨٩): «ضعيف».

ونقل الحافظ ابن حجر في «التهذيب» (١٠/ ٤١١) عن النسائي أنه قال في موضع آخر: «ليس بثقة».

٣ -قوله: «في كتابه الفتن»:

قلت: الدكتور لم يبين للقارىء حقيقة كتاب «الفتن» لنُعَيم بن حماد خاصة وأن

---

(١) الرموز، خ البخاري، د أبي داود، ت الترمذي، ق ابن ماجه.

الدكتور قرنه بصفة شيخ البخارى كما هو ظاهر من قوله: «الحافظ نعيم ابن حماد ... أحد شيوخ البخارى قد خصص فى كتابه «الفتن»».

وقد أغتر به أيضاً صاحب كتاب «هرمجدون آخر بيان يا أمة الإسلام» فقال فى ص (٨٦): «فقد روى نعيم بن حماد فى السفر الجليل «الفتن»، وكل هذا تلبيس على القارىء.

حقيقة كتاب «الفتن» لنعيم بن حماد

أ -قال الحافظ الإمام الذهبى فى «سير أعلام النبلاء» (١٠/ ٦٠٩): «لا يجوز لأحد أن يحتج به وقد صنف كتاب «الفتن» فأتي فيه بعجائب ومناكير».

ب -نقل الحافظ فى« التهذيب» (١٠/ ٤١٢) عن مسلمة بن قاسم أنه قال فى نعيم ابن حماد: «كان صدوقاً وهو كثير الخطأ، وله أحاديث منكرة فى الملاحم انفرد بها».

قلت: وفى «تهذيب الكمال» (١٩/ ١٣٤) قال صالح بن محمد الأسدى: «عنده مناكير كثيرة لا يتابع عليها».

قلت : ومن كثر الخطأ فى حديثه وكثرت مناكيره تنطبق عليه القاعدة التى قال فيها الحافظ العراقى فى «فتح المغيث» ص (٧) : «من كثر الخطأ فى حديثه وفحش استحق الترك وإن كان عدلاً».

دعوى التواتر

٤ -قوله: «الحافظ نعيم بن حماد ...فى كتابه «الفتن» اثنى عشر باباً للسفيانى وعشرة أبواب للمهدى، أى أن الأحاديث عن السفيانى كثيرة جداً ومتواترة المعنى».

قلت : وإن تعجب فعجب قول الدكتور: «أن الأحاديث عن السفيانى كثيرة جداً ومتواترة المعنى» وبين أن السبب : وجود إثنى عشر باباً للسفيانى فى كتاب «الفتن» لنعيم بن حماد.

قلت: بالبحث فى هذه الأبواب الاثنى عشر وجدتها تبدأ بالباب رقم (٢٩): «صفة السفيانى واسمه ونسبه» تبدأ بالخبر رقم (٧٦٧) ط دار الكتب العلمية وتنتهى بالباب رقم (٤٠) «بعثة الجيوش إلى المدينة وما يصنع فيها من القتل» ثم ينتهى الباب بالخبر رقم (٨٨٦).

هذه الأخبار عددها (١٢٠) خبر (٧٦٧: ٨٨٦).

هذه الأخبار كلها آثار إلا سبعة أحاديث.

وهذه الأحاديث السبعة لا يوجد بها إلا حديثان صُرِّح فيهما باسم السفيانى، والحديثان شديدا الضعف كما سنبين وهما برقم (٧٩٥)، (٨٤٢) فأين الأحاديث التى يزعم الدكتور أنها كثيرة جداً ومتواترة؟

ألم يفرق الدكتور بين الحديث والأثر؟.

والحديث اصطلاحاً: هو ما يضاف إلى النبى ﷺ» نقله السيوطى فى «التدريب» (١/ ٤٢)، والأثر ما يضاف إلى الصحابى أوالتابعى فما دونه.

والحديث والأثر يطلق عليهما الخبر.

ولذلك قال الحافظ ابن حجر فى «شرح النخبة» (ص ٥٣).

«قيل بينهما عموم وخصوص مطلق فكل حديث خبر من غير عكس وعبرت هنا بالخبر ليكون أشمل».

ومن أراد المزيد فعليه بكتابنا «علم الحديث التطبيقى» ص (٥٤) يجد الربط التطبيقى بين هذه الثلاثيات: (الخبر -الحديث -الأثر)، (الصحابى -التابعى - تابع التابعى)، (المرفوع -الموقوف -المقطوع).

قلت : وهذه أصول لابد منها حتى لا نخلط بين قول النبي ﷺ وبين قوله غيره.

تحقيق الحديثين اللذين

صرح فيهما باسم السفياني

* قال نعيم بن حماد فى كتابه «الفتن» ح (٧٩٥):

حدثنا رشدين عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب قال: قال رسول الله ﷺ **«خروج السفيانى بعد تسع وثلاثين»**.

قلت : الحديث (ضعيف جدًا) وهو مسلسل بالعلل:

أ - رشدين بن سعد قال فيه النسائى :متروك، وقال ابن معين : ليس بشىء، وقال الجوزجانى :عنده مناكير كثيرة كذا فى «الميزان» (٢/ ٤٩/ ٢٧٨٠).

ب -ابن لهيعة ضعيف ومدلس، أورده ابن حجر فى «طبقات المدلسين» المرتبة الخامسة رقم (١٢) وقد عنعن.

جـ -يزيد بن أبى حبيب قال الحافظ في «التقريب» (٢/ ٣٦٣): كان يرسل من الخامسة.

قلت : والخامسة هى الطبقة الصغرى من التابعين، فالسند ما بعد التابعى سقط، والحديث مرسل، فالحديث واهٍ بالسقط فى الإسناد، والطعن الشديد فى الرواة.

* **الحديث الثانى**: قال نعيم بن حماد فى كتابه «الفتن» رقم (٨٤٢): حدثنا أبو عمر عن ابن لهيعة عن عبد الوهاب بن حسين عن محمد بن ثابت عن أبيه عن الحارث عن ابن مسعود ﷺ عن النبى ﷺ قال: **«إذا عبر السفيانى الفرات وبلغ موضعا يقال له عاقرقوفا محا الله تعالى الإيمان من قلبه فيقتل بها إلى نهر يقال له الدجيل سبعين ألفا متقلدين سيوفاً محلاة»**.

قلت: هذا حديث واهٍ، وسند تالف، مسلسل بالضعفاء والمتروكين والمجهولين . محمد بن ثابت قال البخارى : فيه نظر، وقال ابن معين : ليس بشىء، كذا فى «الميزان »

(٣/ ٤٩٥/ ٧٢٩٤)، والحارث بن عبد الله الأعور :قال ابن المدينى :كذاب، وقال ابن حبان :كان واهياً فى الحديث كذا فى «الميزان» (١/ ٤٣٥/ ١٦٢٧)، وابن لهيعة ضعيف كما بيَّنا، وأبو عمر مجهول.

قلت : هذان هما الحديثان اللذان صرح فيهما باسم السفيانى فى الأبواب الإثنى عشر، وتبين أن الحديثين واهيان كل منهما يزيد الآخر وهناً على وهن.

أما عن الآثار الباقية فمعظمها واهية:

*** حديث ثالث:**

قلت: وهناك حديث ثالث صرح فيه باسم السفيانى ولكن خارج الأبواب الاثنى عشر أخرجه نعيم بن حماد فى كتابه «الفتن» باب رقم (٢) تسمية الفتن التي هى كائنة وعددها من وفاة رسول الله ﷺ إلى قيام الساعة».

قال نعيم بن حماد فى كتابه «الفتن» رقم (٨٥): حدثنا يحيى بن سعيد العطار، حدثنا حجاج رجل منا عن الوليد بن عياش قال: قال عبد الله بن مسعود ﷺ: قال لنا رسول الله ﷺ: «**أحذركم سبع فتن تكون بعدي :فتنة تقبل من المدينة، وفتنة بمكة، وفتنة تقبل من اليمن، وفتنة تقبل من الشام، وفتنة تقبل من المشرق، وفتنة من قبل المغرب، وفتنة من بطن الشام وهي فتنة السفياني**».

قال ابن مسعود: منكم من يدرك أولها، ومن هذه الأمة من يدرك آخرها، قال الوليد بن عياش : فكانت فتنة المدينة من قبل طلحة والزبير، وفتنة مكة فتنة ابن الزبير، وفتنة اليمن من قبل نجدة (الحرورية)، وفتنة الشام من قبل بنى أمية، وفتنة المشرق من قبل هؤلاء».

والحديث أخرجه الحاكم (٤/ ٤٦٨) من طريق نعيم بن حماد.

قال الذهبى فى «التلخيص»: «هذا من أوابد نعيم». اهـ.

قال أبو الوفا الطرابلسي في «الكشف الحثيث» معلقاً على قول الإمام الذهبي : «فهذا يقتضي أنه من وضعه» اهـ.

قلت: من هذا يتبين أن قول الدكتور: «قد خصص نعيم بن حماد في كتابه «الفتن» اثنى عشر باباً للسفياني، أى أن الأحاديث عن السفياني كثيرة جداً ومتواترة المعنى تواتر يقوى ضعفها »أنه قول لا أساس له من الصحة كما بيَّنا آنفاً فما هما إلا حديثان واهيان وجئت بثالث هو من أوابد نعيم: أى من غرائبه وعجائبه، فكما بينا أنه كثير الخطأ وله أحاديث في الملاحم انفرد بها.

وتصبح دعوى التواتر باطلة ولا يصح القول بأن الأحاديث عن السفياني كثيرة جداً ومتواترة، بل هى قليلة جداً وواهية فلا تغتر بالآثار التالفة.

ولذلك نجد أن الكتاني في كتابه «نظم المتناثر من الحديث المتواتر» لم يذكر السفياني.

دعوى أخرى حول قصة السفياني

قال الدكتور في كتابه «البيان النبوي» ص (٢٧):

«مطابقة أخبار السفياني في السُّنَّة .. وجميع هذه النصوص متطابقة على أخبار وأحوال رئيس العراقيين المعاصرين».

*** التطابق الأول:**

قال الدكتور في كتابه ص (٣٠): «ما ورد عن صفات السفياني مطابق أيضاً:

أ -يميل لونه للصفرة مع بياض.

ب -ضخم الهامة.

جـ -جعد الشعر.

د- دقيق الساعدين والساقين.

هـ - بوجهه آثار جدرى.

ز - بعينه نكتة بيضاء.

ح - طويل العنق.

ط -به أثر العبادة». اهـ.

قلت: ولقد اغتر به صاحب كتاب «هرمجدون آخر بيان يا أمة الإسلام» فقلده حيث قال فى كتابه ص (٣٥) تحت عنوان: «صفات السفيانى الخِلقية فى صدام»:

«وجدنا أن الآثار الواردة فى وصف «السفيانى وحليته قد تحققت فى صدام فمن الصفات الواردة فى الآثار والمشتركة بين «السفيانى» و«صدام» أنه:

أ - ضخم الهامة (كبير الرأس وهو كذلك فعلاً).

ب - بوجهه آثار جدرى (نكت أو ندوب فى وجهه).

جـ -بعينه نكتة بيضاء وكسل قليل.

د- يميل لونه إلى البياض مع الصفرة.

هـ -جعد الشعر.

و - دقيق الساعدين والساقين (وأخبرنى من رآه أن ساعديه دقيقان مفتولان». اهـ.

تحقيق الآثار حول صفة السفياني

قال نعيم بن حماد فى كتابه «الفتن» ح (٧٨٠):

حدثنا أبو عمر عن ابن لهيعة عن عبد الوهاب بن حسين عن محمد بن ثابت عن أبيه عن الحارث بن عبد الله قال: يخرج رجل من ولد أبى سفيان فى الوادى اليابس فى رايات حمر، دقيق الساعدين والساقين، طويل العنق، شديد الصفرة به أثر العبادة». اهـ.

قلت: هذا الأثر أوردته بسنده لأن الترقيم يختلف باختلاف الطبعات فهو فى

طبعة دار الكتب العلمية برقم (٧٨٠)، والدكتور فى كتابه «البيان النبوى» ص(٣٠) قال: «انظر حديث رقم (٨١٥) فى الفتن للحافظ نعيم» وأورده مقلداً صاحب كتاب «هرمجدون آخر بيان يا أمة الإسلام» رقم (٨١٥) في صفحة (٥٤).

قلت: ومهما اختلفت الطبعات فالمهم عند أهل الفن السند والمتن.

وإن تعجب فعجب كيف يبنى الدكتور كلامه فى أمور ليست هينة على أخبار بغير تحقيق ثم ينزلها على شخص بعينه قلده فى ذلك صاحب كتاب «هرمجدون».

*** التحقيق**:

هذا الخبر باطل واه قال عنه الدكتور أنه حديث، حيث قال: انظر حديث رقم (٨١٥)، وهو ليس بحديث كما هو ثابت عند علماء أصول الحديث حيث أنه ليس من قول النبي ﷺ فيكون مرفوعاً، ولا من قول صحابى فيكون موقوفاً، بل هو من قول تابعى فيكون مقطوعاً.

وفوق أنه مقطوع فالحارث الأعور كذّاب كذبه شيخ البخارى الإمام على ابن المدينى كما بينا آنفاً، ومحمد بن ثابت ليس بشىء متروك، وابن لهيعة ضعيف، وأبو عمر مجهول كما بينا آنفاً.

قلت: والذى يقارن بين هذا الأثر أثر وصف السفيانى وبين حديث عبور السفيانى الفرات، والذى حققناه آنفا فى الحديث الثانى يجد العجب حيث يتفقان فى السند إلا أن الأثر مقطوع، والحديث مرفوع، والسند فى الحالتين تالف.

ولقد جاء الدكتور بخبر أخرجه نعيم بن حماد وفيه نسب السفياني وبقية صفاته وأخذ يطبقها علي الرئيس العراقي في كتابه «البيان النبوي بانتصار العراقيين علي الروم (أمريكا وبريطانيا والترك وتدمير إسرائيل وتحرير الأقصى» ص (٣٠، ٣١) وسأبين في العدد القادم عدم صحة قصة نسب السفياني وتطبيقها على الرئيس العراقي.

ففي هذا العدد وفقنا الله تعالى بالبحوث العلمية الحديثية إلى دحض دعوى التواتر، بل ودحض دعوى الصحة للأحاديث التى صرحت باسم السفيانى فى الأبواب الاثنى عشر، وأدحضت الأثر الذى جاءت به صفات السفيانى وتطبيقها على الرئيس العراقى، وبينت حقيقة نعيم بن حماد ورتبته بالنسبة لشيوخ البخارى حتى لا يغتر القارىء بما يكتبه المؤلف «نعيم بن حماد شيخ البخارى»، وبينت حقيقة كتابه «الفتن».

كل هذا حتى يتبين للقارىء الكريم حقيقة قصة السفيانى الهازم للروم (أمريكا وبريطانيا)، المدمر لإسرائيل المحرر للأقصى، ثم تطبيق صفات ونسب السفيانى على شخص بعينه وهذا أمر خطير جداً يجعل علو الأمة متعلق بشخص معين فإذا هلك وهذه حقيقة كما فى قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ (القصص:٨٨)، ترى الذين غرتهم قصة السفيانى فى هزيمة نفسية أورثتهم الوهن والحزن ولكن الله سبحانه وتعالى جعل علو الأمة فى إيمانها حيث قال سبحانه: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران:١٣٩).

هذا ما وفقني الله إليه، وهو وحده من وراء القصد



(٣٣)

قصة نسب السفياني والرئيس العراقي (*)

نواصل فى هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم؛ حتى يقف على حقيقة هذه القصة التى اشتهرت وانتشرت، واغتربها الكثير نتيجة تنزيل الأخبار التي جاءت فى السفيانى على الرئيس العراقي، بل وصل الحد وطفح الكيل عندما قال الدكتور فاروق الدسوقى: إن أحاديث قصة السفيانى متواترة ليجعل من هذا التواتر عقيدة لأهل السنة؛ حيث كتب هذا فى كتابه «البيان النبوى بانتصار العراقيين على الروم (أمريكا وبريطانيا) والترك وتدمير إسرائيل وتحرير الأقصى» الحائز على جائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية.

فاغتر الناس بالكتاب، وتأثر به صاحب كتاب «هرمجدون آخر بيان يا أمة الإسلام»، واغتر الناس أيضًا بعنوان الكتاب «البيان النبوي»، وظنوا أنه بيان النبى محمد ﷺ، وتوهموا أن البيان متواتر، فأدحضنا بفضل الله وحده دعوى التواتر فى أحاديث السفياني، بل برهنا بالقواعد العلمية الحديثية على عدم صحتها فى الحلقة السابقة، ونواصل تحقيق الأخبار حول قصة السفياني، وفى هذا العدد نقدم للقارئ الكريم «قصة نسب السفيانى والرئيس العراقى» حيث إن الدكتور فى كتابه «البيان النبوى» ص (٢٠) فى التطابق رقم (١٢) من «مطابقة أخبار السفيانى فى السنة على أخبار وأحوال رئيس العراقيين المعاصريين» قال: «السفيانى من نسل خالد بن يزيد بن أبى سفيان، فهو أموى وأمه كلبية، أخواله من قبيلة كلب، وقد سكنت قبيلة كلب شمال دجلة، والمعلوم أن مدينة تكريت تقع بشمال دجلة، وهى مدينة قريبة من مدينة آشور الأثرية... وإذ تبين أن أكثر قبيلة كلب سكنت تكريت وشمال دجلة بعد فتح المسلمين العراق، وأكثر أتباع السفيانى وقواده الذين يطمئن إليهم من قبيلة كلب أى من أهل تكريت». اهـ.

(*) مجلة التوحيد، ربيع الآخر، ١٤٢٤هـ.

قلت: ولما كان كتاب الدكتور «البيان النبوى» مطبوع بتاريخ رمضان ١٤١٨هـ يناير١٩٩٨م كما بيّنا آنفا وصاحب كتاب «هرمجدون» مطبوع بتاريخ شعبان/ ١٤٢٢هـ أكتوبر/ ٢٠٠١. فقد قلد الدكتور فى قصة نسب السفيانى يتبين ذلك من قوله فى كتابه ص (٤٩): «والسفياني هو الذى يمتد نسبه إلى خالد بن يزيد بن أبى سفيان فهو أموى وأمه كلبية، فأخواله من قبيلة كلب وقد سكنت قبيلة كلب بشمال دجلة، والمعروف أن «صدام» من محافظة «تكريت» بشمال دجلة». اهـ.

قلت: ومن يقارن هذا النص بقول الدكتور فى قصة نسب السفياني، يتبين له التقليد.

الأخبار التى استند إليها الدكتور

فى قصة نسب السفيانى

بيّن الدكتور النصوص التى اعتمد عليها فى ذكره لقصة نسب السفيانى.

فقال: «حديث رقم (٨١٢) كتاب «الفتن» لنعيم بن حماد، وكذا رقم (٨١٥)، (٨١٨). اهـ.

قلت: وعزو الدكتور قصة نسب السفيانى لنعيم بن حماد فى كتابه «الفتن» دون بيان لمرتبة هذه الروايات من الصحة أو الضعف أمر بعيد كل البعد عن البحث العلمى الذى تقتضيه أصول علم الحديث دراية، حيث إننا أمام أدلة تبنى عليها الأمور الآتية من الملاحم والفتن، وهى من الأمور التى لا مجال للاجتهاد فيها، فكان لابد من التحقيق الذى تقتضيه قواعد البحث العلمى الدقيق؛ للوقوف على مدى صحة الأدلة التى اعتمد عليها الدكتور فى قصة نسب السفياني؛ حيث إن عامة القراء لا يفرقون بين التخريج والتحقيق.

فالتخريج: هو عزو الحديث إلى كتب السنة الأصلية.

والتحقيق: هو بيان مرتبة الحديث من الصحة والضعف.

والدكتور اكتفى فقط بالعزو لكتاب «الفتن» لنعيم بن حماد

فيتوهم القارئ من هذا العزو الصحة، خاصة وأن الدكتور قال: إنه أحد شيوخ البخاري. ولقد بيّنا فى الحلقة السابقة أن هذا القول فى حاجة إلى تحقيق، وبيّنا حقيقة نعيم بن حماد.

التحقيق

وإلى القارئ الكريم التحقيق لهذه الأدلة التى اعتمد عليها الدكتور فى قصة نسب السفيانى.

الدليل الأول: قال الدكتور حديث رقم (٨١٢) كتاب «الفتن» لنعيم بن حماد.

قلت: وسأذكر الخبر بسنده لاختلاف الطبعات فى الترقيم.

قال نعيم: حدثنا عبد القدوس وغيره، عن ابن عياش، عمن حدثه، عن محمد بن جعفر بن عليّ قال: «السفيانى من ولد خالد بن يزيد بن أبى سفيان، رجل ضخم الهامة، بوجهه آثار جدري، وبعينه نكتة بيضاء، يخرج من ناحية مدينة دمشق فى وادٍ يقال له وادي اليابس، يخرج فى سبعة نفر، مع رجل منهم لواء معقود، يعرفون فى لوائه النصر، يسيرون بين يديه على ثلاثين ميلاً، لا يرى ذلك العلم أحد يريده إلا انهزم».

قلت: هذا الخبر باطل ولا يصح، وقد سماه الدكتور حديثًا، وما هو بحديث كما هو معروف عند أهل الفن، فلا هو بقول النبى ﷺ ليكون مرفوعًا، ولا بقول صحابى ليكون موقوفًا. فهذا خبر مقطوع لم يكن من قول الرسول ﷺ، وفوق ذلك أنه مسلسل بالعلل:

الأولى: فيه راوٍ لم يسم يظهر ذلك فى السند من عبارة: (عمَّن حدثه)، وعند علماء الفن لا تقبل روايته وسبب رد روايته، جهالة عينه لأن من أبهم اسمه جُهلت عينه؛ وجُهلت عدالته من باب أولى، فلا تقبل روايته، وهذا الأثر من نوع (المبهم) «ومُبْهَمٌ ما فيه راوٍ لم يُسم».

الثانية: (محمد بن جعفر بن علىّ) هذا الاسم الثلاثى كما فى طبعة دار الكتب العلمية ص (١٨٩) قال الحافظ ابن حجر فى «اللسان» (٥/ ١١٩) (٣٥١/ ٧١٣٦): «محمد بن جعفر بن علىّ روى عنه أبو الحجنا محمد بن الحسين بن علىّ أحاديث كلها مناكير وموضوعات بأسانيد صحيحة، أفحش القول فيه علىّ بن محمد الميدانى الحافظ، وقال: كان يضع الحديث، ويركِّب على الأئمة».

الثالثة: أنه من أوابد نعيم بن حماد.

قلت: من هذا التحليل العلمى للسند، ونسبة المتن إلى قائله يتبين أن هذا الأثر باطل، لا يصلح دليلاً، ولا تقوم به حجة، خاصة فى هذا الباب لأنه من الأمور الغيبية التى لا تعرف إلا بالوحى الثابت.

ويتبين أيضًا عدم صحة الصفات، وهى:

أ- ضخم الهامة (كبير الرأس).

ب- بوجهه آثار جدرى (نكت أو ندوب فى وجهه).

جـ- بعينه نكتة بيضاء وكسل قليل.

وهذه الصفات للسفيانى جعلها الدكتور فى كتابه «البيان النبوى» (ص٣٠) مطابقة لصفات الرئيس العراقي، وقلده صاحب كتاب «هرمجدون» (ص٥٣)، وجعلها من الصفات الواردة فى الآثار، وقال: «والمشتركة بين السفيانى وصدام» ومع أن الأثر باطل لم يكن السفيانى فيه من جهة العراق، ولكن يخرج من ناحية مدينة دمشق ولقد سقط الأثر فبطل الاستدلال على النسب، وبطلت المشاركة في الصفات. وهذا الأثر الباطل أورده أيضًا صاحب كتاب «هرمجدون» ص (٥٤).

أسباب الوضع فى خبر السفيانى

إن خبر السفيانى الذى نسب إلى خالد بن يزيد بن معاوية بن أبى سفيان زورًا وبهتانًا بأحاديث موضوعة وآثار ساقطة، نسجت منها قصص واهية للسفيانى.

ولقد بيّن الإمام الحافظ المزى فى «تهذيب الكمال» (٥/ ٤٣٠/ ١٦٤٧) أسباب الوضع لأحاديث السفيانى وما تبعها من آثار، حيث قال: «خالد بن يزيد بن معاوية ابن أبى سفيان القرشى الأموى أبو هاشم الدمشقي، أخو عبد الرحمن بن يزيد ومعاوية بن يزيد، وأمه أم هاشم بنت أبى هاشم بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس العبشمية هو من الطبقة الثالثة من تابعى أهل الشام....

ثم ذكر الإمام المزى أن الزبير بن بكار قال: كان -أي خالد بن يزيد بن معاوية بن أبى سفيان – يوصف بالعلم وبقول الشعر، قال عمى مصعب بن عبد الله: « زعموا أنه هو الذى وضع ذكر السفيانى وكثّره، وأراد أن يكون للناس فيهم مطمع حين غلبه مروان بن الحكم على الملك، وتزوج أمه أم هاشم، وقد كانت أمه تكنى به».

الدليل الثاني

الدكتور فى كتابه «البيان المحمدى» ص (٣٠) لإثبات قصة النسب السفيانى أورد أثراً عزاه أيضًا لنعيم بن حماد فى «الفتن» رقم (٨١٥):

قال نعيم بن حماد: حدثنا أبو عمر، عن ابن لهيعة، عن عبد الوهاب بن حسين، عن محمد بن ثابت، عن أبيه، عن الحارث بن عبد الله قال:

«يخرج رجل من ولد سفيان فى الوادى اليابس فى رايات حمر، دقيق الساعدين..».

قلت: هذا الأثر سبق تحقيقه عند دحض دعوى مطابقة أوصاف السفيانى على صدام، وأثبتنا أن هذا أثر وليس بحديث، وهو خبر تالف ومسلسل بالعلل، حيث أثبتنا أن الحارث الأعور كذاب، ومحمد بن ثابت ليس بشيء متروك، وابن لهيعة ضعيف، وأبو عمر مجهول كما بيّنا.

وبهذا يتبين أن الخبر تالف لا تقوم به حجة.

ولقد أورده صاحب كتاب «هرمجدون» ص(٥٤)، ولم يحققه، ولم يدرِ أنه أثر تالف هالك.

الدليل الثالث

الدكتور فى كتابه «البيان المحمدى» ص (٣٠) لإثبات قصة النسب السفيانى وتطبيقه على الرئيس العراقى أورد حديثًا عزاه أيضًا لنعيم بن حماد فى «الفتن» ح (٨١٨): قال نعيم بن حماد: حدثنا بقية بن الوليد، عن الوليد بن محمد بن زيد، سمع محمد بن زيد، سمع محمد بن عليّ يقول: بلغنى أن رسول الله ﷺ قال: ليفتقن رجل من ولد أبى سفيان فى الإسلام فتقًا لا يسده شيء». اهـ.

قلت: هذا خبر باطل للتدليس والانقطاع:

أ- التدليس: بقية مدلس، وقد عنعن، وتدليسه من شر أنواع التدليس؛ لأنه تدليس تسوية.

ب- الانقطاع: لأن محمد بن عليّ روى الحديث بلاغًا، وقال: بلغني.

جـ- وهو من أوابد نعيم بن حماد.

بعد هذا التحليل العلمي قد تبين أن قصة نسب السفياني باطلة، ومحاولة تطبيقها على الرئيس العراقي باطلة أيضًا.

هذا ما وفقني الله إليه، وهو وحده من وراء القصد



(٣٤)

قصة السفياني والرئيس العراقي وهزيمة قوات التحالف (*)

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم؛ حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت وانتشرت، واغتر بها الكثير، نتيجة تنزيل الأخبار التي جاءت في السفياني على الرئيس العراقي، ولقد ادعى أحد الكُتَّاب في كتابه «البيان النبوي بانتصار العراقيين على الروم (أمريكا وبريطانيا) والترك وتدمير إسرائيل وتحرير الأقصى»، وكتب تحت اسمه الحائز على جائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية، وطبعته الأولى رمضان ١٤١٨هـ/ يناير ١٩٩٨م، ولقد ادعى هذا في العنوان، بل وادعى تواتره في البيان النبوي الذي جعله عنوانًا لكتابه، ولقد أدحضنا دَعْوَى التواتر في قوله: «إن الأحاديث عن السفياني كثيرة جداً ومتواترة المعنى»، ولقد أكثر من النقل عن نعيم بن حماد، ويذكر معه أنه شيخ البخاري، وقلده صاحب كتاب هرمجدون، فاغتر بهذا الوصف كثير ممن لا دراية لهم بعلم الجرح والتعديل، ولقد بيَّنا حقيقة نعيم بن حماد، ثم أدحضنا دعوى مطابقة صفات السفياني الخلقية على «صدام»، تلك الصفات التي أوردها صاحب الكتاب «البيان النبوي»، وقلده صاحب كتاب «هرمجدون».

ثم أدحضنا دعوى «أن الرئيس العراقي «صدام حسين» هو ذلك الرجل الملقب بالسفياني في أحاديث النبي ﷺ »، وأثبتنا أنها أحاديث واهية، وأن هذا نسب باطل، كل هذا كان من خلال بحوث علمية حديثية، قدمناها للقارئ الكريم في الحلقتين السابقتين (٣٢، ٣٣).

(*) مجلة التوحيد، جمادى الأولى، ١٤٢٤هـ.

وفى هذه الحلقة الأخيرة من قصة السفيانى والرئيس العراقى

ندحض -بفضل الله وحده- باقى حججهم حول دعوى مطابقة أخبار السفيانى فى السُّنة على أخبار وأحوال رئيس العراقيين المعاصرين.

أولاً: دعوى الربط بين السفياني و«الحصار العراقى»

قال الدكتور صاحب كتاب «البيان النبوى» ص(٢٧) تحت «مطابقة أخبار السفيانى فى السُّنة مع أخبار وأحوال الرئيس العراقى»:

«فى السنة يظهر أمر السفيانى أول ما يظهر بالحصار العالمى على العراق، فهو يَحْدُث فى عصره، وهو الكائن منذ عام ١٩٩٠ حتى الآن».

قلت: ثم جاء بحجة قال فيها فى الحاشية: «وعن ربط الحصار بالسفيانى انظر حديث رقم (٧٠٨) من كتاب الفتن للحافظ نعيم بن حماد المتوفى ٢٨٨هـ، وهو من شيوخ الإمام البخارى».

وقلده في هذا صاحب كتاب «هرمجدون» ص (٥١) حيث قال: «فهذه قرينة أخرى على أن حاكم العراق «صدام» هو السفيانى المذكور فمن هذه الأمور التى ذُكرت فى السفيانى فتحققت فى صدام: «الربط بين السفيانى والحصار». ثم جاء بنفس الخبر الذى احتج به صاحب كتاب «البيان النبوى» فقال: «قال نعيم بن حماد (شيخ البخاري)، وساق بسنده إلى على بن أبى طالب ﷺ قال: «إذا ظهر أمر السفياني لم يَنْجُ من ذلك البلاء إلا من صبر على الحصار».

قلت: ثم عزاه فى الحاشية لنعيم بن حماد حيث قال: «كتاب الفتن» (ص ١٤٤) حديث رقم (٧٠٨). ثم قلد صاحب كتاب «البيان النبوى» شبرًا بشبرًا، إن لم يكن ناقلاً عنه بتصرف حيث قال: «فإذا كان الحصار العالمى للعراق وقع سنة ١٩٩٠م فى زمن صدام حسين، والأثر المذكور يربط بين الحصار والسفيانى فلا أجد غضاضة .... أن أقول: إن صدام العراق هو السفيانى». اهـ.

قلت: فلينظر القارئ الكريم ويقارن، يجد كيف نقل صاحب كتاب «هرمجدون» من صاحب كتاب «البيان النبوي» يظهر ذلك من العبارات الآتية:

١- الحصار العالمى على العراق منذ عام ١٩٩٠ م.

٢- ربط الحصار بالسفيانى.

٣- كتاب الفتن حديث رقم (٧٠٨).

ملحوظة: كتاب «البيان النبوى» طبعته الأولى (رمضان ١٤١٨هـ/ يناير١٩٩٨م).

كتاب «هرمجدون» طبعته الأولى (شعبان ١٤٢٢هـ/ أكتوبر٢٠٠١م).

وهذا يدل على نقله، بل تجد أن العزو صريح إلى كتاب «البيان النبوي» حيث صرح بذلك صاحب كتاب «هرمجدون» ص (٥٢)

قلت: والتقليد أمر خطير، حيث يؤدى بالمقلد إلى أن يعتقد أمورًا دون أن يقف على حقيقة الدليل، وهى لا أصل لها.

لذلك تجد الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ فى «إعلام الموقعين» (١/ ٦) ينقل قول أبى عمر وغيره من العلماء: «أجمع الناس على أن المقلد ليس معدودًا من أهل العلم، وأن العلم معرفة الحق بدليله». اهـ.

قلت: وبعد أن حكى هذا الإجماع قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهذا كما قال أبو عمر رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى؛ فإن الناس لا يختلفون أن العلم هو المعرفة الحاصلة عن الدليل، وأما بدون الدليل فإنما هو التقليد».

تحقيق قصة السفياني والحصار العراقي

هذه القصة أخرجها نعيم بن حماد فى كتابه «الفتن» برقم (٧٠٨) قال حدثنا الوليد ورشدين، عن ابن لهيعة، عن أبى قبيل، عن أبى رومان، عن علىّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «إذا ظهر أمر السفيانى لم ينجُ من ذلك البلاء إلا من صبر على الحصار».

قلت: هذا أثر تالف تصبح به قصة ربط الحصار بالسفيانى واهية، والأثر ضعيف جداً؛ لأنه مسلسل بالعلل:

الأولى: الوليد بن مسلم؛ أورده الحافظ ابن حجر فى «طبقات المدلسين» المرتبة الرابعة رقم (١١)، وقال: «الوليد بن مسلم الدمشقي موصوف بالتدليس الشديد». اهـ.

قلت: وقد عنعن فلا يقبل حديثه كما هو مبين فى مقدمة «الطبقات».

ولقد بيّن الإمام السخاوى فى «فتح المغيث» (١/ ٢٢٧) أن الوليد بن مسلم كان يدلس تدليس التسوية، وهو شر أنواع التدليس؛ لذلك قال علماء هذا الفن: لا يقبل حديثه إلا إذا صرَّح فى السند بالتحديث من مدلس تدليس التسوية إلى نهاية السند فكيف بسند من الوليد إلى نهايته لم يصرح فيه بالسماع.

العلة الثانية: رشدين بن سعد أورده الإمام النسائى فى «الضعفاء والمتروكين» رقم (٢٠٣)، وقال: «رشدين بن سعد متروك الحديث».

قلت: وهذا المصطلح عند الإمام النسائى له معناه عند علماء الفن يتبين ذلك من قول الحافظ ابن حجر فى «شرح النخبة» (ص٦٩):

«مذهب النسائى أن لا يترك حديث الرجل حتى يجتمع الجميع على تركه». اهـ .

لذلك قال ابن معين: «ليس بشيء»، وقال الجوزجانى: «عنده مناكير كثيرة»؛ كذا فى «الميزان» (٢/ ٤٩/ ٢٧٨٠) .

العلة الثالثة: ابن لهيعة، وهو عبد الله بن لهيعة ضعيف ومدلس، أورده ابن حجر فى «طبقات المدلسين» المرتبة الخامسة رقم (١٢)، وقد عنعن، وقال الإمام ابن حبان في «المجروحين» (٢/ ١٢): «وقد سبرت أخبار ابن لهيعة من رواية المتقدمين والمتأخرين عنه، فرأيت التخليط فى رواية المتأخرين عنه موجودًا، وما لا أصل له من رواية المتقدمين كثيرًا، فرجعت إلى الاعتبار، فرأيته كان يدلس عن أقوام ضعفن عن أقوام رآهم ابن لهيعة ثقات فالتزقت تلك الموضوعات بهم.

العلة الرابعة: أنه من أوابد نعيم بن حماد.

والعلة الخامسة: أبو رومان لم أجد له ترجمة.

قلت: فإن تعجب فعجب قول صاحب كتاب «البيان النبوى»: «فى السنة يظهر أمر السفياني أول ما يظهر بالحصار العالمي، وعن ربط الحصار بالسفيانى انظر حديث رقم (٧٠٨) من كتاب «الفتن» لنعيم ابن حماد، وهو من شيوخ البخارى».

وقد تبين للقارئ الكريم أن هذا ليس بالبيان النبوي، وليس من السنة، ولا يصح حتى موقوفًا على الإمام علىّ ﷺ بل هو أثر واهٍ مسلسل بالمدلسين والمتروكين والضعفاء، وأبو رومان لا يعرف.

وإن تعجب أيضًا فعجب قول صاحب كتاب «هرمجدون»: «قال نعيم بن حماد (شيخ البخارى) وساق بسنده إلى علىّ بن أبى طالب ﷺ» اهـ.

قلت: ولقد بيَّنا للقارئ الكريم حقيقة نعيم بن حماد الذى وضع الكاتب، وصفه بين قوسين، فيتوهم من لا دراية له بعلم الجرح والتعديل الصحة، ولكن هيهات كما هو مبين فى الحلقة (٣٢). ثم انظر إلى الأعجب من ذلك قوله: «وساق – أى نعيم ابن حماد – بسنده إلى علىّ ابن أبى طالب ﷺ».

فهلا حقق هذا السند ليقف على حقيقته، إن كان لا يدرى فهذه مصيبة، وإن كان يدرى فالمصيبة أعظم، فالسند مملوء بالعلل من متروكين ومدلسين وضعفاء، وهو موقوف واهٍ ليس من كلام النبى ﷺ.

* فقصة الحصار باطلة سندًا ومتنًا فربط الحصار بالسفيانى ربط واهٍ كما بيّنا آنفًا.

وربط السفيانى بالعراق أيضا ربط واهٍ قد بيَّناه فى «تحذير الداعية من القصص الواهية» فى الحلقة السابقة رقم (٣٣)، وبيّنا أن الأثر باطل، ومع بطلانه لم يكن السفيانى المزعوم ليخرج من جهة العراق، ولكن جاء فيه: «أنه يخرج من ناحية مدينة دمشق فى وادٍ يقال له وادى اليابس».

قلت: ولقد بيّنت هناك الأسباب السياسية التى أدت إلى وضع هذه الأخبار الباطلة، تحت ما يسمى بقصة السفيانى.

ثانيًا : «قصة السفياني وقوات التحالف»

يزعم صاحب كتاب «البيان النبوى» أن السفيانى فى السُّنة يقاتل قوات التحالف مرتين، ويهزمهم شر هزيمة، حيث قال فى كتابه هذا ص (٢٠): «يحدث فى هذا العهد قتاله للروم فى عمق الجزيرة أربعين يومًا يخرج كل طرف منهما ولم يأخذ من الآخر شيئًا، وقد تم هذا عام ١٩٩١م، ولا زال الحصار مستمراً (ثم يأتي) العهد الثاني هو عهد خروجه من وادي اليابس، وهو يقاتل الروم (أوربا- وأمريكا) والترك ويهزمهم شر هزيمة». اهـ ثم يجزم بأن السفيانى هو الرئيس العراقى صدام حسين.

قلت: ويفصّل ذلك تفصيلاً فى كتابه «البيان النبوى» ص(٣٢) حيث قال: «سيحارب — السفيانى — الروم (أمريكا وإنجلترا وفرنسا وغيرهم من الأوروبيين) والترك، ويقتل من الروم ما تشبع الطيور والسباع من لحومهم، ويأسر منهم مائة ألف فى موضعين: قرقيسياء وهى عند مصب نهر الخابور فى نهر الفرات، وتقع الآن بين بلدتى دير الزور والميادين فى شرق سوريا، والموضع الثانى بعاقرقوف، وهى اسم قرية أصبحت الآن فى بغداد، وينزل بالترك ذبح الله الأعظم، ويساعده الله ﷻ إما بالثلج أو بالطاعون، وتجمع الآثار الواردة الترك مع الروم فى هذه الموقعة، وهو ما تم أخيرًا بالتحالف بين أمريكا وتركيا وإسرائيل والأردن وضمنا الكويت ودول الخليج ضد العراق». اهـ.

قلت: هذا ما قال صاحب كتاب «البيان النبوى» فى كتابه عام ١٩٩٨ م، وأخذ عنه هذه المزاعم صاحب كتاب «هرمجدون» عام ٢٠٠١م، حيث قال فى كتابه ص (٥٤): «السفيانى يهزم الجماعة مرتين»، ويستشهد على ذلك فيقول: روى نعيم بن حماد بسنده عن خالد بن معدان قال: «يهزم السفيانى الجماعة مرتين ثم يهلك» (أثر رقم ٨٥٨).

قلت: وبغير تحقيق لهذا الخبر ينزل هذا الخبر بالجزم على قوات التحالف، حيث قال (ص٥٥): «إذن فالمراد بالجماعة التى يهزمها السفياني قطعًا هم جماعة قوات التحالف العالمى التى اجتمعت لضرب العراق وقائدها «صدام» السفيانى سنة ١٩٩٠ م، ويؤيد ذلك الآثار ... ». اهـ.

قلت: ثم يتسائل قائلاً: «فهل انتصر صدام (السفياني) فى هذه الحرب؟» ثم يجيب على نفسه فيقول: «الجواب : أجل ... لأن قوات التحالف (الجماعة)، والتى جمعت له الدنيا كلها (٣٧) دولة لم تحقق هدفها فى إسقاط نظام العراق وقتل حاكمه وتركيع شعبه، فانتهت الحرب والنظام باقٍ وشعبية (صدام) قد بلغت الآفاق والشعب هناك وإن سقط منهم قتلى — ما زال يردد : «بالروح بالدم نفديك يا صدام» ... فإن كانت (الجماعة) لم تحقق أهدافها وصمد صدام أمامها، أليس هذا يعتبر نصراً؟

لقد هزم (السفيانى) الجماعة مرة ، والأثر يبين أن الجماعة ستضربه مرة أخرى، وهذا ما صرح به الأمريكان أكثر من مرة بحجة ضرب الإرهاب، ولن يفلحوا فى تحقيق أهدافهم هذه المرة أيضًا كما فشلوا أول مرة». اهـ.

قلت: وإن تعجب فعجب كيف يتكلم بهذا الكلام دون تحقيق للخبر، ويتثبت من صحته .

فهذا الصنيع بعيد كل البعد عن البحث العلمى الذى يقول لهذا الكاتب وأمثاله: «ثبّت عرشك، ثم انقش».

فهذا الأثر واهٍ كما سنبين، فعرش هذا الأثر أوهن من بيت العنكبوت، كيف تنقش عليه نصراً لصدام، وأنه هزم قوات التحالف مرة، وسيهزمهم مرة أخرى، وأن نظام صدام لم يسقط والنظام باقٍ وشعبية صدام قد بلغت الآفاق، وبدلاً من أن يحقق الآثار راح ينقش بهتاف شعب مغلوب على أمره: «بالروح بالدم نفديك يا صدام»؛ ليوهم الناس بإنزال هذه الآثار الواهية على السفيانى (صدام) وأنه انتصر مرة وهزم قوات التحالف، وسيهزمهم مرة أخرى.

أهكذا يكون تحقيق الأحاديث والآثار والشاهد والمتابع هو هتافات شعب مغلوب على أمره.

والواقع قد كذَّب هذا الكاتب وأمثاله، فالشعب الذي يدّعى أنه قال: «بالروح بالدم نفديك يا صدام» هو الشعب الذى ضرب تمثاله بالنعال يوم خيانته وهزيمة النظام وسقوطه ليُداس بالأقدام.

ألم يأنِ لهؤلاء الكُتّاب أن يحققوا هذه الآثار قبل إنزالها على الواقع، فيأتى الواقع على عكس ما قال هؤلاء، فيكذِّب الناسُ السُّنةَ.

أين علم الإسناد فى مثل هذه الأمور الخطيرة، هذا العلم الذى خص الله به هذه الأمة، ولقد بين أهميته سلفنا الصالح، حيث أخرج الإمام مسلم فى مقدمة «الصحيح» باب «الإسناد من الدين» قال:

١ - حدثنى محمد بن عبد الله بن قُهْزاذ -من أهل مرو-، قال : سمعت عَبْدان بن عثمان يقول: سمعت عبد الله بن المبارك يقول: «الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء».

قلت: وبالاستقراء وجدت أن كتابة هؤلاء خالية من البحوث العلمية الحديثية لهذا الفن العظيم، وسوّدوا كتبهم بهذا الكلام الذى أظهر الواقع فساده.

تحقيق الآثار

الأثر: أخرجه نعيم بن حماد فى كتاب «الفتن» رقم (٨٥٨) قال: حدثنا عبد القدوس، عن أرطأة، عن سنان بن قيس، عن خالد بن معدان قال: «يهزم السفياني الجماعة مرتين ثم يهلك».

وإلى القارئ الكريم تحقيق هذا الأثر:

١ - هذا الكلام لم يكن من كلام النبى ﷺ ، فلا يصح أن نقول عنه «البيان النبوي» كما يزعم صاحب كتاب «البيان النبوي»، ولا نقول عنه إنه من السنة، وبالتحقيق لم

يكن كلام صحابي، فلا يصح أن يكون مرفوعًا أو موقوفًا، بل هو مقطوع، حيث إنه من قول خالدبن معدان. قال الحافظ فى «التقريب» (١/ ٢١٨): خالد بن مَعدان الشامى يرسل كثيرًا من الثالثة مات سنة ثلاث ومائة.

قلت: والثالثة هى الطبقة الوسطي من التابعين كما بيَّن ذلك الحافظ فى مقدمة «التقريب»، إذن هذا الخبر مقطوع.

٢- سنان بن قيس؛ أورده ابن أبى حاتم فى «الجرح والتعديل» (٤/ ٢٥٣) برقم (١٠٩٥)، ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلاً.

٣- والأثر مع أنه مقطوع، انفرد به نعيم بن حماد، فهو من أوابده، كما بيَّن ذلك الإمامُ الذهبي فى «التلخيص» (٤/ ٤٦٩)، وهو متهم بالكذب فالأثر ضعيف جداً.

٤- ومع أن الخبر لم يثبت ولم يصح عن النبى ﷺ، ولا عن صحابي، فالادعاء بأن الجماعة التى يهزمهم السفيانى مرتين هم قوات التحالف الروم (أمريكا وبريطانيا) والترك ادعاء باطل، حيث إن هذا الأثر الباطل جعله نعيم بن حماد فى كتابه «الفتن» تحت باب رقم (٣٣) وعَنْوَنه بقوله: «ما يكون بين بنى العباس وأهل المشرق والسفيانى والمروانيين فى أرض الشام وخارج منها إلى العراق».

السفيانى صدام حسين ومعركة قرقيسياء

قال الدكتور صاحب كتاب «البيان النبوى»:

«سيحارب السفيانى الروم (أمريكا وإنجلترا وفرنسا وغيرهم من الأوروبيين) والترك، ويقتل من الروم ما تشبع الطيور والسباع من لحومهم، ويأسر منهم مائة ألف فى قرقيسياء... ».

قلت: إلى القارئ الكريم الخبر الذى اعتمد عليه صاحب كتاب «البيان النبوى»؛ أخرج نعيم بن حماد فى كتاب «الفتن» باب (٣٤) برقم (١٢) قال:

حدثنا الوليد ورشدين، عن ابن لهيعة، عن أبى قبيل، عن أبى رومان، عن علىّ

قال: «يظهر السفيانى على الشام، ثم يكون بينهم وقعة بقرقيسياء، حتى يشبع طير السماء وسباع الأرض من جيفهم، ثم يفتق عليهم فتقًا من خلفهم، فتقبل طائفة منهم، حتى يدخلوا أرض خراسان، وتقبل خيل السفيانى فى طلب أهل خراسان، فيقتلون شيعة آل محمد بالكوفة». اهـ.

قلت: هذا خبر باطل مسلسل بالمدلسين والمتروكين والضعفاء .

وسند معركة قرقيسياء هذه سند باطل، منسوب كذبًا إلى الإمام علىّ ﷺ ، وهو نفسه سند قصة السفيانى والحصار العراقي، والذى حققناه آنفًا وبيّنًا علله.

وفوق هذه المصائب التى فى السند تأتى قرينة أخرى فى المتن تدل على بطلانه، حيث تجعل معركة قرقيسياء بين قوات التحالف والسفيانى صدام معركة خيل، حيث قال فى المتن: «تقبل خيل السفيانى».

فهل المعركة كانت معركة خيل؟ أم كانت معركة طائرات ودبابات ومدافع بأحدث ما وصلت إليه علوم العصر، بل وقنابل عنقودية.

وهذه القرينة تدل على وضع هذه الآثار، وأنها ليست من السنة، وقد ظهرت علامات الوضع التى بيّنها الإمام ابن القيم فى «المنار المنيف» على خبر السفيانى كما فى فصل (٧) ، وفصل (١٣).

وبالبحث فى كتاب «الفتن» لنعيم بن حماد كى أقف على طبيعة معارك السفيانى الذى جزم صاحب كتاب «البيان النبوى» ص (٢٠) بأنه صدام حسين حيث قال: «وهذا كله ينطبق على الرئيس العراقى صدام حسين وهو السفيانى». وكذلك جزم صاحب كتاب «هرمجدون» ص (٥٥) حيث قال: «إذن فالمراد بالجماعة التى يهزمها السفيانى قطعًا هم جماعة قوات التحالف العالمى التى اجتمعت لضرب العراق وقائدها «صدام» السفيانى».

طبيعة معارك السفياني (صدام) مع قوات التحالف

بالبحث وجدت أن معارك السفيانى الذى زعموا أنه صدام معارك خيل:

١ - ففى كتاب «الفتن» باب (٣٤) «ما يكون من أهل الشام ... وما يكون من السفيانى». جاء فى الأثر رقم (١٣) بهذا الباب: «وتُقبل خيل السفيانى كالليل والسيل، فلا تمر بشيء إلا أهلكته وهدمته».

قلت: وهذا أثر تالف، مسلسل بالضعفاء والمتروكين والمدلسين: الوليد ورشدين وابن لهيعة.

٢- وكذلك فى الباب (٣٦): «دخول السفياني وأصحابه الكوفة» الأثر رقم (٢) فى هذا الباب جاء فيه: «ودخوله الكوفة بعد ما يقاتل الترك والروم بقرقيسياء، ثم ينفتق عليهم خلفهم فتق، فترجع طائفة منهم إلى خراسان، فتقبل خيل السفياني، ويهدم الحصون ....» وهذا خبر تالف مقطوع، من أوابد نعيم. طبيعة المعركة فيه مع الروم (أمريكا وإنجلترا) والترك معركة خيل أيضًا، وقد بيّنا آنفًا تلف الموقوف المنسوب للإمام عليّ رضي الله عنه.

٣- وكذلك فى معركة السفيانى الأخيرة فى الباب (٤٤) « اجتماع الناس بمكة..» الأثر رقم (٨)، فى هذا الباب جاء فيه: حدثنا الوليد ورِشدين، عن ابن لهيعة، عن أبى قبيل، عن أبى رومان، عن عليّ رضي الله عنه قال: « إذا هزمت الرايات السود خيل السفيانى التى فيها شعيب بن صالح، تمنى الناس المهدي، فيطلبونه فيخرج من مكة، ومعه راية النبى ﷺ ، فيصلى ركعتين بعد أن يئس الناس من خروجه لما طال عليهم من البلاء، فإذا فرغ من صلاته انصرف، فقال: أيها الناس ألحَّ البلاء بأمة محمد ﷺ وبأهل بيته خاصة قُهرنا وبُغى علينا».

قلت: هذا أثر باطل منسوب إلى الإمام عليّ رضي الله عنه ، وعلامات الوضع ظاهرة عليه، وهو من وضع الشيعة، لذلك أوردته بتمامه، وهو مسلسل بالمدلسين والمتروكين والضعفاء والمجهولين كما بيّنا آنفًا.

معركة عاقرقوف

قال صاحب كتاب «البيان النبوى» ص (٣٢) «إن صدام -وهو السفيانى- سيحارب الروم (أمريكا وإنجلترا وفرنسا وغيرهم من الأوروبيين) والترك، ويقتل من الروم ما تشبع الطيور والسباع من لحومهم، ويأسر منهم مائة ألف فى موضعين: قرقيسياء... والموضع الثانى بعاقرقوف، وهى اسم قرية أصبحت الآن فى بغداد...».

قلت: ولقد قمت بتخريج وتحقيق الآثار فى معركة قرقيسياء وبينت آنفًا أنها آثار واهية باطلة.

أما معركة عاقرقوف فقد أخرج نعيم بن حماد فى «الفتن» باب (٣٥): «ما يكون من السفيانى فى جوف بغداد.. » حديث رقم (٢) من حديث ابن مسعود، عن النبى ﷺ قال: «إذا عبر السفياني الفرات، وبلغ موضعًا يقال له عاقرقوف -محا الله تعالى- الإيمان من قلبه، فيقتل بها إلى نهر يقال له الدجيل سبعين ألفًا... ».

قلت: هذا حديث موضوع سبق أن بيّنت علله فى الحلقة (٣٢) من متروكين وكذابين ومدلسين، ومن هذه الحلقات الثلاثة يتبين أنه لا يصح فى أحاديث السفياني حديث، وأن محاولة إنزالها على الرئيس العراقي وقوات التحالف ضلال مبين للجهل بصناعة الحديث أضلوا به كثيراً .

هذا ما وفقني الله إليه، وهو وحده من وراء القصد

❁ ❁ ❁ ❁

(٣٥)

قصة المغُسَّلِة والإمام مالك (*)

نواصل فى هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم؛ حتى يقف على حقيقة هذه القصة التى اشتهرت وانتشرت على ألسنة القصاص والخطباء والوعاظ، ومما ساعد على انتشارها انتشاراً واسعًا بين الناس أن أحد الخطباء المشهورين -عفا الله عنا وعنه- أورد هذه القصة فى خطبة له بعنوان «الإمام مالك ابن أنس» برقم (١٧٢)، وزاد عليها أن جعل هذه القصة سببًا فى قولهم «لا يفتى ومالك فى المدينة»، وهذه القصة وصلت بالأسلوب الخطابى إلى أكثر من مائة سطر عند تحويلها من المسموع إلى المقروء فى كتاب «الخطب المنبرية» الجزء الثانى عشر ص (٧، ٨، ٩، ١٠، ١١).

وكما عوَّدنا القارئ الكريم من خلال هذه السلسلة أننا لا يهمنا فى هذه الأبحاث أسماء الأشخاص؛ لئلا يتقول علينا متقول ما لم نقله، أو يتوهم واهم فيما نقوله ما لم نقصده، وأن الذي يهمنا هو «بيان حقيقة القصة».

* وإلى القارئ الكريم القصة كما جاءت فى كتاب «الخطب المنبرية» ص (٧) ولكن أجردها من الأشعار والأخبار التى ليست أصلاً فى القصة، والتى استخدمت للوعظ من خلال القصة مثل «البر لا يبلى ... والذنب لا ينسى ... والديان لا يموت..» وهو أيضًا خبر لم يصح عن النبى ﷺ، وهذه هى القصة، قال: «ولد مالك عام ٩٥ هجرية، ومات عام ١٧٩ هجرية، وسماه الناس تسمية لم ينلها غيره .. لا يفتى ومالك فى المدينة ... ما دام مالك فى المدينة ... فلا فتوى ومالك فى المدينة، أتدرون لماذا أيها السادة الأعزاء؟ أتدرون لماذا لا يفتى ومالك فى المدينة؟

اسمعوا هذا الحادث ثم بعد ذلك تأملوا فى ملك الله.

(*) مجلة التوحيد، جمادى الآخر، ١٤٢٤هـ.

«إن امرأة من نساء المدينة المنورة ماتت.. ولما ماتت جيء لها بالمغسلة لتغسلها، ولما وضع الجثمان ليغسَّل ... وجاءت المغسلة تصب الماء على جسد الميتة، وبينما هى تصب الماء على فرجها إذ ذكرتها بسوء، وقالت: كثيرًا ما زنى هذا الفرج. فماذا حدث؟ هل يترك الأمر هكذا، وإن كان المقذوف بالزنا ميتًا .. فماذا حدث؟ لقد التصقت يد المغسلة بجسم الميتة .. التصقت كأن مغناطيسًا شديد الجذب جذبها بحيث أصبحت لا تقوى على تحريك يدها... وأغلقت الباب حتى لا يراها أحد على هذه الحال.. وأهل الميتة فى خارج الحجرة، ينتظرون تكفين الجثة... أنحضر الكفن؟ فتقول (المغسلة): مهلاً .. أنحضر الكفن؟ فتقول: مهلاً .. ودخلت إحداهن فوجدت الموقف هكذا... وظل الموقف على ما هو عليه، وأخذوا رأى العلماء فى يد المغسلة والميتة. قال أحد العلماء: «نقطع يد المغسلة لندفن الميتة ... فإن دفن الميت أمر واجب». وقال بعضهم: «بل نقطع قطعة من جسد الميتة لنخلص المغسلة، فإن الحى أولى من الميت».

واحتدم الخلاف ... ووقف علماء المدينة حائرين أيقطعون يد المغسلة، أم يقطعون قطعة من جسد الميتة، وأخيرًا اهتدوا إلى أن يسألوا الإمام مالك بن أنس ﷺ، قالوا: كيف نختلف وبيننا الإمام مالك؟ ذهبوا إلى الإمام مالك وسألوه .. وإذا بالإمام مالك يأتى على جناح السرعة ... وسألها من وراء حجاب .. وقال لها: ماذا قلت فى حق الميتة؟ قالت: يا إمام لقد رميتها بالزنا ... قال الإمام مالك: «تدخل بعض النسوة على المغسلة، وتجلدها ثمانين جلده. مصداقًا لقول الله جل في علاه: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ (النور:٤).

ودخلت النساء وجلدن المرأة المغسلة القاذفة، وبعد تمام الجلدة الثمانين رفعت يدها عن جسد الميتة.. من هنا قيل: لا يفتى ومالك فى المدينة». اهـ.

قلت: هذه هى القصة التى قالها الخطيب –عفى الله عنا وعنه– وأوردها فى كتابه

«الخطب المنبرية» فى أكثر من مائة سطر اختصرتها فى ستة وعشرين سطرًا محافظًا للأمانة العلمية على ما خرج من لسانه حول هذه القصة».

خلو القصة من أصول الصناعة الحديثية

مع أن القصة أوردها الخطيب فى كتابه فى أكثر من مائة سطر، فالزوائد الخطابية بعد التجريد الشديد وصلت إلى ثمانين سطرًا لم يوجد بها سطر واحد يبين الصناعة الحديثية، وتناقلها الناس، حتى أن صاحب منظومة «دليل السالك إلى موطأ الإمام مالك» أوردها في ص (١٠٤) دون تحقيق حيث قال:

وقصـــة الغاســـلة الشـــهيره ❁ دلـــت علـــى فطنتـــه المـــنيره
قيـــل لأجـــل هـــذه القرينـــه ❁ لم يُفتِ معه وهو فى المدينه
فكـــان ذاك ســـائـــرًا كالمثل ❁ لأن مالكـــاً قليل المثـل

قلت: فلا تعجب أيها القارئ من نظم هذه القصة المفتراة على الإمام مالك بن أنس، وهو من السابعة كما قال الحافظ ابن حجر فى «التقريب» (٢/ ٢٢٣): «مالك ابن أنس بن مالك بن أبى عامر ابن عامر الأصبحي، أبو عبد الله المدني الفقيه، إمام دار الهجرة، رأس المتقين، وكبير المثبتين، من السابعة، مات سنة تسع وسبعين، وكان مولده سنة ثلاث وتسعين». اهـ.

قلت: انظر إلى قوله: «كان مولده سنة ثلاث وتسعين»، ففيه تصحيح لما أوردناه آنفًا من قول الخطيب فى كتابه «الخطب المنبرية» أنه ولد عام ٩٥ هجرية.

وانظر إلى قوله «من السابعة»، والسابعة هى طبقة كبار أتباع التابعين كذا فى «التقريب» (١/ ٦).

فلا تعجب إن وجدت نظمًا فى قصة مفتراة على الإمام مالك، وهو من طبقة أتباع التابعين، فكم من نظم فى قصص مفتراه على التابعين، وكم من نظم فى قصص مفتراة على الصحابة، بل وكم من نظم لقصص واهية نُسبت إلى رسول الله ﷺ فكم من

أشعار نظمت فى قصة «ثعبان الغار»، وقد بيّنا وضعها فى الحلقة رقم (١) من سلسلة «تحذير الداعية من القصص الواهية».

فلا يغرنك نظم أو كشف؛ فإن الأحاديث لا تثبت إلا بالأسانيد، لا بنحو الكشف وأنوار القلوب، انظر «قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث» ص(١٨٤) للقاسمى.

التحقيق

وإلى القارئ الكريم تحقيق هذه القصة التى اشتهرت وانتشرت فى كل مكان، فلقد أوردها الحافظ ابن حجر فى «لسان الميزان» (٦/ ٣٧٢) (٢٥٤/ ٩٣٢٨) هذه القصة التى ذكرها الخطيب بتصرف، ولقد أوردها الحافظ بسندها حيث قال: «قرأت بخط الحافظ قطب الدين الحلبى ما نصه: «وسيدى أبى عبد الرحمن ابن عمر ابن محمد بن سعيد، وجدت بخط عمى بكر بن محمد بن سعيد، حدثنا يعقوب بنُ إسحاق بن حجر العسقلانى إملاءً قال: حدثنا إبراهيم بن عقبة، حدثنى المسيب بن عبد الكريم الخثعمى، حدثتنى أمة العزيز أمرأة أيوب بن صالح صاحب مالك قالت: «غسلنا امرأة بالمدينة، فضربت امرأة يدها على عجيزتها. فقالت: ما علمتك إلا زانية، أو مأبونة، فالتزقت يدها بعجيزتها».

فأخبروا مالكًا فقال: «هذه المرأة تطلب حدَّها، فاجتمع الناس، فأمر مالك أن تضرب الحد ، فضربت تسعة وسبعين سوطًا، ولم تنزع اليد، فلما ضربت تمام الثمانين، انتزعت اليد، وصلى على المرأة ودفنت». اهـ.

قلت: (المأبون) من يتعاطى اللواط كذا فى «تكملة المعاجم العربية» (١/ ٦٨).

والحافظ رَحِمَهُ اللهُ عندما أورد القصة فى «اللسان» لم يسلك مسلك الخطباء والوعاظ والقصاص، فأكثرهم ينقشون دون أن يثبتوا عروشهم ولكنه سلك مسلك حذاق المحدثين، هذا المسلك يتبين في أمرين:

الأول: أورد القصة بسندها، فساعدنا على كشف عوارها.

وهذا طريق أهل الحديث الذين قرروا أن من أسند فقد أحال، ومن أسند فقد برئت عُهدته؛ لأنه ذكر الوسيلة إلى معرفة درجة الحديث.

ولقد عجبت من خطيب فى بلدنا قلَّد الشيخ فنقل القصة بحروفها وعباراتها وزوائدها التى تجاوزت ثمانين سطرًا، وعجز عن حفظ السند الذى لم يتجاوز أربعة سطور، بها يتبين المحذور.

الثاني: الحافظ ابن حجر لم يكتفِ بذكر السند لهذه القصة، بل أشار إلى أن هذه القصة واهية، وعلتها يعقوب بن إسحاق العسقلاني، حيث أورد هذه القصة فى ترجمته وقال: «وقد وجدت له حكاية، يشبه أن تكون من وضعه»، ثم ذكر القصة.

قلت: فالقصة كما أشار الحافظ ابن حجر: (موضوعة).

قال السيوطي في «التدريب» (١/ ٢٧٤): «الموضوع هو الكذب المختلق المصنوع، وهو شر الضعيف وأقبحه، وتحرم روايته مع العلم بوضعه فى أى معنى كان، سواء الأحكام والقصص والترغيب وغيرها، إلا مقرونًا ببيان وضعه». اهـ.

قلت: إذن فالقصة واهية.

* وعلتها: يعقوب بن إسحاق العسقلاني، قال الإمام الذهبى فى «الميزان» (٤/ ٤٤٩/ ٩٨٠٤) : «يعقوب بن إسحاق العسقلانى: كذاب»، وأورده الحافظ ابن حجر فى «اللسان» (٦/ ٣٧٢) (٢٥٤/ ٩٣٢٨).

أ- ثم ذكر له أحاديث، وقال : «هذا من أباطيل يعقوب».

ب- ثم بيَّن اسمه بالتفصيل، فقال: «هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم بن يزيد ابن حجر بن محمد العسقلاني، المعروف بابن حجر». اهـ.

جـ- بيَّن التاريخ فقال: «ولد سنة أربع وعشرين ومائتين، ومات بعد العشرين وثلاثمائة».

فائدة: فابن حجر العسقلانى يترجم لابن حجر العسقلاني، وهذا النوع يسمى فى علوم الحديث «المتفق والمفترق».

وهو أن تتفق أسماء الرواة وأسماء آبائهم فصاعدًا خطًا ولفظًا، وتختلف أشخاصهم، ومن ذلك أن تتفق أسماؤهم وكناهم، أو أسماؤهم ونِسْبَتُهم، ونحو ذلك، وهذا النوع مهم جدًا، فقد زلق بسبب الجهل به غير واحد من أكابر العلماء .

لذلك قال الحافظ فى «شرح النخبة» ص (١٧٦) : «وفائدة معرفته: خشية أن يُظَنَّ الشخصان شخصًا واحداً».

تطبيق على المتفق والمفترق

المتفق «الجد والنسب»	المفترق			
	المرتبة	الاسم	الميلاد	الوفاة
ابن حجر العسقلانى	كذاب صاحب هذه القصة	يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم بن يزيد بن حجر ابن محمد العسقلانى.	٢٢٤هـ	٣٢٠هـ
ابن حجر العسقلانى	الحافظ صاحب التصانيف تزيد على (٢٧٠) مصنف	أحمد بن علىّ بن محمد بن محمد بن علىّ بن محمود بن حجر الكنانى العسقلانى الشافعى تلميذ العراقى – خطب فى الجامع الأزهر – وجامع عمرو بن العاص – تولى منصب الإفتاء أكثر من ثلاثين عامًا.	٧٧٣هـ على شاطئ نيل مصر القديمة	٨٥٢هـ

وعلة أخرى فى سند القصة: المسيب بن عبد الكريم.

قال الذهبى فى «الميزان» (٤/ ١١٦/ ٨٥٤٦): المسيب بن عبد الكريم اتهمه «الدارقطنى»، ووافقه ابن حجر فى «اللسان» (٦/ ٤٧) (١٦٠٨/ ٨٣٩٣)، وأورد له حديث، وقال: «هذا حديث باطل عن مالك عن نافع عن ابن عمر، والمتهم بوضعه المسيب بن عبد الكريم». اهـ.

قلت: أورد ابن عراق فى «تنزيه الشريعة» (١/ ١٧) أسماء المجروحين فقال: «سَرْد أسماء الوضاعين والكذابين، ومن كان يسرق الأحاديث ويقلب الأخبار».

ثم ذكر فى هذه الأسماء: المسيب بن عبد الكريم فى حرف الميم رقم (٣٣٦) (١/ ١١٧).

وعلة ثالثة: إبراهيم بن عقبة مجهول. انظر «لسان الميزان» (١/ ٧٧/ ٢٣٩)، وبيان المتفق والمفترق فى اسم إبراهيم بن عقبه.

بهذا يتبين أن هذه القصة واهية مكذوبة مفتراة على الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ وإن تعجب فعجب أن هذه القصة المفتراة على الإمام مالك، خطبها الخطيب بصيغ الجزم، مثل: قال الإمام مالك ... أمر الإمام مالك أن تضرب الحد، بل بدأ القصة بالتأكيد بـ (إن)، حيث قال: «إن امرأة من نساء المدينة ماتت...»، وفى أثناء القصة (بقد) حيث قال: «لقد التصقت يد المغسلة بجسم الميتة ... ».

قلت: وهذا لا يصح عند العلماء المحققين، وقد يحسبه البعض أنه هين، ولكنه عند علماء الفن عظيم.

إخـلال وتساهل

قال الإمام النووي في «المجموع شرح المهذب للشيرازي» (١/ ١٠٤): «قال العلماء المحققون من أهل الحديث وغيرهم: إذا كان الحديث ضعيفًا لا يقال فيه: قال رسول الله ﷺ أو فعل أو أمر أو نهى أو حكم وما أشبه ذلك من صيغ الجزم ، وكذا لا يقال فيه رَوَى أبو هريرة، أو قال، أو ذَكَر، أو أخبر، أو حدَّث، أو نقل، أو أفتى، وما أشبهه، وكذلك لا يقال ذلك فى التابعين ومن بعدهم فيما كان ضعيفًا، فلا يقال فى شيء من ذلك بصيغة الجزم.

وإنما يقال فى هذا كله رُوِىَ عنه أو حُكِيَ أو جاء عنه، أو بلغنا عنه، أو يُقَال أو يُذكر، أو يُحكى، أو يُرْوى ، أو يُرْفَع، أو يُعْزَى، وما أشبه ذلك من صيغ التمريض، وليست من صيغ الجزم.

قالوا: فصيغ الجزم موضوعة للصحيح أو الحسن، وصيغ التمريض لما سواهما، وذلك أن صيغة الجزم تقتضى صحته عن المضاف إليه، فلا ينبغى أن يطلق إلا فيما صح، وإلا فيكون الإنسان فى معنى الكاذب عليه، وهذا الأدب أخل به المصنف وجماهير الفقهاء من أصحابنا وغيرهم، بل جماهير أصحاب العلوم مطلقًا، ما عدا حذاق المحدِّثين، وذلك تساهل قبيح، فإنهم يقولون كثيرًا فى الصحيح: رُوِىَ عنه، وفى الضعيف: قال، ورَوَى فلان، وهذا حيدٌ عن الصواب». اهـ.

قلت: انظر إلى أقوال العلماء المحققين فى أصول الرواية، ثم احذر الذين يتقولون بعض الأقاويل على الصحابة والتابعين ومن بعدهم، ويبيحون لأنفسهم هذا الصنيع.

ثم انظر إلى ما نقله عنهم الإمام النووى من قولهم: «وكذلك لا يقال ذلك فى التابعين ومن بعدهم فيما كان ضعيفًا».

قلت: فما بالكم بما كان واهيًا وموضوعًا، وقد بيَّنا حكم روايته آنفًا.

إرداف غير صحيح

وهذه القصة المكذوبة المفتراة على الإمام مالك بن أنس أردفها الخطيب بحديث لا يصح على الإمام مالك، والأمر خطير، حيث إن الحديث متعلق بأمر غيبي وإن تعجب فعجب أن الخطيب أورده بلا تخريج ولا تحقيق، والأعجب أنه قدم له بصيغة الجزم فى أربعة سطور مما يوهم القارئ والمستمع من العبارات الخطابية أن الحديث ثابت وفى أعلى درجات الصحة ولكن هيهات هيهات، فتلك السطور خالية من الصناعة الحديثية يشهد على ذلك قوله: «إن الرسول العظيم تنبأ لمالك ... ومالك لم ير النبى .... ولم يره النبى .. فإن النبى لحق بالرفيق الأعلى فى العام الحادى عشر من الهجرة ... مالك ولد بعد ذلك فى العام الخامس والتسعين من الهجرة... ولكن الرسول نظر من وراء الحجب البعيدة ... ورأى فى الأفق الساطع أن هناك عالماً سيكون مكانه المدينة.. وهذا العالم سَيَشُد الناس الرحال إليه .. (قال النبى ﷺ): «يوشك الناس أن يضربوا أكباد الإبل .. يطلبون العلم، فلا يجدون أحدًا أفضل من عالم المدينة». اهـ .

قلت: انظر أربعة سطور بصيغة الجزم مقدمة لحديث غير صحيح فى أمر غيبى والحديث متنه سطر.

التخريج

الحديث أخرجه: الترمذى (٥/ ٤٦ - شاكر) ح(٢٦٨٠)، والنسائى فى «السنن الكبرى» (٢/ ٤٨٩) ح(٤٢٩١)، والحاكم (١/ ٩١)، وأحمد (٢/ ٢٩٩) ح (٧٩٩٧). قال الترمذي: «هو حديث ابن عيينة».

قلت: فكلهم رووه من طريق ابن عيينة، عن ابن جريج، عن أبى الزبير، عن أبى صالح، عن أبى هريرة مرفوعًا.

التحقيق

قلت: هذا الحديث غريب غرابة مطلقة؛ فلم يروِ هذا الحديث إلا أبو هريرة، ولا عن أبى هريرة إلا أبو صالح، ولا عن أبى صالح إلا أبو الزبير، ولا عن أبى الزبير إلا ابن جريج تفرد به ابن عيينة ولم يخرج البخارى ولا مسلم من هذا الطريق حديثًا واحداً، بل وأصحاب السنن لم يخرج أحد منهم من هذا الطريق إلا الترمذى والنسائى هذا الحديث فقط، وانظر «تحفة الأشراف» (٩/ ٤٤٥) ح(١٢٨٧٧).

قلت: وفى الحديث علتان:

الأولى: ابن جريج؛ أورده الحافظ ابن حجر فى «طبقات المدلسين» المرتبة الثالثة رقم (١٧) قال: «عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج المكى .. وصفه النسائى وغيره بالتدليس قال الدارقطنى: شر التدليس ابن جريج، فإنه قبيح التدليس، لا يدلس إلا فيما سمعه من مجروح». اهـ.

حكم روايته عدم القبول؛ لأنه عنعن.

الثانية: أبو الزبير؛ أورده الحافظ فى «طبقات المدلسين» المرتبة الثالثة رقم (٣٥)

قال: «محمد بن سلم بن تدرس المكى أبو الزبير، من التابعين، مشهور بالتدليس، وقد وصفه النسائى وغيره بالتدليس». اهـ.

قلت: حكم روايته عدم القبول؛ لأنه عنعن. بهذا يكون الحديث غير صحيح، والسند واهٍ لما فيه من تدليس شديد ومركب.

إرداف آخر غير صحيح

وهذا الحديث الغير صحيح الذى أنزله الخطيب على مالك أردفه بحديث آخر واهٍ أنزله على الشافعى بصيغة الجزم بلا تخريج ولا تحقيق، حيث قال الخطيب فى خطبته المسموعة والمقروءة: «قال الإمام الشافعى... وهو تلميذ الإمام مالك... إذا ذُكر العلماء فإن النجم مالك .... الشافعى الذى تنبأ له الرسول ﷺ وقال: «عالم قريش يملأ طباق الأرض علمًا»».

التحقيق

هذا الحديث أورده الإمام الشوكانى فى «الفوائد المجموعة فى الأحاديث الموضوعة» ص(٤٢٠) باب «المناقب» ح (١٨٦)، وقال: حديث: «عالم قريش يملأ الأرض علماً، يعنى: الشافعى» هو موضوع. قاله الصغانى.

قلت: وأقره الشوكاني، وأقره أيضًا عبد الرحمن بن يحيى المعلمى اليماني، وقال فى تحقيقه للفوائد حول هذا الحديث: «تفرد به مروان بن سالم، عن الأحوص بن حكيم، عن خالد بن معدان. هذا هو الصواب، ومروان هالك رمى بالوضع».

قلت: ومروان بن سالم هو الجزري، حتى لا يُخْلَط بينه وبين مروان بن سالم المقفع، وهذا أيضًا من أهمية علم المتفق والمفترق الذى بيّناه آنفًا.

ومروان بن سالم الجزرى الذى تفرد بهذا الحديث أورده الإمام الذهبى فى «الميزان» (٤/ ٩٠/ ٨٤٢٥) قال أبو عروبة الحرانى: يضع الحديث، وقال الدارقطني: متروك، وقال البخارى ومسلم وأبو حاتم: منكر الحديث، وقال النسائى: متروك.

وبنفس طريق هذا الحديث الذي بيَّنه المعلمى اليمانى أورد الإمام الذهبى حديثًا تالفًا لمروان بن سالم: «ويكون فى أمتى رجل يقال له وهب يهب الله له الحكمة، ورجل يقال له غيلان هو أضر على أمتى من إبليس».

قلت: فهذه طريقته فى وضع أحاديث للرجال.

والشافعى رَحِمَهُ اللَّهُ لا يرضى لنفسه هذا الذى لم يصح عن النبى ﷺ ، وكيف والشافعي يقول: «إذا صح الحديث فهو مذهبى». أورده النووى فى «المجموع» (١/ ٦٣)، والشيخ صالح الفلانى فى «إيقاظ الهمم» (ص ١٠٧).

قلت: فليتأس دعاة السنة بما أورده الإمام الذهبى فى «الميزان» (٤/ ٩٧) في ترجمة مسروح أبى شهاب نقلاً عن أبى حاتم قال: «سألت أبى عن مسروح، وعرضت عليه بعض حديثه فقال: يحتاج إلى التوبة من حديث باطل رواه عن الثورى».

قال الذهبى: «إى والله، هذا هو الحق إن كل من روى حديثًا يعلم أنه غير صحيح فعليه التوبة أو يهتكه». اهـ.

قلت: هذه هى القصة المكذوبة المفتراة على الإمام مالك، التى أوردها الخطيب فى خطبته وكتابه وهذه هى الأحاديث التى أردفها للقصة وهى غير صحيحة، وحاول الخطيب إنزالها على الإمامين مالك والشافعي، قدمناها فى بحوث علمية حديثية، سائلين الله ﷻ التوفيق لتحقيق الغاية من سلسلة «تحذير الداعية من القصص الواهية»، ألا وهى:

أ- القارئ الكريم: يقف على درجة القصة.

ب- والداعية: يكون على حذر، ويَسْلَم له عمله على السنة وحدها.

جـ- وطالب هذا الفن: يجد نماذج من علم الحديث التطبيقي.

فالمقصود معرفة المقبول من المردود، لا اسم الخطيب -عفا الله عنا وعنه-.

هذا ما وفقني الله إليه، وهو وحده من وراء القصد



(٣٦)

قصة كلام النبي مع ربه ليلة الإسراء

حول عطائه للأنبياء(*)

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت على ألسنة كثير من الوعاظ والقصاص، وقصة «كلام النبي ﷺ مع ربه ليلة الإسراء حول عطائه للأنبياء» جاءت في كتاب منسوب إلى الصحابي الجليل ابن عباس رضي الله عنهما ويسمى «الإسراء والمعراج للإمام ابن عباس رضي الله عنهما ».

قلت: وهو مليء بالكذب والأباطيل، وابن عباس بريء من هذا الكتاب الذي اشتهر وانتشر لصغر حجمه، حيث يحتوي على ست وأربعين صفحة، ورخص ثمنه واحتوائه على عجائب منكرة، يستميل بها القصاص والوعاظ قلوب العوام.

ففي (ص٣٥، ٣٦، ٣٧) جاءت قصة كلام النبي مع ربه حول عطائه للأنبياء، حيث نسب إلى النبي ﷺ أنه ليلة الإسراء والمعراج رُفِع له الحجاب وكلَّم ربه، فقال: «إلهي وسيدي، إني أسألك شيئًا. قال الله تعالى: وعزتي وجلالي لقد آليت على نفسي من قبل أن أخلق آدم بألفي عام أن لا تسألني شيئًا إلا أعطيتك. فقلت: إلهي وسيدي ومولاي، خلقت آدم بيدك ونفخت فيه من رُوحك وأسجدت له ملائكتك، واتخذت إبراهيم خليلاً، وكلمت موسى تكليمًا، ورفعت إدريس مكانًا عليًا، وأعطيت داود زَبُورًا، وغفرت له ذنبًا عظيمًا، وأعطيت سليمان ملكًا عظيمًا، وسخرت له الإنس والجن، والطير والوحش والريح، وخلقت عيسى بكلمتك فبمَ فضَّلتني كما فضلت هؤلاء؟

(*) مجلة التوحيد، رجب، ١٤٢٤هـ.

قال الله تعالى: «يا أحمد، إن كنتُ خلقت آدم بيدي، فقد خلقته من طين، وخلقتك من نور وجهي، وإن كنتُ اتخذت إبراهيم خليلاً فقد اتخذتك حبيبًا، والحبيب أفضل من الخليل، وإن كنتُ كلمت موسى تكليمًا، فقد كلمته من وراء حجاب على طور سيناء، وكلمتك على بساط القُرب بغير حجاب، وإن كنتُ رفعت إدريس مكانًا عليًّا، فإنما رفعته إلى السماء الرابعة، ورفعتك إلى مكان لم يصل إليه أحد غيرك، وإن كنت أعطيت سليمان ملكًا عظيمًا، فقد جعلت لك الأرض مسجدًا والتراب طهورًا، وإن كنت أعطيت داود زبورًا، فقد أعطيتك سبعًا من المثاني والقرآن العظيم، وفيه سورة الفاتحة وسورة البقرة وسورة آل عمران، ما قرأها أحد من أمتك إلا غفرت له ذنوبه، ولو كانت مثل زبد البحر وعدد الرمل، وإن كنتُ خلقت عيسى بكلمتي فقد شققت لك اسمًا من أسمائي، وجعلت اسمك مع اسمي لا يقول عبد: لا إله إلا الله إلا يقول: محمد رسول الله. ومَنْ لم يقر برسالتك فلا أقبل منه عمله وهو في الآخرة من الخاسرين...». اهـ.

وقصة كلام النبي ﷺ مع ربه حول عطائه للأنبياء ليلة الإسراء والمعراج، أوردها الإمام ابن عراق في «تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة» (١-١٥٥ - ١٦٩) في حديث ابن عباس الطويل، حيث بلغ خمسة وسبعين وثلاثمائة سطر، وفيه بعض الزيادات التي نسبت إلى الرسول ﷺ أنه قال: «ما سمعت شيئًا قط ألذ ولا أحلى من نغمة كلام الله، فاستأنست إليه من لذاذة نغمته، حتى كلمته بحاجتي؛ فقلت: يا رب، إنك اتخذتَ إبراهيم خليلاً، وكلمتَ موسى تكليمًا، ورفعتَ إدريس مكانًا عليًّا، وآتيتَ سليمان ملكًا لا ينبغي لأحد من بعده، وآتيتَ داود زبورًا، فما لي يا رب...» القصة.

قلت: ولقد جاء في القصة التي أوردها ابن عراق منها في ختام القصة ما نُسب إلى النبي ﷺ: «ثم أفضى إليَّ من بعد هذا بأمور لم يأذن لي أن أحدثكم بها، فلما عهد إليَّ عهده وتركني ما شاء الله، ثم استوى على عرشه سبحانه بجلاله ووقاره وعزِّه نظرت، فإذا قد حيل بيني وبينه...». اهـ.

وفي أول القصة قيل: «إن النبي ﷺ وجد ربه حين كشف حجبه مستوٍ على عرشه في وقاره وعزِّه ومجده وعلوه..» اهـ.

التخريج والتحقيق للقصة

الحديث الذي جاءت به هذه القصة: أخرجه ابن مردويه في «التفسير» من حديث ابن عباس من طريق ميسرة بن عبد ربه، كذا في «تنزيه الشريعة» (١/ ١٦٩)، وأخرجه ابن حبان في «المجروحين» (٣/ ١١) قال: «أخبرنا محمد بن بشردوت النَّسَوي، قال: حدثنا حميد بن زنجويه، قال: حدثنا محمد بن خداش الموصلي، قال: حدثنا علي بن قتيبة، عن ميسرة بن عبد ربه، قال: حدثنا عمر بن سليمان الدمشقي، عن الضحاك بن مزاحم، عن ابن عباس مرفوعًا.

١ - قال ابن عراق في «تنزيه الشريعة»(١/ ١٦٩): «أخرج ابن حبان قطعة منه».

قلت: وهذا إجمال ما قد فصلنا، حيث بيّنا أنه أخرجه في كتابه «المجروحين»لا في «صحيحه» هذا بالنسبة لمصنفات ابن حبان.

أما قول ابن عراق: «أخرج ابن حبان قطعة منه» فهو إجمال بالنسبة للمتن؛ فابن حبان يعرف متن الحديث بطوله، والدليل على هذا: أنه بعد أن ذكر هذه القطعة من حديث ابن عباس من طريق ميسرة بن عبد ربه، عن عمر بن سليمان قال: «فذكره بطوله، أكره ذكره لشهرته عند من كتب الحديث وطلبه». اهـ.

قلت: ثم بيّن الإمام ابن حبان في «المجروحين» (٣/ ١١) علة الحديث، فقال: «ميسرة بن عبد ربه الفارسي من أهل دَورق، كان ممن يروي الموضوعات عن الأثبات، ويضع المعضلات على الثقات في الحث على الخير، والزجر عن الشر، لا يحل كتابة حديثه إلا على سبيل الاعتبار». اهـ.

قلت: ثم أخرج ابن حبان هذا الحديث دليلاً على أن ميسرة بن عبد ربه يروي الموضوعات، وذكر قطعة منه ثم قال: «فذكر- أي ميسرة بن عبد ربه- حديثًا طويلاً في قصة المعراج شبيهًا بعشرين ورقة».

وعلل ابن حبان عدم ذكره للحديث بطوله، حيث قال: «أكره ذكره لشهرته عند من كتب الحديث وطلبه». اهـ.

٢- أورده الإمام البخاري في كتابه «الضعفاء الصغير» ترجمة (٣٥٥)، ثم قال: «ميسرة بن عبد ربه يُرْمَى بالكذب». اهـ.

٣- أورده الإمام النسائي في كتابه «الضعفاء والمتروكين» ترجمة (٥٨٠) ثم قال: «ميسرة بن عبد ربه متروك». اهـ.

فـائـدة: قلت: هذا المصطلح عند النسائي له معناه، حيث قال الحافظ ابن حجر في «شرح النخبة» (ص٦٩): «مذهب النسائي أن لا يترك حديث الرجل حتى يجتمع الجميع على تركه». اهـ.

٤- أورده الدارقطني في كتابه «الضعفاء والمتروكين» ترجمة (٥١٠)، ثم قال: «ميسرة بن عبد ربه بغدادي، عن زيد بن أسلم، كتاب «العقل» لداود بن المُحبّر تصنيفه». اهـ.

فـائـدة: يتوهم من لا دراية له بهذا الفن أن عبارة الدارقطني هذه لا تدل على الجرح، ولا يدري أن مجرد ذكر اسم الراوي فقط يدل على أنه متروك، يدل على ذلك قول الإمام البرقاني: «طالت محاورتي مع ابن حَمَكان لأبي الحسن عليّ بن عمر الدارقطني -عفا الله عني وعنهما- في المتروكين من أصحاب الحديث فتقرر بيننا وبينه على ترك مَنْ أثبته على حروف المعجم في هذه الورقات».

٥- ثم ذكر الإمام الذهبي في الميزان (٣/ ٢٠٢/ ٦١٢٩) علة أخرى لحديث القصة فقال: «عمر بن سليمان عن الضحاك، فذكر حديث الإسراء بلفظ موضوع». اهـ.

وأقره الحافظ ابن حجر في «اللسان» (٤/ ٣٥٦) (١٧٣١/ ٦٠٨٢)، وبهذا التحقيق حكم الحافظان الذهبي وابن حجر على حديث القصة في ليلة الإسراء بأنه: موضوع.

فائدة: الموضوع: هو الكذب المختلق المصنوع، وهو شر الضعيف وأقبحه، وتحرم روايته مع العلم بوضعه في أي معنى كان؛ سواء الأحكام والقصص والترغيب وغيرها، إلا مبينًا أي مقرونًا ببيان وضعه. قاله السيوطي في «التدريب» (١/ ٢٧٤).

طريق آخر للقصة

ولئلا يتقول علينا متقول ممن لا دراية له بدقيق أصول هذا الفن، فيتوهم من وجود طريق آخر للقصة القوة، ولم يدر أن تقوية الحديث بكثرة الطرق ليس على إطلاقه، وسنبين للقارئ الكريم فقه هذه القاعدة من خلال تحقيقنا لهذا الطريق.

القصة من طريق أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

رُوِيَ عن أبي سعيد عن رسول اللهَّ ﷺ قال: «لما انتهي بي إلى السماء ما سمعت صوتًا هو أحلى من كلام ربي عز وجل فقلت: يا رب، اتخذتَ إبراهيم خليلاً، وكلمتَ موسى تكليمًا، ورفعتَ إدريس مكانًا عليًا، وآتيتَ داود زبورًا، وأعطيتَ سليمان ملكًا لا ينبغي لأحد من بعده، فماذا لي يا رب؟ فقال: يا محمد، اتخذتُك خليلاً كما اتخذت إبراهيم خليلاً، وكلمتُك كما كلمتُ موسى تكليمًا، وأعطيتُك فاتحة الكتاب وخاتمة سورة البقرة، ولم أعطها أحدًا قبلك، وأرسلتك إلى أسود الناس وأحمرهم، وإنسهم وجنِّهم، ولم أرسل إلى جماعتهم نبيًّا قبلك، وجعلتُ الأرض لك ولأمتك مسجدًا وطهورًا، وأطعمتُ أمتك الفيء ولم أحله لأمة قبلها، ونصرتك بالرعب حتى أن عدوك ليرعب منك، وأنزلت عليك سيد الكتب كلها ومهيمنًا عليها، قرآنًا عربيًّا مبينًا، ورفعت لك ذكرك حتى لا أذكر إلا ذُكرتَ معي».اهـ.

قلت: هذه هي القصة التي جاءت في حديث أبي سعيد، وهذا هو لفظها وهو قريب من لفظ القصة من حديث ابن عباس الذي أورده ابن عراق في «تنزيه الشريعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة».

التخريج والتحقيق للقصة من حديث أبي سعيد

القصة أخرج حديثها: الإمام ابن الجوزي في «العلل المتناهية في الأحاديث الواهية» (١/ ١٨٣) (ح٢٨٣) باب «ذكر أشياء رآها ليلة المعراج» حيث قال:

أنبأنا الحريري، قال: أنبأنا العشاري، قال: أخبرنا الدارقطني، قال: حدثنا عبد الله بن عبد الصمد بن المعتدي، قال: حدثني روح بن مسافر، عن أيوب، عن سليمان بن عبد الله بن صالح، حدثنا الربيع بن بدر، عن أبي هارون العبدي، عن أبي سعيد مرفوعًا.

قال ابن الجوزي في «العلل» (١/ ١٨٣): «هذا حديث لا يصح».

قلت: وهذا الحديث الذي جاءت فيه القصة مسلسل بالعلل:

العلة الأولى: أبو هارون العبدي، وهو عُمارة بن جوين:

١- أورده الذهبي في «الميزان» (٣/ ١٧٣/ ٦٠١٨) وقال: «كذّبه حماد بن زيد. وقال شعبة: لئن أُقدَّم فتضرب عنقي أحبُّ إليَّ من أن أحدث عن أبي هارون. وقال أحمد: ليس بشيء. قال السليماني: سمعت أبا بكر ابن حامد يقول: سمعت صالح بن محمد أبا علي- وسئل عن أبي هارون العَبْدي- فقال: أكذب مِن فرعون». اهـ.

٢- **قلت**: وأورده الإمام النسائي في «الضعفاء والمتروكين» رقم (٤٧٦)، وقال: «عمارة بن جوين، أبو هارون العبدي، متروك الحديث، بصري». اهـ.

وهذا المصطلح «متروك» عند النسائي بيَّنا معناه آنفًا.

٣- وأورده الإمام البخاري في كتابه «الضعفاء الصغير» رقم (٢٨٢)، وقال: «عمارة بن جوين، أبو هارون العبدي، عن أبي سعيد: تركه يحيى القطان». اهـ.

٤- وأورده ابن حبان في «المجروحين» (٢/ ١٧٧) وقال: «عمارة بن جوين: أبو هارون العبدي؛ يروى عن أبي سعيد الخدري، كان رافضيًّا يروي عن أبي سعيد ما ليس من حديثه، لا يحل كتابة حديثه إلا على وجه التعجب». اهـ.

قلت: وهذه القصة من روايته عن أبي سعيد.

العلة الثانية: الربيع بن بدر الذي روى القصة عن أبي هارون العبدي:

١ - أورده الإمام النسائي في «الضعفاء والمتروكين» رقم (٢٠٠)، وقال: «ربيع بن بدر، ويقال: له عُلَيلَة بن بدر؛ متروك الحديث، بصري». اهـ.

قلت: وهذا المصطلح له معناه كما بيّناه آنفًا، وعُلَيْلَة لقبه كما في «تاريخ الخطيب» (٨/ ٤١٥).

٢- وأورده الحافظ ابن حجر في «التهذيب» (٣/ ٢٠٧)، وقال: «الربيع بن بدر بن عمرو بن جراد التميمي السعدي الأعرجي، ويقال العرجي، أبو العلاء البصري المعروف بعليلة وهو لقب، قال ابن معين: ليس بشيء. وقال أبو داود: ضعيف. وقال مرة: لا يكتب حديثه. وقال يعقوب بن سفيان وابن خراش: متروك الحديث. وقال الجوزجاني: واهي الحديث». اهـ.

٣- وأورده ابن حبان في «المجروحين» (١-٢٩٣) وقال: «الربيع بن بدر التميمي السعدي، مولى طلحة بن عبد الله بن عوف الذي يقال له عليلة، وكان أعرج، من أهل البصرة، كان ممن يقلب الأسانيد، ويروي عن الثقات الموضوعات، وعن الضعفاء الموضوعات».

العلة الثالثة: روح بن مسافر:

١ - أورده الإمام البخاري في «الضعفاء الصغير» ترجمة (١٢٠)، وقال: «روح بن مسافر، أبو بشر تركه ابن المبارك وغيره».

٢- وأورده الإمام النسائي في «الضعفاء والمتروكين» ترجمة (١٩٢)، وقال: «روح ابن مسافر متروك الحديث بصري».

٣- وأورده الدارقطني في «الضعفاء والمتروكين» ترجمة (٢٢٥)، ولم يذكر شيئًا عنه، مما يدل على أنه متروك، كما هو مبيَّن في القاعدة التي أوردناها آنفًا.

الاستنتـاج

من هذا التحقيق يتبين أن القصة واهية أيضًا من حديث أبى سعيد، وأنها مفتراة على أبى سعيد كما هو مبيّن، وأن السند مسلسل بالعلل من الكذابين والمتروكين، فالقصة من هذا الطريق تزيد القصة من حديث ابن عباس وهنًا على وهن، من أجل هذا قمنا بتحليل طريق القصة من حديث ابن عباس وطريق القصة من حديث أبى سعيد حتى نبين الكذابين والمتروكين فى الطريقين؛ لئلا يتقول علينا متقول، ويتوهم أن للقصة شاهدًا من حديث أبى سعيد يقوِّى القصة من حديث ابن عباس لذلك تجد الإمام ابن الصلاح فى «علوم الحديث» ص (١٠٧) يقول:

«لعل الباحث الفَهِم يقول: إنا نجد أحاديث محكومًا بضعفها مع كونها قد رويت بأسانيد: من وجوه عديدة فهلا جعلتم ذلك وأمثاله من نوع الحسن؛ لأن بعض ذلك عضد بعضا؟

وجواب ذلك: أن ليس كل ضعف فى الحديث يزول بمجيئه من وجوه، بل ذلك يتفاوت ، فمن ذلك ضعف لا يزول بنحو ذلك لقوة الضعف، وتقاعد هذا الجابر عن جبره ومقاومته، وذلك كالضعف الذى ينشأ من كون الراوى متهمًا بالكذب، أو كون الحديث شاذًا، وهذه جملة؛ تفاصيلها تدرك بالمباشرة والبحث، فاعلم ذلك فإنه من النفائس العزيزة »اهـ.

قلت: بهذا يتبين من هذا التحقيق أن قصة كلام النبى ﷺ مع ربه ليلة الإسراء حول عطائه للأنبياء لا تصح، ولم يصح أنه سأل ربه عن عطائه لأنبيائه، كذلك لم يصح أنه سأل ربه وقال له: فبم فضلتنى كما فضلت هؤلاء؟ ولم يصح عنه ﷺ أنه ذكر لربه عطاء الأنبياء، ثم سأل ربه قائلاً: فماذا لى يا رب؟

كذلك لم يصح أن الله ﷻ خاطب نبيه ﷺ فى ليلة الإسراء فقال: «نصرتك بالرعب...، وجعلت لك الأرض مسجدًا وطهورًا، وأطعمت أمتك الفيء ... وأرسلتك إلى أسود الناس وأحمرهم .... ». بل ولم يصح كذلك فى حديث قدسي.

فائدة: نقل القاسمى فى «قواعد التحديث» ص (٦٦) عن أبى البقاء العكبرى قال: «إن القرآن ما كان لفظه ومعناه من عند الله بوحي جلى، وأما الحديث القدسى: فهو ما كان لفظه من عند الرسول ومعناه من عند الله بالإلهام أو بالمنام».

فائدة ثانية: جاء خبر صحيح لا علاقة له بالإسراء والمعراج، ولا علاقة له بحديث قدسى أيضًا، هذا الخبر جاء فى حديث مرفوع قال النبى ﷺ : «أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلى، نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لى الأرض مسجدًا وطهورًا فأيما رجل من أمتى أدركته الصلاة فليصلِّ، وأحلت لى الغنائم ولم تحل لأحد قبلى، وأعطيت الشفاعة، وكان النبى يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة». اهـ.

التخريج والتحقيق

هذا الحديث فى أعلى درجات الصحة؛ لأنه متفق عليه، بل فوق ذلك أنه متواتر، حيث أورده الإمام السيوطى فى «الأزهار المتناثرة فى الأخبار المتواترة» ح (٩٧) قال حديث : «**أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلى......**» الحديث.

أخرجه الشيخان: عن جابر بن عبد الله، وأبى هريرة. وأخرجه أحمد: عن على، وابن عباس، وابن عمرو، وأبى ذر، وأبى موسى. وأخرجه الطبرانى: عن ابن عمر، والسائب بن يزيد، وأبى سعيد الخدرى». اهـ.

قلت: وأورده الكتانى فى «نظم المتناثر من الحديث المتواتر» ح (٢٥٧) وأقره .

فائدة ثالثة حول الخلة: لقد ثبتت الخلة للنبى ﷺ فى خبر لا علاقة له بالإسراء والمعراج، ولا علاقة له بحديث قدسي، ولكن جاء خبر الخلة فى حديث مرفوع أخرجه الإمام مسلم ح (٢٣٨٣) من حديث عبد الله بن مسعود يحدِّث عن النبى ﷺ. أنه قال: «لو كنت متخذًا خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكنه أخى وصاحبي، وقد اتخذ الله ﷻ صاحبكم خليلاً».

قلت: ثم أخرج الإمام مسلم فى «كتاب فضائل الصحابة» ح(٤، ٥، ٦، ٧) أحاديث الخلة بألفاظها من حديث ابن مسعود يدور معناها حول الحديث الذى أوردناه .

فائدة رابعة: الذى ثبت عن النبى ﷺ ليلة الإسراء والمعراج من سؤاله لربه:

هو سؤال التخفيف عن أمته فى الصلاة عندما فرضت عليه خمسون صلاة، فقد ثبت فى «صحيح البخارى» كتاب بدء الخلق – باب ذكر الملائكة. وفى «صحيح مسلم» كتاب الإيمان من حديث مالك بن صعصعة رضي الله عنه قال: قال النبى ﷺ : «.. ثم فُرضت علىَّ خمسون صلاة، فأقبلت حتى جئت موسى، فقال: ما صنعت؟

قلت: فرضت علىَّ خمسون صلاة، قال: أنا أعلم بالناس منك ، عالجت بنى إسرائيل أشد المعالجة، وإن أمتك لا تطيق فارجع إلى ربك فسله ، فرجعت فسألته، فجعلها أربعين، ثم مثله، ثم ثلاثين ، ثم مثله، فجعل عشرين، ثم مثله فجعل عشرًا، فأتيت موسى فقال مثله ، فجعلها خمسًا، فأتيت موسى، فقال: ما صنعت؟ قلت: جعلها خمسًا، فقال مثله، قلت: سلّمت بخير، فنودي: إنى قد أمضيت فريضتى وخففت عن عبادى وأجزى الحسنة عشرًا». اهـ.

قلت: وأخرج الشيخان أيضًا من حديث أبى ذر أن رسول الله ﷺ قال: « ... فراجعته، فقال: هى خمس، وهي خمسون، لا يبدل القول لدى، فرجعت إلى موسي، فقال: راجع ربك. فقلت: استحييت من ربى». اهـ.

قلت: قال الكتاني فى «نظم المتناثر من الحديث المتواتر» ح (٢٦٠):

أحاديث «رجوع النبى ﷺ إلى موسى ليلة الإسراء حين فرض ربه عليه الصلوات الخمس، وقول موسى له: ارجع إلى ربك فسله التخفيف عن أمتك» ذكر ابن تيمية فى رسالة الفرقان أنه مما تواتر فى حديث المعراج ونصه، ومحمد ﷺ لما عُرج به إلى ربه وفُرض عليه الصلوات الخمس ذكر أنه رجع إلى موسى وأن موسى قال له: ارجع إلى ربك فسله التخفيف عن أمتك كما تواتر هذا فى أحاديث المعراج». اهـ.

هذا ما وفقني الله إليه، وهو وحده من وراء القصد

❁ ❁ ❁ ❁

(٣٧)

قصة عليّ مع النبي ﷺ وصلاة ليلة النصف من شعبان (*)

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم؛ حتى يقف على حقيقة هذه القصة، التي اتخذها المبتدعة أصلاً من الأصول في الاستدلال على مشروعية صلاة ليلة النصف من شعبان التي اشتهرت عند العوام، وروَّجها المتصوفة في البلاد، فراجت بمصر والشام وغيرها.

أولاً: متن القصة

«قال عليّ رضي الله عنه رأيت رسول الله ﷺ ليلة النصف من شعبان، قام فصلى أربع عشرة ركعة، ثم جلس بعد الفراغ، فقرأ بأم الكتاب أربع عشرة مرة، و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ أربع عشرة مرة، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ أربع عشرة مرة، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ أربع عشرة مرة، وآية الكرسي مرة، و﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ الآية، فلما فرغ من صلاته سألته عمّا رأيته من صنيعه، قال: «من صنع مثل الذي رأيت، كان له كعشرين حجة مبرورة، وصيام عشرين سَنَة مقبولة، فإن أصبح في ذلك اليوم صائمًا كان كصيام سنتين: سنة ماضية، وسنة مستقبلة».

ثانيًا: التحقيق

أخرج هذه القصة البيهقي في «الشُّعب» (٣/ ٣٨٦) ح(٣٨٤١) من حديث عليّ رضي الله عنه حيث قال الإمام البيهقي: «أخبرنا عبد الخالق بن عليّ المؤذن، أخبرنا أبو جعفر محمد بن بسطام القرشي بقرية داية، حدثنا أبو جعفر أحمد بن محمد بن جابر؛ حدثني أحمد بن عبد الكريم، حدثنا خالد الحمصي، عن عثمان بن سعيد بن كثير، عن محمد ابن المهاجر، عن الحكم بن عتيبة، عن إبراهيم، قال: قال عليٌّ: «رأيت رسول الله ﷺ ليلة النصف من شعبان....» فذكر القصة.

(*) مجلة التوحيد، شعبان، ١٤٢٤هـ.

والقصة أخرجها أيضا الإمام ابن الجوزي في «الموضوعات» (٢/ ١٢٩) قال: أنبأنا إبراهيم بن محمد الأزجي، قال: أنبأنا الحسين بن إبراهيم، أنبأنا أبو الحسين عليّ ابن الحسن بن محمد الكرجي، حدثنا أبو عبد الله الحسين بن عليّ بن محمد الخطيب، أنبأنا الحاكم أبو القاسم عبد الله بن أحمد الحسكاني، حدثني أبو القاسم عبد الخالق ابن عليّ المؤذن به.

قلت: أي بنفس سند الإمام البيهقي حيث يلتقي معه في شيخه (عبد الخالق بن عليّ المؤذن)، والقصة واهية وإسنادها تالف، وقد بيّن ذلك الإمام ابن الجوزي في «الموضوعات» (٢/ ١٣٠) حيث قال: «هذا موضوع، وإسناده مظلم، وكان واضعه يكتب من الأسماء ما وقع له، ويذكر قومًا ما يُعْرفون، وفي الإسناد محمد بن مهاجر قال ابن حنبل: يضع الحديث».

قلت: وأورد ابن عراق هذه القصة في «تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة» (٢ / ٩٤) كتاب الصلاة الفصل الأول، وإيراد القصة في الفصل الأول من كتاب الصلاة من تنزيه الشريعة له قاعدة أوردها ابن عراق في المقدمة، وذكرها له أهمية كبيرة جدًا في التحقيق حيث قال ابن عراق: «وجعلت كل ترجمة غير كتاب المناقب في ثلاثة فصول:

الأول: فيما حكم ابن الجوزي بوضعه، ولم يخالف فيه.

والثاني: فيما حكم بوضعه وتعقب فيه.

والثالث: فيما زاد الأسيوطي عن ابن الجوزي.

قلت: يتبين من هذه القاعدة وإيراد القصة في الفصل الأول من كتاب الصلاة أن القصة كما قال الإمام ابن الجوزي: موضوعة ولم يُخالَف ابن الجوزي في هذا الحكم.

والموضوع: هو الكذب المختلق المصنوع، وهو شر الضعيف وأقبحه، وتحرم روايته مع العلم بوضعه فى أى معنى كان؛ سواء الأحكام والقصص والترغيب وغيرها، إلا مبيَّنًا أي مقرونًا ببيان وضعه. كذا فى «التدريب» (١/ ٢٧٤).

قلت: ونقل ابن عراق تحقيق ابن الجوزي مختصرًا حيث قال: «وإسناده مظلم وفيه محمد بن مهاجر».

قلت: نعم إسناد القصة مظلم، والقصة موضوعة، ولكن في قول الإمام ابن الجوزي: «وفي الإسناد محمد بن مهاجر، قال أحمد بن حنبل: يضع الحديث» وموافقة ابن عراق عليه، حيث قال: «وفيه محمد بن مهاجر».

قلت: هذا قول فيه نظر، وإلى طالب هذا الفن بيان ذلك:

ثالثًا «المتفق والمفترق»

وهو أن تتفق أسماء الرواة وأسماء آبائهم فصاعدًا خطًّا ولفظًا، وتختلف أشخاصهم. كذا في «مقدمة ابن الصلاح» النوع (٥٤).

وفائدته: معرفة هذا النوع مهم جدًا فقد زلق بسبب الجهل به غير واحد من أكابر العلماء. كذا في «التدريب» (٢ / ٣١٦).

قلت: وتظهر أهميته في التمييز بين المشتركين في الاسم، فربما يكون أحدهما ثقة والآخر ضعيفًا، فيضعّف ما هو صحيح أو بالعكس، وهذا ما حدث من الإمامين ابن الجوزي وابن عراق -رحمهما الله- وهما من أكابر علماء الصنعة، وبيان ذلك:

١ - محمد بن مهاجر الذي في سند هذه القصة شيخ عثمان بن سعيد بن كثير كما هو مبيَّن في السند الذي أوردناه آنفًا، وعثمان هذا أورده الحافظ في «التقريب» (٢/ ٩) وقال: «عثمان بن سعيد بن كثير بن دينار القرشي مولاهم أبو عمرو الحمصي ثقة عابد من التاسعة، مات سنة تسع ومائتين». اهـ.

أما شيخه محمد بن مهاجر فقد بيَّن الإمام المزي في «تهذيب الكمال» (١٢/ ٤٠٧/ ٤٣٩٩) أنه هو محمد بن مهاجر الأنصاري، ثم قال في «تهذيب الكمال» (١٧/ ٢٧٠/ ٢٦٢٥): «محمد بن مهاجر الأنصاري الأشهلي الشامي، أخو عمرو بن مهاجر، روى عنه عثمان بن سعيد بن كثير بن دينار الحمصي... قال عبد الله بن أحمد

ابن حنبل عن أبيه، وعثمان بن سعيد الدارمي عن يحيى بن معين، وعن دحيم، وأبو زرعة الدمشقي وأبو داود ويعقوب بن سفيان : ثقة».

قلت: لذا أورده الحافظ ابن حجر في «التقريب» (٢/ ٢١١): «ثقة من السابعة مات سنة سبعين ومائة».

قلت: وبهذا يتبين عدم صحة قول الإمام ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ : «وفي الإسناد محمد بن مهاجر، قال ابن حنبل: يضع الحديث». وقد تبين بالتحقيق أن محمد بن مهاجر هو الأنصاري، وتبين قول أحمد بن حنبل فيه أنه ثقة، ويتبين أيضًا عدم صحة قول ابن عراق.

٢- محمد بن مهاجر الذي يتفق مع الأنصاري في اسمه واسم أبيه.

هو محمد بن مهاجر الطالقاني أخو حنيف، هذا هو الوضاع الذي تشابه على الإمام ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ اسمه، قال الإمام الذهبي في «الميزان» (٤/ ٤٩): «محمد بن مهاجر شيخ متأخر وضَّاع. هو الطالقاني يعرف بأخي حنيف، يروي عن أبي معاوية وغيره، كذّبه صالح جزَرة وغيره». اهـ.

وأقره الحافظ ابن حجر في «اللسان» (٥/ ٤٤٨) (١٢٨٨/ ٨٠٧٣) في كل ما قاله الإمام الذهبي إلا أنه تعقبه في التأخر، حيث قال: «ووصف المؤلف له بأنه متأخر مخالف لقاعدته، فإن الحد الفاصل عنده بين المتقدم والمتأخر، رأس الثلاثمائة، وهذا كان في حدود الستين ومائتين فهو متقدم، وقد روى أيضًا عن ابن عيينة». اهـ.

قلت:

١- فالحافظ ابن حجر لم يتعقب الإمام الذهبي في قوله: محمد بن مهاجر الطالقاني وضَّاع، بل أقره وزاد ما يؤكد الوضع، حيث نقل عن الجوزجاني قوله: «يضع الحديث». وعن ابن عقدة قال: «ليس بشيء، ضعيف ذاهب».

٢- التعقب من الحافظ حول قول الذهبي: «محمد بن مهاجر الطالقاني متأخر». وقال: «إنه في حدود الستين ومائتين فهو متقدم، وقوله (متأخر) مخالف لِقاعدته فإن الحد الفاصل عنده بين المتقدم والمتأخر رأس الثلاثمائة».

قلت: كلام الحافظ صحيح، إذا وضع محمد بن مهاجر الطالقاني أمام قاعدة الذهبي المطلقة.

ولكن الإمام الذهبي رَحِمَهُ اللهُ أورد في «الميزان» (٤/ ٤٩) الطالقاني بعد الأنصاري مباشرة للمقارنة فقال:

(٨٢١٧): محمد بن مهاجر الأنصاري - فشامي - ثقة - مشهور يروى عن التابعين.

(٨٢١٨): محمد بن مهاجر شيخ متأخر وضاع، هو الطالقاني.

قلت: فهذا تأخر نسبي، أي أن الطالقاني الوضاع متأخر عن الأنصاري الثقة، فالأنصاري -كما قال الذهبي- يروي عن التابعين، والطالقاني -كما قال الحافظ نفسه- روى عن ابن عيينة من أتباع التابعين، فذكر التقدم والتأخر في وسط المتفق المفترق يدل على التأخر النسبي للتفريق، وبهذا يَسْلَم الإمام الذهبي من التعقب بالمخالفة، والقرينة التي تؤيد ذلك قوله عن الأنصاري في آخر ترجمته: «يروي عن التابعين». ثم ذكر الطالقاني مباشرة بأنه متأخر، أي أنه يروي عن أتباع التابعين كما بيّنا آنفًا

وهذا تحقيق مهم جدًا يحسبه من لا دراية له أنه هين، ولكنه عند علماء الفن عظيم، حيث يجعل الباحث يبحث عن منطقة العلل فى السند بعد أن تبين له أن عثمان بن سعيد بن كثير الحمصي ثقة، وشيخه محمد بن مهاجر الأنصاري ثقة أيضًا، وهذا ما تبين للإمام البيهقي في «الشعب» (٣/ ٣٨٧) ح(٣٨٤١) حيث قال عن الحديث الذي جاءت به القصة: «يشبه أن يكون هذا الحديث موضوعًا وهو منكر، وفي رواته قبل عثمان بن سعيد مجهولون».

رابعًا: علل أخرى فى سند القصة

١ - خالد الحمصي، الذي روى عن عثمان بن سعيد بن كثير الحمصي الثقة، هو خالد بن عمرو أورده ابن عدي في «الكامل» (٣/ ٣٣) (٢٤/ ٥٩٤)، وقال: «خالد ابن عمرو بن خالد أبو الأخيل السُّلفي الحمصي: روى أحاديث منكرة عن ثقات الناس، ورُوى عن ابنه أحمد بن أبي الأخيل أنه مات سنة ست وثلاثين ومائتين». اهـ.

وقال الذهبي في «الميزان» (١/ ٦٣٦/ ٢٤٤٨): «كذّبه جعفر الفريابي، ووهّاه ابن عدي وغيره».

قلت: انظر إلى دقيق تحقيق ابن عدي في حكمه على خالد الحمصي بقوله: «روى أحاديث منكرة عن ثقات الناس»، ثم انظر إلى تطبيق هذا القول على هذه القصة المنكرة التي رواها خالد الحمصي عن عثمان بن سعيد الحمصي الثقة.

وخالد الحمصي روى عن محمد بن حرب الحمصي الثقة، وهو من طبقة عثمان بن سعيد الحمصي، انظر «التقريب» (٢/ ١٥٣)، (٢/ ٩).

٢- وعلة أخرى في السند: رواية إبراهيم عن عليّ ﷺ .

قال ابن أبي حاتم في «المراسيل» (ص١٠) رقم (٢٣): «قال أبو زرعة: إبراهيم النخعي عن عليّ مرسل». اهـ.

وقال ابن أبي حاتم في رقم (٢١): «سمعت أبي يقول: لم يلقَ إبراهيم النخعي أحدًا من أصحاب النبي ﷺ إلا عائشة، ولم يسمع منها شيئًا فإنه دخل عليها وهو صغير، وأدرك أنسًا ولم يسمع منه».

قلت: بهذا التحقيق يتبين أن السند تالف والقصة واهية.

خامسًا: قصة أخرى لعليّ مع النبي ﷺ وصلاة ليلة النصف من شعبان

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «يا عليّ، من صلى مائة ركعة ليلة النصف من شعبان، يقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب، و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ عشر مرات، «قال النبي ﷺ: «يا عليّ ما من عبد يصلي هذه الصلوات إلا قضى الله ﷻ له كل حاجه طلبها تلك الليلة». قيل: يا رسول الله؛ وإن كان الله جعله شقيًا أيجعله سعيدًا؟ قال: «والذي بعثني بالحق نبيًا يا عليّ؛ إنه مكتوب في اللوح أن فلان ابن فلان خُلق شقيًا، يمحوه الله عز وجل، ويجعله سعيدًا، ويبعث الله إليه سبعين ألف ملك يكتبون له الحسنات،

ويمحون عنه السيئات، ويرفعون له الدرجات إلى رأس السنة، ويبعث الله في جنات عدن سبعين ألف ملك، أو سبعمائة ألف ملك يبنون له المدائن والقصور، ويغرسون له الأشجار، ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب المخلوقين... والذي بعثني بالحق إن الله يبعث في كل ساعة من ساعات الليل والنهار، وهي أربع وعشرون ساعة سبعين ألف ملك يسلمون عليه، ويصافحونه، ويدعون له إلى أن ينفخ في الصور، ويحشر يوم القيامة مع الكرام البررة...».

سادسًا: التخريج والتحقيق

١- الحديث الذي جاءت به هذه القصة: أخرجه ابن الجوزي في «الموضوعات» (٢/ ١٢٧)، ثم أخرج طريقين آخرين لهذه الصلاة الألفية، أي التي يقرأ فيها ألف ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ في مائة ركعة، ثم قال: «هذا حديث لا نشك أنه موضوع، وجمهور رواته في الطرق الثلاثة مجاهيل، وفيهم ضعفاء بمرة، والحديث محال قطعًا، وقد رأينا كثيرًا ممّن يصلي هذه الصلاة يفوتهم صلاة الفجر ويصبحون كسالى، وقد جعلها جهلة أئمة المساجد مع صلاة الرغائب ونحوها من الصلوات، شبكة لمجمع العوام وطلبًا لرياسة التقدم، وملأ بذكرها القصاص مجالسهم، وكل ذلك عن الحق بمعزل». اهـ.

٢- الحديث أورده ابن عراق في «تنزيه الشريعة» (٢/ ٩٣) وقال: جمهور رواته مجاهيل، وفيه ضعفاء، قال الذهبي: «إنه من وضع عليّ بن الحسن على الثوري».

٣- الحديث الذي جاء به هذه القصة: أورده الإمام الشوكاني في «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» ص(٥٠) ثم قال: «هو موضوع، وفي ألفاظه المصرحة بما يناله فاعلها من الثواب ما لا يمتري إنسان له تمييز في وضعه، ورجاله مجهولون».

وقد رُوي من طريق ثانية وثالثة كلها موضوعة، ورواتها مجاهيل.

قلت: الطريق الثانية لصلاة النصف من شعبان هي من طريق ابن عمر، أخرجها ابن الجوزي في «الموضوعات» (٢/ ١٢٨)، والطريق الثالثة من طريق أبي جعفر

الباقر، وأخرجها أيضًا ابن الجوزي في «الموضوعات» (٢/ ١٢٨)، وقد حكم بالوضع على الطرق الثلاثة كما بيّنا آنفًا.

سابعًا: الإحياء للغزالي وصلاة ليلة النصف من شعبان

من أسباب انتشار واشتهار هذه الصلاة ليلة النصف من شعبان في القرى والنجوع وعند المتصوفة أن الغزالي أوردها في «الإحياء» (١/ ٢٠٣) حيث قال: «وأما صلاة شعبان: فليلة الخامس عشر منه يصلي مائة ركعة، كل ركعتين بتسليمة، يقرأ كل ركعة بعد الفاتحة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ إحدى عشرة مرة، وإن شاء صلى عشر ركعات يقرأ في كل ركعة بعد الفاتحة مائة مرة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، فهذا أيضًا مروي في جملة الصلوات، كان السلف يصلون هذه الصلاة ويسمونها صلاة الخير، ويجتمعون فيها، وربما صلوها جماعة، رُوى عن الحسن أنه قال: حدثني ثلاثون من أصحاب النبي ﷺ أنه من صلى هذه الصلاة في هذه الليلة نظر الله إليه سبعين نظرة، وقضى له بكل نظرة سبعين حاجة أدناها المغفرة». اهـ.

ثامنًا: تحقيق ما أورده الغزالي في الإحياء

قال الحافظ العراقي في «المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من أخبار» (١/ ٢٠٤): «حديث صلاة ليلة نصف شعبان باطل». اهـ.

قلت: ولقد بيَّن ذلك الإمام الشوكاني في «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» ص(٥١) حيث قال: «وقد اغتر بهذا الحديث جماعة من الفقهاء، كصاحب الإحياء وغيره، وكذا من المفسرين، وقد رويت صلاة هذه الليلة، أعني ليلة النصف من شعبان على أنحاء مختلفة كلها باطلة موضوعة». اهـ.

قلت: وإن تعجب فعجب بعد أن تبين أن صلاة ليلة النصف من شعبان باطلة موضوعة وقصتها المنسوبة للإمام عليّ ﷺ واهية، كيف يَذْكر صاحب الإحياء أن

ثلاثين صحابيًا من أصحاب النبي ﷺ قالوا: «إنه من صلى هذه الصلاة في هذه الليلة نظر الله إليه سبعين نظرة، وقضى له بكل نظرة سبعين حاجة أدناها المغفرة».

قلت: هذا أمر خطير عندما ينسب إلى الصحابة؛ لأن الإخبار عما يحصل بفعله ثواب مخصوص مما لا مجال للاجتهاد فيه، وهو عند علماء الفن من الموقوف لفظًا المرفوع حكمًا، حيث قال الحافظ ابن حجر فى «شرح النخبة» (ص١٤٢):

«وإنما كان له حكم المرفوع لأن إخباره بذلك يقتضى مخبرًا له، وما لا مجال للاجتهاد فيه يقتضي موقفًا للقائل به، ولا موقف للصحابة إلا النبى ﷺ ... وإذا كان كذلك فله حكم ما لو قال: قال رسول الله ﷺ فهو مرفوع». اهـ.

قلت: وبهذا يتبين خطورة هذا الأمر فيما نسب إلى ثلاثين صحابيًا من صحابة النبى ﷺ.

تاسعًا : بيان الافتراء على الثلاثين صحابيًا

إن الذي أورده صاحب «الإحياء» حول صلاة ليلة النصف من شعبان افتراء عليهم؛ حيث إن هذه الصلاة لم تُعْرَف عن أصحاب النبى ﷺ ، ولقد نبَّه الإمام ابن القيم فى «المنار المنيف» ص (١١١) على ذلك حيث قال: «ونحن ننبه على أمور كلية يعرف بها كون الحديث موضوعًا ...» ثم قال فى التنبيه رقم (١٥): «ومنها أحاديث صلاة ليلة النصف من شعبان» ... ثم ذكر قصة علىّ ﷺ وصلاة ليلة النصف من شعبان ثم قال: «والعجب ممن شم رائحة العلم بالسنن أن يغتر بمثل هذا الهذيان ويصليها ؟! وهذه الصلاة وضعت فى الإسلام بعد الأربعمائة، ونشأت من بيت المقدس، فوضع لها عدة أحاديث». اهـ.

قلت: انظر إلى قول الإمام ابن القيم: «وهذه الصلاة وُضعت فى الإسلام بعد الأربعمائة» فالصحابة ﷺ برآء مما نسب إليهم كما هو مبين من منشأ هذه الصلاة.

عاشراً: بيان منشأ صلاة ليلة النصف من شعبان

قال الإمام أبو شامة المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الباعث على إنكار البدع والحوادث» ص(٥٢): «وأصلها ما حكاه الطرطوشي في كتابه؛ وأخبرني به أبو محمد المقدسي، قال: لم يكن عندنا ببيت المقدس قط صلاة الرغائب هذه التي تصلى في رجب وشعبان، وأول ما حدثت عندنا في سنة ثمان وأربعين وأربع مائة، قدم علينا في بيت المقدس رجل من نابلس يُعْرَف بابن أبي الحمراء، وكان حسن التلاوة، فقام يصلي في المسجد الأقصى ليلة النصف من شعبان، فأحرم خلفه رجل، ثم انضاف إليهما ثالث ورابع، فما ختمها إلا وهم جماعة كثيرة، ثم جاء في العام القابل فصلى معه خلق كثير وشاعت في المسجد، وانتشرت الصلاة في المسجد الأقصى، وبيوت الناس ومنازلهم، ثم استقرت كأنها سُنّة إلى يومنا هذا». اهـ.

الحادي عشر: حديث عليّ رضي الله عنه وليلة النصف من شعبان والأمر بقيامها وصيام نهارها

رُوِيَ عن عليّ رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إذا كانت ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها وصوموا نهارها، فإن الله ينزل فيها لغروب الشمس إلى سماء الدنيا، فيقول: ألا من مستغفر لي فأغفر له، ألا مسترزق فأرزقه، ألا مبتلى فأعافيه، ألا كذا، ألا كذا، حتى يطلع الفجر».

التخريج

الحديث أخرجه ابن ماجه (١/ ٤٤٤) ح(١٣٨٨)، ومن طريقه أخرجه ابن الجوزي في «العلل المتناهية في الأحاديث الواهية» (٢/ ٥٦١ -٥٦٢) ح(٩٢٣)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣/ ٣٧٨) ح(٣٨٢٢)، قال ابن ماجه: حدثنا الحسن ابن عليّ الخلال، حدثنا عبد الرزاق، أنبأنا ابن أبي سبرة، عن إبراهيم بن محمد، عن معاوية بن عبد الله بن جعفر، عن أبيه، عن عليّ بن أبي طالب قال: قال رسول الله ﷺ: فذكره.

قلت: وسند هذا الحديث عند البيهقي في «الشعب» حدث فيه خطأ حيث جعل راويين في السند راويًا واحدًا، يتبين ذلك من قول الإمام ابن ماجه «حدثنا محمد بن علي الخلال حدثنا عبد الرزاق» فنجد السند عند البيهقي في الشعب: «الحسن بن علي ابن عبد الرزاق» وهذا في الطبعة التي حققها الأخ محمد السعيد بسيوني رغم أنه قال في المقدمة أنه راجعها علي أكثر من مخطوطة، وأنه قام بتصحيح أسماء كثير من الشيوخ والرجال، سبحان ربي لا يضل ولا ينسى، وهذا أمر يحسبه البعض هين، ولكنه عند أهل الصنعة عظيم.

التحقيق

الحديث «موضوع»، وعلته ابن أبي سَبْرَة قال الذهبي في «الميزان» (٤/ ٥٠٣) ت(١٠٠٢٤): أبو بكر ابن عبد الله بن أبي سبرة ضعفه البخاري وغيره، وروى عبد الله وصالح ابنا أحمد عن أبيهما قال: كان يضع الحديث، وقال النسائي: متروك. وقال ابن معين: ليس حديثه بشيء». اهـ.

ثم أورد له الإمام الذهبي هذا الحديث، وجعله من مناكيره، وضعَّف هذا الحديث المنذري في «الترغيب» (٢/ ١١٩)، والإمام العراقي في «المغني» (١/ ٢٠٤ إحياء).

وقال ابن حبان في «المجروحين»: «ابن أبي سبرة: كان ممن يروي الموضوعات عن الأثبات، لا يحل كتابة حديثه، ولا الاحتجاج به بحال، كان أحمد بن حنبل يكذبه». اهـ.

قلت: لذلك قال الشيخ ابن باز في «التحذير من البدع» ص(١١): «ومن البدع التي أحدثها بعض الناس بدعة الاحتفال بليلة النصف من شعبان، وتخصيص يومها بالصيام، وليس على ذلك دليل يجوز الاعتماد عليه....، أما ما ورد في فضل الصلاة فيها فكله موضوع» اهـ.

هذا ما وفقني الله إليه، وهو وحده من وراء القصد

❁ ❁ ❁ ❁

(٣٨)

قصة أبي الدرداء والذكر الجنوني (*)

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم؛ حتى يقف علي حقيقة هذه القصة التي وجدت في بعض التفاسير، واتخذها أصحاب الذكر البدعي دليلاً لذكر أسماء الله الحسنى بالوقوف والتمايل والرفص، ولم يكتفِ صاحب الذكر البدعى وتابعوه بالاعتداء على الشيخ الألبانى بالشتم بعبارات منها: «لترى كيف عبث الألبانى وتابعوه بالحديث». اهـ.

قلت: وما نقموا منهم إلا أنهم حذروا الأمة من الأحاديث المنكرة، مثل حديث «الجنون»، ولقد بينا بالتفصيل فى سلسلة «صحح أحاديثك» أن الحديث منكر تحت عنوان: «الأذكار بين الجنون والاستهتار»، وفى العدد السابق قابلنا شتمهم ببحث علمى دقيق بيَّنا عدم درايتهم بهذا العلم وتدليسهم على الناس، وتبرئة الشيخ الألبانى رَحِمَهُ اللَّهُ مما نسب إليه.

وإن تعجب فعجب فى الشهر الماضي- شهر شعبان – قام صاحب الذكر البدعى وتابعوه بمحاولة لإيهام القراء – فى المجلة التى هو نائب رئيس تحريرها – بصحة الحديث المنكر «حديث الجنون»، ورمانا بالخيانة العلمية؛ لأننا لم نوافقه على هذا الحديث المنكر، وذكر اسم – مجلة التوحيد الغراء – ونحن لا نذكر أسماء أصحاب الذكر البدعي ولا اسم المجلة[1] التى نعتبرها ملكًا لكل مصرى، بل لكل مسلم فى العالم، ولا نقابل الشتم بالشتم، لذلك لا يهمنا الأسماء – ولكن كما عّودنا القارئ الكريم أن نقدم بحوثًا علمية حديثية منها يتبين للقارئ مَنْ الخائن؟

في تلك المحاولة من صاحب الذكر البدعي وتابعيه في الشهر الماضى؛ لتقوية

(*) مجلة التوحيد، رمضان، ١٤٢٤هـ.

(١) لكن للأمانة العلمية: مجلة الأزهر في عددها ربيع الآخر، رجب، شعبان، ١٤٢٤هـ.

حديث الجنون المنكر؛ جاءوا بقصة منسوبة للصحابى الجليل أبى الدرداء تجعله من أصحاب ذكر الجنون ويرمى بالجنون.

القصة كما أوردها صاحب الذكر البدعي وتابعوه

قال فى المجلة: «معنى الجنون في الذكر كيف يكون»؟

فأجاب على هذا السؤال الذى سأله لنفسه حول ذكر الجنون قائلاً: «ذكر الإمام ابن كثير، فى «تفسيره» (٥/ ١٥٩) قال: «أخرج عبد الرزاق، أخبرنا معمر بن راشد، عن يحيي بن أبى كثير، عن أبى سلمة ابن عبد الرحمن، قال: جلس رسول الله ﷺ ذات يوم فأخذ عودًا يابسًا فحط ورقه، ثم قال: إن قول: «لا إله إلا الله والله أكبر، وسبحان الله والحمد لله» تحط الخطايا كما تحط ورقة هذه الشجرة الريحُ، خذهن يا أبا الدرداء، قبل أن يُحال بينك وبينهن، هن الباقيات الصالحات، وهن من كنوز الجنة. قال أبو سلمة: فكان أبو الدرداء إذا ذكر هذا الحديث قال: «لأهللن الله، ولأكبرن الله، ولأحمدن الله حتى إذا رآنى الجاهل حسب أنى مجنون». اهـ.

ثم قال صاحب الذكر البدعى فى تعليقه على هذه القصة: «فى كلام ابن كثير على الإسناد فائدة فلا تفوتك هناك».

قلت: هذا كل ما قاله صاحب الذكر البدعى حول القصة التى انتهت بالجنون، وهو يبين معنى الجنون فى الذكر كيف يكون؟ وسأذكر للقارئ الكريم كلام الحافظ ابن كثير على الإسناد، ثم أبين بعد ذلك عدم دراية صاحب الذكر البدعى وتابعوه بهذا العلم.

أولاً: كلام الحافظ ابن كثير على إسناد القصة

قال الحافظ ابن كثير فى «التفسير» (٤/ ١٣٥) عند تفسير الآية (مريم:٧٦): «وهذا ظاهره أنه مرسل، ولكن قد يكون من رواية أبى سلمة عن أبى الدرداء، والله أعلم. وهكذا وقع فى سنن ابن ماجه من حديث أبى معاوية، عن عمر بن راشد، عن يحيى، عن أبى سلمة، عن أبى الدرداء فذكر نحوه». اهـ.

ثانيًا: أوهـــام

١- توهم صاحب الذكر البدعي وتابعوه أن علة القصة الإرسال؛ لأن أبا سلمة ابن عبد الرحمن تابعي، وقال: « جلس رسول الله ﷺ» وهو لم ير رسول الله ﷺ.

٢- وتوهم أن هذا الإرسال عالجه الإمام ابن كثير بالوصل عندما قال: «وهذا ظاهره مرسل، ولكن قد يكون من رواية أبى سلمة عن أبى الدرداء، والله أعلم. وهكذا وقع فى سنن ابن ماجه ... ». اهـ.

٣- وهذا يبين للقارئ الكريم أن صاحب الذكر البدعي وتابعوه مجرد نقلة، فهل حققوا سند حديث ابن ماجه، وإن كان موصولاً فهو أوهن من بيت العنكبوت كما سنبين، وليس فيه «معنى الجنون فى الذكر كيف يكون»؟

وهذا هو الحديث فى «سنن ابن ماجه» (٢/ ١٢٥٣) ح (٣٨١٣): حدثنا عليّ ابن محمد ، ثنا أبو معاوية، عن عمر بن راشد، عن يحيى بن أبى كثير، عن أبى سلمة ابن عبد الرحمن، عن أبى الدرداء، قال: قال رسول الله ﷺ : «عليك بـ(سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر) فإنها يعنى، يحططن الخطايا كما تحط الشجرة ورقها». اهـ.

٤- من الأوهام الشديدة التى وقع فيها صاحب الذكر البدعى وتابعوه : أن مجرد ذكر ابن كثير للقصة وكذلك غيره يكون دليلاً على صحة القصة عند السكوت على درجة الحديث وغاب عنهم:

أ- أن ابن كثير درج على طريق أهل الحديث الذين قرروا أن من أسند فقد أحال، ومن أسند ذكر الوسيلة إلى معرفة درجة الحديث.

ب- وأن ابن كثير يصرح بدرجة الحديث تارة، ويسكت عن ذلك تارة أخرى، كما فعل فى قصة ثعلبة بن حاطب ﷺ ، فقد أوردها فى «تفسيره» (٢/ ٣٧٤) عند تفسيره للآية (التوبة:٧٦) نقلاً عن ابن جرير بسندها، وسكت عن بيان درجتها،

وهى قصة واهية كما بيّنا ذلك فى سلسلة «تحذير الداعية من القصص الواهية» فلا يغتر صاحب الذكر البدعى وتابعوه بذكر ابن كثير للقصة فى تفسيره والسكوت عن درجتها وليرجع إلى هذه الأصول ليعرف منهج الإمام الحافظ ابن كثير فى تخريج أحاديث «تفسيره».

ثالثًا: نقل بغير تخريج ولا تحقيق

١- لقد نقل صاحب الذكر البدعى القصة من تفسير ابن كثير حيث قال: «ذكر الإمام ابن كثير فى «تفسيره» (٥/ ١٥٩) قال: أخرج عبد الرزاق، أخبرنا معمر بن راشد، عن يحيى بن أبى كثير، عن أبى سلمة ابن عبد الرحمن، قال: جلس رسول الله ﷺ ...» القصة.

٢- هل رجع صاحب الذكر البدعى إلى تصانيف عبد الرزاق ليقف على هذا السند فى أصوله؛ خوفًا من حدوث تصحيف فى رجال سند عبد الرزاق، خاصة وهو فى مقام الدفاع عن ذكره البدعى فى بيانه «لمعنى الجنون فى الذكر كيف يكون» ويتهم الصحابى الجليل بذكر الجنون؟

٣- سنقوم بتخريج الحديث، وسيرى القارئ الكريم بحثًا علميًا دقيقًا بتوفيق الله تعالى/ يكشف عن تصحيف عظيم وقع فى الإسناد.

رابعًا: التصحيف

قال السيوطى فى «التدريب» (٢/ ١٩٣) النوع الخامس والثلاثون: معرفة المصحَّف: «هو فن جليل مهم، وإنما يحققه الحذاق من الحفاظ».

قلت : ولقد قسَّم العلماء المصحَّف إلى ثلاثة أقسام:

الأول: باعتبار موقعه: ينقسم المصحف باعتبار موقعه إلى قسمين، وهما:

١- تصحيف فى الإسناد. ٢- تصحيف في المتن.

الثاني: باعتبار منشئه: ينقسم إلى قسمين:

١ - تصحيف بصر: (وهو الأكثر) أي يشتبه الخط على بصر القارئ، إما لرداءة الخط أو عدم نقطه.

٢ - تصحيف السمع: أى تصحيف منشؤه رداءة السمع.

الثالث: باعتبار لفظه أو معناه، ينقسم إلى قسمين:

١ - تصحيف لفظ وهو الأكثر

٢ - تصحيف فى المعنى: أى يُبْقِى الراوى المصحِّف اللفظَ على حاله، لكن يفسره تفسيرًا يدل على أنه فهم معناه فهمًا غير مراد.

خامسًا: تطبيق التصحيف على سند القصة

مما أوردناه فى أقسام التصحيف وعند تطبيقه على سند القصة المذكور فى تفسير ابن كثير سيكون التصحيف بالنسبة للاعتبارات التى أوردناها: «تصحيف سند، وبصر، ولفظ) كما سنبين.

التخريج

لم أكتفِ بالتخريج بالواسطة، فهذا يجعل التخريج بعيدًا عن مصدره الأصلي، وهذا الصنيع له أثره السيىء حيث قد يحدث تصحيف فى السند أو المتن وهو لا يدرى.

وهذا ما فعله صاحب الذكر البدعى وتابعوه فى تخريج هذه القصة حيث قال: «ذكر الإمام ابن كثير فى «تفسيره» (٥/ ١٥٩) قال: «أخرج عبد الرزاق، أخبرنا معمر بن راشد، عن يحيى بن أبى كثير، عن أبى سلمة ابن عبد الرحمن، قال: جلس رسول الله ﷺ ... » القصة.

قلت: هذا تخريج غير مباشر للقصة عند عبد الرزاق بواسطة «تفسير ابن كثير» من غير بحث عند عبد الرزاق فى تصانيفه.

البحث عن سند القصة فى تصانيف عبد الرزاق

١ - بالبحث عن القصة فى تصانيف عبد الرزاق لم نجدها فى «مصنف عبد الرزاق» ولكن وجدناها فى «تفسير عبد الرزاق» (٢/ ١٢) - طبعة مكتبة الرشد بالرياض، ووجدنا تصحيفًا خطيرًا حيث وجدنا السند: عبد الرزاق قال: أخبرنا عمير بن راشد، عن يحيى بن أبى كثير، عن أبى سلمة ابن عبد الرحمن به.

٢ - بالرجوع إلى النسخة (م) للمخطوط لتفسير عبد الرزاق وجدنا أن شيخ عبد الرزاق هو (عمر بن راشد) كذا ذكره محقق تفسير عبد الرزاق فى هامشه لسند هذه القصة.

٣- بالمقارنة بين سند القصة فى الأصول عند عبد الرزاق، وبين السند المنقول فى تفسير ابن كثير:

أ- وجدنا أن شيخ عبد الرزاق فى تفسير ابن كثير هو (معمر بن راشد).

ب- الأصول بيّنت أن شيخ عبد الرزاق فى سند القصة لم يكن هو (معمر ابن راشد)، ولكنه في الأصل المطبوع (عمير بن راشد)، وفى الأصل المخطوط (عمر بن راشد).

جـ- إذن الأصول أخرجت (معمر بن راشد) من سند القصة، وتبين أن الاسم حدث فيه تصحيف.

د- من هذا التحقيق فى التخريج المقارن بين الأصل والنقل تبين أن شيخ عبد الرزاق فى سند القصة إمَّا (عمير بن راشد) أو (عمر بن راشد)، وهذا تصحيف آخر لابد من البحث العلمى الدقيق حتى يتبين لنا شيخ عبد الرازق فى سند هذه القصة.

البحث فى الراوى (عمير بن راشد)

١ - إن من أسباب التدقيق فى هذا البحث أنه بالبحث فى أسطوانة التفاسير على (الكمبيوتر) وجدت أن سند القصة فى «تفسير عبد الرزاق» جعل شيخ عبد الرزاق هو (عمير بن راشد) .

٢- وبالبحث فى كتب الجرح والتعديل باب (من روى عنه العلم ممن يسمى عميرًا، وابتداء اسم أبيه على الراء).

أ- فى كتاب «الجرح والتعديل» لابن أبى حاتم (٦/ ٣٧٦) لم أجد ما يسمى عمير ابن راشد.

ب- فى كتاب «الكامل» لابن عدى (٥/ ٦٩) باب (ما يسمى عميراً) لم أجده.

جـ- فى كتاب «التاريخ الكبير» للبخارى (٣/ ٢/ ٥٣٠) باب (ما يسمى عميراً) لم أجده.

د- فى كتاب «تهذيب الكمال» للمزى (١٤/ ١٠٨) باب (ما يسمى عميراً) لم أجده.

هـ- فى كتاب «الضعفاء الكبير» للعقيلى (٣/ ٣١٧) باب (ما يسمى عميراً) لم أجده.

و- فى كتاب «الميزان» للذهبى (٣/ ٢٩٦) باب (ما يسمى عميراً) لم أجده.

قلت: وتتبعت بقية الكتب فى «الجرح والتعديل» لم أجد ما يسمى عمير بن راشد.

الاستنتاج

١ - لم أجد راوٍ ممن روى عنه العلم يسمى (عمير بن راشد).

٢- إذن عمير بن راشد لم يكن من شيوخ عبد الرزاق

٣- إذن شيخ عبد الرزاق فى سند هذه القصة هو (عمر بن راشد) كما فى النسخة (م) للمخطوط لتفسير عبد الرزاق.

الجزم بأنه (عمر بن راشد)

بعد هذا البحث الدقيق وفَّقني الله سبحانه لتخريج آخر للقصة من طريق عبد الرزاق فوجدت – والحمد لله على ما أنعم – أن شيخ عبد الرزاق فى هذه القصة هو (عمر بن راشد).

فقد أخرج هذه القصة الإمام الطبرى فى «تفسيره» (٨/ ٤١٣- ط دار الغد) ح(٢٣٨٩٨) حيث قال الطبري: حدثنا الحسن بن يحيى ، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا عمر بن راشد، عن يحيى بن أبى كثير، عن أبى سلمة ابن عبد الرحمن ابن عوف، قال: «جلس النبى ﷺ ذات يوم ......» القصة.

قلت: بهذا يتبين ضرر النقل بغير تحقيق، ولقد تبين أن الراوي (معمر بن راشد) لم يكن فى سند القصة عند الرجوع إلى الأصول، وثبت بالتحقيق العلمى الدقيق أن الراوى هو (عمر بن راشد)، وهذا بحث ليس بالهين، ولا يستهين به إلا الجاهل بهذا العلم، حيث إن هناك فرقًا كبيرًا بين الراويين:

١- معمر بن راشد، قال فيه الحافظ ابن حجر فى «التقريب» (٢/ ٢٦٦): «ثقة ثبت».

٢- أما عمر بن راشد، قال فيه الإمام النسائى فى «الضعفاء والمتروكين» رقم (٤٧٤): «ليس بثقة».

التحقيق

القصة واهية، والعلة: عمر بن راشد، وهذه أقوال علماء الجرح والتعديل فيه:

١- أورده الإمام الدارقطني في كتابه: «الضعفاء والمتروكين» رقم (٣٧٩) وقال: «عمر بن راشد اليمامي، عن يحيى بن أبى كثير». اهـ.

قلت: بهذا يتبين أن عمر بن راشد متروك بمجرد ذكره فى «المتروكين» للدارقطني، وإن لم يذكر بجواره «متروك»، وذلك طبقًا للقاعدة المذكورة فى مقدمة الكتاب: قال البرقاني: «طالت محاورتى مع ابن حمكان لأبى الحسن على بن عمر الدارقطنى فى المتروكين من أصحاب الحديث، فتقرر بيننا وبينه على ترك من أثبته على حروف المعجم فى هذه الورقات». اهـ .

٢- قال الإمام ابن حبان فى «المجروحين» (٢/ ٨٣): «عمر بن راشد اليمامى يروى عن يحيى بن أبى كثير، كان ممن يروى الأشياء الموضوعات عن ثقات الأئمة، لا يحل ذكره فى الكتب إلا على سبيل القدح فيه، ولا كتابة حديثه إلا على جهة التعجب». اهـ.

قلت: وفى «التهذيب» (٧/ ٣٩١):

٣- قال عبد الله بن أحمد، عن أبيه: «حديثه ضعيف، ليس بمستقيم، حدَّث عن يحيى بن أبى كثير بأحاديث مناكير».

٤- وقال الجوزجاني، عن أحمد: «لا يسوى حديثه شيئًا».

٥- وقال البخاري: «حديثه عن يحيى بن أبى كثير مضطرب ليس بالقائم».

قلت: وأخرج ابن حبان فى «المجروحين» (٢/ ٨٣) بسنده عن يحيى بن معين قال: «عمر بن راشد ليس بشيء». اهـ.

فائدة: لئلا يتقول علينا صاحب الذكر البدعى وتابعوه لعدم درايتهم بهذا العلم، ويدلسون على الناس فى المجلة، قائلين: «من الخيانة العلمية أن يُخْفِى الباحث فى حال الراوى من الرواة ويظهر جرح من جرحه فقط، ولقد وقع فى هذه السقطة أحد كُتّاب مجلة التوحيد .... ». اهـ.

قاعدة

وإلى القارئ الكريم بيان بهذه القاعدة التى يحاول صاحب الذكر البدعى وتابعوه هدمها حتى يعيشوا مع الأحاديث المنكرة والقصص الواهية، ولكن هيهات، فهى أصول ثابتة ثبوت الجبال، وهذه هي القاعدة:

قال محدِّث وادي النيل الشيخ أحمد شاكر رَحِمَهُ اللَّهُ فى «الباعث الحثيث شرح اختصار ابن كثير» ص (٨٠): «إذا اجتمع فى الراوى جرحٌ بيُّن السببِ وتعديلٌ، فالجرح مقدَّم، وإن كثر عدد المعدلين؛ لأن مع الجارح زيادة علم لم يطلع عليها المعدِّل، ولأنه مصدق للمعدل فيما أخبر به عن ظاهر حاله، إلا أنه يخبر عن أمر باطن خفى عنه». اهـ.

قلت: هذه هى القاعدة عند التحقيق لأهل الصنعة، انظر «الفوائد» للشوكانى، و«تنزيه الشريعة» لابن عراق، و «العلل» لابن الجوزى، بل و«المجمع» للهيثمي، كما

بيّنا قوله فى سلسلة «صحح أحاديثك» العدد السابق حول حديث الجنون. فلا يفرح صاحب الذكر البدعى وتابعوه بأقوال المتساهلين كالعجلى وابن شاهين أمام هؤلاء الجبال من أئمة الجرح والتعديل.

بهذا يتبين للقارئ الكريم أن القصة واهية، وأن الصحابى الجليل أبا الدرداء بريء من هذه القصة، قصة الذكر الجنونى لأبى الدرداء، التى اتخذها صاحب الذكر البدعى وتابعوه شاهدًا لحديث الجنون المنكر، ولبيان معنى الجنون فى الذكر كيف يكون؟

لقد تبين للقارئ الكريم من هذا البحث أن صاحب الذكر البدعى وتابعيه لا دراية لهم بأصول التخريج وقواعده، ولا دراية لهم بقواعد التحقيق مما كان سببًا فى ضياع الأمانة العلمية لهذا السند الموجود فى مخطوط تفسير عبد الرزاق، لولا أن وفقنا الله تعالى لكشف تصحيفه، وكشف علته، فسقطت القصة، وكشفت الأستار، عن بدعة الجنون فى الأذكار. فهذه هي أمانة البحوث العلمية الحديثية، فمن الخائن؟

هذا ما وفقني الله إليه، وهو وحده من وراء القصد

❁ ❁ ❁ ❁

(٣٩)

قصة مفتراة على نبي الله يوسف عليه السلام(*)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

لقد انتهى شهر رمضان، وأكثر المسلمين فيه من قراءة القرآن ابتغاءً الشفاعة، حيث ثبت فى «صحيح مسلم» (ح ٨٠٤) (كتاب صلاة المسافرين) ح (٢٥) من حديث أبى أمامة الباهلي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه**».

ويحاول البعض أن يعرف معانى الآيات التى قرأها، فيقع وهو لا يدرى فى قصص واهية وأحاديث منكرة، وضعت فى بعض التفاسير وتناقلها الوعاظ والقصاص.

من أجل ذلك قال الإمام ابن الجوزي في «الموضوعات» (١/ ٣١): «إن سنة نبينا ﷺ مأثورة ينقلها خلف عن سلف، ولم يكن هذا لأحد من الأمم قبلها، ولما لم يمكن أحد أن يدخل في القرآن شيئًا ليس منه، أخذ أقوام يزيدون في حديث رسول اللهَّ ﷺ، وينقصون، ويبدلون، ويضعون عليه ما لم يقل، فأنشأ الله ﷻ علماء يذبون عن النقل، ويوضحون الصحيح، ويفضحون القبيح، وما يخلي الله ﷻ منهم عصرًا من العصور، غير أن هذا النسل قد قلَّ في هذا الزمان فصار أعز من عنقاء مغرب». اهـ.

قلت: فإذا كان الأمر كذلك في عهد ابن الجوزي المتوفى سنة (٥٩٧هـ)، فكيف يكون عدد العلماء الذابين عن الحديث في هذا العصر؟ لا شك أنهم أقل من القليل، مما يؤكد علينا وجوب الاستمرار في نشر هذه السلسلة «تحذير الداعية من القصص الواهية»، وتحذيرًا للناس منها، وقيامًا بواجب بيان العلم.

(*) مجلة التوحيد، شوال، ١٤٢٤هـ.

القصة المفتراة على نبي الله يوسف عليه السلام، وهي «قصة ابتغاء يوسف عليه السلام الفرج من عند غير الله»:

القصة حول تفسير الآية (يوسف:٤٢) في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾.

القصة: قال يوسف للذي علم أنه ناجٍ من صاحبيه اللذَيْن استعبراه الرؤيا: اذكرني عند ربك -وهو الملك- وأخبره بمظلمتي، وأني محبوس بغير جُرْم، هذا خبر من الله -جل ثناؤه- عن غفلة عرضت ليوسف من قبل الشيطان نسي لها ذكر ربه الذي لو به استغاث لأسرع بما هو فيه خلاصه، ولكنه زلّ بها، فأطال من أجلها في السجن حبسه، وأوجع لها عقوبته.

قلت: هذه القصة التي أخبر فيها الإمام الطبري- عفا الله عنا وعنه- عن غفلة يوسف ونسيانه لذكر الله، وأنه لم يستغث بالله، فأطال من أجل ذلك في السجن حبسه.

ولقد بنى قوله هذا في القصة على حديث مرفوع أخرجه في «تفسيره» (٧/ ٢٤٤) (ح١٩٣٢٢) حيث قال: كما حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا عمرو بن محمد، عن إبراهيم بن يزيد، عن عمرو بن دينار، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: قال النبي ﷺ: «لو لم يقل يوسف- يعني الكلمة التي قالها- ما لبث في السجن طول ما لبث، حيث يبتغي الفرج من عند غير الله».

التحقيق

قلت: في السند علتان تجعلان هذه القصة واهية:

الأولى: إبراهيم بن يزيد، أورده الإمام المزي في «تهذيب الكمال» (١/ ٤٥٢/ ٢٦٣)، وقال: يعرف بالخوزي، روى عن عمرو بن دينار، سكن شِعْب الخوز بمكة، فنسب إليه.

١- قال صالح بن أحمد بن حنبل، عن أبيه: «متروك».

٢- وقال أبو بشر الدولابي عن البخاري: «سكتوا عنه». قال الدولابي: يعني: تركوه. اهـ.

٣- **قلت**: وأورده الإمام البخاري في «الضعفاء الصغير» رقم (١٢) وقال: «إبراهيم ابن يزيد، أبو إسماعيل الخوزي مكي، سكتوا عنه، يروي عن محمد بن عباد بن جعفر، وعمرو بن دينار».

٤- أورده الإمام النسائي في كتاب «الضعفاء والمتروكين» ترجمة (١٤)، وقال: «إبراهيم بن يزيد الخوزي: متروك».

فائدة

أ- مصطلح البخاري «سكتوا عنه»: قال السيوطي في «التدريب» (١/ ٤٣٩): «البخاري يطلق: (فيه نظر)، و(سكتوا عنه) فيمن تركوا حديثه، ويطلق (منكر الحديث): على من لا تحل الرواية عنه».

ب- مصطلح النسائي: متروك.

قال الحافظ ابن حجر في «شرح النخبة» (ص٦٩): «مذهب النسائي أن لا يترك حديث الرجل حتى يجتمع الجميع على تركه».

٥- وأورده الدارقطني في «المتروكين» رقم (١٣) كما في سؤالات البرقاني.

٦- وأورده ابن حبان في «المجروحين» (١/ ١٠٠) وقال: «روى عن عمرو بن دينار، وأبي الزبير، ومحمد بن عباد بن جعفر مناكير كثيرة وأوهامًا غليظة، حتى يسبق إلى القلب أنه المتعمد لها».

الثانية: سفيان بن وكيع بن الجراح:

١- أورده الإمام الذهبي في «الميزان» (٢/ ١٧٣/ ٣٣٣٤):

أ- قال البخاري: يتكلمون فيه لأشياء لقنوه إياها.

ب- وقال أبو زرعة: يتهم بالكذب.

٢- قال ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٤/ ٢٣١): «سألت أبا زرعة عنه

فقال: لا يُشتغل به، قيل له: كان يكذب، قال: كان أبوه رجلاً صالحًا، قيل له: كان يتهم بالكذب؟ قال: نعم».

٣- أورده ابن حبان في «المجروحين» (١/ ٣٥٥): وقال: «ابتلي بورّاق سوء كان يُدخِل عليه -أي أدخل عليه ما ليس من روايته-، ونصحه العلماء أن يدعه، فلم يرجعه، فمن أجل إصراره على ما قيل له استحق الترك». اهـ.

٤- قال النسائي في «الضعفاء والمتروكين» رقم (٢٨٩): «سفيان بن وكيع بن الجراح ليس بشيء».

الاستنتاج

نستنتج من هذا التحقيق أن السند ضعيف جدًّا وأن القصة واهية.

الضمير في قوله: ﴿ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ ﴾.

قال الحافظ ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ١٧٢):

١- «ولما ظن يوسف عليه السلام أن الساقي ناج قال له يوسف خفية عن الآخر- والله أعلم- لئلا يشعره أنه المصلوب- قال له: ﴿ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ﴾، يقول: اذكر قصتي عند ربك وهو الملك، فنسي ذلك الموصَى أن يذَكِّر مولاه الملك بذلك، وكان من جملة مكايد الشيطان لئلا يطلع نبي الله من السجن، هذا هو الصواب أن الضمير في قوله: ﴿فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ﴾ عائد على الناجي كما قال مجاهد، ومحمد بن إسحاق، وغير واحد».

٢- ويقال: إن الضمير عائد على يوسف عليه السلام، رواه ابن جرير عن ابن عباس، ومجاهد أيضًا وعكرمة وغيرهم، وأسند ابن جرير ههنا حديثًا فقال: حدثنا ابن وكيع، حدثنا عمرو بن محمد، عن إبراهيم بن يزيد، عن عمرو بن دينار، عن عكرمة، عن ابن عباس مرفوعًا قال: قال النبي ﷺ فذكر حديث القصة الذي حققناه آنفًا.

٣- ثم قال الإمام ابن كثير: «هذا الحديث ضعيف جدًّا؛ لأن سفيان بن وكيع

ضعيف، وإبراهيم بن يزيد هو الخوزي أضعف منه أيضًا، وقد روى عن الحسن وقتادة مرسلاً عن كل منهما، وهذه المرسلات ههنا لا تُقبَل لو قُبِل المرسل حيث هو في غير هذا الموطن، والله أعلم». اهـ.

إقرار علامة الشام القاسمي للإمام ابن كثير

لقد أقر علامة الشام محمد جمال الدين القاسمي في تفسيره «محاسن التأويل» (٤/ ٣٦٧-تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي)، حيث قال: وأما ما رواه ابن جرير، عن ابن عباس مرفوعًا: «لو لم يقل- يعني يوسف- الكلمة التي قال، ما لبث في السجن طول ما لبث حيث يبتغي الفرج من عند غير الله تعالى». فقال الحافظ ابن كثير: حديث ضعيف جدًّا وذكر من رجاله الضعفاء روايتين سماهما. ثم قال: ورُوي أيضًا مرسلاً عن الحسن وقتادة، قال: وهذه المرسلات ههنا لا تقبل لو قبل المرسل من حيث هو في غير هذا الموطن، والله أعلم». ولقد أجاد وأفاد عليه الرحمة. اهـ.

قلت: من تعقيب علامة الشام القاسمي على تحقيق الإمام ابن كثير يتبين إقراره لابن كثير رَحِمَهُ اللهُ، وبيان الصواب في قوله: ﴿فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ﴾، وبراءة يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ مما نسب إليه في هذه القصة من نسيان ذكر الله وابتغائه الفرج من عند غير الله وعقوبته على ذلك بطول الحبس، ولقد تبين للقارئ الكريم أن هذا الخبر منكر وقصة واهية.

السُّنة الصحيحة تثبت ما قلناه

أولاً: من الأوهام التي وقعت في هذه القصة الواهية أن يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ قال للناجي: ﴿ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ﴾ جزعًا واستعجالاً للخروج من السجن، والسنة الصحيحة المطهرة ترد هذه الشبهة وتبين صبر يوسف عليه السلام، فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «نحن أحق بالشك من إبراهيم؛ إذ قال: ﴿رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ

بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾، ويرحم الله لوطًا لقد كان يأوى إلى ركن شديد، ولو لبثت في السجن طول ما لبث يوسف لأجبت الداعي».

قلت: الحديث متفق عليه، أخرجه البخاري (ح٣٣٧٥، ٣٣٨٧، ٤٥٣٧، ٤٦٩٤، ٦٩٩٢)، ومسلم (ح١٥١)، قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ في شرح هذا الحديث: (وأما قوله ﷺ: «ولو لبثت في السجن طول لبث يوسف لأجبت الداعي»:

١- فهو ثناء على يوسف -عليه الصلاة والسلام-، وبيان لصبره، وتأنيه.

٢- والمراد بالداعي رسول الملك الذي أخبر الله سبحانه وتعالى أنه قال: ﴿ٱئْتُونِي بِهِۦ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾ (يوسف:٥٠).

٣- فلم يخرج يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ مبادرًا إلى الراحة، ومفارقة السجن الطويل، بل ثبت، وتوقَّر، وأرسل إلى الملك في كشف أمره الذي سُجِن بسببه، ولتظهر براءته عند الملك وغيره، فيلاقيه الملك وهو يعتقد براءته مما نُسب إليه.

٤- فبيّن نبينا ﷺ فضيلة يوسف في هذا، وقوة نفسه في الخير، وكمال صبره، وحسن نظره.

٥- وقال النبي ﷺ عن نفسه ما قاله، تواضعًا، وإيثارًا للإبلاغ في بيان كمال فضيلة يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ.

قلت: ولقد أجاد وأفاد الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره لهذا الحديث، والذي به ترد الشبهات التي جاءت في القصص الواهية، وترد فرية نسيان يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ ذكر الله، وهو الذي دعاهما في السجن إلى توحيد الله كما في الآيات (٣٨، ٣٩، ٤٠ سورة يوسف) عندما استعبراه الرؤيا.

ثانيًا: ومن الأوهام التي نشأت عن هذه القصة الواهية: أن يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ عندما جزع في السجن، ونسي ذكر الله، وابتغى الفرج من عند غير الله عُوقب بطول السجن.

ولقد أخرج ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢١٥٩) (ح١١٦٤٢) حديثًا قدسيًا يحتج به أصحاب هذه الشبهة، ولكي نرد هذه الشبهة يجب دحض هذه الحجة. ولقد أخرج ابن أبي حاتم الحديث تحت قوله تعالى: ﴿فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾، حيث قال: حدثنا أبي وأبو زرعة قالا: حدثنا محمد بن أبي بكر المقدمي، حدثنا سلام بن أبي الصهباء، حدثنا ثابت، عن أنس قال: أوحى الله إلى يوسف: يا يوسف من استنقذك من الجب إذْ ألقوك فيه؟ قال: أنت يا رب. قال: من استنقذك من القتل إذ همَّ إخوتك أن يقتلوك؟ قال: أنت يا رب، قال: فما لك نسيتني وذكرت آدميًا؟ قال: جزعًا بذنبي، وكلمة تكلم بها لساني. قال: وعزتي لأخلدنك السجن بضع سنين. اهـ.

قلت: وإلى القارئ الكريم تحقيق هذه القصة: «قصة معاتبة الله ليوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ على نسيانه وجزعه ثم عقوبته».

فالقصة واهية والحديث منكر، وعلته: «سلام بن أبي الصهباء».

١- قال فيه أمير المؤمنين في الحديث الإمامُ البخاري في كتابه «التاريخ الكبير» (٤/ ١٣٥) ترجمة (٢٢٣٤): «سلام بن أبي الصهباء، حدثنا ثابت عن أنس: سلام منكر الحديث». اهـ.

قلت: ولقد بيّنت آنفًا معنى مصطلح البخاري «منكر الحديث»، وأن البخاري يطلقه على من لا تحل الرواية عنه.

٢- أورده الإمام الذهبي في «الميزان» (٢/ ١٨٠/ ٣٣٥٠)، وقال: «سلام بن أبي الصهباء أبو المنذر البصري الفزاري عن ثابت وقتادة، ضعَّفه يحيى».

٣- قال ابن حبان في «المجروحين» (١/ ٣٣٦): «سلام بن أبي الصهباء الفزاري من أهل البصرة، يروي عن ثابت البناني وقتادة، روى عنه معلى بن أسد والبصريون، ممن فحش خطؤه وكَثُر وهمه، لا يجوز الاحتجاج به إذا انفرد».

قلت: وقول ابن حبان: «فحش خطؤه، وكَثُر وهمه»، هذه العبارة تجعل الراوي يخرج أيضًا عن منطقة المتابعات، حيث قال الإمام العراقي في «فتح المغيث» (ص٧): «من كثُر الخطأ في حديثه وفحش استحق الترك، وإن كان عدلاً».

٤- **قلت**: وهذا ما بيّنه الإمام العقيلي في «الضعفاء الكبير» (٢/ ١٥٩/ ١٦٦٥) فبعد أن أخرج عن الإمام البخاري أنه «منكر الحديث» قال: «ولا يتابع عليه عن ثابت». اهـ.

قلت: بهذا التحقيق يتبين أن قصة نسيان يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ ذكر الله وابتغائه الفرج من عند غير الله قصة واهية، وحديثها منكر، وكذلك قصة معاتبة الله ليوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ وجزعه وعقوبته قصة واهية أيضًا، وحديثها منكر، كما بيَّنا في علتها، وقول أمير المؤمنين في الحديث الإمام البخاري.

وأختم هذا البحث بقول مسك الختام للنبيين محمد ﷺ في «صحيح البخاري» (ح٣٣٩٠): « الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم: يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام».

هذا ما وفقني الله إليه، وهو وحده من وراء القصد



(٤٠)

قصة رسالة إلى عابد الحرمين في موسم حج (١٧٩هـ)(*)

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم، حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت على ألسنة الخطباء والوعاظ والقصاص، واتخذها البعض دليلاً على التقليل من شأن العبادة والعلم، بدعوى أن لهم غاية تصبح أمامها هذه الأمور لعبًا وعبثًا.

أولاً: القصة سندًا ومتنًا

أخرج عبد الوهاب بن عليّ بن عبد الكافي السبكي في كتابه «طبقات الشافعية الكبرى» (١/ ٢٠١) قال: أخبرنا أبو العباس الأشعري بقراءتي عليه، أخبرنا سليمان ابن حمزة القاضي، والحسن بن عليّ الخلال، قالا: أخبرنا جعفر بن الهمداني، أخبرنا أبو الطاهر السلفي، أخبرنا أبو الغنائم محمد بن عليّ بن ميمون النرسي الحافظ بالكوفة، أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عليّ بن الحسن بن عبد الرحمن العلوي، أخبرنا أبو المفضل محمد بن عبد الله بن المطلب الشيباني قال: أملى علينا أبو محمد عبد الله بن سعيد بن يحيى الجزري القاضي بنصيبين، حفظًا، في سنة سبع عشرة وثلاثمائة، قال: أملى عليَّ محمد بن إبراهيم بن أبي سكينة البهراني من كتابه بحلب سنة ست وثلاثين ومائتين، قال: أملى عليَّ عبد الله بن المبارك هذه الأبيات بطرسوس، وودعته بالخروج للحج، وأنفذها معي إلى الفضيل- يعني ابن عياض-، وذلك سنة تسع وسبعين ومائة:

يا عابد الحرمين لو أبصرتنا ۞ لعلمتَ أنك في العبادة تلعبُ
مَنْ كان يخضّب جِيدَه بدموعه ۞ فنحورُنا بدمائنا تتخضب
أو كان يُتْعِبُ خيله في باطلٍ ۞ فخيولنا يوم الكريهة تتعبُ
ريح العبير لكم ونحن عبيرُنا ۞ رهج السنابك والغبار الأطيبُ

(*) مجلة التوحيد، ذو القعدة، ١٤٢٤هـ.

ولقد أتانا عن مقالِ نبينا	❁	قولٌ صحيحٌ صادق لا يكذَّبُ
لا يستوي غبار خيل الله في	❁	أنفِ امرئٍ ودخانُ نارٍ تلهبُ
هذا كتابُ الله ينطق بَيننا	❁	ليس الشهيد بميتٍ لا يكذب

ثانيًا: التحقيق

قلت: هذه القصّة واهية وسندها تالف، وعلته أبو المفضل محمد بن عبد الله الشيباني، أورده الخطيب في «تاريخ بغداد» (٥/ ٤٦٦) ترجمة (٣٠١٠)، وقال: أبو المفضل الشيباني الكوفي: نزل بغداد، وحدث بها عن البغوي وابن جرير وعن خلق كثير من المصريين، والشاميين، والجزريين، وأهل الثغور؛ معروفين ومجهولين، ثم قال: وحدثني عبد الملك ابن عبد القهار، قال: أبو المفضل محمد بن عبد الله بن محمد بن عبيد الله البهلول بن همام ابن المطلب بن همام بن مطر بن بحر بن مرة بن همام بن مرة بن ذهل بن شيبان، سمعت الأزهري ذكر أبا المفضل فأساء ذكره، وقال: كان أبو المفضل دجالاً كذابًا.

ثم قال: أخبرنا أحمد بن محمد العتيقي قال: سنة سبع وثمانين وثلاثمائة فيها توفي أبو المفضل الشيباني ببغداد في التاسع والعشرين من شهر ربيع الآخر، وكان كثير التخليط». اهـ.

قلت: وأورده الإمام الذهبي في «الميزان» (٣/ ٦٠٧/ ٧٨٠٢)، ونقل قول الخطيب في أبي المفضل: «كتبوا عنه بانتخاب الدارقطني، ثم بان كذبه، فمزقوا حديثه، وأبطلوا روايته، وكان يضع الأحاديث للرافضة». اهـ. وأقره.

قلت: وأورده الحافظ ابن حجر في «اللسان» (٥/ ٢٦١) (١١/ ٨١١/ ٧٥٩٦)، وأقر قول الأزهري والدارقطني والعتيقي: ثم نقل عن حمزة بن محمد بن طاهر قوله: «كان يضع الحديث». اهـ.

قلت: وأورده ابن عراق في «تنزيه الشريعة» (١/ ١٠٧) في سَرْد أسماء الوضاعين والكذابين ومن كان يسرق الحديث ويقلب الأخبار ومن اتهم بالكذب والوضع من رواة الأخيار، حيث أورده في حرف الميم رقم (١٦٦) وقال: «محمد بن عبد الله بن المطلب أبو المفضل الشيباني الكوفي عن البغوي وابن جرير: دجال يضع الحديث». اهـ.

قلت: بهذا التحقيق يتبين أن القصة واهية مكذوبة، فلا تعجب فقد وضعت أحاديث مكذوبة وقصص واهية على خاتم النبيين ﷺ.

ثالثًا: قرائن تدل على نكارة القصة

القرينة الأولى: ما كان لعبد الله بن المبارك رَحِمَهُ اللهُ أن يحتقر عبادة شيخه الفضيل ابن عياض، ويقول له:

يا عابدَ الحرمين لو أبصرتنا ❁ لعلمتَ أنك في العبادة تلعبُ

وقد ذكر الإمام المزي في «تهذيب الكمال» (١٥/ ١٠٥/ ٥٣٤٩) أن عبد الصمد ابن يزيد الصائغ قال: قال لي عبد الله بن المبارك: «إن الفضيل بن عياض صدق الله، فأجرى الحكمة على لسانه، فالفضيل ممَّن نفعه علمه». اهـ.

قلت: هذا قول ابن المبارك في بيان صدق الفضيل بن عياض.

١ - والذي يتفق مع قول إبراهيم بن شماس: «رأيت أفقه الناس، وأورع الناس، وأحفظ الناس: فأما أحفظ الناس فابن المبارك، وأما أورع الناس فالفضيل بن عياض، وأما أفقه الناس فوكيع بن الجراح». اهـ. كذا في «تهذيب الكمال» (١٥/ ١٠٩).

٢ - ويتفق مع قول هارون الرشيد: «ما رأيت في العلماء أهيب من مالك بن أنس، ولا أورع من الفضيل بن عياض».

٣- ويتفق مع قول إسماعيل بن يزيد، عن إبراهيم بن الأشعث: «ما رأيت أحدًا كان الله في صدره أعظم من الفضيل بن عياض، كان إذا ذكر الله أو ذكر عنده أو سمع القرآن ظهر به الخوف والحزن وفاضت عيناه، وبكى حتى يرحمه مَنْ بحضرته، وكان دائم الحزن، شديد الفكرة، ما رأيت رجلاً يريد الله بعلمه وعمله وأخذه وعطائه ومنعه وبذله وبغضه وحبه وخصاله كلها غيره». اهـ.

قلت: ولذلك جمع فيه الحافظ ابن حجر القول في «التقريب» (٢/ ١١٣) فقال: والفضيل بن عياض بن مسعود التيمي أبو عليّ، الزاهد المشهور أصله من خراسان

وسكن مكة، ثقة عابد إمام، من الثامنة، مات سنة سبع وثمانين ومائة. روى له الإمامان البخارى ومسلم، وكذلك أبو داود والترمذى والنسائى». اهـ.

قلت: من هذه القرينة يتبين للقارئ الكريم حقيقة عبادة الإمام الفضيل بن عياض، والذي ترجم له الإمام المزي قائلاً: «أبو عليّ الزاهد أحد صلحاء الدنيا وعبادها»، ولقد تبين من قول ابن المبارك الذي أوردناه آنفًا: «أنه صدق الله» مما يدل على أن هذه القصة الواهية قصة مكذوبة على ابن المبارك الذي يعرف قَدْر شيخه الفضيل بن عياض، كما بيّنا آنفًا، فما كان له أن يصفه بالعبث واللعب في العبادة.

حج الخليفة

القرينة الثانية: الذي يتأمل في القصة والأبيات التي كتبها ابن المبارك بطرسوس وأرسلها مع ابن أبي سكينة البهراني إلى الفضيل بن عياض، وودعه بالخروج للحج سنة تسع وسبعين ومائة، يدل على أن الأمة في هذا الوقت كانت في حرب، وأن ابن المبارك كان في معركة والفضيل يلعب في العبادة بمكة.

قلت: بالبحث في كتاب «البداية والنهاية» (١٠/ ٥٣٣) للإمام ابن كثير لسنة تسع وسبعين ومائة نجد أن موسم الحج كان موسم أمن وأمان، ولا توجد فيه حرب، ولذلك خرج الخليفة هارون الرشيد في هذه السنة للحج، حيث قال الإمام ابن كثير: «وفيها خرج الرشيد معتمرًا من بغداد شكرًا لله ﷻ، فلما قضى عمرته أقام بالمدينة حتى حج بالناس في هذه السنة، فمشى من مكة إلى منى، ثم إلى عرفات، وشهد المشاهد والمشاعر كلها ماشيًا، ثم انصرف إلى بغداد على طريق البصرة». اهـ.

قلت: ولقد ذكرنا هاتين القرينتين للاستئناس على نكارة القصة، ومن تحقيق القصة الذي أوردناه آنفًا يتبين أن القصة واهية من غير هذه القرائن، وأن ابن المبارك رحمه الله بريء من احتقاره لعبادة الفضيل رحمه الله، بل هو الذي شهد للفضيل بأنه صدق الله فأجرى الحكمة على لسانه: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (البقرة: ٢٦٩).

وإن تعجب فعجب كيف ينسب لابن المبارك احتقاره لعبادة الفضيل، وجعلها لعبًا وعبثًا، وقد ترجم الإمام المزي للفضيل أنه: «الزاهد أحد صلحاء الدنيا وعبادها» كما بيّنا آنفًا، ولا يخفى على ابن المبارك مكانة الصالحين في النصر:

١ - فلقد بوّب الإمام البخاري في «صحيحه» كتاب الجهاد بابًا بعنوان: باب «من استعان بالضعفاء والصالحين في الحرب» باب (٧٦). «الفتح» (٦/ ١٠٣) قال الحافظ ابن حجر: « أي ببركتهم ودعائهم».

قلت: ثم أخرج الإمام البخاري تحت هذه الترجمة: ح (٢٨٩٦) قال البخاري: حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا محمد بن طلحة، عن طلحة، عن مصعب بن سعد، قال: رأى سعدٌ ﷺ أن له فضلاً على مَنْ دونه، فقال النبي ﷺ : «**هل تنصرون إلا بضعفائكم**».

٢- **قلت**: ولقد بوَّب الإمام النسائي في «السنن الكبرى» و«الصغرى» في كتاب «الجهاد» بابًا بعنوان: «الاستنصار بالضعيف».

قلت: ثم أخرج الإمام النسائي تحت هذه الترجمة في «السنن الكبرى» (٣/ ٣٠) ح(٤٣٨٧) قال: أنبأنا محمد بن إدريس قال: حدثنا عمر -وهو ابن حفص بن غياث-، عن أبيه، عن مسعر، عن طلحة، عن مصعب بن سعد، عن أبيه أنه ظنّ أن له فضلاً على من دونه من أصحاب النبي ﷺ فقال نبي الله ﷺ : «**إنما ينصر الله هذه الأمة بضعيفها بدعوتهم وصلاتهم وإخلاصهم**».

قلت: وهذا الحديث أخرجه النسائي أيضًا في «الصغرى» (٢/ ٦٥)، وأبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٢٦) من طريق طلحة بن مصرف، عن مصعب بن سعد عن أبيه، وهو حديث صحيح.

٣- **قلت**: وقد أخرج أبو داود ح (٢٥٩٤)، والنسائي (٢/ ٦٥)، وفي «الكبرى» (٣/ ٣٠) ح(٤٣٨٨)، والترمذي (٤/ ١٧٩- شاكر) ح(١٧٠٢)، وابن حبان ح(١٦٢٠)، والحاكم (٢/ ١٠٦، ١٤٥) من طريق عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، حدثني زيد بن أرطاة، عن جبير بن نفير، عن أبي الدرداء قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ابغوني الضعفاء؛ فإنما ترزقون وتنصرون بضعفائكم**».

قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح». وقال الحاكم: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي، فالحديث صحيح وهو كما قالا.

قلت: ثم نقل الحافظ في «الفتح» (٦/ ١٠٥) أقوال الأئمة حول الحديث:

١- قال ابن بطال: «تأويل الحديث أن الضعفاء أشد إخلاصًا في الدعاء، وأكثر خشوعًا في العبادة لخلاء قلوبهم عن التعلق بزخرف الدنيا». اهـ.

٢- وقال المهلب: «أراد ﷺ بذلك حَض سعد على التواضع، ونفي الزهو على غيره، وترك احتقار المسلم في كل حالة». اهـ.

الاستفتاح بالصالحين

أخرج الإمام البخاري ح (٢٨٩٧) قال: حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا سفيان عن عمرو، سمع جابرًا، عن أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**يأتي زمان يغزو فئام من الناس** فيقال: فيكم من صَحِب النبي ﷺ ؟ فيقال: نعم، فيفتح عليه.

ثم يأتي زمان فيقال: فيكم من صَحِب أصحاب النبي ﷺ ؟ فيقال: نعم، فيفتح. ثم يأتي زمان فيقال: فيكم من صحب أصاحب أصحاب النبي ﷺ؟ فيقال: نعم، فيفتح». اهـ.

قلت: فما أحوجنا إلى العودة إلى الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة، الذين كتب الله لهم الفتح، في الوقت الذي أعدوا لعدوهم ما استطاعوا من قوة.

بهذا يتبين للقارئ الكريم عدم صحة هذه القصة من خلال التخريج والتحقيق، وكيف صححنا المفاهيم من خلال السنة الصحيحة المطهرة.

هذا ما وفقني الله إليه، وهو وحده من وراء القصد



(٤١)

قصة مجيء الأعرابي إلي قبر النبي ﷺ طالبًا منه الاستغفار (*)

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم، حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت على ألسنة الخطباء والوعاظ والقصاص، واتخذتها المتصوفة دليلاً على مشروعية طلب الدعاء والشفاعة من الأموات.

أولاً : متن القصة

١ - رُوي عن أبي حرب الهلالي قال: حج أعرابي فلما جاء إلى باب مسجد رسول الله ﷺ أناخ راحلته، فعقلها، ثم دخل المسجد حتى أتى القبر، ووقف بحذاء وجه رسول الله ﷺ فقال: السلام عليك يا رسول الله، ثم سلم على أبي بكر وعمر، ثم أقبل على رسول الله، فقال : بأبي أنت وأمي يا رسول الله، جئتك مثقلاً بالذنوب والخطايا مستشفعاً بك على ربك لأنه قال في محكم كتابه: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ (النساء:٦٤). وقد جئت بأبي أنت وأمي مثقلاً بالذنوب والخطايا أستشفع بك على ربك أن يغفر لي ذنوبي وأن تشفع فيَّ، ثم أقبل في عرض الناس وهو يقول :

يا خيرَ مَنْ دُفِنَتْ في الأرضِ أَعْظُمُهُ ❁ فطابَ مِن طِيبِهِ الأبقاعُ والأكَمُ

نفسي الفداءُ لقبرٍ أنتَ ساكِنُهُ ❁ فيه العفافُ وفيه الجودُ والكرمُ

قلت : أخرج هذه الرواية بهذا اللفظ البيهقي في «شعب الإيمان» (٣/ ٤٩٥) ح(٤١٧٨) قال: أخبرنا أبو عليّ الروذباري، حدثنا عمرو بن محمد بن عمرو بن الحسين بن بقية إملاءً، حدثنا سكر الهروي، حدثنا أبو يزيد الرقاشي، عن محمد بن روح بن يزيد البصري، حدثني أبو حرب الهلالي قال : فذكر القصة.

(*) مجلة التوحيد، ذو الحجة، ١٤٢٤هـ.

القصة بلفظ آخر وطريق آخر

٢- رُوي عن محمد بن حرب الهلالي قال: «دخلت المدينة فأتيت قبر النبي ﷺ، فزرته وجلست حذاءه، فجاء أعرابي فزاره ثم قال: يا خير الرسل إن الله أنزل عليك كتابًا صادقًا، قال فيه ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ (النساء:٦٤)، وقد جئتك مستغفرًا من ذنبي مستشفعًا بك إلى ربي، ثم بكى، وأنشأ يقول:

يا خيرَ مَنْ دُفِنَتْ بالقاعِ أَعْظُمُهُ ۞ فطابَ مِن طِيبِهِن القاع والأَكَمُ

نفسي الفداءُ لقبرٍ أنتَ ساكِنُهُ ۞ فيه العفافُ وفيه الجودُ والكرمُ

ثم استغفر وانصرف، فرقدت فرأيت النبي ﷺ في نومي، وهو يقول: الحق الرجل فبشره أن الله قد غفر له بشفاعتي، فاستيقظت، فخرجت أطلبه فلم أجده». اهـ.

قلت: هذه الرواية عزاها السبكي إلى ابن عساكر في «تاريخه»، وابن الجوزي في «مثير العزم الساكن»، وسنبين للقارئ الكريم الرد على هذه الرواية والرواية السابقة لها.

القصة أيضًا بلفظ آخر وطريق آخر

٣- رُوي عن علي بن أبي طالب ﷺ قال: قدم علينا أعرابي بعدما تُوفي رسول الله ﷺ بثلاثة أيام فرمى بنفسه إلى قبر النبي ﷺ، وحثى على رأسه من ترابه، وقال: «يا رسول الله، قلت فسمعنا قولك، ووعيت عن الله ﷻ فوعينا عنك، وكان فيما أنزل الله ﷻ عليك: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ (النساء: ٦٤).

وقد ظلمت نفسي وجئتك تستغفر لي، فنودي من القبر أنه قد غفر لك». اهـ.

قلت: هذا الطريق رواه أبو الحسن عليّ بن إبراهيم بن عبد الله بن عبد الرحمن الكرخي، عن عليّ بن محمد بن عليّ، حدثنا أحمد بن محمد بن الهيثم الطائي، قال: حدثني أبي، عن سلمة بن كهيل، عن أبي صادق، عن عليّ بن أبي طالب ﷺ قال: فذكره كذا في «الصارم المنكى» ص(٣٢٣)، وأوردها القرطبي في «تفسيره» (٢/ ١٩٢٩).

القصة أيضًا بلفظ آخر وطريق آخر

٤- رُوي عن العُتْبي قال: كنت جالسًا عند قبر النبي ﷺ فجاء أعرابي فقال: السلام عليك يا رسول الله، سمعت الله يقول: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ (النساء:٦٤)، وقد جئتك مستغفرًا لذنبي مستشفعًا بك إلى ربي، ثم أنشأ يقول:

يا خيرَ مَنْ دُفِنَتْ بالقاعِ أَعْظُمُهُ ❁ فطابَ مِن طِيبِهن القاعُ والأَكَمُ
نفسي الفداءُ لقبرٍ أنتَ ساكِنُهُ ❁ فيه العفافُ وفيه الجودُ والكرمُ

ثم انصرف الأعرابي فغلبتني عيني، فرأيت النبي ﷺ في النوم، فقال: يا عُتْبي، الحق الأعرابي فبشره أن الله قد غفر له». اهـ.

قلت: هذه الحكاية أوردها ابن كثير في «تفسيره» (١/ ٥٢٠) وقال: «وقد ذكر جماعة منهم: الشيخ أبو نصر الصباغ في كتابه «الشامل» الحكاية المشهورة عن العتبي **قال**: كنت جالسًا عند قبر النبي ﷺ ...» القصة.

قلت: لقد أوردت فى بحثى هذا القصةَ بكل طرقها وألفاظها؛ حتى لا يتقول علينا متقول، أو يتوهم واهم بأن هناك طريقًا آخر للقصة. أخرجه إمام فى كتب الحديث كـ«شعب» الإيمان للبيهقي، أو أورده مفسر فى تفسيره كالقرطبى وابن كثير.

التحقيق للقصة

فائدة: لقد اغتر كثير من الخطباء والوعاظ والقصاص بوجود مثل هذه القصص في التفاسير، متوهمين صحتها، ويذكرون أمام العوام ومن لا دراية له بهذا الفن أن القرطبي أوردها في تفسيره، أو أن ابن كثير أوردها في تفسيره، فيتوهم الناس صحتها وتنتشر القصة.

ولقد أورد هذه القصة الإمام ابن كثير، وسكت عنها مبينًا مصدرها، كما أورد قصة ثعلبة بن حاطب وسكت عنها، واغتر بسكوت ابن كثير مُخْتصر «تفسيره»

الشيخ الصابوني، فأورد القصة مشيرًا إلى صحتها؛ لأنه زعم في «مقدمة مختصره» ص(٩) أنه اقتصر على الأحاديث الصحيحة فقال: « ثالثًا: الاقتصار على الأحاديث الصحيحة وحذف الضعيف منها، وحذف ما لم يثبت سنده من الروايات المأثورة مما نبه عليه الشيخ ابن كثير رحمه الله». اهـ.

قلت: ولقد بيّنت من قبل فى هذه السلسلة أن قصة ثعلبة قصة واهية، تلك القصة التى اغتر بسكوت الإمام ابن كثير عنها الكثير من الوعاظ والخطباء والقصاص؛ لعدم معرفتهم بمنهج ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ ، فيجب على طالب هذا العلم أن يعلم:

أولاً: أن ابن كثير درج على طريق أهل الحديث الذين قرروا أن من أسند فقد أحال، ومن أسند فقد برئت عهدته لأنه ذكر الوسيلة إلى معرفة درجة الحديث .

ثانيًا: بالنسبة لمنهج ابن كثير في تخريج أحاديث «تفسيره» له طريقان في غير ما رواه الشيخان في «صحيحيهما» .

١ – أن يذكر الحديث بإسناد مخرجه من المصنفين.

٢ – أن يذكر الحديث ويخرّجه بعزوه للمصنفين، دون أن يسوق الإسناد، وهو في كلتا الحالتين يصرح بدرجة الحديث تارة، ويسكت عن ذلك تارة أخرى، فيتوهم من لا دراية له بهذا الفن من السكوت الصحةَ.

مثل هذه الحكاية «قصة مجيء الأعرابى إلى قبر النبى ﷺ طالبًا منه الاستغفار» والتى سنبين للقارئ الكريم من التحقيق أنها قصة منكرة.

التحقيق

أولاً: هذه القصة منكرة، ولقد بيّن نكارتها الحافظ ابن عبد الهادي، وهو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادي الفقيه الحنبلي المقرئ المحدِّث الحافظ الناقد النحوي المتفنن الجبل الراسخ، ولد فى رجب سنة خمس وسبعمائة، وتوفى سنة أربع وأربعين فى جمادى الآخرة وعمره أربعون سنة أو أقل.

ولقد بيَّن نكارة هذه القصة رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «الصارم المنكى في الرد على السبكي» وابن عبد الهادى رَحِمَهُ اللَّهُ هو من تلاميذ شيخ الإسلام ابن تيمية يدافع في كتابه هذا عن شيخه، حيث اتهمه السبكي بتحريم زيارة قبر الرسول ﷺ ، هذه التهمة نفسها بعد سبعة قرون قام أحد القبوريين الذي لا يهمنا ذكر اسمه أو رسمه في جريدة تصدر في مصر، لا يهمنا أيضًا ذكر اسمها؛ لأننا أمام بحوث علمية حديثية، وذلك في يوم ٢٥/ ٨/ ٢٠٠٣م بإشعال نار فتنتها مجددًا هذه التهمة في مقال له بعنوان: «جماعة أنصار السنة: زيارة قبر الرسول حرام».

هذا القبوري السبكي ذكر في مقاله هذه القصة المنكرة التي ذكرها السبكي من قبل وقام ابن عبد الهادي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «الصارم المنكى في الرد على السبكي» بتحقيق المسائل المتعلقة بزيارة القبور، وبيّن ما كان فيها من حق وزور، وأظهر جهل السبكي بعلم الحديث وعدم فهمه لمقاصد الشريعة.

وإلى القارئ الكريم التحقيق لهذه الحكاية حيث أورد ابن عبد الهادى رَحِمَهُ اللَّهُ القصة بكل طرقها وألفاظها، ثم حققها فى «الصارم المنكى» ص(٢٤٦) حيث قال:

«هذه الحكاية التي ذكرها بعضهم:

١ - يرويها عن العتبي بلا إسناد.

٢ - وبعضهم يرويها عن محمد بن حرب الهلالي.

٣ - وبعضهم يرويها عن محمد بن حرب، عن أبي الحسن الزعفراني، عن الأعرابي.

٤ - وقد ذكرها البيهقي في كتاب «شعب الإيمان» بإسناد مظلم، عن محمد بن روح ابن يزيد البصري، حدثني أبو حرب الهلالي، قال: حج أعرابي فلما جاء إلى باب مسجد رسول الله ﷺ أناخ راحلته، فعقلها، ثم دخل حتى أتى القبر، ثم ذكر نحو ما تقدم .

٥ - وقد وضع لها بعض الكذابين إسنادًا إلى عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه». اهـ.

قلت: بعد أن بيَّن هذه الطرق للقصة وألفاظها قال ص(٢٤٧) : «وفي الجملة:

ليست هذه الحكاية المنكورة عن الأعرابي مما يقوم به حجة، وإسنادها مظلم مختلف، ولفظها مختلف فيه، ولا يصلح الاحتجاج بمثل هذه الحكاية، ولا الاعتماد على مثلها عند أهل العلم، وبالله التوفيق». اهـ.

قلت: وقال ابن عبد الهادى رَحِمَهُ اللَّهُ فى «الصارم» ص (٣٢٣) : «وأما حكاية العتبي التي أشار إليها فإنها حكاية ذكرها بعض الفقهاء والمحدثين، وليست بصحيحة ولا ثابتة إلى العتبي، وقد رويت عن غيره بإسناد مظلم كما بيّنا ذلك فيما تقدم، وهي في الجملة حكاية لا يثبت بها حكم شرعي في مثل هذا الأمر، الذي لو كان مشروعًا أو مندوبًا لكان الصحابة والتابعون أعلم به وأعمل به من غيرهم، وبالله التوفيق». اهـ.

ثم أورد ابن عبد الهادي القصة عن عليّ بن أبي طالب، وبيّن نكارتها، فقال في «الصارم» ص(٣٢٣): «إن هذا خبر منكر موضوع، وأثر مختلق مصنوع، لا يصلح الاعتماد عليه، ولا يحسن المصير إليه، وإسناده ظلمات بعضها فوق بعض». اهـ.

قلت: ثم ذكر علة هذا الخبر في خمسة عشر سطرًا بين مجهول ومتروك.

قلت: وفوق هذا الطعن في الرواة، هناك الانقطاع في السند، فأبو صادق أورده الإمام الذهبي في «الميزان»(٤/ ٥٣٨/ ١٠٣٠٠) وقال: «أبو صادق الأزدي عن عليّ ابن أبي طالب رضي الله عنه ، قال محمد بن سعد: يتكلمون فيه، وقال آخر: لم يسمع من عليّ». اهـ

قلت: ولذلك قال الحافظ المزي في «تهذيب الكمال»(٢١/ ٢٩٩/ ٨٠٢٧) : روى عن علي بن أبي طالب يقال : مرسل» اهـ . وأقره الحافظ ابن حجر في «التهذيب» (١٢/ ١٤٣) قائلاً: أبو صادق أرسل عن عليّ بن أبي طالب. اهـ

قلت: والخبر الذي جاءت به القصة مضطرب، رُوي من أوجه مختلفة اختلافًا، لا يمكن الجمع بينها، وطرقها واهية مظلمة، لا يمكن ترجيح رواية على أخرى، فمنهم من رواها عن العتبي بلا إسناد، والعتبي هو محمد بن عبيد الله بن عمرو بن معاوية

ابن عمرو بن عتبة بن أبي سفيان بن حرب بن أمية أبو عبد الرحمن العتبي، من أهل البصرة، أورده الخطيب في «تاريخ بغداد» (٣/ ٣٢٤)، وقال: «كان صاحب أخبار ورواية للآداب، بلغني أن العتبي مات سنة ثمان وعشرين ومائتين». اهـ.

قلت: ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلاً، فهو مجهول الحال، وتجد الاضطراب واضحًا، حيث إن العتبي من طبقة ما بعد الثامنة؛ حيث قال الحافظ في «مقدمة التقريب»: «وذكرت وفاة من عرفت سنة وفاته منهم:

١ - فإن كان من الأولى والثانية فهم قبل المائة .

٢- وإن كان من الثالثة إلى آخر الثامنة فهم بعد المائة.

٣- وإن كان من التاسعة إلى آخر الطبقات فهم بعد المائتين». اهـ.

وبتطبيق هذه القاعدة على العتبي وسنة وفاته فهو من طبقة ما بعد الثامنة أي من الطبقة الصغرى من أتباع التابعين فمن دونهم.

فتجد حكاية الأعرابي تُروَى عن عليّ بن أبي طالب، وهو من الطبقة الأولى طبقة الصحابة، ومنهم من رواها عن العتبي وهو من الطبقة الصغرى من أتباع التابعين، ومنهم من رواها عن محمد بن حرب الهلالي، ومنهم من رواها عنه عن الزعفراني، ومنهم من رواها عن أبي حرب الهلالي. هذا الاضطراب في السند مع أسانيد واهية مظلمة، بل هناك طرق لا أصل لها، مثل الرواية عن العتبي بلا إسناد كما بيّنا آنفًا، وكذلك الاضطراب في المتن كما هو ظاهر من اختلاف ألفاظه.

ثانيًا : تحقيق شيخ الإسلام ابن تيمية للقصة

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (١/ ٢٤١) : «وأيضًا فإن طلب شفاعته ودعائه واستغفاره بعد موته وعند قبره ليس مشروعًا عند أحد من أئمة المسلمين، ولا ذكر هذا أحد من الأئمة الأربعة وأصحابهم القدماء، وإنما ذكر هذا بعض المتأخرين: ذكروا حكاية عن العتبي أنه رأى أعرابيًّا أتى قبره، وقرأ هذه الآية:

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ (النساء:٦٤)، وأنه رأى في المنام أن الله قد غفر له، وهذا لم يذكره أحد من المجتهدين من أهل المذاهب المتبوعين، الذين يفتي الناس بأقوالهم، ومن ذكرها لم يذكر عليها دليلاً شرعيًا، ومعلوم أنه لو كان طلبُ دعائه وشفاعته واستغفاره عند قبره مشروعًا لكان الصحابة والتابعون لهم بإحسان أعلم بذلك وأسبق إليه من غيرهم، ولكان أئمة المسلمين يذكرون ذلك، وما أحسن ما قال مالك: «لا يُصْلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها».

قال: «ولم يبلغني عن أول هذه الأمة وصدرها أنهم كانوا يفعلون ذلك.

فمثل هذا الإمام - يقصد العتبي- كيف يشرع دينًا لم ينقل عن أحد من السلف، ويأمر الأمة أن يطلبوا الدعاء والشفاعة والاستغفار - بعد موت الأنبياء والصالحين- منهم عند قبورهم وهو أمر لم يفعله أحد من سلف الأمة ؟

ثالثًا : التفسير الصحيح يدل على نكارة القصة

إنَّ العلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي في تفسيره «تيسير الكريم الرحمن» ص (١٨٥) لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ (النساء:٦٤) قال: «هذا المجيء إلى الرسول ﷺ مختص بحياته؛ لأن السياق يدل على ذلك لكَوْن الاستغفار من الرسول لا يكون إلا في حياته، وأما بعد موته فإنه لا يُطلَب منه شيء، بل ذلك شرك». اهـ.

قلت : وهذا هو الحق؛ لأن إتيانه ﷺ بعد مماته غير متحقق، إنما المتحقق إتيان قبره، وقد نهى النبي ﷺ أن يتخذ قبره عيدًا، ودعا الله أن لا يجعل قبره من بعده وثنًا يعبد، حيث قال ﷺ : «**لا تجعلوا بيوتكم قبورًا، ولا تجعلوا قبري عيدًا، وصلوا عليَّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم**».

قلت: وهذا الحديث ثابت أخرجه أحمد في «مسنده» ح (٧٨٢٦، ٨٤٥١، ٨٩٢٤،

٩٠٥٢)، وأبو داود فى «السنن» ح(٢٠٤٢)، وابن ماجه ح (١٣٧٧) من حديث أبى هريرة، وصححه النووى فى «الأذكار» ص (٩٣)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» ح(٧٢٢٦)، وقال الحافظ ابن عبد الهادي : هو حديث حسن جيد الإسناد، وله شواهد كثيرة يرتقي بها إلى درجة الصحة كما عند الجهضمي في «فضل الصلاة على النبي» ح(٢٠)، وعبد الرزاق في «مصنفه» (٣/ ٥٧٧/ ٦٦٩٤).

رابعًا : الرد على تهمة تحريم زيارة قبر الرسول ﷺ

هذه التهمة التي اتهم بها شيخ الإسلام ابن تيمية ومن بعده أنصار السنة المحمدية.

قلت: وهذا كذب وافتراء عظيم من هذا الدَّعي على شيخ الإسلام -رحمه الله تعالى-، فكتبه وفتاويه طافحة مصرِّحة بمشروعية زيارة قبور المسلمين عامة وزيارة قبره -عليه الصلاة والسلام- خاصة، كما يعلم ذلك كل من اطلع على شيء من كتب الشيخ ودرسها، ومن ذلك كتابه «الرد على الأخنائي»، وانظر «مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية» (٢٧/ ٢١٤-٣١٣)، ثم كتابه «الجواب الباهر في زوار المقابر»، وهو أيضًا في «مجموع الفتاوى» (٢٧/ ٣١٤-٤٤٤)، وفيه قال شيخ الإسلام «مجموع الفتاوى» (٢٧/ ٣٢٩):

١- «قد ذكرتُ فيما كتبته من المناسك أن السفر إلى مسجده وزيارة قبره - كما يذكره أئمة المسلمين في مناسك الحج - عمل صالح مستحب، وقد ذكرت في عدة «مناسك الحج» السنة في ذلك وكيف يُسلِّم عليه، وهل يستقبل الحجرة، أم القبلة على قولين...». اهـ.

٢- ثم قال في «مجموع الفتاوى» (٢٧/ ٣٣٠): «ولا نهى أحد عن السفر إلى مسجده ﷺ، وإن كان المسافر إلى مسجده يزور قبره ﷺ بل هذا من أفضل الأعمال الصالحة، ولا في شيء من كلامي وكلام غيري نهي عن ذلك، ولا نهي عن المشروع

في زيارة قبور الأنبياء والصالحين، ولا عن المشروع في زيارة سائر القبور، بل قد ذكرت في غير موضع استحباب زيارة القبور كما كان النبي ﷺ يزور أهل البقيع وشهداء أحد، ويعلِّم أصحابه إذا زاروا القبور أن يقول قائلهم: «السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، يرحم الله المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين، نسأل الله لنا ولكم العافية، اللهم لا تحرمنا أجرهم، ولا تفتنا بعدهم، واغفر لنا ولهم»، وإذا كانت زيارة قبور عموم المؤمنين مشروعة، فزيارة قبور الأنبياء والصالحين أولى....». اهـ.

٣- قال الإمام ابن تيمية فى «مجموع الفتاوى» (٢٧/ ٣٣٣): «إذا أتى المدينة استحب له أن يأتى مسجد قباء ويصلى فيه؛ لأن ذلك ليس بسفر ولا بشد رحل، لأن النبى ﷺ كان يأتى مسجد قباء راكبًا وماشيًا كل سبت، ويصلى فيه ركعتين، وقال: «**من تطهر فى بيته، ثم أتى مسجد قباء كان له كعمرة**» رواه الترمذى وابن أبى شيبة، وقال سعد بن أبى وقاص: صلاة فيه كعمرة». اهـ.

٤- ثم قال فى «مجموع الفتاوى» (٢٧/ ٣٣٢): « ويجب أن يفرق بين الزيارة الشرعية التى سنها رسول الله ﷺ، وبين الزيارة البدعية التى لم يشرعها بل نهى عنها، مثل اتخاذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد، والصلاة إلى القبر واتخاذه وثنًا، وقد ثبت عنه فى «الصحيحين» أنه قال: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجد هذا، والمسجد الأقصى» حتى أن أبا هريرة سافر إلى الطور الذى كلم الله عليه موسى بن عمران -عليه السلام- فقال له بصرة بن أبى بصرة الغفاري: «لو أدركتك قبل أن تخرج لما خرجت «سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا تُعمَل المطى إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، ومسجد بيت المقدس**». فهذه المساجد شرع السفر إليها لعبادة الله فيها بالصلاة والقراءة والذكر والدعاء ...». اهـ.

قلت: هذه هي السَّنة بفهم سلف الأمة، والتي اتبعها شيخ الإسلام ابن تيمية وأنصار السنة المحمدية، الذين يقولون بمشروعية السفر إلى مسجده ﷺ اتباعًا للحديث الذي أوردناه آنفًا، ولتحقيق الأفضلية في الحديث المتفق عليه من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام**»، ثم المسافر إلى مسجده يزور قبره ﷺ، وهذا كما بيَّنا عمل صالح مستحب، وكذلك استحباب زيارة القبور كما كان النبي ﷺ يزور أهل البقيع وشهداء أحد، دون خلط بين السفر وبين الزيارة.

فهذا بيان لئلا يتقوّل علينا متقول ما لم نقله، أو يتوهم واهم فيما نقوله ما لم نقصده.

هذا ما وفقني الله إليه، وهو وحده من وراء القصد



(٤٢)

قصة أبي طالب في الهجرة ووصيته للنبي ﷺ (*)

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم؛ حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت وانتشرت في كتب التفاسير، بل وجعلت هذه القصة من أسباب نزول الآية (الأنفال:٣٠) في حدث الهجرة، وهذه القصة تُضاف إلى سلسلة القصص الواهية حول الهجرة، والتي سبق تقديم البحوث العلمية الحديثية حولها:

١ - قصة «ثعبان الغار» عدد جمادى الأولى ١٤٢١هـ، رقم (١).

٢- قصة «عنكبوت الغار والحمامتين» عدد محرم ١٤٢٢هـ، رقم (٦).

٣- قصة «غناء بنات النجار» عدد محرم ١٤٢٣هـ، رقم (١٨).

٤- قصة «لطم أبي جهل لأسماء بنت أبي بكر في الهجرة» عدد محرم ١٤٢٤هـ، رقم (٣٠). وإلى القارئ الكريم هذه القصة الواهية قصة أبي طالب في الهجرة ووصيته للنبي ﷺ.

أولاً: متن القصة

قال أبو طالب للنبي ﷺ : ما يأتمر به قومك؟

قال: يريدون أن يسجنوني ويقتلوني ويخرجوني.

فقال: من أخبرك بهذا؟

قال: ربي.

قال: نعم الرب ربك، فاستوص به خيرًا.

(*) مجلة التوحيد، محرم، ١٤٢٤هـ.

فقال رسول الله ﷺ أنا أستوصي به؟! بل هو يستوصي بي خيرًا - فنزلت: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ الآية (الأنفال:٣٠).

قلت: هذا لفظ رواية شيخ المفسرين ابن جرير الطبري، واستيفاءً لمتن هذه القصة نبين للقارئ متن القصة بلفظ رواية ابن أبي حاتم، حيث جاء فيه: أن أبا طالب قال للنبي ﷺ: هل تدري ما ائتمر فيه قومك؟ قال: نعم ائتمروا أن يسجنوني أو يقتلوني أو يخرجوني، قال: من أخبرك هذا ؟ قال: ربي، قال: نعم الرب ربك، فاستوصِ به خيرًا. قال: أنا أستوصي به أو هو يستوصي بي؟

ثانيًا: التخريج

القصة أخرجها: شيخ المفسرين ابن جرير الطبري في «تفسيره» المسمى «جامع البيان في تأويل القرآن» (٦/ ٢٥١ ط دار الغد) ح(١٥٩٧٧)، ح (١٥٩٧٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٨٨) ح(٨٩٩٨).

فائدة: حتى لا يتقول علينا متقول، ويتوهم -من إخراج شيخ المفسرين ابن جرير للقصة، وابن أبي حاتم، وسكوتها عنها- الصحةَ، ولكن هيهات، فالقاعدة: «من أسند فقد أحال»، وبالتحقيق يستبين لك الحال.

ثالثًا: التحقيق

القصة واهية، والحديث منكر، ومعلل متنًا وسندًا، يظهر ذلك بجمع طرق الحديث الذي جاءت به هذه القصة.

١- قال ابن جرير الطبري ح(١٥٩٧٧): حدثني محمد بن إسماعيل البصري المعروف بالوساوسي قال: حدثنا عبد المجيد بن أبي رواد، عن ابن جريج، عن عطاء، عن عبيد بن عمير، عن المطلب بن أبي وداعة: أن أبا طالب قال لرسول الله ﷺ: ما يأتمر به قومك.... القصة».

٢- وقال ابن جرير ح (١٥٩٧٨): حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال:

حدثني حجاج، قال: قال ابن جريج: قال عطاء: سمعت عبيد بن عمير يقول: لما ائتمروا بالنبي ﷺ ليقتلوه أو يثبتوه أو يخرجوه، قال له أبو طالب: هل تدري ما ائتمروا بك؟.. القصة».

تحقيق الطريقين

١- **قلت**: الطريق الأول سنده تالف، فيه عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد، قال فيه ابن حبان في «المجروحين» (٢/ ١٦٠): «منكر الحديث جدًّا، يقلب الأخبار، ويروي المناكير عن المشاهير، فاستحق الترك».

وعلة أخرى: تدليس ابن جريج حيث أورده الحافظ ابن حجر في «طبقات المدلسين»: المرتبة الثالثة رقم (١٧).

وهذه الطبقة قال فيها الحافظ: «الثالثة: مَنْ أكثر من التدليس فلم يحتج الأئمة من أحاديثهم إلا بما صرحوا فيه بالسماع، ومنهم من رُدّ حديثهم مطلقًا...».

ولذلك قال الحافظ ابن حجر: «ابن جريج وصفه النسائي وغيره بالتدليس، قال الدارقطني: شر التدليس ابن جريج، فإنه قبيح التدليس، لا يدلس إلا فيما سمعه من مجروح». اهـ.

٢- **قلت**: فإن قيل في الطريق الثاني متابعة لعبد المجيد في روايته عن ابن جريج، حيث تابعه حجاج فهي متابعة أوهن من بيت العنكبوت، للعلل الآتية:

أ- أورد الحافظ ابن حجر في «التهذيب» (٦/ ٣٥٩) عن جعفر بن عبد الواحد عن يحيى بن سعيد: إذا قال ابن جريج (حدثني) فهو سماع، وإذا قال: (أخبرني) فهو قراءة، وإذا قال (قال) فهو شبه الريح». اهـ.

قلت: وفي هذا الطريق (قال ابن جريج قال عطاء) إذن فهو شبه الريح.

ب- والحديث من هذا الطريق مرسل عبيد بن عمير، ولم يوجد الصحابي المطلب ابن أبي وداعة.

جـ- وهناك انقطاع في السند «حجاج، قال ابن جريج».

٣- وفي رواية ابن أبي حاتم متابعة أخرى لعبد المجيد في روايته عن ابن جريج.

حيث تابعه هشام بن يوسف فهي متابعة واهية، وإن صرّح بالتحديث لابن جريج حيث إن الحديث مرسل من هذا الطريق أيضًا: (عن عبيد بن عمير أن أبا طالب قال للنبي ﷺ).

ولذلك ترجم ابن أبي حاتم للمطلب بن أبي وداعة في «الجرح والتعديل» (٤/ ١/ ٣٥٨) ترجمة (١٦٤١) قال: «المطلب بن أبي وداعة له صحبة». ولم يذكر لعبيد بن عمير رواية عنه.

قلت: كذلك الإمام المزّي في «تهذيب الكمال» (١٨/ ١٥٢/ ٦٦٠٠) ترجم له، ولم يذكر لعبيد بن عمير رواية عنه. فالحديث معلل والقصة واهية، ولقد بيَّنا الطريق إلى معرفتها بجمع طرق القصة والنظر في اختلاف الرواة، ولكن لا يمكن الموازنة بين ضبطهم وإتقانهم للحكم على الرواية المعلولة، حيث إن لا ضبط ولا إتقان في جميع الروايات؛ لأن هناك علة في «المتن» في جميع الروايات.

رابعًا: علة المتن

قال الإمام ابن القيم في «المنار المنيف» ص (١١١): «ونحن ننبه على أمور كلية يُعْرَف بها كون الحديث موضوعاً»، فمنها (١٩): «ما يقترن بالحديث من القرائن التي يُعلم بها أنه باطل».

قلت: بتطبيق هذه القاعدة على هذه القصة نجد أن هناك قرينة تدل على أن القصة باطلة، ولقد أورد هذه القصة الإمام ابن كثير في «تفسيره» (٢/ ٣٠٢) عند تفسير الآية (الأنفال:٣٠) من رواية ابن جرير، ثم بيَّن الحافظ ابن كثير علة القصة متنًا، فقال: «وذِكر أبي طالب في هذا غريب جدًّا بل منكر؛ لأن هذه الآية مدنية، ثم إن هذه القصة واجتماع قريش على هذا الائتمار والمشاورة على الإثبات أو النفي أو القتل إنما كان ليلة

الهجرة سواء، وكان ذلك بعد موت أبي طالب بنحو ثلاث سنين، لمّا تمكنوا منه واجترؤوا عليه بسبب موت عمه أبي طالب الذي كان يحوطه وينصره، ويقوم بأعبائه».

خامسًا: تصحيف

فائدة: عند البحث في «تفسير ابن كثير» وجدنا أن الإمام ابن كثير عزا القصة إلى تفسير ابن جرير، وبالاطلاع على سند ابن جرير في أكثر طبعات ابن كثير مثل طبعة «دار إحياء الكتب العربية» (البابي الحلبي)، وطبعة دار «والي» المكتوب عليها طبعة جديدة -مضبوطة، محققة- معتنى بإخراجها، أصح الطبعات وأكثرها شمولاً. اهـ.

وجدت بالاطلاع أن السند فيه تصحيف يؤدي إلى فساد البحث في رجاله.

وإلى القارئ الكريم هذا السند في الطبعات التي يزعم أصحابها أنها أصح الطبعات، وأنها مضبوطة ومحققة:

وقال أبو جعفر ابن جرير: حدثني محمد بن إسماعيل المصري المعروف بالوساوسي، أخبرنا عبد الحميد بن أبي داود، عن ابن جريج، عن عطاء، عن عبيد بن عمير، عن المطلب بن أبي وداعة أن أبا طالب قال (فذكر القصة).

قلت: بالمقارنة بين هذا السند الذي في طبعات ابن كثير لرواية ابن جرير وبين الأصل وهو تفسير ابن جرير، نجد:

١- أن شيخ ابن جرير وهو محمد بن إسماعيل البصري الوساوسي صُحِّف إلى محمد بن إسماعيل المصري المعروف بالوساوسي.

٢- وشيخ ابن جريج، وهو عبد المجيد بن أبي رواد، حدث له تصحيف إلى عبد الحميد بن أبي داود.

قلت: وهذا أمر خطير يجب أن ينتبه إليه من يريد البحث، فلا يعتمد على التخريج بالواسطة، بل يجب عليه الرجوع إلى الأصل كما بيّنا في عدد رمضان في هذا العام وبراءة أبي الدرداء من الذكر البدعي، وكان ظاهر السند الصحة في «تفسير ابن كثير»،

ولكنه في الحقيقة به تصحيف، بكشفه تبين أن القصة واهية، وأقصد بقولي «الرجوع إلى الأصل» أي: الأصول التي عزا إليها ابن كثير الأحاديث، ففي هذه القصة: قصة أبي طالب في الهجرة عزاها إلى ابن جرير في «تفسيره»، وفي رمضان في قصة أبي الدرداء عزاها إلى عبد الرزاق في «تفسيره»، وأسال الله أن يوفقنا لتحقيق أسانيد تفسير ابن كثير بالمقارنة بالأصول، ثم الحكم على السند، ثم الحكم على الحديث بعد الاعتبار لمعرفة المتابعات والشواهد وكشف العلل.

سادسًا: بدائل صحيحة للهجرة

لقد بوّب الإمام البخاري في «الصحيح» في كتاب المناقب بابًا بعنوان: باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة؛ وهو باب رقم (٤٥).

١- فذكر قصة الهجرة من حديث عائشة حديث رقم (٣٩٠٥).

٢- ثم قصة الهجرة من حديث سُراقة بن جُعْشم، وهو حديث رقم (٣٩٠٦).

٣- ثم قصة الهجرة من حديث البراء بن مالك عن أبي بكر ح(٣٩٠٨)، (٣٩١٧) (٥٦٠٧)، ومسلم في «صحيحه» (٣٢١٤)، وأحمد في «مسنده» الحديث رقم (٣).

٥- ثم قصة مَقدم النبي ﷺ وأصحابه المدينة ح (٣٩٢٤)، ح (٣٩٢٥) من «صحيح البخاري»، وكذلك ح(٣٩٢٩).

هذه من البدائل الصحيحة التي يجب أن يرجع إليها الداعية، بعد تحذيره من القصص الواهية. وأختم هذا التحذير بما أخرجه الإمام البخاري في «صحيحه» ح(١٠٩) من حديث سلمة بن الأكوع: سمعت النبي ﷺ يقول: «**من يقل عليَّ ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار**».

هذا ما وفقني الله إليه، وهو وحده من وراء القصد

❁ ❁ ❁ ❁

(٤٣)

قصة نبي الله موسى والقارورتين (*)

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم؛ حتى يقف على حقيقة هذه القصة التى اشتهرت على ألسنة الخطباء والوعاظ والقصاص، وهى من الإسرائيليات المدسوسة التى تطعن فى عصمة الأنبياء.

أولاً: متن القصة

«وقع فى نفس موسى: هل ينام الله تعالى ذُكرُه، فأرسل الله إليه ملكًا فأرقه ثلاثًا، ثم أعطاه قارورتين فى كل يد قارورة، وأمره أن يحتفظ بهما، قال: فجعل ينام، وتكاد يداه تلتقيان، ثم يستيقظ، فيحبس إحداهما عن الأخرى، ثم نام نومة فاصطفقت يداه، وانكسرت القارورتين ، قال: ضرب الله له مثلا أن الله لو كان ينام لم تستمسك السموات والأرض». اهـ.

ثانيًا: التخريج

القصة أخرجها: ابن جرير فى «تفسيره» (٣/ ١٢- ط دار الغد) ح (٥٧٨٢) قال: حدثنا إسحق بن أبى إسرائيل، قال: حدثنا هشام بن يوسف، عن أمية بن شبل، عن الحكم بن أبان، عن عكرمة عن أبى هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يحكى عن موسى عليه السلام على المنبر قال: فذكره.

وأخرجها ابن الجوزى فى «العلل المتناهية فى الأحاديث الواهية» (١/ ٤) ح(٢٢) قال: أخبرنا محمد بن عمر الأرموى، قال حدثنا عبد الصمد بن المأمون، قال: أخبرنا الدارقطنى، قال: حدثنا عبد الوهاب بن عيسى بن أبى دحية، قال: حدثنا إسحق بن أبى إسرائيل به.

(*) مجلة التوحيد، صفر، ١٤٢٥هـ.

وأخرجها ابن الجوزى فى «الواهيات» ح(٢٣) قال: أخبرنا أبو منصور عبد الرحمن ابن محمد، قال: حدثنا أبو بكر أحمد بن على الخطيب، قال أخبرنا إبراهيم بن مخلد، قال حدثنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن إبراهيم الحكيمى، قال: حدثنا محمد بن إسحاق الصاغانى، قال: أخبرنى يحيى بن معين، قال: حدثنا هشام بن يوسف به.

قلت: لذلك أخرجها الخطيب فى «تاريخ بغداد» (١/ ٢٦٨) فى ترجمة محمد بن أحمد الحكيمى رقم (١٠٢)، وبعد أن ذكر الحديث الذى جاءت به هذه القصة بسنده قال: «هكذا رواه أمية بن شبل، عن الحكم بن أبان موصولاً مرفوعًا، وخالفه معمر ابن راشد، فرواه عن الحكم عن عكرمة قوله، لم يذكر فيه النبى ﷺ ولا أبا هريرة».

قلت: وأخرجها من هذه الطريق الخطيب فى «التاريخ» (١/ ٢٦٨) فقال: أخبرنا الحسن بن علىّ الجوهرى، قال: أنبأنا محمد بن العباس الخزاز قال: أنبأنا عبد الله بن محمد بن إسحاق المروزى، قال حدثنا الحسن بن أبى الربيع، قال: أنبأنا عبد الرزاق، قال: قال معمر: أخبرنى الحكم بن أبان، عن عكرمة مولى ابن عباس فى قوله تعالى: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ أن موسى سأل الملائكة هل ينام الله تعالى؟ فأوحى الله إلى الملائكة، وأمرهم أن يؤرقوه ثلاثًا... الحديث مثله.

قلت: فالخبر الذى جاءت به هذه القصة يصبح من نوع (المقطوع)، كما هو معروف عند أهل هذا الفن، حيث إن هذا الخبر من هذا الطريق ليس من قول النبى ﷺ ولا من قول الصحابى أبى هريرة، ولكنه من قول عكرمة مولى ابن عباس، وقال الحافظ فى «التقريب» (٢/ ٣٠): «عكرمة بن عبد الله مولى ابن عباس أصله بربرى من الثالثة».

قلت: والثالثة من الطبقات قال فيها الحافظ ابن حجر فى «التقريب» (١/ ٥): «الثالثة: الطبقة الوسطى من التابعين».

وقال البيقونى:

وما أضيف للنبي المرفوع ❁ وما لتابعٍ هو المقطوع

قلت: وبتطبيق هذا المصطلح على طبقة عكرمة نجد أن الخبر: مقطوع.

وهذا الخبر المقطوع أخرجه أيضًا ابن جرير فى «تفسيره» (٣/ ١٢) ح (٥٧٨١) قال: حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق به.

ثالثًا: التحقيق

يظن من لا دراية له بهذا الفن أننا قد أسهبنا فى جمع الطرق، ولكن الخبر معلل، ولابد للمعلل من جمع الطرق، خاصّة وأن الحكم بن أبان العدنى اختلف عليه، والحكم أورده الذهبى فى «الميزان» (١/ ٥٧٠/ ٢١٦٩)، ونقل عن ابن المبارك أنه قال: «الحكم بن أبان، وحسام بن مِصَك، وأيوب بن سويد – ارمِ بهؤلاء». اهـ.

قلت: ثم بيَّن الذهبى عبادته، فنقل عن أحمد العجلى أنه قال: «كان –أى الحكم ابن أبان– يقف فى البحر إلى ركبتيه، قال: يذكر الله مع حيتان البحر وداوبه حتى يصبح». اهـ

قلت: لذلك قال الحافظ ابن حجر فى «التقريب» (١/ ١٩٠): «الحكم بن أبان العدنى أبو عيسى صدوق عابد له أوهام». اهـ.

ثم قال الحافظ فى «النخبة» النوع (٢٩): «ثم الوهم، إن اطلع عليه بالقرائن وجمع الطرق فالمعلل».

قلت: فمن أجل أوهام الحكم بن أبان جمعنا الطرق، وجمع الطرق هو الطريق إلى معرفة المعلل.

قال الحافظ فى «شرح النخبة» ص (١٢٣):

«المعلل: هو من أغمض أنواع علوم الحديث وأدقها، ولا يقوم به إلا من رزقه الله تعالى فهمًا ثاقبًا، وحفظًا واسعًا، ومعرفة تامة بمراتب الرواة وملكة قوية بالأسانيد والمتون، ولهذا لم يتكلم فيه إلا القليل من أهل هذا الشأن، كعليّ ابن المدينى، وأحمد ابن حنبل، والبخارى، ويعقوب بن شيبة، وأبى حاتم، والدارقطني». اهـ.

بيان الاختلاف على الحكم بن أبان

مِنْ جمع طرق الخبر الذى جاءت به هذه القصة يتبين الآتى:

أ- الخبر من حديث أمية بن شبل عن الحكم بن أبان خبر (مرفوع).

ب- الخبر من حديث معمر بن راشد عن الحكم بن أبان خبر (مقطوع).

كما بيّنا آنفًا؛ لذلك تجد أقوال العلماء تركزت حول هذه العلة:

(١) قال الإمام ابن الجوزى فى «العلل المتناهية فى الأحاديث الواهية» (١/ ٤١):

«ولا يثبت هذا الحديث عن رسول الله ﷺ ، وغلط من رفعه، والظاهر أن عكرمة رأى هذا فى كتب اليهود فرواه، فما يزال عكرمة يذكر عنهم أشياء، لا يجوز أن يَخْفَى هذا على نبى الله عز وجل ..». اهـ.

(٢) أورد الحافظ ابن كثير فى «تفسيره» (١/ ٣٨٧) الخبر المقطوع، وعزاه لعبد الرزاق، ثم قال: «وهكذا رواه ابن جرير عن الحسن بن يحيى عن عبد الرزاق فذكره».

ثم قال: «وهو من أخبار بنى إسرائيل، وهو مما يعلم أن موسى عليه السلام لا يخفى عليه مثل هذا من أمر الله ﷻ وأنه منزه عنه، وأغرب من هذا كله الحديث الذى رواه ابن جرير: حدثنا إسحق بن أبى إسرائيل ... (**قلت**: فساقه مرفوعًا كما تقدم ، ثم قال:) وهذا حديث غريب جدًا والأظهر أنه إسرائيلى لا مرفوع». اهـ.

(٣) قال الإمام الذهبى فى «الميزان» (١/ ٢٧٦/ ١٠٣٢): «أمية بن شبل، يمانى. له حديث منكر. رواه عن الحكم بن أبان، عن عكرمة، عن أبى هريرة — مرفوعًا، قال: وقع فى نفس موسى هل ينام الله... الحديث، رواه عنه هشام بن يوسف، وخالفه معمر، عن الحكم، عن عكرمة قوله، وهو أقرب. ولا يسوغ أن يكون هذا وقع فى نفس موسى». اهـ.

استنتاج

نستنتج من أقوال الأئمة أن القصة واهية، والحديث التى جاءت فيه حديث منكر، وأنه لا يثبت عن رسول الله ﷺ ، وغلط من رفعه، وهو من أخبار بنى إسرائيل التى ذكرها عنهم عكرمة، والأظهر أنه إسرائيلى لا مرفوع، كما هو ظاهر من رواية معمر بن راشد، وبهذا يتبين حقيقة الخلاف بين المرفوع والمقطوع مع الأخذ بعين الاعتبار أوهام الحكم بن أبان كما بيّنا آنفًا، وكما قال ابن عدى فى «الكامل» (٢/ ٣٥٥) (١١٨/ ٤٨٧) فى ترجمة حسين بن عيسى: «الحكم بن أبان فيه ضعف، ولعل البلاء منه، لا من حسين بن عيسى». اهـ.

قلت: ولذلك أورد هذه القصة الشيخ الألبانى رَحِمَهُ اللَّهُ فى «الضعيفة» (٣/ ١٢١) ح(١٠٣٤)، وأورد الحديث الذى جاءت به القصة ثم قال: «منكر، وآفة هذا الحديث عندى الحكم بن أبان هذا». اهـ.

ثم أورد الشيخ الألبانى قصة عبادة الحكم بن أبان، وعزاها إلى ابن أبى حاتم (١/ ٢/ ١١٣)، وأثبتها بسندها، وفيها أن الحكم بن أبان: «كان يصلى من الليل، فإذا غلبته عيناه نزل إلى البحر، فقام فى الماء يسَبِّح مع دواب البحر». اهـ.

قلت: وقصة وقوفه فى البحر ليلاً يذكر الله مع دواب البحر حتى يصبح؛ أخرجها ابن أبى حاتم فى «الجرح والتعديل» (٣/ ١١٣-ط دار إحياء التراث) ترجمة (٥٢٦) وأقره الإمام المزى فى «تهذيب الكمال» (٥/ ٧٨/ ١٤٠٤) واستنبط الشيخ الألبانى من هذا الغلو، فى العبادة استنباطًا قال فيه: «فمثل هذه العبادة والغلو فيها حري بصاحبها أن لا يظل محتفظًا بذاكرته التى متعه الله بها والاستفادة منها بضبط الحديث وحفظه!

وإن اضطرابه فى هذا الحديث لمن أقوى الأدلة على عدم ضبطه لحديثه، فهو تارة يرويه عن عكرمة عن أبى هريرة مرفوعًا، وتارة عن عكرمة من قوله لا يتعداه، وهذا هو اللائق بمثل هذا الحديث أن يكون موقوفًا على عكرمة، وهو تلقاه من بعض أهل

الكتاب، فهو من الإسرائيليات التى لا يجب علينا التصديق بها، بل هو مما يجب الجهر بتكذيبه وبيان بطلانه، كيف لا، وفيه موسى كليم الله يجهل تنزه الله تبارك وتعالى عن السهو والنوم، فيتساءل فى نفسه: «هل ينام الله؟» ؛ وهل هذا إلا كما لو قال القائل: هل يأكل الله تبارك وتعالى؟ هل كذا، هل كذا، وغير ذلك مما لا يخفى بطلانه على أقل مسلم، ولهذا يضعِّف هذا الحديث غير واحد من العلماء، فقال القرطبى فى «تفسيره» (١/ ٢٧٣): «ولا يصح هذا الحديث، ضعَّفه غير واحد منهم البيهقي». اهـ.

قرائن تدل على بطلان هذه القصة

كيف يجهل موسى عليه السلام تنزه الله تبارك وتعالى عن النوم، فيقع فى نفسه «هل ينام الله» ؟

هذا كذب على نبى الله موسى عليه السلام؛ لأن النوم هو «الوفاة الصغرى»، فكيف يصبح الذى يتوفى الأنفس هو المتوفَّى؟ والله سبحانه يقول: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ (الأنعام:٦٠-٦١).

الوفاتان: الصغرى والكبرى

قال الحافظ ابن كثير فى «تفسيره» للآيتين (الأنعام:٦٠-٦١): «يخبر تعالى أنه يتوفى عباده فى منامهم بالليل، وهذا هو التوفى الأصغر ... قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ (الزمر:٤٢).

فذكر فى هذه الآية الوفاتين: الكبرى والصغرى، وهكذا ذكر فى هذا المقام حكم الوفاتين الصغرى ثم الكبرى». اهـ.

قلت: من هذا الدليل يتبين أن النوم هو الوفاة الصغرى، ونفى النوم عن الله عز وجل؛

لإثبات كمال الضد وهو الحياة، وهذا واضح في توحيد الأسماء والصفات في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ﴾ (البقرة:٢٥٥). فمن يجهل تنزه الله -تبارك وتعالى- عن النوم، يجهل الإيمان باسم الله الحي وإحصاءه وهذا لا يليق بمسلم، فكيف يليق بكليم الله موسى عليه السلام.

كذلك من يجهل تنزه الله -تبارك وتعالى- عن النوم، يجهل الإيمان باسم الله القيوم وإحصاءه، لأن النوم يجعل النائم عاجزًا عن جميع الأفعال، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا، فنفى النوم عن الله عز وجل لإثبات تمام وكمال القيومية لله عز وجل.

فائـدة:

وهذا ظاهر من دقة استنباط السعدي رحمه الله في «تفسيره» ص (١١٠) حيث قال: «قوله – تعالى- (الحي القيوم) هذان الاسمان الكريمان يدلان على سائر الأسماء الحسنى دلالة مطابقة وتضمنًا ولزومًا:

١ – فالحي: من له الحياة الكاملة المستلزمة لجميع صفات الذات كالسمع والبصر والعلم والقدرة ونحو ذلك.

٢ – والقيوم: هو الذي قام بنفسه، وقام بغيره، وذلك مستلزم لجميع الأفعال التي اتصف بها رب العالمين من فعله ما يشاء، من الاستواء والنزول والكلام والقول والخلق والرزق والإماتة والإحياء، وسائر أنواع التدبير، كل ذلك داخل في قيومية البارئ، ولهذا قال بعض المحققين: إنهما الاسم الأعظم الذي إذا دُعي الله به أجاب وإذا سئل به أعطى.

٣– ومن تمام حياته وقيوميته أنه ﴿لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ﴾ والسنة النعاس». اهـ.

قلت: كذلك النائم كما أنه يَضْعَف عن القيام بما يريده ينعدم علمه به أيضًا، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا، فهو القائل سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمٗا قَدِيرٗا﴾ (فاطر: ٤٤).

قال شارح «العقيدة الطحاوية» ص(١٠٨): « فنبه سبحانه وتعالى في آخر الآية على دليل انتفاء العجز، وهو كمال العلم والقدرة.

فإن العجز إنما ينشأ:

(أ) إما من الضعف عن القيام بما يريده الفاعل.

(ب) وإما من عدم علمه به.

- والله تعالى لا يعزب عنه مثقال ذرة، وهو على كل شيء قدير.

- وقد عُلِم ببدائه العقول والفطر كمالُ قدرته وعلمه.

- فانتفى العجز، لما بينه وبين القدرة من التضاد، ولأن العاجز لا يصلح أن يكون إلهًا، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا». اهـ.

قلت: من هذا يتبين:

أ- أن انتفاء النوم: انتفاء للعجز.

ب- وأن انتفاء العجز: إثبات لكمال الضد وهو العلم والقدرة.

جـ- إذن انتفاء النوم: إثبات لكمال العلم والقدرة.

وبهذا مَنْ يجهل تنزه الله -تبارك وتعالى- عن النوم، يجهل الإيمان باسم الله العليم واسم الله القدير، وإحصاءهما.

٤- فمن تمام علمه وقدرته أنه ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾.

قلت: والنائم يغلبه النوم، والمغلوب فاقد للعزة التامة.

يتبين ذلك من قول شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (١٤/ ١٨٠):

«والعزة تتضمن القدرة والشدة والامتناع والغلبة، تقول العرب:

أ- عزَّ يَعَز بفتح العين إذا صلب.

ب- وعز يَعِز بكسرها إذا امتنع.

جـ- وعز يعُز بضمها إذا غلب.

فهو سبحانه فى نفسه قوى متين، وهو منيع لا يُنال، وهو غالب لا يُغلب». اهـ.

قلت: فهذه المعانى الثلاثة للعزة التى ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية جمعها تلميذه ابن القيم فى «نونيته» حيث قال:

وهو العزيزُ فلن يُرام جنابُه	أنَّى يرامُ جنابُ ذي السلطانِ
وهو العزيزُ القاهرُ الغلابُ لم	يَغْلبْه شيءٌ هذه صفتانِ
وهو العزيزُ بقوةٍ هي وصفُه	فالعزُّ حينئذٍ ثلاثُ معانِ
وهي التي كَمُلت له سبحانه	مِنْ كلِّ وجهٍ عادم النقصانِ

٥- **قلت:** فمن تمام عزته أنه ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾.

فكمال عزته دليل انتفاء نومه، وهل يجهل كليم الله موسى تنزه الله -تبارك وتعالى- عن النوم، وهو يعلم تمام عزته، وقد كلمه الله فى بدء الوحى بقوله: ﴿فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ (النمل:٨-٩).

٦- **قلت:** فمن تمام حياته وقيوميته وقدرته وعزته، أنه ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ التى هى من لوازم قهره -سبحانه- كما أثبت ذلك الإمامُ ابن القيم فقال:

وكذلك القهّارُ من أوصافِه	فالخلقُ مقهورون بالسلطانِ
لو لم يكنْ حيًا عزيزًا قادرًا	ما كان من قهرٍ ومن سلطانِ

فمن يجهل تنزه الله -تبارك وتعالى- عن النوم يجهل الإيمان باسم الله القهار، ودلالة اللزوم له، فالنائم مقهور بالنوم، فلا يصلح النائم أن يكون إلهًا، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

وموسى كليم الله لا يَخْفَى عليه مثل هذا من أمر الله ﷻ وأنه منزه عنه،

فموسى عليه السلام يعلم علم اليقين: أن الله هو الواحد القهار، وأنه هو القاهر فوق عباده، يشهد بذلك موقف موسى عليه السلام عندما افترى فرعون وادعى القهر كما فى الآية (الأعراف:١٢٧) ﴿قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ﴾، قال الحق تبارك وتعالى على لسان موسى فى الآية (الأعراف:١٢٨) ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

الخلاصة

قلت: من هذه القرائن يتبين للقارئ الكريم الأثر السيىء لهذه القصة، فلم نكتفِ فقط ببيان بطلانها بقواعد أصول الحديث، ولكن أوردنا هذه القرائن؛ لبيان خطورة الجهل بتنزه الله -تبارك وتعالى- عن النوم بالنسبة لأقل مسلم، فكيف بقصة تجعل موسى كليم الله يجهل تنزه الله -تبارك وتعالى- عن النوم، فيقع فى نفسه: «هل ينام الله»؟

ولقد بيَّنا أن هذا الأمر ليس بالهين.

وأن الجهل بتنزه الله عن النوم، جهل بالحى الذى له الحياة الكاملة المستلزمة لجميع صفات الذات، وجهل بالقيوم الذى قام بنفسه وقام بغيره، وذلك مستلزم لجميع الأفعال التى اتصف بها رب العالمين، الحى القيوم، الذى لا تأخذه سنة ولا نوم.

فهذه القصة من الإسرائيليات المدسوسة التى تطعن فى الأنبياء، والتى لا يجب علينا التصديق بها، بل هو مما يجب الجهر بتكذيبه وبيان بطلانه.

هذا ما وفقني الله إليه، وهو وحده من وراء القصد



(٤٤)

قصة المظاهرة التي قادها حمزة وعمر رضي الله عنهما (*)

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم؛ حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت واتخذها أصحاب المظاهرات دليلاً على مشروعيتها.

أولاً: متن القصة

روى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «شرح الله صدرى للإسلام، فقلت الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى، فما فى الأرض نسمة أحب إلىّ من نسمه رسول الله ﷺ، قلت: أين رسول الله ﷺ؟ قالت أختى: هو فى دار الأرقم بن الأرقم عند الصفا، فأتيت الدار وحمزة فى أصحابه جلوس فى الدار، ورسول الله ﷺ فى البيت، فضربت الباب فاستجمع القوم فقال لهم حمزة: ما لكم؟ قالوا: عمر، قال فخرج رسول الله ﷺ فأخذ بمجامع ثيابه ثم نثره نثرة فما تمالك أن وقع على ركبته، فقال: «ما أنت بمنتهٍ يا عمر؟»».

فقلت: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، فكبر أهل الدار تكبيرة سمعها أهل المسجد. فقلت: يا رسول الله ألسنا على الحق إن متنا وإن حيينا؟ قال: «بلى والذى نفسى بيده، إنكم على الحق إن متم وإن حييتم». فقلت: ففيم الاختفاء؟ والذى بعثك بالحق لنخرجن فأخرجناه فى صفين حمزة فى أحدهما وأنا فى الآخر، له كديد ككديد الطحين حتى دخلنا المسجد، فنظرت إلىَّ قريش وإلى حمزة، فأصابتهم كآبة لم يصبهم مثلها».

ثانيًا: التخريج

القصة أخرجها: أبو نعيم فى «الحلية» (١/ ٤٠) قال: حدثنا محمد بن أحمد بن

(*) مجلة التوحيد، ربيع الأول، ١٤٢٥هـ.

الحسن، حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة، حدثنا عبد الحميد بن صالح، حدثنا محمد ابن أبان، عن إسحاق بن عبد الله، عن أبان بن صالح، عن مجاهد، عن ابن عباس، عن عمر بن الخطاب به، **قلت**: وبهذا السند أخرجها أبو نعيم فى «الدلائل» ص (١٩٤).

ثالثًا: التحقيق

هذه القصة واهية، وعلتها «إسحق بن عبد الله»:

١ - أورده الإمام المزى فى «تهذيب الكمال» (٢/ ٥٧/ ٣٦٢) وقال: «إسحق بن عبد الله بن أبى فروة روى عن أبان بن صالح ... ». اهـ.

٢- قال الإمام النسائى فى «الضعفاء والمتروكين» ترجمة (٥٠): «متروك الحديث».
قلت: وهذا المصطلح له معناه حيث قال الحافظ ابن حجر فى «شرح النخبة» ص(٦٩): «مذهب النسائى أن لا يترك حديث الرجل حتى يجتمع الجميع على تركه». اهـ.

٣- قال الإمام البخارى فى «الضعفاء الصغير» ترجمة (٢٠): « إسحق بن عبد الله ابن أبى فروة: تركوه».

٤- قال الإمام الدارقطنى فى «الضعفاء والمتروكين» رقم (٩٤): «متروك». اهـ.

٥- وقال علىّ بن الحسن الهِسِنجاني، عن يحيى: كذاب. كذا فى «تهذيب الكمال» (٢/ ٦١).

٦- وقال ابن حبان فى «المجروحين» (١/ ١٣١): «كان يقلب الأسانيد، ويرفع المراسيل، وكان أحمد بن حنبل ينهى عن حديثه».

٧- قال ابن أبى حاتم فى «الجرح والتعديل» (٢/ ٢٢٨) رقم (٧٩٢): «سمعت أبى يقول: إسحق بن عبد الله بن أبى فروة: متروك الحديث».

ثم أخرج ابن أبى حاتم بسنده عن يحيى بن معين قال: «إسحق بن أبى فروة كذاب». وبسند آخر عن يحيى أنه قال: « إسحق بن أبى فروة لا شيء كذاب».

ثم قال ابن أبى حاتم: سمعت أبا زُرْعة يقول: «إسحق بن عبد الله بن أبى فروة ذاهب الحديث، متروك الحديث».

ثم أخرج ابن أبى حاتم بسنده إلى عمرو بن علىّ الصيرفى أنه حدّثه: «بأن إسحق ابن عبد الله بن أبى فروة متروك الحديث».

٨- **قلت**: ولقد بيَّن هذا الترك ابن عدى فى «الكامل» (١/ ٣٢٦) (١٥٤/ ١٥٤) فى ترجمة بلغت أكثر من ثمانين سطرًا ختمها قائلاً: «وإسحق بن أبى فروة هذا ما ذكرت هاهنا من أخباره بالأسانيد التى ذكرت فلا يتابعه أحد على أسانيده، ولا على متونه، وسائر أحاديثه مما لم أذكره تشبه هذه الأخبار التى ذكرتها، وهو بيِّن الأمر فى الضعفاء ... ». اهـ.

قلت: بهذا التحقيق:

١- يتبين مذهب النسائى أن لا يترك حديث الرجل حتى يجتمع الجميع على تركه.

٢- تتبين حقيقة أخبار إسحق بن عبد الله بن أبى فروة، فلا يتابعه أحد على أسانيده، ولا على متونه.

٣- وعلى هذا تكون القصة واهية، وسندها تالف، والخبر موضوع.

رابعًا : قرائن تدل على عدم صحة القصة

١- لقدْ بوَّب الإمام البخاري في «صحيحه» في كتاب «مناقب الأنصار» بابًا برقم (٣٥): «إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه»، وتحت هذه الترجمة أخرج حديث (٣٨٦٥) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: «لما أسلم عمر، اجتمع الناس عند داره وقالوا: صبأ عمر- وأنا غلام فوق ظهر بيتي- فجاء رجل عليه قباء من ديباج، فقال: قد صبأ عمر، فما ذاك فأنا له جار؟. قال: فرأيت الناس تصدعوا عنه، فقلت: من هذا؟ فقالوا: العاص بن وائل».

وأخرج البخارى فى «صحيحه» ح (٣٨٦٤) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما

وأورده الإمام المزى فى «تحفة الأشراف» (٥/ ٣٥٠) ح (٦٧٤٣) من حديث عبد الله بن عمر قال: «بينما هو فى الدار خائفًا -يعنى عمر- إذ جاءه العاص بن وائل السهمي أبو عمرو، عليه حله حبرة وقميص مكفوف بحرير - وهو من بنى سهم وهم حلفاؤنا فى الجاهلية- فقال: ما بالك؟ قال: زعم قومك أنهم سيقتلوننى إن أسلمت. قال: لا سبيل إليك. بعد أن قالها أمنت. فخرج العاص فلقى الناس قد سال بهم الوادى، فقال: أين تريدون؟ فقالوا: نريد هذا -ابن الخطاب- الذى صبأ. قال: لا سبيل إليه فكرَّ الناس».

٢- وأورد الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٣/ ٨١) في إسلام عمر بن الخطاب: «قال ابن إسحاق: وحدثني نافع مولى ابن عمر، عن ابن عمر قال: لما أسلم عمر قال: أي قريش أنقل للحديث؟ فقيل له: جميل بن معمر الجمحي. فغدا عليه، قال عبد الله: وغدوت أتبع أثره، وأنظر ما يفعل وأنا غلام أعقل كلَّ ما رأيت، حتى جاءه فقال له: أعلمت يا جميل أني أسلمت ودخلت في دين محمد ﷺ ؟

قال: فوالله، ما راجعه حتى قام يجر رداءه، واتبعه عمر، واتبعته أنا، حتى إذا قام على باب المسجد صرخ بأعلى صوته: يا معشر قريش، وهم في أنديتهم حول الكعبة، ألا إن ابن الخطاب قد صبأ.

قال: يقول عمر من خلفه: كذب، ولكني قد أسلمت، وشهدت أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وثاروا إليه، فما برح يقاتلهم ويقاتلونه حتى قامت الشمس على رؤوسهم.

قال: وطَلَح فقعد، وقاموا على رأسه، وهو يقول: افعلوا ما بدا لكم، فأحلف بالله أن لو قد كنا ثلاثمائة رجل لقد تركناها لكم، أو تركتموها لنا.

قال: فبينما هم على ذلك؛ إذ أقبل شيخ من قريش عليه حلة حبرة وقميص موشى، حتى وقف عليهم، فقال: ما شأنكم؟

فقالوا: صبأ عمر.

قال: فمَهْ؛ رجل اختار لنفسه أمرًا، فماذا تريدون؟ أترون بني عدي يُسْلِمون لكم صاحبكم هكذا؟ خلوا عن الرجل.

قال: فوالله، لكأنما كانوا ثوبًا كُشِطَ عنه.

قال: فقلت لأبي بعد أن هاجر إلى «المدينة»: يا أبت، من الرجل الذي زَجَرَ القوم عنك بمكة يوم أسلمت، وهم يقاتلونك؟

قال: ذاك أي بني، العاص بن وائل السهمي.

وهذا إسناد جيد قوي، وهو يدل على تأخر إسلام عمر؛ لأن ابن عمر عرض يوم «أحد» وهو ابن أربع عشرة سنة، وكانت «أُحد» في سنة ثلاث من الهجرة، وقد كان مميزًا يوم أسلم أبوه، فيكون إسلامه قبل الهجرة بنحو من أربع سنين، وذلك بعد البعثة بنحو تسع سنين، والله أعلم». اهـ.

قلت: وأورد هذه القصة أيضًا الحافظ ابن كثير في كتاب «السيرة النبوية» نقلاً عن ابن إسحاق، ثم ذكر هذا التحقيق، وكذا ابن هشام في «السيرة النبوية» (١/ ٤٣٧) ح(٣٣٤) نقلاً أيضًا عن ابن إسحاق، وكذا ابن الأثير في «أسد الغابة» (٤/ ١٥٠) نقلاً أيضًا عن ابن إسحاق، وأخرجه الحاكم (٣/ ٨٥) من طريق ابن إسحاق، وقال: «صحيح على شرط مسلم». ووافقه الذهبي، وكما بيّنا آنفًا قال ابن كثير: «وهذا إسناد جيد قوي».

قلت: ويزداد قوةً بأن البخاري أخرجه ح(٣٨٦٤) من طريق أخرى عن زيد بن عبد الله بن عمر، عن أبيه قال: «بينما هو -يعني عمر- في الدار خائفًا...» الحديث بلفظه كما بيّنا آنفًا.

خامسًا: الصبر والثبات فى الشدة ـ لا المظاهرات

أخرج البخاري في «صحيحه» ح(٣٨٥٢) من حديث خباب بن الأرت قال:

«أتيت النبي ﷺ وهو متوسد بردة، وهو في ظل الكعبة- وقد لقينا من المشركين شدة- فقلت: يا رسول الله، ألا تدعو الله لنا؟ فقعد وهو محمر وجهه، فقال: **لقد كان من قبلكم ليمشط بأمشاط الحديد ما دون عظمه من لحم أو عصب، ما يصرفه ذلك عن دينه، ويوضع المنشار على مفرق رأسه فيشق باثنين، ما يصرفه ذلك عن دينه، وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ما يخاف إلا الله**».

قلت: وأخرج هذا الحديث أيضًا الإمام البخاري ح(٣٦١٢) من حديث خباب وفيه قال رسول الله ﷺ : «**والله ليَتِمَّن هذا الأمرُ حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله أو الذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون**». وفي الحديث (٦٩٤٣) «و» بدلاً من «أو».

قلت: هذا الحديث يبيّن لنا تربية النبي ﷺ للصحابة في الشدائد على الصبر، والثبات، واليقين في وعد الله، وعدم الاستعجال، عملاً بقول الله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ (الروم:٦٠).

﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ﴾ (الأحقاف:٣٥).

سادسًا: الدعاء عند الشدائد - لا المظاهرات

١- أخرج الإمام البخاري في «صحيحه» ح(٣٨٥٤) من حديث عبد الله بن مسعود ؓ قال: «بينا النبي ﷺ ساجدًا وحوله ناس من قريش، جاء عقبة بن أبي معيط بسلا جزور، فقذفه على ظهر النبي ﷺ ، فلم يرفع رأسه، فجاءت فاطمة -عليها السلام- فأخذته من ظهره ودَعَتْ على من صنع، فقال النبي ﷺ : **اللهم عليك الملأ من قريش: أبا جهل ابن هشام، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأمية بن خلف، فرأيتهم قتلى يوم بدر فألقوا في بئر، غير أمية بن خلف تقطعت أوصاله فلم يلقَ في البئر**».

قلت: وفى الحديث (٢٤٠) عدّ عقبة بن أبى معيط، وجزم بأن النبى ﷺ عدَّ أمية ابن خلف، ولم يعد أخاه أبى بن خلف؛ حيث جاء فى بعض الروايات «أو أبى بن

خلف» قال الحافظ فى «الفتح» (١/ ٤١٨): «وأطبق أصحاب المغازى على أن المقتول ببدر أمية، وعلى أن أخاه أبيًا قُتل بأحد». اهـ.

قلت: وفي هذا الحديث عدَّ الوليد بن عتبة أيضًا، ثم قال ابن مسعود: «فوالذي نفسي بيده لقد رأيت الذين عدَّ رسول الله ﷺ صرعي في القليب قليب بدر». اهـ.

٢- أخرج البخارى ح(٤٠٩٥)، ومسلم (٦٧٧) من حديث أنس بن مالك قال: دعا رسول الله ﷺ على الذين قتلوا أصحاب بئر معونة، ثلاثين صباحًا يدعو على رعل وذَكوان ولِحْيان وعُصية عصت الله ورسوله. قال أنس: أنزل الله ﷻ في الذين قتلوا ببئر معونة قرآنًا قرأناه، حتى نُسِخَ بعدُ: أن بلِّغوا قوْمنا أن قد لقينا ربنا فرضي عنا ورضينا عنه. اهـ.

٣- وأخرج مسلم ح (٦٧٧/ ٣٠٢) من حديث أنس قال: «ما رأيت رسول الله ﷺ وَجَد على سرية ما وجد على السبعين الذين أصيبوا يوم بئر معونة يُدْعون القراء فمكث شهرًا يدعو على قتلتهم».

سابعًا: النفير لا المظاهرات

أخرج البخاري في «صحيحه» ح(٣٠٧٧)، ومسلم ح(١٣٥٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ يوم فتح مكة: «**لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية، وإذا استنفرتم فانفروا**».

وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ (التوبة:٣٨).

وقال: ﴿إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ (التوبة:٣٩).

قلت: هذه هي السُّنة عند الشدائد: الصبر والثبات واليقين وعدم الاستعجال، خاصةً في حالة الاستضعاف، ثم النفير في حالة تجميع الأمة وإعداد ما استطاعت من قوة والدعاء في الحالتين.

أما المظاهرات فما هي إلا جعجعة. قال صاحب «مختار الصحاح» (ص١٠٥): «الجعجعة صوت الرحى، وفي المثل: (أسمع جعجعة ولا أرى طِحْنًا) بكسر الطاء أي دقيقًا». اهـ. وخير الهدي هدي محمد ﷺ.

هذا ما وفقني الله إليه، وهو وحده من وراء القصد



(٤٥)

قصة عمر ﷺ وجلد ابنه حتى الموت (*)

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت على ألسنة الوعاظ والخطباء والقصاص.

أولاً: المتن

رُوى عن مجاهد قال: «تذاكر الناس فى مجلس ابن عباس، فأخذوا فى فضل أبى بكر، ثم أخذوا فى فضل عمر بن الخطاب، فلما سمع عبد الله بن عباس بكى بكاء شديداً حتى أغمى عليه، ثم أفاق فقال: رحم الله رجلاً لم تأخذه فى الله لومة لائم، رحم الله رجلاً قرأ القرآن وعمل بما فيه، وأقام حدود الله كما أمر، لم يزد عن القريب لقرابته، ولم يخف عن البعيد لبعده، ثم قال: والله لقد رأيت عمر، وقد أقام الحد على ولده فقتله فيه، ثم بكى وبكى الناس من حوله.

وقلنا: يا بن عم رسول الله إن رأيت أن تحدثنا كيف أقام عمر على ولده الحد. فقال: والله لقد أذكرتمونى شيئًا كنت له ناسياً. فقلت: قَسَمنا عليك بحق المصطفى أما حدثتنا. فقال: يا معاشر الناس، كنت ذات يوم فى مسجد رسول الله ﷺ - وعمر بن الخطاب جالس والناس حوله يعظهم ويحكم فيما بينهم، فإذا نحن بجارية قد أقبلت من باب المسجد، فجعلت تتخطى رقاب المهاجرين والأنصار حتى وقفت بإزاء عمر، فقالت: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، فقال عمر: وعليكِ السلام يا أمة الله، هل من حاجة؟ فقالت: نعم. أعظم الحوائج إليك. خذ ولدك هذا منى، فأنت أحق به منى.

ثم رفعت القناع فإذا على يدها طفل، فلما نظر إليه عمر، قال: يا أمة الله أسفرى عن وجهك. فأسفرت؛ فأطرق عمر وهو يقول: لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، يا

(*) مجلة التوحيد، ربيع الآخر، ١٤٢٥هـ.

هذه أنا لا أعرفك، فكيف يكون هذا ولدى؟ فبكت الجارية حتى بلت خمارها بالدموع، ثم قالت: يا أمير المؤمنين إن لم يكن ولدك من ظهرك، فهو ولد ولدك، قال: أى أولادى؟ قالت: أبو شحمة. قال: أبحلال أم بحرام؟ قالت: من قبلى بحلال، ومن جهته بحرام، قال عمر: وكيف ذاك؟ قالت: يا أمير المؤمنين اسمع مقالتى، فوالله ما زدت عليك حرفاً ولا نقصت، فقال لها: اتقى الله ولا تقولى إلا الصدق.

قالت: يا أمير المؤمنين كنت فى بعض الأيام مارة فى بعض حوائجي إذ مررت بحائط لبنى النجار، فإذا أنا بصائح يصيح من ورائى، فإذا أنا بولدك أبى شحمة يتمايل سكراً، وكان قد شرب عند نسيكة اليهودى، فلما قرب منى تواعدنى وتهددنى وراودنى عن نفسى، وجرنى إلى الحائط فسقطت وأغمى عليَّ، فوالله ما أفقت إلا وقد نال منى ما ينال الرجل من امرأته فقمت وكتمت أمرى عن عمى وجيرانى، فلما تكاملت أيامى وانقضت شهوري، وضربنى الطلق، وأحسست بالولادة خرجت إلى موضع كذا وكذا، فوضعت هذا الغلام، فهممت بقتله، ثم ندمت على ذلك، فاحكم بحكم الله بينى وبينه.

قال ابن عباس: فأمر عمر ﷺ منادياً ينادي؛ فأقبل الناس يهرعون إلى المسجد، ثم قام عمر فقال: يا معاشر المهاجرين والأنصار، لا تتفرقوا حتى آتيكم بالخبر. ثم خرج من المسجد وأنا معه، فنظر إليَّ وقال: يا بن عباس أسرع معي، فجعل يسرع حتى قرب من منزله فقرع الباب فخرجت جارية كانت تخدمه، فلما نظرت إلى وجهه وقد غلبه الغضب قالت: ما الذي نزل بك؟ قال: يا هذه ولدي أبو شحمة هاهنا؟ قالت: إنه على الطعام. فدخل وقال له: كُلْ يا بنى، فيوشك أن يكون آخر زادك من الدنيا. قال: قال ابن عباس: فرأيت الغلام وقد تغير لونه وارتعد، وسقطت اللقمة من يده، فقال له عمر: يا بنى من أنا؟ قال: أنت أبى وأمير المؤمنين، قال: فلي عليك حق طاعة أم لا؟ قال: طاعتان مفترضتان؛ أولهما: أنك والدي، والأخري: أنك أمير المؤمنين. فقال عمر: بحق نبيك وبحق أبيك، فإني أسألك عن شيء إلا أخبرتنى.

قال: يا أبة لا أقول إلا الصدق، قال: هل كنت ضيفاً لنسيكة اليهودى فشربت عنده الخمر وسكرت. قال: بأبى قد كان ذلك، وقد تبت. قال: يا بُنى؛ رأس مال المذنبين التوبة. قال: يا بنى؛ أنشدك الله هل دخلت ذلك اليوم حائطاً لبنى النجار فرأيت امرأة فواقعتها؟ فسكت وبكى وهو يبكى ويلطم وجهه. فقال له عمر: لا بأس اصدق؛ فإن الله يحب الصادقين. فقال: يا أبى كان ذلك والشيطان أغواني، وأنا تائب نادم. فلما سمع عمر ذلك قبض على يده ولببه، وجره إلى المسجد.

فقال: يا أبة لا يعصمنى على رؤوس الخلائق حد السيف، واقطعنى هاهنا إرباً إرباً. قال: أما سمعت قول الله ﷻ ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ثم جره حتى أخرجه بين يدى أصحاب رسول الله ﷺ فى المسجد وقال: صدقت المرأة، وأقر أبو شحمة بما قالت، وله مملوك يقال له أفلح، فقال: يا أفلح إن لى إليك حاجة إن أنت قضيتها فأنت حر لوجه الله. فقال: يا أمير المؤمنين مرنى بأمرك. قال: خذ ابنى هذا فاضربه مئة سوط، ولا تقصر فى ضربه. فقال: لا أفعله. وبكى، وقال: يا ليتنى لم تلدنى أمى حيث أكلف ضرب ولد سيدى. فقال عمر: إن طاعتى طاعة الرسول فافعل ما أمرتك به، فانزع ثيابه. فضج الناس بالبكاء والنحيب، وجعل الغلام يشير بإصبعه إلى أبيه، ويقول: أبة ارحمنى، فقال له عمر وهو يبكى: ربك يرحمك، وإنما هذا كى يرحمنى ويرحمك. ثم قال: يا أفلح اضرب، فضرب أول سوط، فقال الغلام: بسم الله الرحمن الرحيم. فقال: نِعْمَ الاسم سميت يا بنى ، فلما ضربه به ثانية قال: أوه يا أبة. فقال عمر: اصبر كما عصيت، فلما ضرب ثالثاً قال: الأمان. قال عمر: ربك يعطيك الأمان. فلما ضربه رابعًا قال: واغوثاه. فقال: الغوث عند الشدة. فلما ضربه خامساً حمد الله. فقال عمر: كذا يجب أن تحمده. فلما ضربه عشراً قال: يا أبتى قتلتنى، قال: يا بنى ذنبك قتلك. فلما ضُرب ثلاثين قال: أحرقت والله قلبى، قال: يا بنى النار أشد حراً. قال: فلما ضربه أربعين قال: يا أبة دعنى أذهب على وجهى. قال: يا بنى إذا أخذتُ حد الله من جنبك اذهب حيث شئت. فلما ضربه خمسين قال:

نشدتك بالقرآن لما خليتني. قال: يا بنى هلا وعظك القرآن وزجرك عن معصية الله عز وجل، يا غلام اضرب فلما ضربه ستين قال: يا أبى أغثني. قال: يا بنى إن أهل النار إذا استغاثوا لم يُغاثوا. فلما ضربه سبعين قال: يا أبة اسقنى شربة من ماء. قال: يا بنى إن كان ربك يطهرك فيسقيك محمد ﷺ، شربةً لا تظمأ بعدها أبداً، يا غلام اضرب. فلما ضربه ثمانين قال: يا أبت السلام عليك. قال: وعليك السلام، إن رأيت محمداً ﷺ فأقرئه منى السلام، وقل له: خلَّفت عمر يقرأ القرآن ويقيم الحدود، يا غلام اضربه فلما ضربه تسعين انقطع كلامه وضعف، فوثب أصحاب رسول الله ﷺ من كل جانب فقالوا: يا عمر انظر كم بقى فأخره إلى وقت آخر فقال: كما لا تؤخر المعصية لاتؤخر العقوبة. فأتى الصريخ إلى أمه فجاءت باكية صارخة، وقالت: يا عمر أحج بكل سوطة حجة ماشية، وأتصدق بكذا وكذا درهماً، قال: إن الحج والصدقة لا تنوب عن الحد، يا غلام أتم الحد فلما كان آخر سوط سقط الغلام ميتاً. فقال عمر: يا بنى محَّص الله عنك الخطايا وجعل رأسه فى حجره وجعل يبكى ويقول: بأبى مَنْ قتله الحق، بأبى من مات عند انقضاء الحد، بأبى من لم يرحمه أبوه وأقاربه! فنظر الناس إليه فإذا هو قد فارق الدنيا. فلم يُر يوم أعظم منه. وضج الناس بالبكاء والنحيب، فلما كان بعد أربعين يوماً أقبل عليه حذيفة بن اليمان صبيحة يوم الجمعة فقال: إنى أخذت وردي من الليل فرأيت رسول الله ﷺ فى المنام وإذا الفتى معه حلتان خضراوان فقال رسول الله ﷺ : أقرئ عمر منى السلام، وقل له: هكذا أمرك الله أن تقرأ القرآن وتقيم الحدود. وقال الغلام: أقرئ أبى منى السلام، وقل له: طهرك الله كما طهرتني، والسلام».

ثانيًا: التخريج

الحديث أخرجه: ابن الجوزى فى «الموضوعات» (٣/ ٢٦٩) قال: حُدِّثت عن شيرويه بن شهريار الحافظ، أنبأنا أبو الحسن ابن الحسن بن بكير الفقيه، أنبأنا أبو بكر عبد الرحمن بن محمد بن القاسم النيسابوري، أنبأنا أبو سعد عبد الكريم بن أبى عثمان

الزاهد، حدثنا أبو القاسم بن بالويه الصوفى، حدثنا أبو عبد الله إبراهيم بن محمد، حدثنا أحمد بن محمد بن عيسى، حدثنا أبو حذيفة، عن شبل، عن مجاهد قال: فذكره.

ثالثًا: التحقيق

قال الإمام ابن الجوزى فى «الموضوعات» (٣/ ٢٧٤): « هذا حديث موضوع فى إسناده مجاهيل، قال الدارقطنى: حديث مجاهد عن ابن عباس فى حد أبى شحمة ليس بصحيح». اهـ.

قلت: ولقد أورد الإمام ابن الجوزى قرائن تدل على بطلان هذه القصة، وأنها موضوعة ومفتراة على عمر رضي الله عنه وابنه أبى شحمة؛ حيث قال فى «الموضوعات» (٣/ ٢٧٤): «هذا حديث موضوع. كيف رُوى، ومن أى طريق نُقل؟ وضعه جهال القصاص ليكون سبباً فى تبكية العوام والنساء، فقد أبدعوا فيه، وأتوا بكل قبيح، ونسبوا إلى عمر ما لا يليق به، ونسبوا الصحابة إلى ما لا يليق بهم، وكلماته الركيكية تدل على وضعه، وبُعده عن أحكام الشرع يدل على سوء فهم واضعه وعدم فقهه. وقد تعجل واضعه قذف ابن عمر بشرب الخمر عند اليهودية ونسب عمر إلى أنه أحلفه بالله ليقر... وكيف يحلف عمر ولده بالله هل زنيت. هذا لا يليق بمثله، وما أقبح ما زيّنوا كلامه عند كل سوط. وذلك لا يَخْفَى عن العوام أنه صنعه جاهل سوقى. وقد ذكر أنه طلب ماء فلم يسقه، وهذا قبيح للغاية، وحكوا أن الصحابة قالوا: أخِّر باقى الحد، وأن أم الغلام قالت: أحج عن كل سوط، وهذا كله يتحاشى الصحابة عن مثله... ». اهـ.

قلت: ولقد ذكر الإمام «ابن القيم» فى كتابه «المنار المنيف» (ص١١١) أموراً كلية يعرف بها كون الحديث موضوعاً حيث قال: «ونحن ننبه على أمور كلية يُعْرَف بها كون الحديث موضوعاً» وذكر منها فى القاعدة التاسعة عشرة: «ما يقترن بالحديث من القرائن التى يُعْلَم بها أنه باطل».

قلت: ولقد بينها الإمام ابن الجوزى فيما أوردناه من القرائن آنفاً.

رابعاً: طريق أخرى للقصة

أخرجها أيضاً: ابن الجوزى فى «الموضوعات» (٣/ ٢٦٩) حيث قال: «حُدِّثتُ عن أبى محمد هارون بن طاهر، أنبأنا أبو الفضل صالح بن أحمد بن محمد بن صالح فى كتابه، انبانا أبو عبد الله الحسن بن علىّ قراءةً، حدثنا محمد بن عبيد الأسدي، حدثنا محمد بن الصلت، حدثنى أبو الأحوص، عن سعيد بن مسروق قال: « كانت امرأة تدخل على آل عمر أو منزل عمر ومعها صبى، فقال: من ذا الصبى معك؟ فقالت: هو ابنك. وقع على أبو شحمة فهو ابنه. قال: فأرسل إليه عمر فأقر. فقال عمر لعلىّ رضي الله عنه: اجلده. فضربه عمر خمسين، وضربه علىّ خمسين. قال: فأتى به. فقال لعمر: يا أبة قتلتنى. فقال: إذا لقيت ربك ﷻ فأخبره أن أباك يقيم الحدود».

التحقيق

١- قال الإمام ابن الجوزى فى «الموضوعات» (٣/ ٢٦٩): «هذا حديث موضوع، وضعه القصاص، وقد أبدوا فيه وأعادوا، وقد شرحوا وأطالوا .. وفى إسناده من هو مجهول، ثم هو منقطع. وسعيد بن مسروق مس أصحاب (الأعمش) [فأين هو] وعمر». اهـ.

٢- **قلت**: ولقد أورد هذه القصة الإمام ابن عراق فى «تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة» فى الجزء الثانى (٢/ ٢٢٠)، وعزاها «للجوزقانى» من نفس طريق سعيد بن مسروق، ثم قال: «وهو مما وضعه القصاص، وفى إسناده من هو مجهول، ثم إن سعيد بن مسروق من أصحاب الأعمش، فأين هو من عمر؟». اهـ.

٣- **قلت**: ولقد أشار الحافظ ابن حجر في «الإصابة فى تمييز الصحابة» (٧/ ٢١٠/ ١٠١١٢) إلى هذه القصة وبين أنها واهية حيث قال: «أبو شحمة ابن عمر ابن الخطاب جاء فى خبرٍ واهٍ أن أباه جلده فى الزنا فمات، ذكره الجوزقانى... ». اهـ.

خامسًا: طريق ثالثة للقصة

أخرجها أيضاً: ابن الجوزى فى «الموضوعات» (٣/ ٢٧٣) حيث قال: «حُدِّثتُ عن هارون بن طاهر، أنبأنا صالح بن أحمد بن محمد فى كتابه، حدثنا أبو الحسين عليّ ابن الحسين الرازى إملاءً حدثنا أبو يزيد محمد بن يحيى بن خالد المروزي، حدثنا محمد بن أحمد بن صالح التيمى، حدثنى الفضل بن العباس، حدثنى عبد العزيز بن الحجاج الخولانى -قال أبو الحسين: هكذا قال، وهو عندى عبد القدوس بن الحجاج-، حدثنى صفوان، عن عمر أنه كان له ابنان يقال لأحدهما عبد الله والآخر عبيد الله، وكان يكنى أبا شحمه، وكان أبو شحمة أشبه الناس برسول الله ﷺ تلاوةً للقرآن، وأنه مرض مرضاً فجعل أمهات المؤمنين يعدنه، فبينا هن فى عيادته قلن لعمر: لو نذرت على ولدك كما نذر عليّ بن أبى طالب على ولده الحسن والحسين فألبسهما الله العافية.

فقال عمر: عليَّ نذر واجب لئن ألبس الله ﷻ ابنى العافية أن أصوم ثلاثة أيام، وقالت والدته مثل ذلك، فلما أن قام من مرضه، أضافه نسيكة اليهودى، فأتوه بنبيذ التمر فشرب منه، فلما طابت نفسه خرج يريد منزله، فدخل حائطاً لبنى النجار، فإذا هو بامرأة راقدة فكابدها وجامعها، فلما قام معها شتمته وخرقت ثيابه وانصرفت إلى منزلها .. » وذكر الحديث بطوله.

التحقيق

قال ابن الجوزى فى «الموضوعات» (٣/ ٢٧٥) : «صفوان الراوى عن عمر بينه وبين عمر رجال، والمتهم بهذا الحديث الرجال الذين فى أول الإسناد، ولا طائل فى الإطالة بجرح رجاله، فإنه لو كان رجاله من الثقات علم أنه من الدسَّاسين لما فيه مما يتنزه عنه الصحابة، فكيف، وليس إسناده بشيء؟!

قلت: ولقد أورد الإمام الشوكانى فى «الفوائد المجموعة فى الأحاديث الموضوعة»

ص (٢٠٣) كتاب الحدود ح (٦) هذه القصة وحكم عليها بالوضع بطرقها حيث قال: «حديث: إن عمر أقام الحد على ولد له يكنى أبا شحمة بعد موته فى قصة طويلة. موضوع». اهـ.

قلت: بهذا يتبين للقارئ الكريم أن هذه القصة واهية حكم عليها بالوضع أئمةُ هذا الفن: الإمامُ ابن الجوزى فى «الموضوعات»، والإمامُ ابن حجر فى «الإصابة»، والإمامُ ابن عراق فى «تنزيه الشريعة»، والإمامُ الشوكانى فى «الفوائد» كما بيّنا آنفًا، ولقد تبين أن هذه القصة من وضع الدساسين الذين أتوا بكل قبيح، ونسبوا إلى عمر ﷺ ما لا يليق به، ونسبوا إلى الصحابة ما لا يليق بهم.

فالحمد لله الذى حفظ لأمة محمد ﷺ دينها، حيث أنعم الله عليها بعلم الإسناد، ولم يكن هذا لأحد من الأمم قبلها، فقد أخرج الإمام مسلم فى «مقدمة الصحيح» باب «الإسناد من الدين» حيث قال: حدَّثنى محمد بن عبد الله بن قهزاذ من أهل مَرْو قال: سمعت عبدان بن عثمان يقول: سمعت عبد الله بن المبارك يقول: « الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء».

هذا ما وفقني الله إليه، وهو وحده من وراء القصد

❁ ❁ ❁ ❁

(٤٦)

قصة عيد صنم بوانة
وما حدث فيه للنبي ﷺ قبل البعثة (*)

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم؛ حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت على ألسنة الوعاظ والخطباء والقصاص.

أولاً: متن القصة

رُوي عن ابن عباس قال: حدثتني أم أيمن قالت: كان ببوانة صنم تحضره قريش تعظمه، تنسك له النسائك، ويحلقون رؤوسهم عنده، ويعكفون عنده يومًا إلى الليل، وذلك يومًا في السنة، وكان أبو طالب يحضره مع قومه، وكان يكلم رسول الله ﷺ أن يحضر ذلك العيد مع قومه، فيأبى رسول الله ﷺ ذلك، حتى رأيت أبا طالب غضب عليه، ورأيت عماته غضبن عليه يومئذ أشد الغضب، وجعلن يقلن: إنا لنخاف عليك مما تصنع من اجتناب آلهتنا، وجعلن يقلن: ما تريد يا محمد أن تحضر لقومك عيدًا، ولا تكثِّر لهم جمعًا، قالت: فلم يزالوا به حتى ذهب، فغاب عنهم ما شاء الله، ثم رجع إلينا مرعوبًا فزعًا، فقالت له عمّاته: ما دهاك ؟ قال: إني أخشى أن يكون بي لمم، فقلن: ما كان الله ليبتليك بالشيطان وفيك من خصال الخير ما فيك ؟ فما الذي رأيت؟ قال: إني كلما دنوت من صنم منها تمثل لي رجل أبيض طويل يصيح بي وراءك يا محمد لا تمسه، قالت: فما عاد لعيدٍ لهم حتى تنبأ». اهـ.

ثانيًا: التخريج

الحديث الذي جاءت به هذه القصة: أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١/ ٧٥)، وأبو نعيم في «دلائل النبوة» ص(٥٨) من طريق أبي بكر ابن عبد الله بن أبي سبرة، عن حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس، عن عكرمة، عن ابن عباس به».

(*) مجلة التوحيد، جمادى الأولى، ١٤٢٥هـ.

ثالثًا: التحقيق

القصة: موضوعة، فهي واهية باطلة، وإلى القارئ الكريم بيان ما بها من علل:

الأولى: حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس:

١- أورده الحافظ المزي في «تهذيب الكمال» (٤/ ٤٦٩/ ١٢٩٧)، وذكر الذين روى عنهم، ومنهم: عكرمة مولى ابن عباس، ثم ذكر الذين رووا عنه، ومنهم: أبو بكر ابن عبد الله بن أبي سبرة .

٢- **قلت**: أورده الإمام النسائي في «الضعفاء والمجروحين» رقم (١٤٥) وقال: «متروك الحديث».اهـ.

قلت: وهذا المصطلح له معناه عند الإمام النسائي، يبيّن ذلك الحافظ ابن حجر في «شرح النخبة» ص(٦٩) حيث قال: «مذهب النسائي أن لا يترك حديث الرجل حتى يجتمع الجميع على تركه». اهـ.

٣- **قلت**: وأورده الإمام البخاري في كتابه «التاريخ الكبير» (٢/ ٣٨٨/ ٢٨٧٢) وقال: «حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس الهاشمي، عن كريب وعكرمة، قال عليّ: تركت حديثه». اهـ.

قلت: كذلك قال في كتابه «الضعفاء الصغير» برقم (٧٨).

٤- وأورده ابن عدي في كتابه «الكامل» (٢/ ٣٤٩) (١١١/ ٤٨٠)، وأخرج قول عليّ ابن المديني بأنه ترك حديثه، وأخرج أيضًا قول النسائي: «متروك الحديث».

٥- وأورده الإمام العقيلي في «الضعفاء الكبير» (١/ ٢٤٥/ ٢٩٣)، وأخرج أيضًا قول الإمام عليّ ابن المديني شيخ البخاري، ثم ختم الترجمة قائلاً: «وله غير حديث لا يتابع عليه من حديث ابن عباس». اهـ.

٦- وقال ابن حبان في «المجروحين» (١/ ٢٤٢): «يقلب الأسانيد ويرفع المراسيل». اهـ.

٧- ونقل الحافظ ابن حجر في «التهذيب» (٢/ ٢٩٦) عن البخاري قوله: «يقال أنه كان يتهم بالزندقة». اهـ.

٨- وما نقله الحافظ ابن حجر نقله أيضًا الإمام الذهبي في «الميزان» (١/ ٥٣٧/ ٢٠١٢).

العلة الثانية: أبو بكر ابن عبد الله بن أبي سبرة:

١- أورده الحافظ المزي في «تهذيب الكمال» (٢١/ ٧٥/ ٣٨٣٤) قال: أبو بكر ابن عبد الله بن محمد بن أبي سبرة ابن أبي رهم بن عبد العزى بن أبي قيس ابن عبد وَدْ بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي بن غالب القرشي العامري السبري المدني.

قلت: لقد ذكرت الترجمة كاملة حتى أقف على حقيقة الراوي؛ لأن الإمام أبا نعيم أورده في «الدلائل» ص(٥٨) بالكنية والنسب فقط، حيث قال: حدثنا عمرو بن محمد ابن جعفر، قال: حدثنا إبراهيم بن علي، قال: حدثنا النضر بن سلمة، قال: حدثنا عبد الجبار بن سعيد أبو معاوية المساحقي، عن أبي بكر العامري، عن حسين بن عبد الله به.

في الوقت الذي أورده ابن سعد في «الطبقات» (١/ ٧٥) بالكنية دون النسب العامري، حيث لم يصل باسم الراوي إليه حيث قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدثني أبو بكر ابن عبد الله بن أبي سبرة، عن الحسين بن عبد الله بن عبيد الله ابن العباس به .

قلت: ثم ذكر الذين روى عنهم، ومنهم: حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس، ثم ذكر الذين رووا عنه، ومنهم: محمد بن عمر الواقدي». اهـ.

قلت: ويحسب البعض أن هذا هين، ولكنه عند علماء الفن عظيم للتثبت من الراوي قبل أن ننقل أقوال علماء الجرح والتعديل فيه، ولهذا يقولون: «ثبّت العرش ثم انقش».

وإلى القارئ الكريم أقوال علماء الجرح والتعديل فيه بعد هذا التثبت:

٢- قال الإمام ابن حبان في كتابه «المجروحين» (٣/ ١٤٧): «أبو بكر بن عبد الله ابن محمد بن أبي سبرة السبري من أهل المدينة... كان ممن يروي الموضوعات عن الأثبات لا يحل كتابة حديثه، ولا الاحتجاج به بحال، كان أحمد بن حنبل يكذبه». اهـ.

٣- قال النسائي في كتابه «الضعفاء والمتروكين» رقم (٦٦٦): «أبو بكر ابن عبد الله بن أبي سبرة: متروك الحديث».

٤- أورده الإمام الذهبي في «الميزان» (٤/ ٥٠٣/ ١٠٠٢٤)، وقال: «روى عبد الله وصالح ابنا أحمد عن أبيهما قال: كان يضع الحديث». ثم نقل عن ابن معين قوله: «ليس حديثه بشيء».

٥- أورده الإمام الحافظ ابن عدي في كتابه «الكامل» (٧/ ٢٩٥) (١٢/ ٢٢٠٠) حيث أخرج بسنده عن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: قال أبي: «ليس بشيء، كان يضع الحديث ويكذب».

وقال ابن عدي: حدثنا الجنيدي قال: حدثنا البخاري قال: أبو بكر ابن عبد الله ابن أبي سبرة المدني: منكر الحديث». اهـ.

قلت: وهذا المصطلح بالنسبة للإمام البخاري له معناه، حيث قال الإمام السيوطي في «التدريب» (١/ ٣٤٩): «البخاري يطلق (فيه نظر، وسكتوا عنه): فيمن تركوا حديثه، ويطلق (منكر الحديث): على من لا تحل الرواية عنه». اهـ.

قلت: ثم ختم ابن عدي الترجمة قائلاً: «ولأبي بكر ابن أبي سبرة غير ما ذكرت من الحديث، وعامة ما يرويه غير محفوظ، وهو في جملة من يضع الحديث». اهـ.

العلة الثالثة : محمد بن عمر الواقدي:

وهو الراوي لهذه القصة عن أبي بكر ابن أبي سبرة عند ابن سعد كما بيّنا آنفًا .

١- أورده الإمام الذهبي في «الميزان» (٣/ ٦٦٢/ ٧٩٩٣)، ونقل عن الإمام أحمد ابن حنبل قوله: «هو كذاب يقلب الأحاديث».

ونقل عن الإمام ابن معين قوله: «ليس بشيء».

ونقل عن الإمام ابن راهويه قوله: «هو عندي ممن يضع الحديث».

ثم ختم ترجمته بقوله: «واستقر الإجماع على وهن الواقدي». اهـ.

٢- وقال الإمام البخاري في «الضعفاء الصغير» رقم (٣٣٤): «متروك الحديث».

٣- وقال ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٨/ ٢٠): «سألت أبي عن محمد بن عمر الواقدي فقال: متروك الحديث». اهـ.

العلة الرابعة: عبد الجبار بن سعيد أبو معاوية المساحقي:

وهو الراوي لهذه القصة عن أبي بكر ابن أبي سبرة عند أبي نعيم كما بينا آنفًا.

أورده الإمام العقيلي في «الضعفاء الكبير» (٣/ ٨٦/ ١٠٥٦)، وقال: «عبد الجبار ابن سعيد المساحقي مديني، في حديثه مناكير وما لا يتابع عليه».

قلت: وأقره على ذلك الإمام الذهبي في «الميزان» (٢/ ٥٣٣/ ٤٧٤٠)، والحافظ ابن حجر في «اللسان» (٣/ ٤٧٤) (٥٥٥/ ٤٩٠٦).

قلت: يتبين من هذا التحقيق ما في سند القصة من الوضاعين والكذابين والمتروكين، والتي به تصبح هذه القصة واهية موضوعة.

والموضوع: هو الكذب المختلق المصنوع، وهو شر الضعيف وأقبحه، وتحرم روايته مع العلم بوضعه فى أى معنى كان، سواء الأحكام والقصص والترغيب وغيرها، إلا مقرونًا ببيان وضعه» كذا فى «التدريب» (١/ ٢٧٤).

ولقد أوردنا القصة وبيَّنا أنها موضوعة.

هذا ما وفقني الله إليه، وهو وحده من وراء القصد

❁ ❁ ❁ ❁

(٤٧)

قصة خلق العالم من نور النبي ﷺ (*)

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم؛ حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت على ألسنة كثير من الوعاظ والخطباء والقصاص، وأصبحت قصة «خلق العالم من نور النبي ﷺ». معتقدًا للمتصوفة، واتخذ البوصيري من هذه القصة الواهية أصلاً لميميّته حيث قال:

وكيف تدعو إلى الدنيا ضرورة مَنْ ❁ لولاه لم تخرج الدنيا من العدم

وقوله:

ولن يضيق رسول الله جاهك بي ❁ إذا الكريم تجلى باسم منتقم

فإن من جودك الدنيا وضرتها ❁ ومن علومك علم اللوح والقلم

وقال غيره ممن هو على شاكلته:

لولا ما خُلقت شمس ولا قمر ❁ ولا نجوم ولا لوح ولا قلم

قلت: إلى غير ذلك من قريضٍ قد اشتهر، فتولد عنه معتقد فاسد وانتشر، وهذا يوجب علينا أن نبين حقيقة هذا الخبر الذي جاءت به هذه القصة.

أولاً: المتن

رُوِيَ عن جابر بن عبد الله قال: قلت: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي، أخبرني عن أول شيء خلقه الله قبل الأشياء؟

(*) مجلة التوحيد، جمادى الآخر، ١٤٢٥هـ.

قال: يا جابر، إن الله تعالى خلق قبل الأشياء نور نبيك من نوره، فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله، ولم يكن في ذلك الوقت لوح، ولا قلم، ولا جنة، ولا نار، ولا ملك، ولا سماء، ولا أرض، ولا شمس، ولا قمر، ولا جني، ولا إنسي.

فلما أراد الله أن يخلق الخلق قسم ذلك النور أربعة أجزاء:

فخلق من الجزء الأول: القلم، ومن الثاني: اللوح، ومن الثالث: العرش، ثم قسَّم الجزء الرابع أربعة أجزاء.

فخلق من الجزء الأول حملة العرش، ومن الثاني: الكرسي، ومن الثالث: باقي الملائكة، ثم قسَّم الجزء الرابع أربعة أجزاء:

فخلق من الأول: السماوات، ومن الثاني: الأرضين، ومن الثالث: الجنة والنار، ثم قسَّم الرابع أربعة أجزاء:

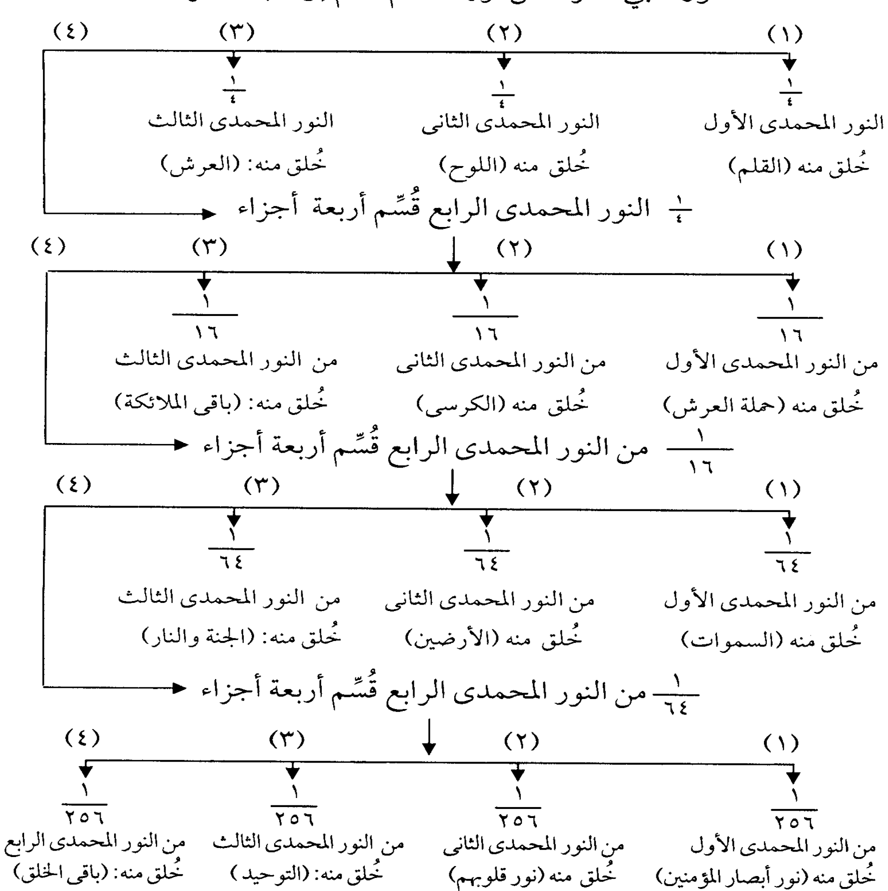
فخلق من الأول: نور أبصار المؤمنين، ومن الثاني: نور قلوبهم، وهي المعرفة بالله، ومن الثالث: نور أنسهم، وهو التوحيد لا إله إلا الله محمد رسول الله، ومن الرابع باقي الخلق... الحديث.

ثانيًا: التفصيل البياني لهذه القصة الواهية

قصة خلق العالم من النور المحمدي

«أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر»:

نور النبي مخلوق من نور الله، ثم قسِّم إلى أربعة أجزاء



ثالثًا: التخريج والتحقيق

هذه القصة الواهية: قصة خلق العالم من نور النبي ﷺ أوردها العجلوني في «كشف الخفاء» (١/ ٣١١) ح (٨٢٧) وعزى الخبر الذي جاءت به القصة إلى «مصنف عبد الرزاق» ولم يذكر أي تحقيق حول القصة، وبالرجوع إلى «مصنف عبد الرزاق» تبين أن هذا الخبر الباطل لا يوجد في «مصنف عبد الرزاق».

ولذلك عندما سُئل عنه الحافظ السيوطي في «الحاوي في الفتاوي» (١/ ٥٠٠) فأجاب: «بأنه لا سند له يثبت البتة».

رابعًا: قرائن تدل على بطلان خبر هذه القصة

١- ثبت في «صحيح مسلم» ح(٢٩٩٦) وفي «التوحيد» لابن منده ح(٤٨٢)، وفي «مسند أحمد» (٦/ ١٦٨) ح(٢٥٣٩٣)، (٦/ ١٥٣) ح(٢٥٢٣٥) من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم**».

قلت: وهنا فائدة أوردها الألباني رحمه الله تحت هذا الحديث في «الصحيحة» (١/ ٧٤١) ح(٤٥٨) قال: «**وفيه إشارة إلى بطلان الحديث المشهور على ألسنة الناس: «أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر»** ونحوه من الأحاديث التي تقول بأنه ﷺ خُلق من نور، فإن هذا الحديث دليل واضح على أن الملائكة فقط هم الذين خُلقوا من نور، دون آدم؛ فتنبه ولا تكن من الغافلين». اهـ.

٢- ثبت في «مسند أبي يعلى» (٤/ ٢١٧) ح (٢٣٢٩)، وفي «سنن البيهقي» (٩/ ٣) كتاب: السير- باب: مبتدأ الخلق، وفي «الأوائل» للطبراني ح(٥١) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أول شيء خلقه الله القلم وأمره فكتب كل شيء يكون**».

قلت: وهنا فائدة أيضًا أوردها الألباني رحمه الله تحت هذا الحديث في «الصحيحة» (١/ ٢٠٧) ح (١٣٣) قال: «وفي الحديث إشارة إلى ما يتناقله الناس حتى صار ذلك عقيدة

راسخة في قلوب كثير منهم، وهو أن النور المحمدي هو أول ما خلق الله تبارك وتعالى، وليس لذلك أساس من الصحة، وحديث عبد الرزاق غير معروف إسناده». اهـ.

٣- وقال أحمد الصديق الغماري في مقدمة كتابه «المغير على ما في الجامع الصغير»: «إنه موضوع، لا يشك طالب علم في وضعه واختلاقه».

٤- قال الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رَحِمَهُ اللهُ في تقديمه لكتاب «تنبيه الحذاق على بطلان ما شاع بين الأنام من حديث النور المنسوب لمصنف عبد الرزاق» للعلامة الشنقيطي: «وكل من تأمل الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة عَلِم يقينًا أن هذا الخبر من جملة الأباطيل التي لا أساس لها من الصحة وقد أغنى الله نبيه ﷺ عن مثل هذا بما أقام من الدلائل القاطعة، والبراهين الساطعة، والمعجزات الباهرة على صحة نبوته ورسالته -عليه الصلاة والسلام-، كما أغناه عن هذا الخبر المكذوب وأشباهه بما وهبه من الشمائل العظيمة، والصفات الكريمة، والأخلاق الرفيعة، التي لا يشاركه فيها أحد ممن قبله ولا ممن بعده، فهو سيد ولد آدم، وخاتم المرسلين، ورسول الله إلى جميع الثقلين، وصاحب الشفاعة العظمى، والمقام المحمود يوم القيامة، إلى غير ذلك من خصائصه، وشمائله، وفضائله الكثيرة ﷺ وعلى آله وأصحابه ومن سلك سبيله، ونصر دينه وذبَّ عن شريعته وحارب من خالفها». اهـ.

قلت: من هذه القرائن التي أوردناها يتبين للقارئ الكريم أن الخبر الذي جاءت به القصة خبر باطل كما هو ظاهر من أقوال الأئمة، فضلاً على أنه لا سند له يثبت ألبتة.

كذلك قال الإمام ابن القيم فى كتابه« المنار المنيف» ص(١١١) فصل (٦): «نحن ننبه على أمور كلية يُعْرَف بها كون الحديث موضوعًا»، ثم قال فى التنبيه (١٩): « ما يقترن بالحديث من القرائن التى يُعْلَم بها أنه باطل». اهـ.

هذا ما وفقني الله إليه، وهو وحده من وراء القصد



(٤٨)

قصة بدء الأذان ليلة الإسراء والمعراج (*)

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم؛ حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت على ألسنة كثير من الوعاظ والخطباء والقصّاص.

أولا : متن القصة

رُوي عن عليّ بن أبي طالب ﷺ أنه قال: لما أراد الله -تبارك وتعالى- أن يعلِّم رسوله الأذان؛ أتاه جبريل بدابة يقال لها: البراق، فذهب يركبها، فاستصعبت، فقال لها جبريل: اسكني؛ فوالله ما ركبك عبد أكرم على الله من محمد ﷺ.

قال: فركبها حتى انتهى إلى الحجاب الذي يلي الرحمن تبارك وتعالى.

قال: فبينما هو كذلك؛ إذ خرج مَلَك من الحجاب، فقال رسول الله: «يا جبريل! من هذا؟».

فقال: والذي بعثك بالحق، إني لأقرب الخلق مكاناً، وإن هذا المَلَك ما رأيته منذ خُلِقتُ قبل ساعتي هذه.

فقال الملك: الله أكبر، الله أكبر.

قال: فقيل له من وراء الحجاب: صدق عبدي أنا أكبر، أنا أكبر.

ثم قال الملك: أشهد أن لا إله إلا الله.

قال: فقيل له من وراء الحجاب: صدق عبدي، لا إله إلا أنا.

قال: فقال الملك: أشهد أن محمداً رسول الله.

(*) مجلة التوحيد، رجب، ١٤٢٥هـ.

قال: فقيل من وراء الحجاب: صدق عبدى أنا أرسلت محمداً.

قال الملك: حيَّ على الصلاة حى على الفلاح، قد قامت الصلاة. ثم قال: الله أكبر، الله أكبر.

قال: فقيل له من وراء الحجاب: صدق عبدي، أنا أكبر أنا أكبر.

ثم قال: لا إله إلا الله. قال: فقيل من وراء الحجاب: صدق عبدى: لا إله إلا أنا.

قال: ثم أخذ المَلَك بيد محمد ﷺ فقدَّمه، فأمَّ أهل السماء؛ فيهم آدم ونوح.

قال أبو جعفر محمد بن علىّ: فيومئذ أكمل الله لمحمد ﷺ الشرف على أهل السماوات والأرض.

ثانيًا: التخريج

أخرجه «البزار» فى «كشف الأستار» (١/ ١٧٨) ح (٣٥٢) وقال: حدثنا محمد ابن عثمان بن مخلد الواسطي، ثنا أبى، عن زياد بن المنذر، عن محمد بن علي بن الحسين، عن أبيه، عن جده، عن علىّ. فذكر القصة.

ثالثًا: التحقيق

قال البزار بعد أن أخرج حديث القصة: لا نعلمه يُروى عن علىّ بهذا اللفظ إلا بهذا الإسناد، وزياد بن المنذر شيعي، روى عنه مروان بن معاوية وغيره.

قلت: ولقد بيّن الإمام المزِّى فى «تهذيب الكمال» (٦/ ٤٠٨) أن محمد بن علىّ بن الحسين بن علىّ بن أبى طالب ممن روى عن زياد بن المنذر.

قلت: والقصة واهية، وعلتها زياد بن المنذر.

أورده الإمام الذهبى فى «الميزان» (٢/ ٩٣/ ٢٩٦٥) قال: قال ابن معين: كذّاب.

قلت: ثم أورده الإمام النسائى فى كتابه «الضعفاء والمتروكين» (٢٢٥) قال: زياد ابن المنذر أبو الجارود متروك الحديث.

قلت: وهذا المصطلح عند النسائى له معناه، ولقد بيّنه الحافظ ابن حجر فى «شرح النخبة» (ص ٦٩) حيث قال: «كان مذهب النسائى أن لا يترك حديث الرجل حتى يجتمع الجميع على تركه».

قلت: وأورده الإمام الدارقطنى فى كتابه «الضعفاء والمتروكين» ترجمة (٢٣٤) وقال: زياد بن المنذر أبو الجارود كوفى، عن أبى الطفيل والسبيعى وأبى جعفر محمد بن علىّ.

قلت: وقد يظن من يقرأ عبارة الدارقطنى هذه أنه لم يذكر فى زياد بن المنذر جرحاً ولا تعديلاً، وهذا لعدم درايته بشرط الكتاب الموضوع فى المقدمة، وإلى القارئ الكريم بيان هذا الشرط:

قال أبو بكر أحمد بن محمد بن غالب الخوارزمى البرقانى: طالت محاورتى مع أبى منصور إبراهيم بن الحسين بن حَمَكَان لأبى الحسن علىّ بن عمر الدارقطنى -عفا الله عنى وعنهما- فى المتروكين من أصحاب الحديث، فتقرر بيننا وبينه على ترك من أثبته على حروف المعجم فى هذه الورقات.

قلت: وبهذا يتبين أن كل من ذكر اسمه فى كتاب «الضعفاء والمتروكين» للدارقطنى فقد أجمع على تركه الأئمة الثلاثة البرقانى وابن حمكان والدارقطنى.

قلت: ولقد أورده الإمام ابن حبان فى كتابه «المجروحين» (١/ ٣٠٢) وقال: زياد ابن المنذر أبو الجارود الثقفى كان رافضيًا، يضع الحديث فى مثالب أصحاب النبى ﷺ، ويروى فى فضائل أهل البيت أشياء ما لها أصول، لا تحل كتابة حديثه. قال يحيى: زياد ابن المنذر أبو الجارود كذّاب عدو الله ليس يساوى فلساً.

قلت: وأخرج هذا القول بسنده الإمام الحافظ ابن عدى فى كتابه «الكامل» (٣/ ١٨٩) ترجمة (٥/ ٦٩٠).

وبهذا يتبين للقارئ الكريم أن هذه القصة واهية.

رابعًا: ما صحّ فى قصة بدء الأذان

القصة الأولى: لقد بوَّب البخارى باباً فى كتاب «الأذان» قال فيه: «باب بدء الأذان»، ثم ذكر فيه حديث ابن عمر ح(٦٠٤) حيث قال: حدثنا محمود بن غيلان قال: حدثنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا ابن جريج، قال: أخبرني نافع، أن ابن عمر كان يقول: «كان المسلمون حين قدموا المدينة يجتمعون فيتحينون الصلاة ليس ينادى لها. فتكلموا يوماً فى ذلك، فقال بعضهم: اتخذوا ناقوسًا مثل ناقوس النصارى، وقال بعضهم: بل بوقاً مثل قرن اليهود. فقال عمر: أو لا تبعثون رجلاً ينادى بالصلاة؟ فقال رسول الله ﷺ : **يا بلال قم فناد بالصلاة**».

قلت: والحديث أخرجه الإمام مسلم فى «صحيحه» ح (٣٧٧) وذلك فى كتاب الصلاة باب «بدء الأذان» من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

فائدة: قول ابن عمر رضي الله عنهما «كان المسلمون حين قدموا المدينة يجتمعون فيتحينون الصلاة وليس ينادى لها...» يدل على أن الأذان لم يكن معروفاً حين قدموا المدينة، وفى الوقت نفسه يدل على كذب القصة التى أشرنا إليها «قصة بدء الأذان ليلة الإسراء والمعراج».

القصة الثانية: أوردها الإمام الشوكانى فى «نيل الأوطار» (٢/ ٩٩) باب «صفة الأذان» من حديث عبد الله بن زيد بن عبد ربه، قال: لما أجمع رسول الله ﷺ أن يضرب بالناقوس، وهو له كاره لموافقته النصارى، طاف بى من الليل طائف وأنا نائم رجل عليه ثوبان أخضران وفى يده ناقوس يحمله قال: فقلت: يا عبد الله أتبيع الناقوس؟ قال: وما تصنع به؟ قال: قلت: ندعو به إلى الصلاة. قال: أفلا أدلك على خير من ذلك ؟ فقلت: بلى، قال: تقول: الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمداً رسول الله أشهد أن محمداً

رسول الله، حى على الصلاة حى على الصلاة، حى على الفلاح حى على الفلاح، الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله.

قال: ثم استأخر غير بعيد قال: ثم تقول إذا أقمت الصلاة: الله أكبر الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمدًا رسول الله، حي علي الصلاة، حي على الفلاح، قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة، الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله.

قال: فلما أصبحت أتيت رسول الله ﷺ فأخبرته بما رأيت، فقال رسول الله ﷺ: إن هذه الرؤيا حق إن شاء الله، ثم أمر بالتأذين، فكان بلال مولى أبى بكر يؤذن بذلك ويدعو رسول الله ﷺ إلى الصلاة، قال: فجاءه فدعاه ذات غداة إلى الفجر، فقيل له إن رسول الله ﷺ نائم، فصرخ بلال بأعلى صوته: الصلاة خير من النوم. قال سعيد ابن المسيب: فأدخلت هذه الكلمة فى التأذين إلى صلاة الفجر.

رواه أحمد وأبو داود من طريق محمد بن إسحاق، عن محمد بن إبراهيم التيمي، عن محمد بن عبد الله بن زيد، عن أبيه، وفيه: «فلما أصبحت أتيت رسول الله ﷺ فأخبرته بما رأيت فقال: إنها لرؤيا حق، إن شاء الله، فقم مع بلال فألقِ عليه ما رأيت، فإنه أندى صوتاً منك. قال: فقمت مع بلال فجعلت ألقيه عليه ويؤذن به. قال: فسمع ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو فى بيته فخرج يجر رداءه يقول: والذى بعثك بالحق لقد رأيت مثل الذى رأى، فقال رسول الله ﷺ: «**فلله الحمد**». وروى الترمذى هذا الطرف منه بهذه الطريق، وقال: حديث عبد الله بن زيد حديث حسن صحيح.

قال الإمام الشوكانى: «وأخرجه أيضًا ابن خزيمة وابن حبان فى «صحيحيهما» والبيهقى وابن ماجه، قال محمد بن يحيى الذهلى: ليس فى أخبار عبد الله بن زيد أصح من حديث محمد بن إسحق عن محمد بن إبراهيم؛ يعنى هذا لأن محمدًا قد سمع من أبيه عبد الله بن زيد.

وقال ابن خزيمة فى «صحيحه»: هذا حديث صحيح ثابت من جهة النقل؛ لأن محمدًا سمع من أبيه، وابن إسحق سمع من التيمي، وليس هذا مما دلَّسه.

وقد صحح هذه الطريق البخارى فيما حكاه الترمذى فى العلل عنه».

قلت: وهذا الكلام الذى ذكره «الشوكانى» من تصحيح الأئمة لهذا الحديث، وإقراره له ذكره بنصه الحافظ ابن حجر فى «تلخيص الحبير» (١/ ١٩٦) ح (٢٩١) وأقره.

قلت: ولقد أقر تصحيح هؤلاء الأئمة محدِّث وادى النيل الشيخ «أحمد شاكر» رَحِمَهُ اللَّهُ فى تخريجه لسنن الترمذى فعندما قال الترمذى عن حديث عبد الله ابن زيد: حديث حسن صحيح. قال: وقد روى هذا الحديث إبراهيم بن سعد عن محمد بن إسحاق أتم من هذا الحديث وأطول، وذكر فيه قصة الأذان مثنى مثنى والإقامة مرة مرة.

قلت: فقام محدِّث وادى النيل بتخريج ما ذكره الترمذى فى «تخريجه سنن الترمذى» (١/ ٣٦٠- شاكر) حيث قال: «ورواية إبراهيم بن سعد التى أشار إليها رواها أحمد فى «المسند» (٤/ ٤٣) عن يعقوب بن إبراهيم بن سعد، عن أبيه، عن ابن إسحق، ورواها أبو داود (١/ ١٨٧-١٨٩) عن محمد بن منصور الطوسي، عن يعقوب. والحديث رواه أيضاً ابن ماجه (١/ ١٢٤) عن أبى عبيد محمد بن عبيد بن ميمون، عن محمد بن سلمة الحراني، عن ابن إسحق، وفى كل هذه الروايات صرَّح ابن إسحق بسماعه من محمد بن إبراهيم، ورواه أيضًا البيهقى فى «السنن الكبرى» (١/ ٣٩٠-٣٩١) بأسانيد من طريق إبراهيم بن سعد، ثم روى عن محمد بن عبد الله ابن زيد؛ لأن محمداً سمع من أبيه، وابن أبى ليلى لم يسمع من عبد الله بن زيد».

ثم نقل عن كتاب «العلل الكبير» للترمذي قال: «سألت محمد بن إسماعيل البخاري عن هذا الحديث؟ فقال: هو عندي حديث صحيح».

قلت: وكفى بتصحيح أمير المؤمنين في الحديث الإمام البخاري لحديث قصة عبد الله بن زيد في الأذان.

وكيف لا وقد أورد الحافظ ابن حجر في «هَدْي الساري» ص (٥١٣) عن أحمد ابن حمدون القصار قال: سمعت مسلم بن الحجاج وجاء إلى محمد بن إسماعيل البخاري، فقبل بين عينيه، وقال: دعني حتى أقبل رجليك يا أستاذ الأستاذين وسيد المحدثين وطبيب الحديث في علله».

قلت: وبهاتين القصتين الثابتتين يتبين أن قصة «بدء الأذان ليلة الإسراء والمعراج» قصة واهية .

هذا ما وفقني الله إليه، وهو وحده من وراء القصد



(٤٩)

قصة حريق بيت أبي الدرداء (*)

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم؛ حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت على ألسنة الخطباء والوعاظ والقصاص، وتناقلتها بعض الكتب المصنفة في الأدعية المأثورة.

وإلى القارئ الكريم تخريج وتحقيق هذه القصة:

أولاً: متن القصة

رُوى عن طلق بن حبيب قال: جاء رجل إلى أبي الدرداء ﷺ فقال: يا أبا الدرداء قد احترق بيتك. قال: ما احترق. قد علمت أن الله ﷻ لم يكن ليفعل ذلك لكلمات سمعتهن من رسول الله ﷺ من قالهن أول نهاره لم تصبه مصيبة حتى يمسي، ومن قالها آخر النهار لم تصبه مصيبة حتى يصبح: اللهم أنت ربي، لا إله إلا أنت، عليك توكلت، وأنت رب العرش العظيم، ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، أعلم أن الله على كل شيء قدير، وأن الله قد أحاط بكل شيء علمًا، اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي، ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها، إن ربي على صراط مستقيم».

ثانيًا: التخريج

الخبر الذي جاءت به هذه القصة أخرجه ابن السني في كتابه «عمل اليوم والليلة» ص(٢٥) ح(٥٧)، والطبراني في «الدعاء» (٢/ ٩٥٤)، والخرائطي في «مكارم الأخلاق» (٢/ ٤٠١) من طريق هُدْبَة بن خالد، حدثنا الأغلب بن تميم، حدثنا الحجاج بن فُرَافِصَة، عن طلق بن حبيب به.

(*) مجلة التوحيد، شعبان، ١٤٢٥هـ.

ثالثًا: التحقيق

هذه القصة واهية، وسندها تالف، وعلته: الأغلب بن تميم.

١- أورده الإمام البخاري في كتابه «التاريخ الكبير» (٢/ ٧٠/ ١٧٢٠)، وقال: «أغلب بن تميم منكر الحديث». اهـ.

قلت: وهذا المصطلح عند البخاري يدل على شدة الضعف، حيث قال الإمام السيوطي في «التدريب» (١/ ٣٤٩): البخاري يطلق (فيه نظر، وسكتوا عنه): فيمن تركوا حديثه، ويطلق (منكر الحديث): على من لا تحل الرواية عنه». اهـ.

٢- أورده ابن حبان في «المجروحين» (١/ ١٧٥)، وقال: «أغلب بن تميم منكر الحديث، يروي عن الثقات ما ليس من حديثهم، حتى خرج عن حدِّ الاحتجاج به لكثرة خطئه». اهـ.

٣- أورده الإمام الذهبي في «الميزان» (١/ ٢٧٣/ ١٠٢١) وأقر قول الإمام البخاري، كذلك وأقر قول الإمام ابن حبان، ثم نقل قول الإمام ابن معين في أغلب ابن تميم بأنه ليس بشيء.

٤- أورده الإمام العقيلي في «الضعفاء الكبير» (١/ ١١٧/ ١٤٠)، وقال: «حدثنا محمد قال: حدثنا عباس قال: سمعت يحيى يقول: أغلب بن تميم المسعودي بصري: سمعت منه، وليس بشيء»، ثم قال: «وليس يتابع». اهـ.

رابعًا: طريق آخر للقصة لا يصلح للمتابعات أو الشواهد

رُوى عن الحسن قال: كنا جلوساً مع رجل من أصحاب رسول الله ﷺ فَأُتِيَ فقيل له: أدرك دارك، فقد احترقت. فقال: ما احترقت داري، فذهب ثم جاء فقيل: أدرك دارك، فقد احترقت، فقال: لا والله ما احترقت داري، فقيل له: احترقت دارك وتحلف بالله ما احترقت، فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: من قال حين يصبح ربي الله الذي لا إله إلا هو، عليه توكلت، وهو رب العرش العظيم، ما شاء

الله كان وما لم يشأ لم يكن، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، أشهد أن الله على كل شيء قدير، وأن الله قد أحاط بكل شيء علمًا، أعوذ بالله الذي يُمسِك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه من شر كل دابة ربي آخذ بناصيتها، إن ربي على صراط مستقيم؛ لم يصبه في نفسه ولا أهله ولا ماله شيء يكرهه، وقد قلتها اليوم، ثم قال: انهضوا بنا، فقام وقاموا معه فانتهوا إلى داره وقد احترق ما حولها ولم يصبها شيء».

خامسًا: التخريج

هذا الطريق أخرجه الحارث في «مسنده» (٢/ ٩٥٣) ح(١٠٥٢) قال: «حدثنا يزيد بن هارون، ثنا معاذ أبو عبد الله، قال: حدثني رجل، عن الحسن به».

وأخرجه ابن السُّني في «عمل اليوم والليلة» ص(٢٥) ح(٥٨) قال: «أخبرني عبد الرحمن بن حمدان، حدثنا الحارث بن أبي أمامة بن محمد، حدثنا يزيد بن هارون به».

سادسًا: التحقيق

١ - القصة أيضًا من هذا الطريق واهية، والسند مظلم لجهالة الراوي، حيث قال: حدثني رجل عن الحسن. فالرجل هنا لم يُسم، وهذا عند علماء الحديث يسمي «المبهم» حيث قال البيقوني في «منظومته» «ومبهم ما فيه راوٍ لم يسم» فالحديث مردود، وسبب رد روايته جهالة عينه. لأن من أُبهم اسمه جهلت عينه وجهلت عدالته من باب أولى، فلا تقبل روايته.

لذلك قال الحافظ ابن حجر في «شرح النخبة» ص(١٣٥): ولا يقبل حديث المبهم ما لم يسم؛ لأن شرط قبول الخبر عدالة راويه، ومن أبهم اسمه لا تعرف عينه فكيف تعرف عدالته؟».

قلت: وهذا الطريق يزيد القصة وهنًا على وهن، كما هو مقرر في علم المصطلح، كذا قال ابن الصلاح في «علوم الحديث» ص(١٠٧)، وابن كثير في «مختصره» (ص٣٣)، والسخاوي في «فتح المغيث» (١/ ٢٤٢).

٢- قول الحسن: «كنا جلوساً مع رجل من أصحاب رسول الله ﷺ فأتي فقيل له أدرك دارك فقد احترقت...».

قلت: فالمبهم هنا ليس هو أبا الدرداء؛ لأن الحسن لم يجالس أبا الدرداء، والشاهد على ذلك قول الإمام ابن أبي حاتم في كتابه «المراسيل» (ص٤٤) رقم (١٤٨): قال أبو زرعة: «الحسن عن أبي الدرداء مرسل». اهـ.

قلت: وأقره الحافظ ابن حجر في «التهذيب» (٢/ ٢٣٤).

فائدة هامة:

١- بهذا يتبين أن الراوي المبهم في السند جعل الصحابي أيضًا مبهمًا، وإن تعجب فعجب كيف يجلس الحسن مع رجل من أصحاب الرسول ﷺ وهو لا يعرف اسمه في مثل هذا الأمر الخطير؛ وهو خبر حريق بيته.

وإبهام الصحابي ومجالسته للحسن يحتم أنه لم يكن هو أبا الدرداء لما بيّنا آنفًا بعدم سماع الحسن من أبي الدرداء، وعلى هذا تصبح هذه قصة أخرى لحريق بيت صحابي آخر، اشتركت مع قصة حريق بيت أبي الدرداء في المعنى.

وهذا ما يسمى في المصطلح بالشاهد، وهو مذهب الجمهور من أهل الفن، حيث قال السخاوى فى «فتح المغيث» (١/ ٢٤٤): «وأما ما يقصر الشاهد على الآتى من حديث صحابى آخر وهم الجمهور». اهـ.

قلت: ولكنه شاهد لا يعتبر به؛ حيث إن طريقه مظلم والراوى مبهم، وكم تحت الإبهام من أمور عظام، كشفت عن كذابين ومتروكين، كذلك والمشهود له هو قصة أبى الدرداء الواهية، والتى لا يصلح لها شواهد لشدة الضعف التى بيناها آنفًا، فكلا الطريقين لا يؤثر كونه شاهداً أو مشهودًا، وعدم التأثير يدل على أن الشاهد ظاهرى لا حقيقى.

٢- حاول البعض أن يجعل الصحابي المبهم في الطريق الآخر هو أبو الدرداء لتكون قصة الحريق لصحابي واحد.

وبهذا الصنيع يصبح الطريق الآخر مشاركًا للطريق الأول في المعنى مع الاتحاد في الصحابي، وهذا ما يسمى عند الجمهور من أهل الفن «المتابع».

وهم بهذا الصنيع زادوا القصة وهنًا على وهن؛ لأن هذا ليس متابعًا حقيقة؛ لأنه لا يعتبر به حيث إن:

١- السند مظلم، والراوي مبهم كما بيّنا آنفًا.

٢- الإرسال الخفي؛ لأن الحسن لم يسمع من أبي الدرداء كما بيّنا أيضًا.

وبهذا يصبح طريق المتابع ظلمات بعضها فوق بعض، بين سقط خفي وإبهام، ولا يصح مع السقط والإبهام متابعات تامة أو قاصرة، هذا بالنسبة للطريق الثاني.

٣- والطريق الأول لا يصلح أن يكون تابعًا أو متبوعًا لشدة الضعف التي بيناها آنفًا.

بهذا التحقيق تصبح قصة حريق بيت أبي الدرداء قصة واهية.

هذا ما وفقني الله إليه، وهو وحده من وراء القصد



(٥٠)

قصة رجاء ترخيص السحور حتى مطلع الشمس (*)

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم؛ حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي وُجدت في بعض الكتب، واشتهرت على ألسنة الخطباء والوعاظ والقصاص.

وإلى القارئ الكريم تخريج وتحقيق هذه القصة:

أولا: المتن

رُوِيَ عن عليّ بن أبي طالب قال: دخل علقمة بن علاثة على النبي ﷺ، فدعا له برأس، وجعل يأكل معه، فجاءه بلال فدعاه إلى الصلاة، فلم يُجب فرجع فمكث في المسجد ما شاء الله، ثم رجع، فقال: يا رسول الله، قد والله أصبحت، فقال: رسول الله ﷺ: «رحم الله بلالاً، لولا بلال لرجونا أن يُرَخص لنا ما بيننا وبين طلوع الشمس» فقال عليّ ﷺ: لولا أن بلالاً حلف لأكل رسول الله ﷺ حتى يقول له جبريل: ارفع يديك.

ثانيًا: التخريج

الخبر الذي جاءت به هذه القصة أخرجه الإمام البزار في «مسنده» «١/ ٤٦٥- كشف الأستار» ح(٩٨٠) باب «وقت السحور» قال: حدثنا خلاد بن أسلم، حدثنا حنيفة بن مرزوق، عن سوار بن مصعب، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، عن عليّ بن أبي طالب به.

(*) مجلة التوحيد، رمضان، ١٤٢٥هـ.

ثالثًا: التحقيق

هذه القصة واهية، وسندها تالف، وعلته: سوار بن مصعب.

١ – قال البزار بعد أن أخرج هذا الخبر الذي جاءت به القصة: «تفرد به سوار». اهـ.

قلت: ولم يُقيد هذا التفرد، فالخبر فرد مطلق.

٢- قال الهيثمي في «المجمع» (٣/ ١٥٢): «رواه البزار، وفيه سوار بن مصعب، وهو ضعيف».

قلت: وإلى القارئ الكريم بيان درجة هذا الضعف المجمل الذي تعوّدناه من الإمام الهيثمي رَحِمَهُ اللَّهُ:

٣- قال الإمام البخاري في «الضعفاء الصغير» رقم (١٥٥): سَوَّار بن مُصْعب الهَمْدَاني: منكر الحديث.

قلت: وهذا المصطلح له معناه عند الإمام البخاري، حيث قال الحافظ ابن حجر في «هَدْي الساري» ص(٥٠٤): «للبخاري في كلامه على الرجال تَوَقٍّ زائد وتحرّ بليغ، يظهر لمن تأمل كلامه في الجرح والتعديل، فإن أكثر ما يقول: سكتوا عنه، فيه نظر، تركوه، ونحو هذا، وقلَّ أن يقول كذاب أو وضاع، وإنما يقول: كذبه فلان، رماه فلان يعني بالكذب». اهـ.

قلت: لذلك تجد الإمام السيوطي في «التدريب» (١/ ٣٤٩) يقول: «البخاري يطلق: (منكر الحديث): على من لا تحل الرواية عنه». اهـ.

٤- قال الإمام النسائي في «الضعفاء والمتروكين» رقم (٢٥٨): «سَوَّار بن مُصعب: متروك الحديث، كوفي».

قلت: وهذا المصطلح أيضًا له معناه عند الإمام النسائي، حيث قال الإمام الحافظ

ابن حجر في «شرح النخبة»ص (٧٣): «مذهب النسائي أن لا يترك حديث الرجل حتى يجتمع الجميع على تركه».

٥- أورده الإمام الدارقطني في «الضعفاء والمتروكين» برقم (٢٧٩) قال: «سَوَّار ابن مُصعب».

قلت: ولم يكتب شيئًا سوى ذِكْر اسمه فقد يظن من لا دراية له بهذا الفن أن الدارقطني لم يبين حاله، ولم يدرِ أنه بمجرد ذكر الاسم في كتابه يعني أنه «متروك».

وهذا يتبين من مقدمة كتاب الدارقطني في «الضعفاء والمتروكين»، حيث قال الإمام البرقاني: طالت محاورتي مع ابن حَمَكان لأبي الحسن عليّ بن عمر الدارقطني -عفا الله عني وعنهما- في المتروكين من أصحاب الحديث، فتقرر بيننا وبينه على ترك من أثبته على حروف المعجم في هذه الورقات». اهـ.

قلت: وبهذا يتبين أن سوار بن مصعب متروك عند الأئمة الثلاثة: البرقاني، وابن حَمَكان، والدارقطني.

٦- قال الإمام ابن حبان في «المجروحين» (١/ ٣٥٢): «سوَّار بن مصعب الهمداني، وهو الذي يقال له سوَّار المؤذن، ويقال له سوار الأعمى من أهل الكوفة: كان ممن يأتي بالمناكير عن المشاهير، حتى يسبق إلى القلب أنه كان المتعمد لها».

٧- قال الإمام ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٤/ ٢٧٢/ ١١٧٥):

أ- أخبرنا محمد بن حمويه بن الحسن قال: سمعت أبا طالب، قال: قال أحمد بن حنبل: «سوَّار بن مصعب الأعور: متروك الحديث».

ب- ثم قال: قرئ على العباس بن محمد الدوري، قال: سُئل يحيى بن معين عن سوار بن مصعب؟ فقال: «هو سوار الأعمى المؤذن، ضعيف ليس بشيء».

جـ- ثم قال: سألت أبي عنه، فقال: متروك الحديث، لا يكتب حديثه، ذاهب الحديث». اهـ.

قلت: من أقوال أئمة الجرح والتعديل يتبين أن الخبر الذي جاءت به هذه القصة خبر منكر باطل، والقصة واهية.

رابعًا: ما صح في وقت السحور

١ - قصة عَدِي بن حاتم ﷺ قال: لما نزلت ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ﴾ عَمَدْتُ إلى عقال أسود وإلى عقال أبيض فجعلتهما تحت وسادتي فجعلت أنظر في الليل فلا يستبين لي، فَغَدَوت على رسول الله ﷺ فذكرت له ذلك، فقال: «إنما ذلك سواد الليل وبياض النهار».

أخرجه البخاري (٤/ ١٥٧- فتح) ح (١٩١٦)، قال: حدثنا حجاج بن منهال، حدثنا هُشَيْم، قال: أخبرنى حُصين بن عبد الرحمن، عن الشَّعْبي، عن عدى بن حاتم به.

قلت: وأخرجه البخارى (٨/ ٣١- فتح) ح (٤٥٠٩)، قال: حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا أبو عوانة، عن حصين به. وزاد: «إن وسادك إذاً لعريض، أن كان الخيط الأبيض والأسود تحت وسادتك».

وفى مسلم ح (١٠٩٠) قال: حدثنا أبو بكر ابن أبى شيبة حدثنا عبد الله بن إدريس، عن حصين به. قال عدى بن حاتم: يا رسول الله؛ إنى أجعل تحت وسادتى عقالين عقالاً أبيض وعقالاً أسود، أعرف الليل من النهار. فقال رسول الله ﷺ : «**إن وسادك لعريض إنما هو سواد الليل وبياض النهار**».

٢- حديث سهل بن سعد ﷺ في «أسباب النزول» قال: «لَمَّا نزلت هذه الآية: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ﴾ قال: فكان الرجل إذا أراد الصوم ربط أحدهم في رجليه الخيط الأسود والخيط الأبيض، فلا يزال يأكل ويشرب حتى يتبين له رؤيتهما، فأنزل الله بعد ذلك: ﴿مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾، فعلموا أنما يعني بذلك الليل والنهار».

أخرجه البخاري ح (١٩١٧)، ح (٤٥١١)، وكذلك مسلم ح (١٠٩١)، واللفظ لمسلم كتاب الصيام ح (٣٥) باب «الدخول في الصوم يحصل بطلوع الفجر».

٣- ولقد بوَّب البخاري بابًا بعنوان: «باب قدر كم بين السحور وصلاة الفجر» في كتاب الصوم باب رقم (١٩) أخرج تحته حديث (١٩٢١) من حديث أنس عن زيد بن ثابت ﷺ قال: «تسحرنا مع النبي ﷺ، ثم قام إلى الصلاة. قلت: كم كان بين الأذان والسحور؟ قال: قدر خمسين آية».

قلت: وأخرجه الإمام مسلم (ح١٠٩٧/ ٤٧).

وبهذا البيان لهذه القصة الواهية في وقت السحور، ثم بيان القصة الصحيحة وأسباب النزول حول السحور، يستطيع القارئ الكريم أن يميز الطيب من الخبيث فيما يدور على ألسنة الناس من الحديث.

هذا ما وفقني الله إليه، وهو وحده من وراء القصد

❀ ❀ ❀ ❀

فهرس الموضوعات

